بشار عواد معروف



ومنهجه في كتاب تاريخ الإسلام



بشار عواد معروف



ومنهجه في كتاب تاريخ الإسلام



الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار الغرب الإسلامي

ص. ب. 5787-113 بيروت


الذهبي
ومنهجه في كتاب تاريخ الإسلام

الإهداء

إلى أخي الحبيب وصديقي الوفي

الدكتور أحمد مطلوب

مقدمة الطبعة الثانية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للّٰه رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللّٰه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللّٰه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا وإمامنا وقدوتنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبدُه ورسوله، بعثه اللّٰه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد،

فقد رغب إليَّ صديقي الوفي الأستاذ حبيب اللمسي أن أُعد كتابي «الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام» لينشره في «دار الغرب الإسلامي»، وقد مضى على طبعته الأولى ثُلُث قرن، نفدت فيها نسخة منذ زمن بعيد، واستجدت معلومات، وطبعت العديد من كتب الذهبي التي كانت ما تزال حبيسة خزائن الكتب بالخافقين، ولا سيما أمهاتها، مثل «سير أعلام النبلاء» و«تاريخ الإسلام» وغيرهما.

ونال هذا الكتاب يوم صدوره رضا أهل العلم وتلقوه بما هو أهله من الثناء والحمد، وهي من نعم اللّٰه علينا وعميم إحسانه إلينا، فقال العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة يرحمه اللّٰه في تقديمه لرسالة الذهبي «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» سنة ١٩٨٠م:

«وخير كتاب وقفت عليه للمعاصرين ترجم للحافظ الذهبي وعَرَّفَ به وبمؤلفاته: كتاب الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، للعلامة المحقق الدكتور بشار عواد معروف البغدادي المطبوع بالقاهرة سنة ١٩٧٦م... ومنه استفدت معرفة هذه الرسالة وموضعها، فجزاه اللّٰه تعالى عني وعن العلم خيرًا، فمن أراد التوسع في معرفة الإمام الذهبي، فليرجع إلى هذا الكتاب النفيس».

وكتب إليَّ المستشرق الألماني القدير الأستاذ رودولف زلهايم يثني على المنهجية المتبعة في هذا البحث، وكتب تقريرًا مفصلاً إلى جامعة بغداد يوم طلبت منه الجامعة سنة ١٩٨٠م النظر في ترقيتي إلى رتبة «أستاذ» قائلاً: إن جامعة فرانكفورت لتفخر في ترقية هذا الأستاذ القدير.

والحق أننا قلما وجدنا باحثًا متميزًا تطرق إلى الذهبي أو محققًا جيدًا نشر له كتابًا إلا وأثنى على هذا الكتاب الثناء العاطر، واستغنى به عن الكتابة عنه، فأحال إليه ورضي بما فيه، مع قيام بعضهم باستدراك بعض ما فاتني من أجزاء أو تخاريج أو منتقيات، وأجودهم في هذا الدكتور الفاضل قاسم علي سَعْد صاحب رسالة «صفحات في ترجمة الحافظ الذهبي» المنشورة في دار البشائر الإسلامية بدمشق سنة ١٩٨٦م، وهي رسالة جيدة ومنصفة أبان فيها عن خلق رفيع وعلم جم، أفدنا منها[١].

أما كتاب «الحافظ الذهبي» تأليف السيد عبد الستار الشيخ، الذي نشرته دار القلم بدمشق في ضمن سلسلة «أعلام المسلمين» سنة ١٩٩٤م فأكثره مسلوخ من كتابي هذا بعبارته وأسلوبه على الرغم من محاولة مؤلفه تغطية ذلك ببعض النصوص التي تركتها عمدًا، وأشرت إليها إشارة، وعند مؤلفه جراءة عجيبة عند الإحالة إلى مصادر أحلت إليها في كتابي وكأنه هو الذي استخرج المادة منها، نسأل اللّٰه العافية!! فضلاً عن قيامه بسلخ كل ما استدركه الدكتور الفاضل قاسم علي سعد. وخلاصة القول أنه كتاب لا جديد فيه، لو لم يكتبه مؤلفه ولم ينشره

---

(١) وتركنا بعض ما فيها من أوهام يسيرة، ومنها مثلاً ظنه في الرقم (٣٦) أن الذهبي رد على يحيى بن سعيد القطان، وبعض ما استدركناه في مقدمتنا لسير أعلام النبلاء.

ناشره لكان أحسن، فهو مضيعة للوَرَق والوَرِق.

وقد رأيت أن أبقي الكتاب على هيأته يوم قدمته رسالة لنيل رتبة «الدكتوراه» من جامعة بغداد سنة ١٩٧٦م، فهو يمثل مرحلة من مراحل حياتي العلمية التي لم تزل حبيبة على قلبي، فضلاً عن أن المصادر التي استعملتها يومئذٍ كان جلها مخطوطًا، وتحديث الموارد بالإشارة إلى المطبوع مما لا أطيق اليوم وتؤودني أعباؤه، وليس فيه من فائدة ترتجى، فالأمر قد مضى، والعبرة بما توصلت إليه من نتائج، اللهم إلا حين وجدت فاسدًا فأصلحته، أو ميلاً فقومته، وهو نزر يسير لا يسوى ذكره.

على أنني رأيت من أهم الواجب عليَّ إعادة النظر في الفصل الثاني من البحث، وهو الفَصْل الخاص بآثار الذهبي، إذ لا بد من تجديده بما استدرك عليه من آثار، وما وقفنا عليه من جديد، ولا سيما بعد طبع الكثير من المخطوطات التي كانت مغيبة في خزائن الكتب، فعهدت إلى أحد تلامذتي النجباء العقلاء الألباء: الشيخ أحمد إبراهيم دودين، بتتبع ما استجد على هذا الفصل، فارتاح لما التمسته منه وقام بالأمر أتم قيام، حيث جمع ما استُدْرك عليه، ودققه على أصوله، واستدرك هو بعض ذلك، وتتبع ما طبع من المخطوطات، فتجلت فيه مواهبه وكثرت فوائده، ثم اجتمعنا لتهذيبه ونفي شوائبه، فكان أن بلغنا بآثار الذهبي (٣٠٩) أثر بعد أن كانت (٢١٤) أثرًا، فجزى اللّٰه الشيخ أحمد خيرًا حين ناب عني هذا المناب، ولما أظهره من وفاء وعناء.

وكنت قد عهدت لتلميذي الفاضل الشيخ عمر مكي صغير العيساوي، وهو من أعيان طلبة العلم في العراق وممن أرجو أن يكون له شأن في قابل الأيام بقراءة الكتاب ودراسته وإصلاح بعض ما قد وقع فيه من خلل لسَدّه، أو ثلمة لرمّها، ولا سيما وهو يكتب رسالة بإشرافي عن «النقد الحديثي في كتاب تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي»، فاستفاد وأفاد، وأظهر معرفة وقوة وشهامة، فله مني جميل الشكر والدعاء له بجميل الأثر وبُعد الهمة والتقدم في مراقي العلم بحديث رسول اللّٰه ﷺ.

والحمد للّه على ما أنعم وتفضّل، ونسأله جل في علاه أن يوفقنا لكل خير، به نعتصم ونلوذ، وإليه نلجأ في كل معضلة، وعليه نعوِّل ونتوكل في كل أمر، وليعذر القارئ من سهو أو سبق قلم أو ذهول، فالقلوب موجوعة والأكباد مقروحة، بتغلب العدوان واستلاب الأوطان، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

كتبه بدار هجرته عَمّان البلقاء عاصمة الهواشم ـ أدام اللّه عزهم ـ في ربيع الآخر من سنة ١٤٢٩هـ.

أفقر العباد

بشار بن عواد

مفاتيح وإضاءات

قد استعملنا في هذا الكتاب كثيرًا من المختصرات للدلالة على ما قد يطول ذكره. وغايتنا من هذا التجوز عدم إطالة صحائفه بغير ما هو نافع له لصيق به، واجتهدنا أن تكون هذه المختصرات أخصر من غيرها شرط وفائها بالمراد، وها هي ذي:

ت: توفي، المتوفى.

ج: جزء.

ص: صفحة.

ط: طبعة.

م: مجلد أو مجلدة.

هـ: هجرية.

أحمد الثالث: خزانة كتب السلطان أحمد الثالث بإستانبول.

الأزهر: المكتبة الأزهرية بمصر.

الأوقاف: خزانة كتب الأوقاف ببغداد.

أيا صوفيا: خزانة كتب أيا صوفيا في إستانبول.

باريس: دار الكتب الوطنية بباريس.

التيمورية: الخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

الحاج صبحي: خزانة شيخنا العالم الفاضل العقيد الحاج صبحي البدري السامرائي نزيل بغداد.

حلب: المكتبة الأحمدية بحلب.

دار الكتب: دار الكتب المصرية بالقاهرة.

شهيد علي: مكتبة شهيد علي باشا بإستانبول.

ظاهرية: دار الكتب الظاهرية بدمشق.

كوبرلي: خزانة كتب كوبرلي بإستانبول.

مطبوعة: الأجزاء الستة التي نشرها حسام الدين القدسي من «تاريخ الإسلام».

معهد المخطوطات: معهد إحياء المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة.

نسختي: النسخة المحفوظة في خزانة كتبي، وجميعها مصورات وقليل منها بخطي.

ثم بعد ذلك:

١ ـ لم أفصل في أسماء المؤلفين وكتبهم في هوامش الكتاب إلا عند الضرورة القصوى، واقتصرت على ذكر ما اشتهر به المؤلف من اسم أو لقب أو كنية أو نسبة وما إليها ثم اكتفيت بإلحاق مختصر اسم كتابه، فمن أراد تفصيلاً فعليه بجريدة المصادر والمراجع الملحقة في آخر هذا الكتاب يجد فيه مبتغاه.

٢ ـ لما كنت قد اعتمدت جملة كبيرة من المخطوطات، بل عولت ـ في كثير من الأحيان ـ على أكثر من نسخة من الكتاب المخطوط الواحد، فقد نبهت في مثل هذه الأحوال على مكان النسخة باختصار، بحيث ذكرت موضع النسخة على الاختصار ورقمها، وحصرت ذلك بين عضادتين.

* * *

المدخل

أولاً: أهمية البحث ونطاقه:

لقد أصبح معلومًا في بدائه العقول أن أية دراسة، تقوم على البحث العلمي الأصيل والإدراك الكامل لطبيعته، لا يمكن أن تتكامل إلا بتكامل خبرة عميقة شاملة بمواردها ومناهج مؤلفيها وأساليبهم، وهي أدوات البحث وآلاته، وأن أي بناء تاريخي سرعان ما يمسي ضعيفًا مهزوزًا متداعي الأركان إذا لم يقم على دراسة علمية مستفيضة لتلك الآلات والأدوات وكثرة اختبار لها وعناية بها.

ومع أن المؤلفات الأولى من التاريخ الإسلامي قد نالت عناية لا بأس بها، ودراسات وبحوثًا امتازَ بعضها بالنظرة العلمية والعمق والتقصي والنقد، إلا أن تلك الدراسات والبحوث غالبًا ما كانت تقف عند مطلع القرن السادس الهجري، بزعم أن هذه المؤلفات المتأخرة ليس فيها من أصالةٍ تميزها أو زيادات أو مناهج تثير انتباه الباحثين والمعنيين بالشؤون التاريخية. وعندي أن هذا الحيف الذي لحق هذه الحقبة عمومًا قد جاء من جهل الدارسين وعدم اطلاعهم الواسع على تراثها، بسبب كون أكثره ما زال مطويًّا لم يطلع عليه جمهور كبير من الباحثين غارقًا في متاهات خزائن الكتب ودورها، ينتظر من يرفع عنه الغطاء ويزيل النقاب، ويخرجه ويدرسه دراسة علمية منهجية بما يستأهله من المكانة اللائقة به، ويجلي نصوصه لتعم فائدته وترتجى عائدته.

وقد شهد القرن الثامن الهجري بروز أعلام في الثقافة الإسلامية كان من بينهم مؤرخون اكتسبوا مكانة مرموقة بين المشاركين في الفكر التاريخي العربي الإسلامي، منهم: كمال الدين ابن الفوطي «ت ٧٢٣هـ» وقطب الدين اليونيني «ت ٧٢٦هـ» وابن سيد الناس اليعمري «ت ٧٣٤هـ» وقطب الدين الحلبي «ت ٧٣٥هـ» وعلم الدين البرزالي «ت ٧٣٩هـ» وابن الجزري «ت ٧٣٩هـ» وابن الوردي «ت ٧٤٩هـ» وصلاح الدين الصفدي «ت ٧٦٤هـ» وابن شاكر الكتبي «ت ٧٦٤هـ» وشمس الدين الحسيني «ت ٧٦٥هـ» واليافعي «ت ٧٦٨هـ» وتاج الدين

السبكي «ت ٧٧١هـ» وابن كثير «ت ٧٧٤هـ» وتقي الدين ابن رافع السلامي «ت ٧٧٤هـ» وبدر الدين الزركشي «ت ٧٧٤هـ» وغيرهم.

إلا أن المعنيين بالدراسات التاريخية اعتبروا المزي والذهبي مؤرخي القرن الثامن اللذين لا ينافسهما أحد[١]. وعرف الذهبي بتآليفه الكثيرة المتنوعة في التاريخ، فألف في السِّيَر والرجال والتراجم والتاريخ العام، واختصر عددًا كبيرًا من أمهاتها، وعانى التأليف في الحديث ومصطلحه، والقراءات، والعقائد، واختصر عددًا من الكتب المشهورة فيها حتى بلغت مختصراته ومؤلفاته وتخاريجه قرابة ثلاث مئة. وكان له منهجه المتميز في الاختصار والتلخيص ظهرت فيه ذاتيته ظهورًا واضحًا، كما كان له منهجه المتميز في التأليف. وقد تخلص الذهبي من جمود المحدثين وكودنة النقلة، فكان فقيه النظر، له دربة بأقوال الناس ومذاهب الأئمة[٢]، بفضل دراساته الواسعة، وفطنته وذكائه وانكبابه على الدراسة وصرف جماع همته إليها. وكان ناقدًا حديثيًا وتاريخيًّا ماهرًا تدل على ذلك مؤلفاته في النقد، ومن أشهرها كتابه الأصيل «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» الذي أصبح الكتاب المعول عليه في العصور التالية في هذا الفن. كما عرف بقوته في البحث والاستدلال ومناقشة آراء غيره بكثير من الإنصاف يعتمد الدليل والإقناع، فضلاً عما تميز به منهجه التاريخي من ميزات لم تكن عند كثير من المؤرخين الذين سبقوه أو عاصروه أو جاءوا بعده.

واشتهر الذهبي بكتابه العظيم «تاريخ الإسلام» شهرة واسعة، ونال من أجله صيتًا ذائعًا، ولا غرابة في ذلك لما تميز به هذا الكتاب من ميزات عظيمة؛ إذ هو أضخم مؤلفات الذهبي الكثيرة وأوسع التواريخ العامة حتى عصره، تناول فيه تاريخ الإسلام من بدء الهجرة النبوية حتى سنة ٧٠٠هـ، فحصر مادة ضخمة في نطاقه الزماني الممتد عبر سبعة قرون كاملة، وفي نطاقه المكاني الشامل لجميع الرقعة الواسعة التي امتد إليها الإسلام: من الأندلس غربًا إلى أقصى

---

(١) الإعلان، ص ٧٠٤.

(٢) الصفدي: الوافي، ٢ / ١٦٣.

المشرق، وقد شمل الحوادث الرئيسة التي مرت بها الجماعة الإسلامية منذ هجرة النبي ﷺ وتعاقب الأحداث والدول في شتى أنحاء العالم الإسلامي حتى نهاية القرن السابع الهجري. كما تضمن تراجم المشهورين في كل ناحية من نواحي الحياة، ولم يقتصر على فئة معينة منهم. وفي هذا المجال، أعني التراجم، تظهر عظمة كتاب الذهبي في العدد العديد والشمول الفريد الذي أقدره بأربعين ألف ترجمة، وهو مما لا نجده في كتاب آخر من بابته ممن سبقه أو جاء بعده مثل كتاب «المنتظم» لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، و«مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤هـ، و«ذيل مرآة الزمان» لقطب الدين اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦هـ، و«عيون التواريخ» لابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤هـ، و«نثر الجمان» للفيومي المتوفى سنة ٧٧١هـ، و«البداية» لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ، و«عقد الجمان» لبدر الدين العيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ وغيرهم، ففي الوقت الذي أوردت فيه مثل هذه التواريخ قرابة ١٠ ـ ١٥ ترجمة في السنة الواحدة كان معدل ما يذكره الذهبي قرابة الستين ترجمة. ومعنى ذلك أن هناك عددًا كبيرًا من التراجم التي ضمها هذا الكتاب لا نجدها في غيره ولا سيما بعد ضياع كثير من الأصول التي اعتمدها.

ومما يعلي في قيمة الكتاب ويغليها منهجه في ذكر الموارد؛ فقد كان الذهبي من المؤرخين الذين ذكروا مواردهم بصورة جيدة، سواء أكانت شفوية أم إجازات أم كتبًا. وقد امتازت خطته في هذا المضمار بتنوع موارده وتعددها، حيث كان يورد آراء الموافقين والمخالفين لصاحب الترجمة ولا يقتصر على مصادر معينة، وعني بعد ذلك بالمصادر المتخصصة، فنقل عن كل فئة من مصادرها، وكان يتميز بعقلية عظيمة في الانتقاء ويعنى بانتقاد الموارد المعاصرة. لكل هذا حفظ لنا الذهبي في «تاريخ الإسلام» نقولاً هائلة عن مصادر كثيرة جدًا لم تصل إلينا مع أسف. ومعلوم أن قيمة أي كتاب تاريخي تتحدد في قربه من الحوادث التي يصفها أو استخدامه موارد قريبة من الأحداث، ثم ما بقي من هذه الموارد وما فقد منها ومدى قيمتها التاريخية. ولما كان الذهبي قد وصل بتاريخه إلى سنة ٧٠٠هـ فقد دون في قسم، ولو قصيرًا من تاريخه، تاريخًا معاصرًا له

قيمته العظيمة في دراسة هذه الحقبة.

وتضمن «تاريخ الإسلام» مادة واسعة في التاريخ السياسي والإداري انتقاه من موارد كثيرة ضاع الكثير منها. وقدم معلومات اقتصادية جيدة، حيث عني بذكر الأحوال الاقتصادية للدولة الإسلامية عمومًا والتطورات التي طرأت عليها. أما من الناحية الاجتماعية فقد أبان لنا «تاريخ الإسلام» بعدِّه كتابًا صرف جل عنايته للتراجم، اتجاه المؤرخين في تخليد المبرزين في المجتمع، وصور جانبًا من القاعدة الاجتماعية لفئة العلماء، وظهر في هذا الكتاب عدم وجود المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية وقلة تأثيرها، بل انعدامها، في تقدير الناس، وأن المجتمع الإسلامي لم يكن يعرف في هذا المجال في الأقل أي نوع من النظم الطبقية، وأكذَبَ الفكرةَ القائلة: إن التاريخ الإسلامي هو تاريخ حكام لم يعن بتاريخ جماهير الأمة، فإن عناية المسلمين بتاريخ «التراجم» وتدوينهم سير الناس ممن اشتهروا بسياسة، أو علم، أو أدب أو فن، أو عقيدة وما إليها من غير نظر لمركز اقتصادي أو اجتماعي، يؤكد من غير شك أن موازينهم كانت على غاية من الرقي الإنساني، وقد جربنا الذهبي وهو يترجم محدثًا فقيرًا ويترك غنيًّا، ويطول في ترجمة عبد ويقصر في سيد كبير، ويثني على شخص من عامة الناس ويذم آخر من علية القوم، في الوقت الذي اقتصرت فيه النواحي العلمية ومحتويات كتب التراجم ـ عند كثير من الأمم في هذه الأعصر ـ على فئات معينة من الناس كما كان في أوربا العصور الوسطى.

إلا أن أهمية «تاريخ الإسلام» تتكشف عظيمة رائعة في تصويره للحياة الفكرية على مدى العصور الإسلامية، فقد أبان لنا تطور الفكر الإسلامي طيلة سبعة قرون بما فيه من كشف عن الحياة الثقافية والتعليمية: وذلك أن معرفة نسبة العلماء إلى بلدان معينة، أو إقامتهم بها أو رحلتهم إليها في وقت ما تظهر لنا مراكز الثقافة الإسلامية على مدى العصور وانتعاشها واضمحلالها، وبالنظر لكثرة ما يذكر الذهبي من تراجم في السنة الواحدة فإن قيام إحصائيات بأعداد العلماء المنتسبين إلى مدن معينة أو رحلتهم إليها ضمن هذا النطاق الواسع من الزمان والمكان سوف يقدم خدمة عظيمة في هذا المضمار.

وصور الكتاب مقاييس الثقافة في كل مدة من الأزمنة التي تناولها واتجاهات العلماء الدراسية واهتماماتهم العلمية في علوم معينة، وطرق التدريس والإملاء والمناظرة والمذاكرة والحلقات العلمية، وأماكن الدراسة في المساجد والجوامع والبيوت والربط والمدارس المعنية بتدريس مذهب واحد أو مذهبين أو المذاهب الأربعة أو غيرها في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

وعني الذهبي في «تاريخ الإسلام» بذكر المرويات الأساسية وبعض الأجزاء والكتب التي عني المترجمون برواياتها، فقدم لنا بذلك مادة أساسية في معرفة نوعية الكتب والعلوم التي اهتم بها الطلبة في عصر من العصور مما يستفاد منها في التعرف إلى أوجه النشاط الثقافي واتجاهات الثقافة ونوعيتها في ذلك العصر.

وقد حفظ لنا الذهبي في «تاريخ الإسلام» عددًا هائلاً من أسماء مؤلفات المترجمين بحيث لو جمعت وأفردت لكونت كتابًا عظيمًا يضاهي الكتب المعنية بهذا الفن. ولم يكتفِ الذهبي بذكر الكتب ونسبتها إلى مؤلفيها، بل تكلم على كثير منها وقوّمها.

وقد شعر بأهميته معاصروه ومن جاء بعدهم وقوموه بما يستأهله من المكانة الرفيعة؛ قال الصلاح الصفدي: «وقف الشيخ كمال الدين ابن الزملكان ـ رحمه اللّه ـ على تاريخه الكبير المسمى «تاريخ الإسلام» جزءًا بعد جزء إلى أن أنهاه مطالعة وقال: «هذا كتاب علم»[١] وذكر حافظ عصره ابن حجر العسقلاني أن الذهبي «أربى فيه على من تقدم»[٢].

وقد كان «تاريخ الإسلام» فوق كل الذي قدمنا، أضخم مؤلفات الذهبي

---

(١) الصفدي: الوافي، ٢ / ١٦٣، ونكت الهميان، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢، وانظر الزركشي: عقود الجمان، الورقة ٢٦١.

(٢) ابن حجر: الدرر، ٣ / ٤٢٦.

التاريخية بل عمدتها وأسها، فمن أجله قام الذهبي باختصار عدد من الكتب التاريخية[1]، ومنه اختصر بعض مؤلفاته مثل: «العبر في خبر من عبر»، و«الدول الإسلامية»، و«الإشارة إلى وفيات الأعيان» و«الإعلام بوفيات الأعلام»، وعليه عول في كثير من تآليفه التراجمية مثل: «سير أعلام النبلاء» و«تذكرة الحفاظ» و«معرفة القراء الكبار» وغيرها. وبسبب هذا صار تاريخ الإسلام مصدرًا عظيمًا لمعظم المؤرخين الذين جاءوا بعده وتناولوا نطاق كتابه أو بعضه نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الصفدي[2]، وابن شاكر الكتبي[3]، والسبكي[4]، والإسنوي[5]، وابن كثير[6]، وابن رجب[7]، والفيومي[8] وابن دقماق[9]، وسبط

---

(١) انظر مقدمة تاريخ الإسلام، ١ / ١٦.

(٢) قال في مقدمة الوافي: «وهو كتاب علم نافع جدًا قرأت عليه المغازي التي له وسيرة النبي ﷺ وإلى آخر أيام الحسن - رضي الله عنه - وحوادثه إلى آخر سنة سبع مئة، ولم أنتفع بشيء مثله، وعليه العمدة في هذا الكتاب، وهو القطب لهذه الدائرة واللب لهذه الجملة السائرة» ١ / ٥٠ - ٥١.

(٣) لا سيما في كتابه «عيون التواريخ» فقد نقل معظم التراجم من «تاريخ الإسلام» تصريحًا انظر نسخة دار الكتب الظاهرية ذات الأرقام ٤٤ - ٤٩ تاريخ.

(٤) راجع فهرس كتابه «طبقات الشافعية الكبرى» تحقيق صديقينا الأستاذين: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي.

(٥) طبقات الشافعية (انظر فهرس الكتب التي نقل عنها الإسنوي ٢ / ٣٢٠).

(٦) نقل منه كثيرًا في كتابه «البداية والنهاية» وإن لم يشر إليه كثيرًا. وقد قرأ ابن كثير الكتاب، ووضع خطه على نسخة المؤلف الموقوفة بالمدرسة المحمودية (انظر الورقة ٤٦٤ أيا صوفيا ٣٠٠٩، والورقة ٣١٩ أيا صوفيا ٣٠١٤ وانظر أدناه وصف مجلد أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٧) الذيل على طبقات الحنابلة، مثلاً: ٢ / ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨... إلخ.

(٨) انظر: نثر الجمان في تراجم الأعيان، مثلاً، ٢ / الورقة ١٠، ١٣، ١٨، ٣٢، ٣٦، ٤٥، ٦٤، ٦٨، ٧٣... إلخ (دار الكتب ١٧٤٦).

(٩) انظر كتابه: نزهة الأنام، مثلاً: الورقة ٦٣، ٦٤، ٦٨، ٧٣، ٧٨، ٨٣، ٨٧... إلخ (دار الكتب ١٧٤٠).

ابن حجر[١]، والسخاوي[٢]، وابن عبد الهادي[٣]، والسيوطي[٤]، بحيث يصعب أن نجد مؤرخًا جاء بعده وكتب في نطاقه ولم يستفد من كتابه. ولذلك أيضًا اختصر هذا الكتاب وانتقى منه عدد من المؤرخين البارزين، منهم:

١ ـ تلميذه علاء الدين علي بن خلف بن خليل السعدي الغزي المتوفى سنة ٧٩٢هـ[٥] في كتابه «مختصر تاريخ الإسلام»[٦]. وكان عند ابن قاضي شهبة الأسدي المتوفى سنة ٨٥١هـ المجلد الأخير من هذا المختصر، قال في نهاية منتقاه الذي بخطه: «وعندي من مختصر التاريخ المذكور بخط القاضي علاء الدين الغزي مجلد إلى آخر سنة سبع مئة وهو آخر التاريخ المذكور»[٧].

٢ ـ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد العمري الدمشقي المعروف بابن الجزري المقرئ المشهور المتوفى سنة ٨٣٣هـ[٨] في «ملخص تاريخ الإسلام» وقد فرغ منه في رجب سنة ٧٩٨هـ. واقتنيت نسخة مصورة منه عن النسخة المحفوظة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٩٠ تاريخ وهي

---

(١) لا سيما في كتابه «رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ» وقد جاء في آخر المجلد الرابع من نسخة المكتبة الأحمدية بحلب بخط سبط ابن حجر: «الحمد لله مررت على هذه المجلدة وعلقت ما فيها من الحفاظ استدراكًا على المصنف في «التذكرة» وفي كتابي «رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ». وقد جاءت مثل هذه الملاحظة في نسخة باريس رقم ١٥٨٢ عربي، كما نجدها في آخر المجلدات المحفوظة في مكتبة البودليان بأكسفورد رقم ٢٧٩، ٢٨٦، ٣٠٥.

(٢) الإعلان، (انظر الفهرس في آخره).

(٣) معجم الشافعية، مثلاً: الورقة ٢٨، ٢٩، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٥، ٥٨، ٦٢، ٦٣، ٦٨، ٦٩، ٨٦... إلخ (ظاهرية ٤٥٥١ عام).

(٤) ذكره من بين مصادره الرئيسة في كتابه «بغية الوعاة». انظر ١ / ٥.

(٥) ابن حجر: الدرر، ٣ / ١١٦.

(٦) حاجي خليفة: كشف الظنون، ١ / عمود ٢٩٥.

(٧) ابن قاضي شهبة: المنتقى من تاريخ الإسلام. حلب ٤ / ١٢٢٠.

(٨) العليمي: الأنس الجليل ٢ / ٤٥٤، السخاوي: الضوء اللامع، ٩ / ٢٥٥ فما بعد، حاجي خليفة: كشف، ١ / عمود ٢٩٥.

في «١٨٠» ورقة كتبت عن نسخة المؤلف سنة ٩٠٠هـ. كما اقتنيت نسخة أخرى منه صورها معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية عن نسخة كتبخانه ملي بطهران رقم (٤٦٩) تقع في (٢٠٨) ورقات كتبت سنة ٩١٦هـ.

٣ ـ تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد المعروف بابن قاضي شهبة الأسدي المتوفى سنة ٨٥١هـ في «المنتقى من تاريخ الإسلام للذهبي» وقفت على أقسام منه بخطه في المكتبة الأحمدية بحلب برقم ١٢٢٠، وفي خزانة كتبي نسخة مصورة منه، والظاهر أن ابن قاضي شهبة اختصر كتاب الذهبي باعتباره أحسن الكتب التي أرخت هذه المدة، ثم ذيل عليه وسمى كتابه المكون من المختصر والذيل «الإعلام بتاريخ أهل الإسلام».

٤ ـ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ، قال في كتابه الإعلان: «وجمعت كتابًا حافلاً على حروف المعجم أصلته من تاريخ الإسلام للذهبي وزدت عليه خلقًا أغفلهم أو تجددوا بعده، ولكن لم أستوف فيه غرضي إلى الآن»[1]. واستعمل نسخة المؤلف التي بخطه والموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة، وقد وجدنا خط السخاوي على معظم طرر المجلدت الباقية من هذه النسخة ونصه: «فرَّغ تراجمه ترتيبًا محمد بن السخاوي».

٥ ـ أحمد بن محمد بن علي الحصكفي[2] الحلبي المعروف بابن الملا المتوفى سنة ١٠٠٣هـ. وقد انتهى من تلخيص المجلد الأول منه في مطلع سنة ٩٨٤هـ، وقال في نهاية المجلد الأول منه: «ومن وقف على الأصل علم أن المتروك منه بالنسبة إلى المذكور أقل قليل». وفي خزانة كتب الأوقاف الأجزاء من الأول إلى الثامن منه ويبتدئ من السنة الأولى للهجرة وينتهي الموجود بوفيات سنة ٥٦٩هـ، وقد ذهبت بعض ورقات من المجلد الأول فذهبت مقدمة الكتاب وبعض من حوادث السنة الأولى للهجرة حيث يبدأ المجلد بقصة إسلام

---

(١) الإعلان، ص ٥٨٩.

(٢) منسوب إلى حصن كيفا.

عبد اللّه بن سلام[1]. وأرقام هذه المجلدات: ٥٨٨٥، ٥٨٨٦، ٥٨٨٧، ٥٨٨٨، ٥٨٨٩، ٥٨٩٠، ٥٨٩١، ٥٨٩٢، على التوالي، ومنه نسخة في المكتبة الأحمدية بحلب في سبعة مجلدات تحمل الرقم ١٢١٩.

٦ ـ ولتاريخ الإسلام مختصرات كثيرة غير التي ذكرنا، لم نستطع الوقوف على مختصريها، منها مثلاً: النسخة المحفوظة في مكتبة السلطان أحمد الثالث بإستنبول ذات الأرقام (٢٩١٧ / ١ ب ـ ٢٩١٧ / ٥ ب).

وهي المجلدات من الأول إلى الخامس من نسخة لعلها كانت تتكون من ستة مجلدات، وأخطأ الدكتور لطفي عبد البديع حينما ظن أنها أجزاء من «تاريخ الإسلام»[2]. وهي من أقدم المختصرات التي وصلت إلينا حيث كان اختصارها في حياة المؤلف سنة ٧٣٧هـ كما جاء في آخر المجلد الثاني منها. وفي خزانة كتبي نسخة مصورة للمجلدات الثلاثة: الثاني والرابع والخامس[3].

ويشمل المجلد الثاني: من خلافة أبي بكر ـ رضي اللّه عنه ـ إلى سنة ١١٠هـ، مع المحافظة على ترتيب المؤلف. وقد جاء في طرة هذا المجلد: «الثاني من المنتقى في التاريخ تأليف الشيخ الإمام العالم الفاضل شمس الدين الذهبي» وجاء في آخره: «كان الفراغ من المجلدة الثانية بالعشر الأوسط (كذا)[4] من ربيع الآخر من سنة سبع وثلاثين وسبع مئة بالصالحية من ظاهر دمشق المحروسة، والحمد للّه رب العالمين، وذلك على يد الفقير إلى اللّه في كل

---

(١) قارن الورقة ٤ (سعودية).

(٢) فهرس المخطوطات المصورة، ٢ / قسم ١ / ٥٣.

(٣) لم أطلع للأسف على المجلدين الأول والثالث، والظاهر أنني ذهلت عنهما.

(٤) هكذا في الأصل، وهو وهم، وكان عليه أن يقول: «الوسط» جمع الوسطى، قال الفيومي في المصباح المنير: «واليوم الأوسط والليلة الوسطى، ويجمع الأوسط على الأواسط مثل الأفضل والأفاضل، وتجمع الوسطى مثل الفضلى والفضل. وإذا أريد الليالي قيل: العشر الوسط، وإن أريد الأيام قيل: العشرة الأواسط. وقولهم: العشرة الأوسط عامي، ولا عبرة بما يفشو على ألسنة العوام مخالفًا لما نقله أئمة اللغة».

زمان وحال. . . محمد بن هبة اللّه بن عبد الرحمن بن محمد بن هبة اللّه البكري ثم المغربي»[١]. ويقع هذا المجلد في (٣١٢) ورقة. وقد ظن صانع فهرس المخطوطات التاريخية في معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية غلطًا أنه كتب في أوائل القرن التاسع الهجري[٢].

وتناول المجلد الرابع من هذه النسخة الحوادث والوفيات للمدة الواقعة بين سنتي (٢٠١ ـ ٣٨٠هـ) وهي الطبقات: من الحادية والعشرين إلى آخر الثامنة والثلاثين.

أما المجلد الخامس فهو تكملة للمجلد الرابع من هذه النسخة، حيث يبتدئ بسنة (٣٨١هـ)[٣] وينتهي في أثناء سنة (٥٦٩هـ) وقد جاء في أوله: «الجزء الخامس من تاريخ الإسلام للشيخ الإمام العالم العلامة. . . » وجاء في آخره: «تم المجلد من المنتقى من تاريخ الإسلام للذهبي بحمد اللّه وحسن توفيقه، يتلوه ـ إن شاء اللّه ـ ترجمة محمود بن أبي سعيد زنكي بن آقسنقر التركي الملك العادل نور الدين. . ».

٧ ـ ومن ذلك أيضًا المجلد المحفوظ في مكتبة رضا رامبور في الهند برقم (٣٥٣٣) والذي أحتفظ بنسخة مصورة منه في ٦٥٥ صفحة، ويشتمل على حوادث السنين (٥٨١ ـ ٧٠٠هـ) مع انتقاء لبعض التراجم المهمة. وقد توهم صديقنا الأستاذ فؤاد سيد يرحمه اللّه حينما ظن أن هذا هو المجلد الأخير من تاريخ الإسلام[٤].

وبالنظر لما احتله شمس الدين الذهبي من مكانة مرموقة في تاريخ الفكر الإسلامي عمومًا والتاريخي والحديثي خصوصًا، وما كان لتاريخه العظيم من

---

(١) لا أعرفه.

(٢) لطفي عبد البديع: فهرس المخطوطات، ٢ / قسم ١ / ٥٣.

(٣) توهم الدكتور لطفي عبد البديع حينما ذكر أن هذا المجلد يبدأ بسنة (٣٣٢هـ). انظر الهامش السابق.

(٤) فؤاد سيد: فهرس المخطوطات المصورة، ٢ / قسم ٣ / ٦١.

الأهمية البالغة على الكتابات التاريخية التي لحقته، وما تميز به منهجه في الكتابة التاريخية من ميزات، ولكون «تاريخ الإسلام» من أمهات المصادر التاريخية في عصرنا هذا، فقد اخترت «الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام» موضوعًا لبحث تقدمت به لنيل رتبة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة بغداد.

وقد جعلت هذه الدراسة في مدخل وبابين: أولهما عن الذهبي، وثانيهما عن منهجه في كتابه تاريخ الإسلام.

شمل «المدخل» ثلاثة مباحث مهمة: تناولنا في الأول منها أهمية هذا البحث، والدوافع التي دفعتنا إلى اختياره دون غيره من الموضوعات، ثم حاولنا تحديد نطاقه. وتناولنا في المبحث الثاني تدوين الذهبي لكتابه، والنسخ التي وصلت إلينا منه، ثم وصفًا مفصلاً للنسخة التي قامت عليها هذه الدراسة. أما المبحث الأخير منه فقد كان دراسة تحليلية للموارد المعتمدة في هذا البحث.

أما الباب الأول فقد جعلته في فصلين:

تكلمت في الأول منهما على سيرة الذهبي، فدرست بيئته ونشأته وبدء عنايته بطلب العلم، ورحلاته في طلبه، ونوعية دراساته، وصلاته الشخصية وأثرها في تكوينه الفكري، ونشاطه العلمي ومناصبه التدريسية. ثم اجتهدت أن أستبين مكانته العلمية مستعينًا بآثاره التي خلفها لنا وبآراء العلماء الذين عاصروه أو جاءوا بعده. وختمت الفصل بوفاته.

وعنيت في الفصل الآخر منه باستقصاء آثار الذهبي من المختصرات والانتقاءات والتآليف والتخاريج مما ذكرته المصادر أو وقفت عليه، سواء أكانت مفقودة أم مخطوطة أم مطبوعة، وتكلمت على المهم منها بعبارة وجيزة وافية.

واقتصرت في الباب الثاني على دراسة «منهج» الذهبي في كتابه «تاريخ الإسلام»، لإيماني بأن مثل هذه الدراسة سوف توضح إلى حد بعيد قيمة الكتاب، وتيسر للباحثين الإفادة منه كأحسن ما تكون الإفادة، ومن ثم فإنها سوف تكشف عن مناهج كثير من المؤرخين الذين سبقوه أو الذين جاءوا بعده؛ لأنني عنيت دائمًا بمقارنة منهجه بمناهج السابقين واللاحقين. وقد اقتضت الدراسة أن يكون

هذا الباب في خمسة فصول:

عنيت في الفصل الأول بتنظيم الكتاب وأساليب عرضه، فتكلمت فيه أولاً على التنظيم العام للكتاب، وتتبعت التغييرات التي طرأت على هذا التنظيم في المدد الزمانية التي تناولها الكتاب. ولما كان الكتاب قد احتوى على الحوادث والتراجم فقد اجتهدت أن أستبين العلاقة بينهما، فلما اتضح لي عدم وجود علاقة واضحة بين الاثنين، تناولت دراسة تنظيم الحوادث، وتنظيم التراجم وأساليب عرضهما، كل واحدة منفصلة عن الأخرى. ثم إني وجدت المؤلف يعنى -في بعض المواضع ولا سيما الأقسام الأخيرة منه- بذكر مواليد بعض الأعلام في كل سنة، فحاولت أن أدرس هذه الظاهرة وأوضح المنهج الذي اتبعه في عرضها. وعنيت في آخر الفصل بدراسة موجزة لأسلوب الذهبي الأدبي واللغوي الذي عرض فيه المادة التاريخية التي تضمنها الكتاب.

وحاولت في الفصل الثاني أن أوضح الأسس التي اتبعها المؤلف في انتقاء المادة التاريخية لكتابه في الحوادث والتراجم وفيما إذا كان له منهج واضح في هذا الانتقاء من حيث النوعية والكمية.

ولما تبين لنا من الدراسة السابقة أن الذهبي ركّز بشكل كثيف على التراجم بحيث احتلت قرابة ٨٥٪ من مادته، وتضمن الكتاب ما يناهز الثلاثين ألف ترجمة من عصور مختلفة ونوعيات متباينة، رأينا من الواجب علينا دراسة فكر الذهبي التاريخي من هذه الزاوية وتبيان فنه في صياغة الترجمة وعرضها. وبمعنى آخر كان لا بد لنا أن نجيب عما يأتي: هل كان المؤلف ينقل التراجم من الكتب الأخرى كما هي ويعرضها بالشكل الذي عرضَتْه، أم أنه اتبع منهجًا خاصًا في صياغة الترجمة الواحدة وعرضها؟ وهل تابع المؤرخين السابقين في نوعية المادة التي احتوتها كل ترجمة أم كان له أسلوبه الخاص ومنهجه المتميز في المادة التي اهتم بها وضمنها الترجمة الواحدة؟ لذلك كانت «عناصر الترجمة» موضوع الفصل الثالث من هذا الباب.

أما الفصل الرابع فقد خصصته لدراسة منهجه في تناول الموارد وطرائق

النقل منها. وتناولت فيه أنواع الموارد التي أفاد منها في كتابه من المشاهدة والملاحظة، والمشافهة، والمساءلة والمكاتبة، والإجازات، ومجاميع الطلبة والشيوخ، ومؤلفات المترجم، والمؤلفات السابقة. ولما ظهر لي أن المؤلفات السابقة هي أساس موارد الكتاب والمكون الرئيس لمادته، عنيت بدراسة مدى اعتماده عليها واستيعابه لها مع الأمثلة الموضحة لذلك، ثم حاولت تبيان الأسس التي اعتمدها في المفاضلة بينها، واجتهدت أن أوضح منهجه في النقل منها والإشارة إليها تصريحًا أو تلميحًا، ومدى دقته في النقل والمقارنة والترجيح، وفيما إذا كان يعنى بانتقاء النسخ الموثقة أو يقابل بين مخطوطات الكتاب الواحد.

وتناول الفصل الأخير من هذا الباب منهج الذهبي في النقد الذي اتبعه في الكتاب، فعنيت بالتعرف على أنواع النقد الذي مارسه، واجتهدت أن أميز بين النقد الحديثي: «نقد الرجال» وبين التقويم وإصدار الأحكام التاريخية، ونقد الروايات التي ينقلها عن السابقين. ثم تناولت منهجه في نقد الأسانيد ونقد المتون، وقدمت الأمثلة التوضيحية لكل منهما. ولما كان الذهبي قد اتهم من قبل بعض المعنيين بالتاريخ بالتعصب والهوى العقائدي، فقد رأيت من الواجب علي أن أعنى بدراسة مدى تعصبه وإنصافه في كتابه ومن ثم تبيان قيمة الانتقادات الموجهة إليه وإلى كتابه.

وختمت الرسالة بملخص لأهم النتائج التي حققها هذا البحث، وأعقبتها بثبت تفصيلي للمصادر والمراجع المخطوطة والمطبوعة التي أفدت منها فيه.

ثانيًا: تدوين الكتاب ووصف نسختنا منه:

لا ندري الوقت الذي بدأ الذهبي فيه بتأليف كتابه، ولكننا نعلم أنه فرغ من إخراجه الأول في جمادى الآخرة من سنة ٧١٤هـ كما جاء بخطه في آخر المجلدة الأخيرة منه[١]. ورجح الدكتور صلاح الدين المنجد أنه بدأ به إثر عودته من مصر

(١) الورقة ٣٤٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

سنة ٧٠٠هـ[١]. وقد بينا عند كلامنا على سيرة الذهبي أن رحلته إلى مصر لم تكن في هذا التاريخ، إنما كانت في سنة ٦٩٥هـ ودللنا على ذلك بأدلة لا تقبل الشك[٢]، ومع ذلك فإننا نعتقد بأنه بدأ بكتابة المسودة الأولى قبل سنة ٧٠٤هـ وهي السنة التي اختصر فيها الذهبي تاريخ ابن الدبيثي[٣] حيث لم يذكره من بين ما اختصر من كتب رئيسة في مقدمته لتاريخ الإسلام[٤]. ولكن من المحتمل جدًا أن يكون قد جمع كثيرًا من مادة الكتاب قبل هذا التاريخ بكثير، إذ من غير المعقول أن يكون قد كتب مثل هذا التاريخ الواسع ذي الموارد المتعددة قبل جمع مادته بصورة دقيقة ومنظمة، واختصار عدد من المؤلفات الرئيسة التي كونت مادة كتابه مثل: تاريخ نيسابور لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ، وتاريخ مصر لابن يونس المتوفى سنة ٣٤٧هـ، وتاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، والذيل عليه لأبي سعد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ، والأنساب للسمعاني أيضًا، وتاريخ دمشق لأبي القاسم ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ، ووفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ، وتاريخ أبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ، وذيل مرآة الزمان لشيخه قطب الدين اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦هـ[٥].

وحينما انتهى الذهبي من تدوين تاريخه لأول مرة سنة ٧١٤هـ، صار الكتاب كما يبدو في تسعة عشر مجلدًا ضخمًا بخطه. ثم زاد عليه كثيرًا من تراجم المئة الثانية، وبيض هذا القسم ثانية سنة ٧٢٦هـ[٦] فجاءت النسخة في واحد

---

(١) مقدمة سير أعلام النبلاء ١ / ٢٧.

(٢) انظر أدناه الفصل الأول من الباب الأول.

(٣) الذهبي: المختصر المحتاج إليه، الورقة ١٣٢ (نسخة دار الكتب المصرية وهي بخط الذهبي) وقد جاء في آخرها: «تم اختصاره للذهبي في أواخر سنة أربع وسبع مئة من نسخة الوقف بالناصرية».

(٤) ١/ ١٦ ـ ١٧ (مطبوعة).

(٥) ١ / ١٦ ـ ١٧ (مطبوعة).

(٦) وصل إلينا من هذا القسم المبيض تبييضًا ثانيًا بخط المؤلف قسم من وفيات الطبقة الثامنة=

وعشرين مجلدًا، يدل على ذلك قوله في طرة المجلد الحادي والعشرين الذي بخطه: «المجلد الحادي والعشرون من كتاب تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام تأليف العبد الفقير إلى اللّه محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي. ثم إنني زدت جملة كثيرة في أرباب المئة الثانية فآل الحال إلى أن هذا المجلد صار في العدد المجلد الحادي والعشرين»[1]. ولعل هذا هو الذي يفسر لنا ذكر تلميذه ابن شاكر الكتبي «ت ٧٦٤هـ» أن الذهبي ألف «تاريخ الإسلام» في تسعة عشر مجلدًا[2].

ولكن، إذا كان الذهبي قد انتهى من تدوين كتابه في تسعة عشر مجلدًا سنة ٧١٤هـ ثم زاد في تراجم المئة الثانية بعد ذلك فأصبح في واحد وعشرين مجلدًا سنة ٧٢٦هـ، فكيف نفسر التناقض الحاصل بين تسلسل عناوين المجلدات الباقية بخطه وبين قوله في نهاية المجلد الحادي والعشرين: إنه انتهى منه سنة ٧١٤هـ؟ وهل هذا يعني أنه أعاد نسخ الكتاب وتنظيمه ثانية منذ سنة ٧٢٦هـ؟ فإذا كان ذلك كذلك فإن التناقض باق بسبب كتابته على طرة المجلد الأخير: إنه المجلد الحادي والعشرون وإنه صار كذلك بعد الزيادة التي زادها في أهل المئة الثانية وبيضها سنة ٧٢٦هـ وقوله في آخر المجلد الأخير نفسه: إنه انتهى منه سنة ٧١٤هـ!

وجوابنا عن ذلك أن المؤلف، فيما نعتقد، لم يبيض سوى المئة الثانية أو قسمًا منها في الأقل، فكان أن زاد هذا القسم المبيض زيادة جعلت المؤلف يزيده مجلدين آخرين، ثم إنه أعاد كتابة عناوين المجلدات ابتداءً من المجلد

= عشرة في أثناء ترجمة الإمام مالك بن أنس، وجميع الطبقتين التاسعة عشرة والعشرين في حوادثهما ووفياتهما، وهو في (٣٠١) ورقة (أيا صوفيا ٣٠٠٦) وقد جاء في نهاية المجلد: «فرغت من تبييض الطبقة تبييضًا ثانيًا في سنة ٧٢٦»، وهذا هو قسم من المجلد السابع من نسخة المؤلف، كما نرى.

(١) أياصوفيا ٣٠١٤.

(٢) عيون التواريخ، الورقة ٨٦ (كيمبرج ٢٩٢٣).

الثامن وحتى المجلد الحادي والعشرين بعد أن أعاد تنظيمها وصلح[١] بعض ما أمكن تصليحه، وعليه فإن عناوين هذه المجلدات قد كتبت في حدود سنة ٧٢٦هـ. بينما بقيت المادة التي احتوتها هي تلك التي انتهى من كتابتها في سنة ٧١٤هـ. واعتقادنا هذا له من الأدلة التي تؤيده ما يجعلنا مطمئنين إليه، وها هي ذي:

١ ـ أن القسم غير المبيض الذي وصل إلينا بخط الذهبي والذي يتكون من المجلدات: الثاني[٢]، والثامن[٣]، والثاني عشر[٤]، والثالث عشر[٥]، والخامس عشر[٦]، والثامن عشر[٧]، والتاسع عشر[٨]، والعشرين[٩]، والحادي والعشرين[١٠] مليئة بالزيادات التي كتبها الذهبي بخطه على حواشيها، وبالطيارات الكثيرة التي وضعها بين الأوراق، بينما لا نجد في المجلد السابع[١١]، وهو المبيض ثانية، إلا النزر اليسير من ذلك، بل يكاد يخلو منه.

٢ ـ يظهر الاختلاف في الخط واضحًا بين النشرتين: فخط الذهبي في المجلد السابع أكثر إتقانًا ووضوحًا، وقد خط المؤلف بعض العناوين الداخلية

---

(١) مثل ما فعل في المجلد الثالث عشر حيث حاول تصليحه وجعله المجلد الخامس عشر. ومثل ذلك أيضًا تصليحه طرة عنوان المجلد التاسع عشر وتحويلها إلى المجلد الحادي والعشرين.

(٢) أياصوفيا ٣٠٠٥.

(٣) أياصوفيا ٣٠٠٧.

(٤) أياصوفيا ٣٠٠٨.

(٥) أياصوفيا ٣٠٠٩.

(٦) أياصوفيا ٣٠١٠.

(٧) أياصوفيا ٣٠١١.

(٨) أياصوفيا ٣٠١٢.

(٩) أياصوفيا ٣٠١٣.

(١٠) أياصوفيا ٣٠١٤.

(١١) أياصوفيا ٣٠٠٦.

بخط جميل[١]، وميز التراجم الحافلة عن غيرها بأن خط اسم الشهرة بخط غليظ جميل في أعلى الترجمة وفي وسط الصفحة[٢]. بينما لا نجد أي أثر لذلك في المجلدات الأخرى.

٣ ـ وصول بعض الطرر المصلحة إلينا، فمن ذلك طرة المجلد الخامس عشر الذي كان سابقًا المجلد الثالث عشر، وهو تصليح جد ظاهر. ومن ذلك أيضًا طرة المجلد الحادي والعشرين الذي كان قبل التصليح المجلد التاسع عشر، وهو تصليح لا يعرفه ولا يلحظه إلا من يطيل النظر فيه، فقد حول الذهبي كلمة «التاسع» إلى «الحادي» بأن غير حرف (التاء) إلى (الحاء) ثم وضع ركزة للسين بحيث صارت دالاً ومد حرف العين وقعره فصار (ياءً). وهذا هو الذي يفسر التصاق الياء بالدال التصاقًا بينًا، ووجود فتحة فوق الحاء مع عدم الحاجة إليها لأنها كانت في الأصل نقطتي التاء. أما كلمة «عشر» فقد زاد عليها الياء والنون في آخرها فصارت «عشرين»، وهي تظهر واضحة وقد حشرت بين «عشر» وحرف الجر «من». والطريف أن الفتحات التي وضعها الذهبي فوق كلمة «عشر» ظلت باقية بعد تحويل الكلمة إلى «عشرين»[٣].

٤ ـ ويتبين من دراسة السماعات التي كتبها صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي بخطه على صفحات العنوان، وعلى هوامش المجلدات في الداخل، تسلسل تواريخ هذه السماعات ابتداء من أوائل سنة ٧٣٥هـ حتى شهر شعبان منها، ووجود الوقفية على المدرسة المحمودية على معظم المجلدات التي وصلت إلينا، وهذا يؤيد أن القسم المبيض سنة ٧٢٦هـ قد أصبح جزءًا من النسخة القديمة.

٥ ـ لم يشر الذهبي في أي من تلك المجلدات إلى تبييض الكتاب ثانية، بله

---

(١) انظر مثلاً الورقة ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٨١، ١٩٢... إلخ.

(٢) انظر مثلاً الورقة ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٢... إلخ.

(٣) انظر صورة طرة هذا المجلد في طبعتنا ١ / ٢٨٩.

ما هو مذكور في آخر المجلد الحادي والعشرين من أنه فرغ منه سنة ٧١٤هـ وما جاء في آخر المجلد الخامس عشر بخط الذهبي «آخر المجلد الثالث عشر والحمد للّه» مع أنه كتب في طرته أنه المجلد الخامس عشر.

إن هذا التناقص الظاهري جعل مفهرسي هذه النسخة في معهد إحياء المخطوطات العربية يظنون أن الذهبي كتبها سنة ٧٢٦هـ وسنة ٧٢٧هـ من غير دليل لديهم غير إشارته الواردة في المجلد الذي استرجحنا أنه المجلد السابع[١].

وعلى الرغم من وصول نسخ عديدة من تاريخ الإسلام، إلا أنه لم تصل إلينا نسخة كاملة منه، وكان السيد حسام الدين القدسي قد نشر بالقاهرة ستة أجزاء من الكتاب منذ سنة ١٣٦٧هـ نشرة ناقصة ثم توقف، فكان لا بد أن ألفق نسخة كاملة منه، رجوت أن تكون من أحسن النسخ وأصحها. وكنت منذ سنين كثيرة أجمع لنفسي نسخًا مصورة من أجزائه المبعثرة في خزائن الكتب ودورها، وكان معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية قد صور نسخًا منها، فصورت لنفسي جميع نسخه فتحصل لدي عدد كبير جدًا من مجلداته بلغت قرابة المئة مجلدة كبيرة وهي: من مصر في دار الكتب المصرية[٢] والمكتبة الأزهرية[٣] والمدرسة الباسطية بالخرنفش[٤]، ومن سورية: في دار الكتب الظاهرية[٥]، والمكتبة الأحمدية بحلب[٦]، ومن إستانبول: في مكتبة

---

(١) راجع فهرس المخطوطات المصورة، ٢ / قسم ١ / ٥٣.

(٢) النسخة التي رقمها (٤٢ تاريخ) وهي ملفقة من نسخ عديدة وتقع في أربعة وثلاثين مجلدًا إلا أنها غير كاملة وفيها مختصرات وخروم. وهناك مجلد برقم (٢٤٣٢ تاريخ).

(٣) رواق المغاربة رقم (٨٩٥) وهو الجزء الثاني والعشرون، ورقم (٤٤٩ أباظة ٦٧٤٢ عام) ورقم (٧١٢ تاريخ = ١٠٦٦٨عام) والرقم الأخير يضم قطعة في ٣٦ ورقة من المجلد الثالث عشر من إحدى النسخ.

(٤) هي الآن في دار الكتب المصرية برقم (١٤٥٢ تاريخ).

(٥) رقم (٧٨٧٥ ـ ٧٨٧٦).

(٦) تقع هذه النسخة في أربعة مجلدات، وبعضها انتقاء لابن قاضي شهبة وهي فيها برقم (١٢٢٠).

أياصوفيا[١] والسلطان أحمد الثالث[٢]، ومن المغرب: في الرباط[٣]، ومن السعودية: في مكتبة الأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود الخاصة بالرياض[٤]، ومن باريس: في المكتبة الوطنية[٥]، ومن انكلترة: في المتحفة البريطانية[٦]، ومكتبة البودليان بأكسفورد[٧]، ومن ألمانيا: في مكتبة بلدية ميونيخ[٨]، ومن الهند: في مكتبة رضا رامبور[٩]. زيادة على النسخ المتوافرة ببغداد ولا سيما في مكتبة الأوقاف والمتحف العراقي، فضلاً عن المختصرات العديدة التي صورتها. ومع ذلك فهناك نسخ لم أستطع الوقوف عليها[١٠].

على أن تلفيق نسخة من هذه المخطوطات لم يكن بالأمر الهيِّن الميسر لعدة أمور لعل من أبرزها:

١ ـ اختلاط المختصرات بالأصل في خزائن الكتب العالمية وعدم استطاعة المعنيين بهذا الشأن تمييز المختصر من الأصل أحيانًا[١١].

---

(١) وهي التي تحمل الأرقام (٣٠٠٥ ـ ٣٠١٤) في عشرة مجلدات بخط المؤلف.

(٢) وهي التي تحمل الأرقام ١ / ٢٩١٧ ـ ١٨ / ٢٩١٧، وتقع في ثمانية عشر مجلدًا.

(٣) رقم (٢٢٦ ك).

(٤) لم ترقم هذه المخطوطة في المكتبة المذكورة وتشمل المجلدات: الأول، والثاني، والسادس، والسابع: وقد صورها معهد إحياء المخطوطات سنة ١٩٧٣م.

(٥) هي المجلدات التي تحمل الأرقام (١٥٨٠ ـ ١٥٨٢ عربي).

(٦) رقم (١٥٤٠ شرقي) وهي في سبعة مجلدات (وانظر فهرس المخطوطات في المتحفة المذكورة، رقم (١٦٣٦ ـ ١٦٤١)، وملحقه رقم (٤٦٨).

(٧) وقفنا على أربعة مجلدات هي التي تحمل الأرقام (٢٤٤، ٢٧٩، ٢٨٦، ٣٠٥، من مجموعة لاود Laud).

(٨) رقم (٣٧٨) وقد كتب عليه أنه المجلد الثالث عشر وفيه من سنة ٤٨٧هـ إلى سنة ٥٥٠هـ.

(٩) رقم (٣٥٣٣) وقد تبين لي فيما بعد أنها مختصر من تاريخ الإسلام.

(١٠) ذكر بروكلمان مجلدًا في خزانة (لي) الإنكليزي، وآخر في ليدن (لعله مختصر) وبعض الأجزاء في مكتبة كوتا، وآخر في برلين، انظر كتابه: «تاريخ التراث العربي ٢ / ٥٨ وملحقه ٢ / ٤٥» (بالألمانية)، وغيرها.

(١١) من ذلك ـ مثلاً ـ ما وقع لمفهرسي معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية في بعض=

٢ ـ اختلاف أرقام المجلدات من نسخة إلى أخرى، فالنساخ لم يحافظوا على تجزئة المؤلف في الأغلب الأعم، فمع أن الذهبي ألف كتابه في واحد وعشرين مجلدًا ضخمًا إلا أننا وجدنا نسخة دار الكتب المصرية تتكون من أربعة وثلاثين مجلدًا. وفي الوقت الذي تناول الذهبي في المجلد الثامن عشر من تاريخه وفيات ٦٠١ ـ ٦٢٠هـ[١]، فإن المجلد الثامن عشر من نسخة أحمد الثالث تناول وفيات ٦٤٨ ـ ٦٧٠هـ[٢]. وتناول المجلد الثاني والعشرون من نسخة الأزهر وفيات ٥٨٨ ـ ٦٠٩هـ[٣]، وتناول المجلد الثالث عشر من نسخة المكتبة نفسها وفيات ٥٣٢ ـ ٥٦١هـ[٤] وهلم جرًا. وقد جعلنا هذا الأمر نضطر إلى الإشارة إلى مكان النسخة ورقمها باختصار بدلاً من الإشارة إلى المجلدات.

٣ ـ فضلاً عن توزع النسخة الواحدة في أكثر من مكان، فقد تبين لنا بعد الدراسة والتتبع ـ مثلاً ـ أن معظم المجلدات التي في المكتبة الأحمدية بحلب، والمكتبة الأهلية بباريس ومكتبة البودليان بأكسفورد هي من نسخة واحدة[٥].

ولحسن الحظ فقد وصلت إلينا عشرة مجلدات من النسخة التي كتبها الذهبي بخطه، وهي تكون قرابة نصف الكتاب؛ ولذلك اتخذناها أصلاً في نسختنا الملفقة وأكملناها من النسخ الأخرى، وقد أعانتنا هذه النسخة كثيرًا في دراسة الكتاب، فهي فضلاً عن دقتها، نظرًا لدقة مؤلفها وكاتبها الإمام الذهبي، قد أفادتنا فائدة عظيمة في تتبع منهج المؤلف منذ بدأ بتأليف الكتاب وما طرأ عليه

= أجزاء نسخة أحمد الثالث رقم (٢ / ٢٩١٧، ٤ / ٢٩١٧، ٥ / ٢٩١٧) ونسخة رضا رامبور رقم (٣٥٣٣) وبعض أجزاء نسخة دار الكتب المصرية رقم (٤٢ تاريخ) وغيرها.

(١) أياصوفيا ٣٠١١.

(٢) أحمد الثالث ١٨ / ٢٩١٧.

(٣) الأزهر، رواق المغاربة، رقم ٨٩٥.

(٤) رقم ٧١٢ تاريخ.

(٥) ومما يقوي هذا الرأي وجود خط سبط ابن حجر «ت ٨٩٩هـ» على بعض المجلدات التي في حلب وباريس وأكسفورد.

من زيادات في الحواشي الكثيرة والوريقات الطيارة المبثوثة بين طياته، ولولاها لصعب علينا كثيرًا الوصول إلى جملة من القضايا منها ـ مثلاً ـ: الموارد التي استعملها المؤلف أولاً وتلك التي وقف عليها بعد تأليف الكتاب، وكيفية تنظيم الحوادث والتراجم والعلاقة بينهما، ثم نوعية التراجم التي زادها فيما بعد.

وصف نسختنا الملفقة[1]:

١ ـ المجلد الأول من النسخة المحفوظة في مكتبة الأمير عبد اللّه بن عبد الرحمن آل سعود الخاصة بالرياض من السعودية (١ ـ ١١هـ)[2]:

ويحتوي هذا المجلد على المدة الواقعة من السنة الأولى للهجرة حتى السنة الحادية عشرة وهو ما يعرف بالمغازي، ويستمر فيأخذ قسمًا من الترجمة النبوية حتى نهاية خبر وفاة خديجة[3] رضي اللّه عنها. وقد انخرم قدر ورقة من النسخة وفيها بعض مقدمة الذهبي لكتابه، حيث يبدأ هذا المجلد في أثناء كلامه على المصادر التي أفاد منها في تأليف كتابه وهو: «للإمام أحمد وتاريخ المفضل بن غسان الغلابي...»[4]. وجاء في آخر النسخة. «نجز الجزء الأول من تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام من تأليف الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي... ويتلوه الجزء الثاني المبدوء بقصة المعراج».

---

(١) قال الزمخشري في (ل ف ق) من أساس البلاغة: ثوب ملفق وملفوق. وقد لفقت بين ثوبين، ولفقت أحدهما بالآخر: إذا لاءمت بينهما بالخياطة كشقتي الملاءة.. تلافق القوم: تلاءمت أحوالهم، ص ٨٦٣. وقد استعمل العلماء المسلمون هذا التعبير للدلالة على تجميع نسخة من نسخ متعددة.

(٢) إن المدة الزمانية المحصورة بين العضادتين لهذا المجلد الموصوف وغيره من المجلدات الآتية لا تستغرق بالضرورة جميع محتويات المخطوطة، فهي تمثل القسم الخاص بنسختنا الملفقة من الكتاب والتي قامت عليها هذه الدراسة. على أننا في الوقت نفسه قد استنفدنا محتويات كثير من المجلدات لا سيما تلك التي بخط المؤلف.

(٣) عند الصفحة ١٤١ من الجزء ١ (مطبوعة) والورقة ٦٤ (أياصوفيا ٣٠٠٥).

(٤) انظر السطر قبل الأخير من ١ / ١٧ (مطبوعة).

وقد اعتمدت هذا المجلد إلى بداية الترجمة النبوية. ولما كانت النسخة غير مرقمة فقد عولت على الأرقام التي وضعتها لنسختي المصورة.

٢ ـ مجلد مكتبة أياصوفيا رقم ٣٠٠٥ (من بداية الترجمة النبوية إلى سنة ٣٠هـ):

وهو المجلد الثاني من نسخة المؤلف التي بخطه. وقد جاء في طرة النسخة «المجلد الثاني[1] من تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام وأوله الترجمة النبوية جمع كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان الفارقي ابن الذهبي». وعلى طرة النسخة أيضًا سماع لصلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ على المؤلف وقد كتب بخطه المتقن المليح: «قرأت هذه المجلدة، وهي الجزء الثاني من تاريخ الإسلام، على كاتبه ومؤلفه شيخنا الإمام الحافظ العلامة قدوة المؤرخين حجة المحدثين شمس الدين أبي عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ أدام اللّه الإمتاع بفوائده ـ في ثمانية عشر ميعادًا آخرها تاسع عشر ربيع الأول سنة ٧٣٥، وسمعها كاملة فتاي طيدمر بن عبد اللّه الرومي ومن أول الترجمة النبوية إلى آخر ترجمة عيينة بن حصن. وسمع بعض ذلك في مياعيد مفرقة جماعة ذكرتهم في البلاغات على الهامش[2]، وأجازنا رواية ذلك عنه أجمع. وكتب خليل بن أيبك بن عبد اللّه الشافعي الصفدي حامدًا ومصليًا».

وعلى الطرة أيضًا نص وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية بالقاهرة وهو: «الحمد للّه حق حمده. وقف وحبس وسبل المقر الأشرف العالي الجمالي محمود استدار العالية الملكي الظاهري ـ أعز اللّه تعالى أنصاره ـ جميع هذا المجلد وما قبله وما بعده من المجلدات من تاريخ الإسلام للذهبي بخطه، وعدة ذلك أحد وعشرون مجلدًا، وقفًا شرعيًا على طلبة العلم الشريف ينتفعون به على

---

(١) كتب فوق هذه الكلمة بخط يشبه خط الذهبي، وليس خطه، كلمة «الأول» وهو وهم من هذا الكاتب.

(٢) انظر بعض هذه البلاغات في الأوراق: ١٥، ٣٠، ٤٩، ٦٠، ٧٤، ٨٦، ٩٨، ١٣٠، ١٣٩.. إلخ.

الوجه الشرعي. وجعل مقر ذلك بالخزانة السعيدة المرصدة لذلك بمدرسته التي أنشأها بخط الموازنيين بالقاهرة[1] المحروسة، وشرط الواقف المشار إليه ألاَّ يخرج ذلك ولا شيء منه من المدرسة المذكورة برهن ولا بغيره. وجعل النظر في ذلك لنفسه أيام حياته ثم من بعده لمن يؤول إليه النظر على المدرسة المذكورة على ما شرح في وقفها. وجعل لنفسه أن يزيد في شرط ذلك وينقص ما يراه دون غيره من النظار، جعل ذلك لنفسه في وقف المدرسة المذكورة، ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾، بتاريخ الخامس والعشرين من شعبان المكرم سنة سبع وتسعين وسبع مئة» ثم شهادة اثنين بذلك.

وفي أعلى الطرة خطوط جماعة من العلماء ممن نسخوا تاريخ الإسلام عن هذه النسخة أو اختصروه أو طالعوه واستفادوا منه، وهي:

«فرغه نسخًا وقراءة عبد الرحمن بن محمد ابن البعلي داعيًا لجامعه».

و«طالعه وانتقاه وما قبله إبراهيم بن يونس البعلبكي الشافعي».

و«أنهاه تعليقًا البدر البشتكي»[2].

و«طالعه يوسف الكرماني».

---

(١) في صورة الوقفية الموجودة على المجلدات الأخرى زيادة عبارة «بالشارع الأعظم».

(٢) توفي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن محمد البشتكي سنة ٨٣٠هـ (السخاوي: الضوء اللامع ٦ / ٢٧٧ ـ ٢٧٩)، وإن بعض المخطوطات المحفوظة في المكتبة الأحمدية بحلب والمكتبة الوطنية في باريس ومكتبة البودليان بأكسفورد قد نسخت عن نسخة البشتكي. وذكر السخاوي في الإعلان (ص ٥٩٨) أن النسخة التي كتبها بدر الدين البشتكي كانت موجودة في أيامه بالمدرسة الباسطية. قال بشار: وقد نقلت بعض أجزائها إلى دار الكتب المصرية حيث نجد بعض المجلدات المحفوظة في هذه الدار بخطه. وأخطأ الأستاذ الفاضل فرانتس روزنتال حينما ذكر أن نسخة البشتكي كانت تتكون من اثنين وعشرين مجلدًا (راجع تعليقه على الإعلان، ص ٥٩٧ هامش رقم ٥٠) فقد ذكر هو بخطه في آخر وفيات الطبقة السبعين من تاريخ الإسلام أنه علق منه نسخة في واحد وعشرين مجلدًا (انظر أدناه كلامًا على مجلد أياصوفيا ٣٠١٤).

و«فرغ تراجمه ترتيبًا محمد ابن السخاوي، ختم له بخير»[1].

يبدأ هذا المجلد، كما مر، بالترجمة النبوية التي تستغرق ١٧٠ ورقة منه وينتهي في أثناء سنة ٣٠هـ ويقع في ٢٣١ ورقة، وآخر ما فيه ترجمة عيينة بن حصن (٢ / ٩١ من النسخة المطبوعة).

وقد عولنا عليه في جميع مدته نظرًا لنفاسته ودقته بسبب كونه بخط مؤلفه، بالرغم من وجود مادته في النسخة المطبوعة التي استفدنا منها أيضًا.

٣ ـ الأجزاء المطبوعة (من الترجمة النبوية إلى سنة ١٦٠هـ الحوادث والوفيات)[2].

وهي الأجزاء الستة التي نشرها السيد حسام الدين القدسي عن نسخة دار الكتب المصرية الملفقة من مجموعة من النسخ أصلاً، وطبعها في القاهرة منذ سنة ١٣٦٧هـ ثم توقف عن نشرها.

احتوى الجزء الأول على المقدمة التي وضعها الذهبي لكتابه[3] ثم الترجمة النبوية وخلافة أبي بكر الصديق ـ رضي اللّه عنه ـ وينتهي في أثناء ترجمة أبي بكر، ويقع في ٣٩٩ صفحة.

ويبدأ الجزء الثاني بعمال أبي بكر، وترجمة أبي كبشة مولى رسول اللّه ﷺ ثم سنة ١٤هـ، وينتهي في أثناء تراجم الطبقة السابعة (٦١ ـ ٧٠هـ) حيث أورد اثنتي عشرة ترجمة منها، وآخره ترجمة ثور بن معن بن يزيد ابن الأخنس السلمي من الطبقة المذكورة. ويقع هذا الجزء في ٣٩٩ صفحة أيضًا.

أما الجزء الثالث فيقع في ٣٨٣ صفحة، وأوله ترجمة جابر بن سمرة بن

---

(١) إن هذه الإشارة تؤيد قول السخاوي في الإعلان (٥٨٩) أنه رتب «تاريخ الإسلام» على حروف المعجم (وانظر أعلاه كلامنا على مختصرات الكتاب).

(٢) يبتدئ اعتمادنا الرئيس على الأجزاء المطبوعة من سنة ٣١هـ، على أننا آثرنا في الوقت نفسه الإشارة في كثير من الأحيان إلى الأقسام السابقة منها بعد مقارنتها بنسخة أياصوفيا رقم (٣٠٠٥) بغية تمكين القارئ من الرجوع إليها عند الحاجة فذلك أيسر عليه.

(٣) أخذها من النسخة الكيمبرجية.

جنادة من الطبقة السابعة، وينتهي في أثناء وفيات الطبقة العاشرة (٩١ ـ ١٠٠هـ)، وآخر ما فيه ترجمة السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة الكندي المدني من تراجم الطبقة المذكورة.

وأما الجزء الرابع الذي يقع في ٣٢٠ صفحة، فيبدأ بترجمة سعيد بن جبير من الطبقة العاشرة، وينتهي في أثناء حرف الميم من تراجم الطبقة الثانية عشرة (١١١ ـ ١٢٠هـ)، وآخر ما فيه ترجمة معبد بن خالد الجدلي الكوفي.

ويبدأ الجزء الخامس بترجمة المغيرة بن حكيم الصنعاني من أهل الطبقة الثانية عشرة، وينتهي بآخر وفيات الطبقة الرابعة عشرة (١٣١ ـ ١٤٠هـ) وعدد صفحات هذا الجزء ٣٥١ صفحة.

أما الجزء السادس الذي جاء في ٣٥٥ صفحة، فقد اشتمل على حوادث ووفيات الطبقتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة (١٤١ ـ ١٦٠هـ).

وهذه الطبعة لا هي بالجيدة ولا بالرديئة. وقد حاول ناشرها التعليق على بعض النصوص، وكثير من تعليقاته منقولة عن الشيخ محمد زاهد الكوثري، وهو حنفي جلد ما أنصف الذهبي في كثير من كتاباته. إلا أن هذه الطبعة قد أساءت في الوقت نفسه إلى الكتاب كثيرًا بإيراد الترجمة النبوية بعد المقدمة مباشرة وعدم شمولها للمجلد الأول من «تاريخ الإسلام» وهو المجلد الخاص بالمغازي. ومن ثم انتقلت هذه الإساءة إلى بعض الباحثين والدارسين والمعنيين بالتدوين التاريخي بحيث ظنوا، غلطًا، أن هذا هو نطاق «تاريخ الإسلام» للذهبي.

٤ ـ المجلدان التاسع والعاشر من نسخة دار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ (وفيات ١٦١ ـ ١٨٠هـ):

ويشملان الطبقتين السابعة عشرة والثامنة عشرة في حوادثهما ووفياتهما (١٦١ ـ ١٨٠هـ) وهما بخط محمد بن إبراهيم البشتكي المتوفى سنة ٨٣٠هـ، نقلهما من النسخة التي بخط المؤلف والتي كانت موقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة.

٥ ـ مجلد مكتبة أياصوفيا رقم ٣٠٠٦ (حوادث ووفيات ١٨١ ـ ٢٠٠هـ):

وهو بخط المؤلف، ومخروم من أوله حيث يبدأ هذا القسم الذي وصل إلينا في أثناء ترجمة الإمام مالك بن أنس من تراجم الطبقة الثامنة عشرة (١٧١ ـ ١٨٠هـ)[١] وتجيء بعدها ١١٥ ترجمة من تراجم الطبقة المذكورة[٢].

وتبدأ حوادث الطبقة التاسعة عشرة (١٨١ ـ ١٩٠هـ) في الورقة ٣٢ وتنتهي عند الورقة ٤٣ حيث تبدأ تراجم أهل الطبقة مرتبة حسب حروف المعجم فتنتهي في الورقة ١٧٠. أما الطبقة العشرون (١٩١ ـ ٢٠٠هـ) فتبدأ حوادثها في الورقة ١٧١ وتنتهي عند الورقة ١٩٢ حيث يبدأ المؤلف بذكر المترجمين من أهل الطبقة العشرين على حروف المعجم، وينتهي المجلد بآخر المترجمين فيها (الورقة ٣٠١).

وهذا المجلد فيما نرى هو قسم من المجلد السابع من نسخة المؤلف التي بخطه والتي أوقفت فيما بعد على المدرسة المحمودية بالقاهرة، وليس المجلد الثامن كما توهم الدكتور لطفي عبد البديع صانع فهرس معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية[٣]، فقد وصل إلينا المجلد الثامن من النسخة المذكورة وهو يبدأ بالطبقة الحادية والعشرين[٤].

وهذا المجلد من القسم الذي أعاد الذهبي كتابته ثانية سنة ٧٢٦هـ بسبب الزيادات الكثيرة التي زادها على تراجم القرن الثاني بعد تأليف الكتاب[٥].

ونجد في نهاية حوادث الطبقتين التاسعة عشرة والعشرين بلاغًا

---

(١) استغرق القسم الباقي من ترجمة الإمام مالك ثماني أوراق من النسخة.

(٢) الورقة ٨ ـ ٣١.

(٣) انظر الفهرس المذكور، ٢ / قسم ١ / ٥٣.

(٤) انظر وصف المجلد الآتي.

(٥) راجع أعلاه كلامنا على تدوين الكتاب، وانظر الورقة ٣٠١ من هذه النسخة وطرة المجلد الحادي والعشرين الذي في مكتبة أياصوفيا (٣٠١٤).

لصلاح الدين الصفدي بقراءة حوادثهما على المؤلف[1]، ثم خط البدر البشتكي في آخر المجلد الذي يشير فيه إلى انتساخه[2].

٦ ـ مجلد مكتبة أياصوفيا رقم ٣٠٠٧ (حوادث ووفيات ٢٠١ ـ ٢٣٠هـ):

وهو المجلد الثامن من نسخة المؤلف التي بخطه، وقد جاء في صفحة العنوان بخط الذهبي «المجلد الثامن من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تأليف كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي سامحه الله». وعلى هذه الصفحة أيضًا سماع الصفدي، وصورة وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية، وخطوط جماعة من الفضلاء. ويقع هذا المجلد في (٢٤٠) ورقة.

يبتدئ المجلد بحوادث الطبقة الحادية والعشرين[3] (٢٠١ ـ ٢١٠هـ)، فوفياتها مرتبة على حروف المعجم[4]، ثم يتناول حوادث الطبقة الثانية والعشرين[5] (٢١١ ـ ٢٢٠هـ) ووفياتها المرتبة على حروف المعجم[6]، ثم حوادث الطبقة التالية وهي الطبقة الثالثة والعشرون[7] (٢٢١ ـ ٢٣٠هـ)، وينتهي المجلد بآخر المترجمين من وفيات هذه الطبقة[8].

وهذا المجلد مليء باستدراكات الذهبي وتعليقاته المدونة في حواشي النسخة وفي الجزازات الكثيرة التي وضعها بين طيات أوراقه.

---

(١) الورقة ٤٣، ١٩٢ ونص البلاغ: «بلغت قراءة خليل بن أيبك على مؤلفه وكاتبه فسح الله في مدته».

(٢) الورقة ٣٠١ ونصه «أنهاه تعليقًا البدر البشتكي». وقد عرفنا من إشارة لبدر الدين البشتكي في آخر ترجمة فضالة بن عبد الملك الشحام من الطبقة الثامنة عشرة انتهاء المجلد السادس من نسخة المؤلف، فتبين لنا أن المجلد السابع يتكون من بقية الطبقة (١٨) إلى نهاية الطبقة (٢٠).

(٣) الورقة ٣ ـ ٩.

(٤) الورقة ٩ ـ ٨٥.

(٥) الورقة ٨٦ ـ ٩٤.

(٦) الورقة ٩٤ ـ ١٦٧.

(٧) الورقة ١٦٨ ـ ١٧٦.

(٨) الورقة ١٧٦ ـ ٢٤٠.

٧ ـ مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٧ / ٢٩١٧ (حوادث ووفيات ٢٣١ ـ ٢٦٠هـ):

وهو المجلد السابع من نسخة المكتبة المذكورة، ويقع في (٢٩٥) ورقة من القطع الكبير. وعلى النسخة تملكات وقراءات منها ما هو مقيد في سنة ٨١٤هـ فيكون تاريخ نسخها قبل هذا التاريخ، ولعله يعود إلى أواخر القرن الثامن. ونجد على النسخة خط محمد بن عمار المالكي المتوفى سنة ٨٤٤هـ[١] بانتخابه من الكتاب والإفادة منه، كما نجد عليها خط محمد بن أحمد بن إينال العلائي الدوادار الحنفي بتملك النسخة وهو من المهتمين بالتاريخ[٢]. أما خط النسخة فقليل الإعجام صعب القراءة لكنه دقيق ومضبوط.

يبدأ هذا المجلد من أول الكنى من وفيات الطبقة الثالثة والعشرين وهي ترجمة أبي أيوب الأشعري[٣]، ثم يتناول حوادث الطبقة الرابعة والعشرين[٤] (٢٣١ ـ ٢٤٠هـ) ووفياتها[٥]، ويستمر فيشمل حوادث ووفيات الطبقتين الخامسة والعشرين[٦] (٢٤١ ـ ٢٥٠هـ) والسادسة والعشرين[٧] (٢٥١ ـ ٢٦٠هـ)، وهو

---

(١) كان من علماء العربية المشهورين في زمانه وقد ولي التدريس بالمدرسة المسلمية بالقاهرة سنة ٨٠٣هـ (السخاوي: الضوء، ٨ / ٢٣٢، السيوطي: بغية، ١ / ٢٠٣، ابن العماد: شذرات، ٧ / ٢٥٤).

(٢) هذّب محمد بن أحمد العلائي كتاب «الضوء اللامع» للسخاوي، وسماه «تشنيف المسامع بتهذيب الضوء اللامع» اطلعت على قسم منه بخطه في الخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية (رقم ٦٢٤ تاريخ).

(٣) قارن الورقة ٢٣٨ من نسخة أياصوفيا ٣٠٠٧.

(٤) سبق قلم الناسخ فكتب أنها الطبقة الثانية والعشرون (الورقة ٤).

(٥) الورقة ٨ ـ ٩٢.

(٦) تبدأ الحوادث في أثناء الورقة ٩٢ وتنتهي في أثناء الورقة ٩٥ حيث تبدأ وفياتها وتستمر من هذه الورقة إلى قبيل نهاية الورقة ٢١٠.

(٧) تبدأ حوادث الطبقة عند نهاية الورقة ٢١٠ وتستمر إلى الورقة ٢١٦ حيث تبدأ فيها وفياتها وتنتهي بانتهاء المجلد في الورقة ٢٩٥.

المجلد التاسع من نسخة المؤلف[١].

٨ ـ مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٨ / ٢٩١٧ (حوادث ووفيات ٢٦١ ـ ٣٠٠هـ):

وهو المجلد الثامن من نسخة المكتبة المذكورة ويقع في (٣١٦) ورقة، وجاء في أوله «الجزء الثامن من تاريخ الإسلام للذهبي رحمه اللّٰه تعالى، آمين» وقد ذهب اسم الناسخ من النسخة، وناسخه هو ناسخ المجلد السابق لتشابه الخطين. ونجد في طرة هذا المجلد ما وجدناه في طرة المجلد السابع من قراءات وتملكات.

اشتمل هذا المجلد على حوادث ووفيات أربع طبقات هي: السابعة والعشرون[٢] (٢٦١ ـ ٢٧٠هـ)، والثامنة والعشرون[٣] (٢٧١ ـ ٢٨٠هـ)، والتاسعة والعشرون[٤] (٢٨١ ـ ٢٩٠هـ) والثلاثون[٥] (٢٩١ ـ ٣٠٠هـ)، ورتبت وفيات كل طبقة منها على حروف المعجم. وهذا هو المجلد العاشر من نسخة المؤلف[٦].

٩ ـ مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٩ / ٢٩١٧ (وفيات ٣٠١ ـ ٣٥٠هـ):

وهو المجلد التاسع من نسخة أحمد الثالث المذكورة ويقع في (٢٥٨)

---

(١) جاء في آخر المجلد الرابع عشر من نسخة دار الكتب المصرية (٤٢ تاريخ) ما يشير إلى أن سنة ٢٦٠ هي آخر المجلد التاسع.

(٢) تشتمل الحوادث على الأوراق ٢ ـ ٩، أما الوفيات فتشمل الأوراق ١٠ ـ ٨٩.

(٣) استغرقت الحوادث قرابة أربع أوراق فقط (٨٩ ـ ٩٣) بينما استغرقت الوفيات الأوراق ٩٣ ـ ١٥٦.

(٤) تقع الحوادث في الأوراق ١٥٦ ـ ١٦٦ والوفيات في الأوراق ١٦٦ ـ ٢٤٥.

(٥) تبدأ الحوادث في أثناء الورقة ٢٤٥ وتستمر إلى أثناء الورقة ٢٥١ حيث تبدأ وفيات الطبقة، وتنتهي بانتهاء المجلد في الورقة ٣١٦.

(٦) لأن المجلد التاسع ينتهي بسنة ٢٦٠هـ كما جاء في آخر المجلد الرابع عشر من نسخة دار الكتب المصرية (٤٢ تاريخ). وأشار السخاوي إلى أن المجلد العاشر من نسخة المؤلف ينتهي بآخر الطبقة الثلاثين (الإعلان، ص ٥٩٧ ـ ٥٩٨).

ورقة من القطع الكبير. إلا أن خطه يختلف عن خط المجلدين السابقين: السابع والثامن، فهو نسخ جميل واضح معجم في أغلب الأحيان. وقد جاء في أوله بخط الناسخ: «ذكر وفيات الأعلام على السنين من بعد الثلاث مئة إلى سنة خمسين وثلاث مئة»، ثم كتب على طرته أسفل ذلك وبالخط الذي كتبت به جميع مجلدات نسخة أحمد الثالث رقم ٢٩١٧[١]: «الجزء التاسع من تاريخ الإسلام للذهبي رحمه الله آمين» والخطوط التي نجدها على طرة المجلدات السابقة نجدها على طرة هذا المجلد أيضًا.

تناول هذا المجلد وفيات الطبقات من الحادية والثلاثين إلى آخر الخامسة والثلاثين (٣٠١ ـ ٣٥٠هـ) على السنين، ورتبت وفيات كل سنة على حروف المعجم[٢]. ونطاق هذا المجلد هو نطاق المجلد الحادي عشر من نسخة المؤلف[٣].

١٠ ـ مجلد مكتبة أياصوفيا رقم ٣٠٠٨ (وفيات ٣٥١ ـ ٤٠٠هـ):

وهو بخط المؤلف، وعليه سماع الصفدي، ونص وقفية النسخة على المدرسة المحمودية بالقاهرة، وخطوط جماعة من الفضلاء. ويقع في (٢٦٦) ورقة، ويتناول تراجم أهل الطبقات من السادسة والثلاثين إلى آخر الأربعين (٣٥١ ـ ٤٠٠هـ). والنسخة مليئة باستدراكات المؤلف وتعليقاته سواء أكان ذلك في حواشي النسخة أم في الجزازات الكثيرة التي وضعها بين الأوراق وألصقها بها.

وهذا المجلد هو المجلد الثاني عشر من نسخة المؤلف كما جاء في طرته، والظاهر أنه كان يحتوي على حوادث هذه المدة أيضًا إلا أنه لم يصل إلينا في الوقت الحاضر[٤].

---

(١) ومن ضمنها المختصرات أيضًا. ولا ريب أن هذه التجزئة تعود إلى عصر متأخر.

(٢) رتب الذهبي كتابه حسب السنين ابتداءً من سنة ٣٠١هـ وإلى آخر الكتاب (انظر أدناه الفصل الأول من الباب الثاني).

(٣) لأن المجلد العاشر ينتهي بآخر سنة ٣٠٠هـ، ويبتدئ المجلد الثاني عشر بسنة ٣٥١هـ.

(٤) انظر أدناه كلامنا على الخطة العامة للكتاب في الفصل الأول من الباب الثاني.

ونظرًا لعدم وضوح الأوراق الأولى من نسختي المصورة لهذا المجلد بسبب اهتزاز في التصوير، لم أنتبه إليه حينئذ، أصبح من الصعب عليَّ دراسة الوفيات الواقعة بين سنتي ٣٥١ ـ ٣٦٧هـ من هذه النسخة، لذلك عولت في المدة المذكورة على المجلد المحفوظ في مكتبة أحمد الثالث رقم ١٠ / ٢٩١٧ وهو المجلد العاشر من النسخة المحفوظة في المكتبة المذكورة، ويقع في ٣١٨ ورقة وخطه يشبه خط المجلدين السابع والثامن من هذه النسخة كتبها ناسخ واحد، ولعل ذلك كان في أواخر القرن الثامن الهجري. وعلى هذا المجلد خطا محمد ابن عمار المالكي، ومحمد بن أحمد بن إينال العلائي الحنفي. ويتناول الوفيات فقط من سنة ٣٥١هـ إلى أثناء سنة ٤١٥هـ. والقسم الذي عولت عليه يمتد من أول المجلد إلى الورقة ١٢٤ منه.

١١ ـ مجلد أياصوفيا رقم ٣٠٠٩ (وفيات ٤٠١ ـ ٤٥٠هـ):

وهو بخط المؤلف، وعليه خط السخاوي وبعض الفضلاء وفي آخر النسخة خط البدر البشتكي بالانتهاء من انتساخه. كما نجد خط ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ في حاشية الورقة ٤٦٤ عند ترجمة أبي العلاء المعري.

ويقع هذا المجلد في (٤٩٤) ورقة ذات وجه واحد[1]. ويلحظ كثرة استدراكات المؤلف وتعليقاته في حواشي النسخة وفي الجزازات الكثيرة التي وضعها بين طيات المجلد.

ويتضمن هذا المجلد وفيات الطبقات من الحادية والأربعين إلى آخر الطبقة الخمسين (٤٠١ ـ ٤٥٠هـ).

وقد جاء في الطرة التي وصلت إلينا لهذا المجلد بخط الذهبي: «المجلد الحادي عشر من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تأليف محمد ابن أحمد بن عثمان بن الذهبي عفا اللّه عنه». ويبدو لنا أن هذا العنوان هو العنوان الذي كان يحمله هذا المجلد قبل أن يعيد الذهبي تنظيم كتابه ثانية بسبب

---

(١) أبقيت على هذا الترقيم لوجوده في أصل نسختي المصورة، والظاهر أن أحدهم قد رقم النسخة الأصلية.

الزيادات الكثيرة الحاصلة في تراجم أهل المئة الثانية[١]. فهذا هو المجلد الثالث عشر والذي وجدنا على طرته صورة وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية وخط الصفدي بقراءة حوادثه على المؤلف، ثم إن السخاوي أشار إلى أن المجلد العاشر ينتهي بسنة ٣٠٠هـ[٢]، فكيف يصح بعد هذا أن يكون هذا المجلد هو المجلد الحادي عشر؟ ولكن، أين ذهب العنوان الجديد الذي وضعه الذهبي لهذا المجلد بعد أن أصبح الثالث عشر؟ ثم أين هي صورة وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية وخط الصلاح الصفدي بالقراءة على شيخه؟

فنقول: إننا نعتقد أصلاً أن هذا الذي وصل إلينا هو ليس جميع المجلد الثالث عشر بل القسم الخاص بالوفيات منه، أما الحوادث التي تضمنها هذا المجلد والتي استرجحنا أنها تناولت المدة الزمنية نفسها فلم تصل إلينا. فلعل العنوان الجديد كان في صدر الحوادث، وهو الذي عليه خط الصفدي وصورة الوقفية كما هو في المجلد الخامس عشر الذي سيأتي وصفه، وكأن المجلد صار في قسمين: قسم خاص بالحوادث وقسم خاص بالوفيات. أما خط السخاوي على طرة المجلد فهو أمر طبيعي لأن السخاوي لم يهتم بالحوادث وكان اهتمامه ينصب على تجريد التراجم فقط.

يضاف إلى ذلك أن المجلد الثالث عشر الذي وصل إلينا بخط البدر البشتكي في نسخة المتحفة البريطانية رقم (٤٩ شرقيات) قد تضمن الحوادث المذكورة.

١٢ ـ مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ١١ / ٢٩١٧ (وفيات ٤٥١ ـ ٤٧٧هـ):

وهو المجلد الموسوم بالحادي عشر من هذه النسخة، وعلى طرته خط محمد بن عمار المالكي ومحمد بن أحمد العلائي وغيرهما، ويقع في ٣٠١ ورقة، وخطه صعب القراءة قليل الإعجام لكنه دقيق ومضبوط، وناسخه هو

---

(١) انظر أعلاه كلامنا على تدوين الكتاب.

(٢) الإعلان، ص ٥٩٧. وانظر أدناه كلامنا على الخطة العامة للكتاب في الفصل الأول من الباب الثاني.

ناسخ المجلدين السابع والثامن وغيرهما من هذه النسخة.

وهذا المجلد متمم للمجلد العاشر من النسخة حيث يبدأ في أثناء حرف العين من وفيات سنة ٤٥١هـ وينتهي في أثنـاء وفيات سنة ٤٧٧هـ وآخره ترجمة: «علي بن أحمد بن عبد العزيز الميورقي الأندلسي» من وفيات السنة المذكورة.

وقد عولنا على هذا المجلد ابتداء من وفيات سنة ٤٥١هـ التي تبدأ بالورقة ١٦١ وإلى نهايته.

١٣ ـ مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ١٢ / ٢٩١٧ (وفيات ٤٧٧ ـ ٥٠٠هـ):

وهو المجلد الثاني عشر من هذه النسخة، وطرته والخطوط التي عليها وخطه كما في المجلد السابق، وعدد أوراقه (٢٨٦) ورقة.

ويبدأ هذا المجلد من حيث ينتهي المجلد السابق في أثناء وفيات سنة ٤٧٧هـ، وأول ما فيه ترجمة: «علي بن محمد الغزنوي». ويستمر فيتناول الوفيات إلى أثناء سنة ٥٢٤هـ وآخر ما فيه ترجمة: «محمد بن سعدون بن مرجى ابن سعدون العبدي الميورقي نزيل بغداد» من وفيات السنة المذكورة.

وقد عولنا على هذا المجلد من أوله إلى آخر من توفي تقريبًا من الطبقة الخمسين في أثناء الورقة ١٥٥.

١٤ ـ مجلد المكتبة الأحمدية بحلب رقم ١ / ١٢٢٠ (حوادث ٣٠١ ـ ٥٠٠هـ):

يقع هذا المجلد في (٢٣٦) ورقة. كتب بخط جيد واضح لكنه غير دقيق، ولم نعرف ناسخه ولعله من منتسخات القرن التاسع الهجري. وقد جاء في طرته بخط أحدث: «حوادث تاريخ الذهبي»، وفي السطر الذي يليه: «وهو حوادث المئة الرابعة والخامسة من سنة ٣٠١ ـ ٥٠٠هـ». وعلى النسخة تمليك مؤرخ في سنة ١١١٢هـ وقد رمَّج أحدهم اسم مالكه، ثم نقل أحدهم ترجمة ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، وفي أسفلها بعض الفوائد.

يبدأ المجلد بالبسملة، ثم حوادث سنة ٣٠١هـ ويستمر حتى نهاية حوادث

سنة ٣٥١هـ[١]، ثم تبدأ حوادث سنة ٣٥١هـ بورقة جديدة وبالبسملة والدعاء بالتيسير. وتستمر الحوادث مسلسلة إلى آخر حوادث سنة أربع مئة حيث تنتهي بورقة كتب فيها بضعة أسطر[٢]، ثم بدأ حوادث سنة ٤٠١هـ بورقة جديدة. ولعل هذا يدل على أنه نقل هذه الخمسين سنة من موضع واحد ولم يجمعها[٣]، ثم تستمر الحوادث إلى سنة ٤٥٠هـ التي ينهيها المؤلف بعبارة «والله أعلم». ثم يبدأ سنة ٤٥١هـ بقوله: «سنة إحدى وخمسين وأربع مئة على سبيل الاختصار»[٤] وتشير العبارة الأخيرة إلى بداية ذكر الحوادث في طبقة جديدة، أو مجلدة جديدة وهو ما نرجحه[٥]، وينتهي المجلد بآخر حوادث سنة ٥٠٠هـ.

١٥ ـ مجلد مكتبة أياصوفيا رقم ٣٠١٠ (حوادث ٥٠١ ـ ٥٥٠هـ، ووفيات ٥٠١ إلى أثناء ٥٤٦هـ):

وهو بخط المؤلف. ويقع في (٣٢٣) ورقة. ويشمل هذا المجلد حوادث السنوات ٥٠١ ـ ٥٥٠هـ[٦] والوفيات من سنة ٥٠١هـ إلى أثناء سنة ٥٤٦هـ وآخر ما فيه ترجمة: «علي بن مرشد بن علي بن مقلد الكناني الشيزري» من وفيات السنة المذكورة. وجاء في آخر النسخة بخط الذهبي: «آخر المجلد الثالث عشر والحمد لله يتلوه: علي بن هبة الله».

على أنه جاء في طرة المجلد بخط الذهبي وبخط جميل: «المجلد الخامس عشر من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تأليف كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي سامحه الله»، ثم نجد بعد ذلك خط الصفدي بقراءة حوادث السنين من هذه المجلدة على المؤلف، وصورة وقفية الكتاب على

---

(١) الورقة ٧٤.

(٢) الورقة ١٢٢.

(٣) انظر أدناه كلامنا على الخطة العامة للكتاب في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٤) الورقة ١٧٠.

(٥) انظر أدناه كلامنا على الخطة العامة للكتاب في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٦) الورقة ٢ ـ ٤٧.

المدرسة المحمودية بالقاهرة، ثم خط السخاوي بالفراغ من ترتيب تراجمه، ثم نجد بعد ذلك في الورقة (٤٨) من النسخة عنوانًا آخر بخط الذهبي أيضًا كان مكتوبًا فيه أولاً: «المجلد الثالث عشر من تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام جمع كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي الدمشقي» ثم صحح كلمة «الثالث» بقطة قلم دقيقة بحيث أصبحت «الخامس» وكتب فوقها بالقطة الدقيقة نفسها كلمة «حوادث» فأصبح العنوان: «حوادث المجلد الخامس عشر...». ولم نجد على هذه الطرة خط الصفدي ولا صورة الوقفية غير إشارة بخط البدر البشتكي وهي: «أنهاه كتابة البدر البشتكي» ثم مرور أحدهم على النسخة.

وتفسير ذلك ـ فيما نرى ـ يسير، فهذا هو عنوان المجلد قبل أن يعيد الذهبي تنظيم كتابه مرة ثانية، وقد اضطر بسبب هذا التنظيم أن يعيد كتابة بعض المجلدات. واسترجحنا أنه غير عناوين المجلدات الأخرى من غير تغيير أو إعادة كتابة لمحتويات هذه المجلدات بحيث بقيت إشارته في نهاية هذا المجلد أنه المجلد الثالث عشر[1].

والظاهر أن بعض الطرر القديمة بقيت موجودة، وأن الذهبي حاول الاستفادة منها ليضعها كالعناوين الداخلية للحوادث أو الوفيات. فهذا بالتأكيد هو المجلد الخامس عشر من نسخة الذهبي التي بخطه، وقد وصل إلينا كاملاً.

١٦ ـ مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ١٣ / ٢٩١٧ (وفيات ٥٤٦ ـ ٥٦٤هـ):

وهو المجلد الثالث عشر من نسخة أحمد الثالث المذكورة، ويقع في (٢٩٤) ورقة، وطرته والخطوط التي عليها وخطه وناسخه هي نفسها التي في المجلد الثاني عشر وغيره من المجلدات التي سبق التعريف بها، ومن ثم فهو استمرار له حيث يبدأ بأول ترجمة «محمد بن عبد الله بن تومرت» من وفيات سنة

(١) انظر أعلاه كلامنا على تدوين الكتاب.

٥٢٤هـ[١] التي هي جزء من وفيات الطبقة الثالثة والخمسين[٢]، ويستمر بعد ذلك ليشمل وفيات الطبقات: الرابعة والخمسين[٣] والخامسة والخمسين[٤] والسادسة والخمسين[٥] وقسمًا من الطبقة السابعة والخمسين حيث ينتهي المجلد بانتهاء وفيات سنة ٥٦٤هـ.

ولما كان مجلد مكتبة أياصوفيا رقم ٣٠١٠ الذي بخط المؤلف يقف في أثناء وفيات سنة ٥٤٦هـ فقد عولنا على هذا المجلد من حيث انتهى مجلد أياصوفيا المذكور وإلى نهايته.

١٧ ـ مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ١٤ / ٢٩١٧ (وفيات ٥٦٥ ـ ٦٠٠هـ):

وهو المجلد الرابع عشر من هذه النسخة ويقع في (٢٨٢) ورقة، وأوصافه هي أوصاف المجلد السابق، ويبتدئ من حيث ينتهي ذلك المجلد ويتضمن وفيات السنوات ٥٦٥ ـ ٦٠٠هـ[٦].

١٨ ـ مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ١٥ / ٢٩١٧ (حوادث ٥٥١ ـ ٦٠٠هـ):

وهو المجلد الخامس عشر من النسخة المذكورة ويقع في (٣٥٠) ورقة من القطع الكبير. أما خطه فمختلف والظاهر أن ناسخه أكثر من واحد.

---

(١) جاء في فهرس معهد إحياء المخطوطات أن هذا المجلد يبتدئ بسنة ٥١٤هـ، وهو وهم: ٢ / قسم ١ / ٥٣.

(٢) تنتهي هذه الطبقة في الوقة ٥٠.

(٣) الورقة ٥٠ ـ ١٣٥.

(٤) الورقة ١٣٥ ـ ٢١٧.

(٥) الورقة ٢١٨ ـ ٢٧٣.

(٦) تنتهي الطبقة السابعة والخمسون في الورقة ٣٩ حيث تبدأ الطبقة الثامنة والخمسون التي تنتهي بالورقة ٩٠ وفيها أيضًا تبدأ وفيات الطبقة التاسعة والخمسين وتنتهي في أثناء الورقة ١٧٢. أما الطبقة الستون فتشمل الأوراق ١٧٢ ـ ٢٨٢.

تضمن هذا المجلد الحوادث التي ذكرها الذهبي في «تاريخ الإسلام» ابتداءً من سنة ٣٥١هـ وحتى سنة ٦٧٠هـ، إلا أن هناك خرمًا في المجلد يشتمل على حوادث السنوات ٤٢٥ ـ ٤٥٠هـ. والظاهر أن الناسخ جمع هذه الحوادث من مجلدات متعددة من «تاريخ الإسلام» إلا أنه حافظ على بدايات الحوادث في كل مجلد بحيث أعاننا على تفهم تنظيم المؤلف للحوادث والوفيات في نسخته التي بخطه والتي لم تصل إلينا كاملة[١].

ولما كنا اعتمدنا النسخة الحلبية في حوادث السنين ٣٠١ ـ ٥٠٠هـ[٢]، ثم وصلت إلينا حوادث السنين ٥٠١ ـ ٥٥٠هـ بخط المؤلف[٣] وكذلك جميع حوادث القرن السابع[٤]، فقد عولنا على هذا المجلد في الحوادث الواقعة في السنوات ٥٥١ ـ ٦٠٠هـ فقط[٥].

١٩ ـ مجلد مكتبة أياصوفيا رقم ٣٠١١ (حوادث ووفيات ٦٠١ ـ ٦٢٠هـ):

وهو المجلد الثامن عشر من نسخة المؤلف التي بخطه والموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة، وعليه خط الصفدي بسماع الحوادث التي تضمنها هذا المجلد. ويقع في (٢٥١) ورقة. وجاء في طرة المجلد بخط الذهبي: «المجلد الثامن عشر من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تصنيف محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي عفا اللّٰه تعالى عنه»، ثم بخطه أيضًا إجازة لبعض الفضلاء برواية كتابه هذا ومن بينهم حفيده وسبطه. وفي أعلى الطرة من الجهة اليمنى خط السخاوي بالإفادة من هذا المجلد في كتابه «طبقات المالكية» ونصه: «طالعته على طبقاتي للمالكية، كتبه محمد ابن

(١) انظر أدناه كلامنا على الخطة العامة للكتاب في الفصل الأول من الباب الثاني.
(٢) انظر أعلاه المجلد رقم (١٤) من نسختنا هذه.
(٣) أياصوفيا ٣٠١٠ وانظر أعلاه وصفنا لهذا المجلد في الرقم (١٥) من نسختنا هذه.
(٤) انظر أدناه كلامنا على المجلدات (١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢) من نسختنا هذه.
(٥) الورقة ١٦٨ ـ ٢٤٩.

السخاوي غفر اللّه له»[1]. كما نجد في آخر الوفيات خط السخاوي بالانتهاء من ترتيب الكتاب وخط كل من: البدر البشتكي، ويوسف بن يحيى بن محمد الكرماني. بنسخه[2].

يبدأ المجلد بوفيات الطبقة الحادية والستين (٦٠١ ـ ٦١٠هـ) مرتبة كالعادة على السنين[3]، وتنتهي الوفيات بآخر المتوفين من الطبقة الثانية والستين حيث قال: «وقد انقضى ما انتهى إليَّ علمه من وفيات هؤلاء الذين انتقلوا إلى اللّه في هذه العشرين سنة، فلنشرع فيما وقع الاختيار عليه من حوادث هذه العشرين سنة ـ إن شاء اللّه ـ والحمد للّه على كل حال»[4]، ثم ذكر الحوادث الواقعة في تلك السنوات، وبانتهائها ينتهي المجلد.

٢٠ ـ مجلد مكتبة أياصوفيا رقم ٣٠١٢ (وفيات ٦٢١ ـ ٦٤٠هـ، وحوادث ٦٢١ ـ ٦٥٠هـ):

بخط المؤلف. وهو المجلد التاسع عشر من نسخته الموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة، وعليه خط الصفدي بسماع الحوادث، وخط السخاوي بالإفادة منه في كتابه عن تراجم المالكية والفراغ من تجريد تراجمه. ويقع في (٢٧٠) ورقة. وقد جاء في طرته بخط الذهبي: «المجلد التاسع عشر من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تأليف محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز مولى بني تميم».

ابتدأ هذا المجلد بأول وفيات الطبقة الثالثة والستين (٦٢١ ـ ٦٣٠هـ). ثم

---

(١) قال السخاوي في الإعلان عند كلامه على الكتب المؤلفة في تراجم الفقهاء المالكية: «وعملت لهم كتابًا حافلاً في المسودة بعد أن رتبت كتاب ابن فرحون ترتيبًا معتبرًا، وجردت من المدارك ما لم يذكره ابن فرحون كل واحد في مجلد» (ص ٥٦٣).

(٢) الورقة ٢١٧.

(٣) الورقة ٢ ـ ٨٩.

(٤) الورقة ٢١٧.

انتهى منها[1]، وتناول وفيات الطبقة الرابعة والستين (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)[2]، ثم تناول الحوادث الواقعة في السنوات ٦٢١ ـ ٦٥٠هـ متتالية[3].

٢١ ـ مجلد مكتبة أياصوفيا رقم ٣٠١٣ (وفيات ٦٤١ ـ ٦٧٠هـ وحوادث ٦٥١ ـ ٦٧٠هـ):

بخط المؤلف، وهو المجلد العشرون. وقد خط المؤلف عنوانه بخط جميل. ووجدنا على طرة هذا المجلد ما وجدناه على طرة المجلد السابق مثل: خطي الصفدي والسخاوي، وصورة وقفية النسخة على المدرسة المحمودية بالقاهرة.

يقع هذا المجلد في (٣٠٨) أوراق. وقد ابتدأه بوفيات سنة ٦٤١هـ من الطبقة الخامسة والستين واستمر إلى آخر وفيات سنة ٦٧٠هـ من الطبقة السابعة والستين، ثم تناول الحوادث الواقعة في السنوات ٦٥١ ـ ٦٧٠هـ، وقد لحظنا أنه ذكر حوادث السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠هـ في المجلد السابق، وهي من حوادث هذا المجلد.

٢٢ ـ مجلد مكتبة أياصوفيا رقم ٣٠١٤ (حوادث ووفيات ٦٧١ ـ ٧٠٠هـ):

بخط المؤلف. وهو المجلد الحادي والعشرون والأخير من نسخة المؤلف الموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة. وكان هذا المجلد في الأصل المجلد التاسع عشر قبل أن يعيد الذهبي تنظيم كتابه[4]. وقد جاء في طرته «المجلد الحادي عشرين من كتاب تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام تأليف العبد الفقير إلى اللّه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي». وجاء أسفل ذلك بخطه: «ثم إنني زدت جملة كثيرة من أرباب المئة الثانية فآل الحال إلى أن هذا المجلد صار في العدد المجلد الحادي والعشرين». ثم نجد في أعلى الطرة

---

(١) الورقة ١٠٤.

(٢) الورقة ١٠٥ ـ ٢٢٧.

(٣) الورقة ٢٢٧ ـ ٢٧٠.

(٤) انظر التفاصيل في كلامنا على تدوين الكتاب أعلاه.

من الجهـة اليمنى خـط السخاوي بالإفادة منه في كتابـه عن المالكيـة. ونجد أيضًا خط الصفدي بسماع هذا المجلد وجميع ما سمعه من تاريخ الإسلام على مؤلفه، وقد جاء فيه: «قرأت حوادث السنين من هذا المجلد، وهي أول سنة إحدى وسبعين وست مئة إلى آخر سنة سبع مئة، على مؤلفه وكاتبه الشيخ الإمام الحافظ العلامة شمس الدين أبي عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. وكذلك قرأت عليه من أول الترجمة النبوية إلى آخر أيام الحسن بن علي رضي اللّه عنهما، ثم قرأت الحوادث من هذا التاريخ سنة فسنة[1] حتى أكملت الجميع، وسمع ذلك أجمع فتايَ طيدمر بن عبد اللّه الرومي، وفاته من ذلك شيء يسير مذكور في بعض المجلدات من هذا التاريخ. وأجازنا الشيخ رواية هذا الكتاب ورواية ما يجوز له تسميعه في مدة آخرها خامس عشري شعبان سنة خمس وثلاثين وست مئة. وكتب خليل بن أيبك بن عبد اللّه الصفدي حامدًا ومصليًا». ثم وضع الذهبي خطه أسفل ذلك للإعلام بصحة ذلك. وجاء في آخر وفيات الطبقة السبعين: «وهذا آخر الطبقة السبعين وهنا نقف ونحمد اللّه عودًا على بدء ونسأله أن يصلي على محمد وآله ويسلم». ثم نجد في هذه الورقة خطوط جماعة من العلماء منها خط الصفدي بالإفادة من التراجم وهو: «فرغ منه اختيارًا من أوله إلى آخره في مدة كان آخرها رابع عشري شهر المحرم سنة أربعين وسبع مئة خليل بن أيبك بن عبد اللّه الشافعي الصفدي حامدًا اللّه ومصليًا على نبيه محمد ومسلمًا، اللهم أحسن العاقبة». ومنها: خط بدر الدين البشتكي بتعليق نسخة من الكتاب ونصه: «علق منه نسخة في إحدى وعشرين مجلدة الفقير إلى اللّه محمد بن إبراهيم البشتكي لطف اللّه به». وتحت خط البشتكي خط السخاوي بالفراغ من ترتيبه. وفي أسفل الورقة خط يوسف بن يحيى الكرماني بمطالعة الكتاب سنة ٨٦٨هـ. وفي الجهة اليسرى خط العلامة المؤرخ عماد الدين ابن كثير الدمشقي ونصه: «أنهاه مطالعة من أوله إلى هذا المجلد وعلق منه داعيًا

---

(١) وبذلك يشير الصفدي أيضًا إلى قراءته المغازي وهي بين ١ ـ ١١هـ (وانظر الوافي ٢ / ١٦٣.

لمؤلفه شيخنا الإمام العلامة الحافظ مؤرخ الإسلام أبي عبد اللّه محمد بن أحمد ابن عثمان ابن الذهبي أثابه اللّه وجزاه خيرًا. وكتب إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي عفا اللّه الكريم عنه بمنه آمين».

ونص الذهبي في آخر هذا المجلد على انتهاء الكتاب وتاريخه، فقال: «هذا آخر ما قضى اللّه لي تأليفه من كتاب تاريخ الإسلام، والحمد للّه على الإتمام، والصلاة على نبينا محمد وآله والسلام. فرغت منه في جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وسبع مئة. قاله محمد بن أحمد بن عثمان».

ويقع هذا المجلد في (٣٤٥) ورقة. وقد تناول فيه الحوادث والوفيات للمدة من سنة ٦٧١هـ إلى سنة ٧٠٠هـ، وهي الطبقات من الثامنة والستين إلى السبعين وكان يذكر وفيات الطبقة حسب السنين ثم يذكر حوادثها بعد ذلك.

ومما تجدر الإشارة إليه أن تلفيقنا لهذه النسخة لا يعني مطلقًا عدم إفادتنا من النسخ الأخرى؛ فقد أعانتنا النسخ الأخرى على ترسم خطوات المؤلف في تأليف كتابه حينما قارنا بينها، ثم كنا نرجع إلى النسخ الأخرى حينما يشكل علينا شيء من نسختنا الملفقة: في قراءة، أو سقط، أو نحوهما.

ثالثًا: تحليل موارد البحث:

لما كان بحثنا يتكون من بابين أولهما عن الذهبي وثانيهما عن منهجه في كتابه «تاريخ الإسلام»، ونظرًا لاختلاف موارد البابين، فقد وجدنا من الأفضل أن نبحث موارد كل باب على حدة، وإن كنا لم نعدم الإفادة من موارد الباب الأول في دراسة الباب الثاني.

١ ـ موارد الباب الأول:

تناول الذهبيَّ جملةٌ كبيرة من المؤرخين فترجموا له تراجم تختلف طولاً وقصرًا، وتتباين في نوعية المعلومات التي تقدمها استنادًا إلى اختلاف مشاربهم وتنوع ثقافاتهم واهتماماتهم وأمزجتهم. ونجد بينهم رفاقًا له في طلب العلم وتلامذة، وتلامذة لتلامذته وهلم جرًّا إلى أزمنة متأخرة.

وقد ترجم له من معاصريه: رفيقه علم الدين البرزالي[1] «ت ٧٣٩هـ»، وابن الوردي[2] «ت ٧٤٩هـ»، والصفدي[3] «ت ٧٦٤هـ»، وابن شاكر الكتبي[4] «ت ٧٦٤هـ»، وشمس الدين الحسيني[5] «ت ٧٦٥هـ»، والإسنوي[6] «ت ٧٧٤هـ»، والسبكي[7] «ت ٧٧١هـ»، وبدر الدين[8] النابلسي «ت ٧٧٢هـ» وابن كثير[9] «ت ٧٧٤هـ»، وابن رافع السلامي[10] «ت ٧٧٤هـ»، وبدر الدين الزركشي[11] «ت ٧٩٤هـ».

وليس في هذه التراجم من اختلاف كبير، إلا أن ترجمتي: الصفدي والسبكي كانتا من أكثر التراجم فائدة لنا؛ فقد قدم لنا الصفدي رأيه الشخصي في تقويم الذهبي وتخلصه من الجمود، ونقل تقويمًا لكمال الدين ابن الزملكاني

---

(١) في معجم شيوخه. وهذا المعجم في عداد المفقودات في عالم المخطوطات العربية، لكن ترجمة الذهبي فيه منقولة في كتاب «رونق الألفاظ» لسبط ابن حجر، و«المنهل الصافي» لابن تغري بردي وغيرهما.

(٢) تتمة المختصر، ٢ / ٣٤٩.

(٣) الوافي، ٢ / ١٦٣ ـ ١٦٨، ونكت الهميان، ص ٢٤١ ـ ٢٤٤.

(٤) فوات الوفيات ٢ / ١٨٣، وعيون التواريخ، الورقة ٨٦ ـ ٨٨ كيمبرج ٢٩٢٣.

(٥) ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٣٤ ـ ٣٨، والذيل على العبر، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩.

(٦) طبقات الشافعية، ١ / ٥٥٨ ـ ٥٥٩ (ط. الجبوري).

(٧) طبقات الشافعية الكبرى، ٩ / ١٠٠ ـ ١١٦ (من الطبعة الجديدة بعناية صديقينا العالمين الطناحي والحلو رحمهما اللّه تعالى)، وطبقات الشافعية الوسطى (دار الكتب ٥٥٤ تاريخ) وفيها زيادات عما في الطبقات الكبرى، ومعيد النعم، ص ٨٤، ٨٧، ومعجم الشيوخ (التيمورية ١٤٤٦ تاريخ).

(٨) معجم الشيوخ، ولم أقف عليه، وقد وقف عليه ابن حجر بخطه. الدرر ٢ / ١٢٢ ونقل ترجمة الذهبي منه. الدرر ٣ / ٤٢٧، وكان الذهبي قد ذكره في معجمه المختص في حرف النون.

(٩) البداية والنهاية، ١٤ / ٢٢٥، وطبقات الشافعية (نسخة الرباط ٢١٩ك).

(١٠) كتاب الوفيات (وفيات ٧٤٨ دار الكتب ١٢٦م تاريخ)، ومعجم شيوخه الذي لم يصل إلينا، إلا أن سبط ابن حجر نقل ترجمة الذهبي منه في كتابه «رونق الألفاظ».

(١١) عقود الجمان، الورقة ٧٩ (نسخة مكتبة فاتح بإستانبول رقم ٢٤٣٥).

«ت ٧٢٧هـ» لكتابه «تاريخ الإسلام» بعد أن أنهاه مطالعة. كما أشار في مقدمة كتابه «الوافي» إلى أن عمدته في تأليف كتابه كان على كتاب «تاريخ الإسلام» للذهبي[١]. أما السبكي فإنه الوحيد الذي انتقد الذهبي في كتابه «تاريخ الإسلام» انتقادًا مرًا، كما نقل نقدًا لتلميذه صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي «ت ٧٦١هـ». وأشار إلى العلاقة التي تربط بين كل من المزي والبرزالي وابن تيمية والذهبي وميلهم إلى عقائد السلف التي اشتهر بها الحنابلة. وقدم السبكي في كل الذي كتبه تقويمًا أشعريًا للذهبي.

أما الذين ترجموا له بعد عصره فهم: ابن دقماق[٢] «ت ٨٠٩هـ»، وابن الجزري[٣] «ت ٨٣٣هـ»، وابن ناصر الدين الدمشقي[٤] «ت ٨٤٢هـ»، وابن قاضي شهبة[٥] «ت ٨٥١هـ»، وابن حجر العسقلاني[٦] «ت ٨٥٢هـ»، وبدر الدين العيني[٧] «ت ٨٥٥هـ»، وابن تغري بردي[٨] «ت ٨٧٤هـ»، وسبط ابن حجر[٩] «ت ٨٩٩هـ»، والسخاوي[١٠] «ت ٩٠٢هـ»، ويوسف ابن عبد الهادي[١١] «ت

---

(١) الوافي ١ / ٥٠ ـ ٥١.

(٢) ترجمان الزمان، الورقة ٩٨ ـ ٩٩ (أحمد الثالث ٢٩٢٧).

(٣) غاية النهاية، ٢ / ٧١.

(٤) التبيان، الورقة ١٦٦ (مصورة الحاج صبحي)، ومقدمة توضيح المشتبه (نسخة سوهاج ومنها مصورة بدار الكتب رقم ٢٣٢٩١)، والرد الوافر، ص ٣١ ـ ٣٦.

(٥) طبقات الشافعية، الورقة ٨٥ (دار الكتب ١٥٦٨ تاريخ = الورقة ١٠٤ ـ ١٠٥ أحمد الثالث ٢٨٣٦)، والإعلام بتاريخ أهل الإسلام، م١ الورقة ٩٠ (باريس ١٣٩٨ عربي).

(٦) الدرر ٣ / ٤٢٦ ـ ٤٢٧.

(٧) عقد الجمان، الورقة ٣٧ (أحمد الثالث ٢٩١١).

(٨) المنهل الصافي، الورقة ٦٩ ـ ٧٢ (أحمد الثالث ٣٠١٨)، والنجوم الزاهرة ١٠ / ١٨٢ ـ ١٨٣، والدليل الشافي، الورقة ٩٦ (نسخة مكتبة قره جلبي بإستانبول رقم ٢٦٦).

(٩) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠ ـ ١٨٣ (مصورة معهد المخطوطات رقم ١٠٨٧ تاريخ).

(١٠) وجيز الكلام، الورقة ٧ (نسخة كوبرلي ١١٨٩)، والإعلان (في غير موضع منه فراجع فهرسته).

(١١) معجم الشافعية، الورقة ٢٥ ـ ٢٦ (ظاهرية ٤٥٥١ عام).

٩٠٩هـ»، والسيوطي[١] «ت ٩١١هـ»، والنعيمي[٢] «ت ٩٢٧هـ»، وابن الحريري[٣] «ت بعد ٩٢٦هـ»، وابن طولون[٤] «ت ٩٥٣هـ»، وطاش كبري زادة[٥] «ت ٩٦٧هـ»، وابن هداية الله المصنف[٦] «ت ١٠١٤هـ»، وابن العماد الحنبلي[٧] «ت ١٠٨٩هـ»، والبغدادي[٨] «ت ١٠٩٣هـ»، والشوكاني[٩] «ت ١٢٥٠هـ»، والقنوجي[١٠] «ت ١٣٠٧هـ»، والكتاني[١١].

وتقدم تراجم المتأخرين نقولاً جيدة عن بعض معاصريه مما لم يصل إلينا. ونحن نعلم أن الذهبي خلف عددًا كبيرًا من التلاميذ النجب من متعيني رواة القرن الثامن الهجري، وكان لكثير من هؤلاء مشيخات أو معجمات لشيوخهم[١٢] فكانت هذه المادة هي المَعِين لما كتبه المتأخرون عن الذهبي. زيادة على أن هذه

---

(١) طبقات الحفاظ، الورقة ٨٤ ـ ٨٥ (نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ٨٢٢ ب).

(٢) تنبيه الدارس، ١ / ٧٨ وراجع فهرس الجزء الثاني أيضًا.

(٣) منتخب الزمان، الورقة ٢٠٧ ـ ٢٠٨ (مصورة التيمورية ٢٤٠٥).

(٤) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ص ٣٢٨ (دمشق ١٩٤٩).

(٥) مفتاح السعادة، ١ / ٢٦١، ٢ / ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

(٦) طبقات الشافعية، ص ٢٣٢ (بيروت ١٩٧١).

(٧) شذرات الذهب، ٦ / ١٥٣.

(٨) تراجم العلماء، الورقة ٦٩ ـ ٧٠ (رئيس الكتاب بإستانبول، رقم ٦٢٧).

(٩) البدر الطالع، ٢ / ١١٠ ـ ١١٢.

(١٠) التاج المكلل، ص ٤١١ ـ ٤١٢.

(١١) فهرس الفهارس، ١ / ٣١٢ ـ ٣١٤ (فاس ١٣٤٦هـ).

(١٢) كان القرن الثامن مشحونًا بكثرة المشيخات، يعرف ذلك من يقرأ كتاب الدرر لابن حجر وغيره من الكتب المؤلفة في رجال هذه المدة. وانظر أيضًا: السخاوي: الإعلان ص ٦٠٥ فما بعد، والذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ١١، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٣٥، ٣٧، ٤١، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٤، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٨٠، ٨٤، ٨٨، م٢ ورقة ١، ٣، ١٠، ١١، ١٥، ١٧، ٢٠، ٢٥، ٤٥، ٤٨، ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٧٠، ٧١، ٧٧، ٨٣، ٨٦، ٨٩، ١٠٠.

التراجم تمثل رأي أجيال العلماء في الذهبي وتقدير علمه وكتبه.

على أن هذه التراجم كانت متفاوتة في قيمتها، فقد نقلها قسم منهم عن المتقدمين المعروفين لنا فلم نفد منها كثيرًا. أما القسم الآخر فكان مفيدًا؛ فقد كان ابن الجزري هو الوحيد الذي ترجم للذهبي بعدِّه أستاذًا في القراءات، وأشار إلى أنه سلخ كتابه «طبقات القراء» وأدخله في كتابه «غاية النهاية». أما ابن ناصر الدين وابن قاضي شهبة وابن حجر فهم من الذين اتصلوا بكتب الذهبي؛ فقد شرح ابن ناصر الدين كتاب «المشتبه» للذهبي، ونظم كتابه «تذكرة الحفاظ». ولخص ابن قاضي شهبة «تاريخ الإسلام». وكان لابن حجر اتصال قوي بكثير من مؤلفات الذهبي، وهو من أعظم النقاد في القرن التاسع الهجري، ولذلك فإن رأيه في الذهبي له قيمته العلمية. أما ابن تغري بردي وسبط ابن حجر فهما أكثر من عني بذكر مؤلفات الذهبي وآثاره؛ ففي الوقت الذي ذكر فيه السبكي (٢٤) مؤلفًا، والصفدي (٣٨) مؤلفًا، وهما من أكثر الناس اتصالاً به، ذكر لنا ابن تغري بردي وسبط ابن حجر قرابة المئة أثر بين مختصر وتأليف وتخريج.

أما كتاب «الإعلان» للسخاوي فقد كان من أحسن المصادر المتأخرة، وقد انفرد بعدة أمور لم نجدها في غيره من الكتب، فهو الوحيد الذي نقل إلينا خطة الذهبي لتاريخه «المحيط» الذي لم يؤلفه، وقد أفادتنا هذه الخطة كثيرًا في تفهم مفهوم التاريخ عند الذهبي ومدى التصاقه بالتراجم، بل إن السخاوي بنى أصل كتابه على خطة الذهبي هذه بعد أن زاد عليها. وقد أشار السخاوي إلى نقد السبكي وابن المرابط للذهبي ونقل أقوالهما ورد عليها وفندها ونقل آراء العلماء فيها، كما شاهد خط ابن بصخان المقرئ على الصفحة التي ترجم له الذهبي فيها وكيف أقذع في الكلام على الذهبي بسبب كلام الذهبي فيه. وقد انفرد السخاوي بذكر بعض آثار الذهبي، بل نقل كتيبًا صغيرًا له في كتابه هو «الأمصار ذوات الآثار»، وهو الوحيد الذي أشار إلى رسالة الذهبي إلى ابن تيمية مما وثق نسبتها إليه لا سيما وقد شك فيها غير واحد، ثم قدم لنا السخاوي تقويمًا لكتب الذهبي في نهاية القرن الثامن الهجري. والسخاوي بعد ذلك من كبار علماء التاريخ امتاز بمنهج على درجة كبيرة من الرقي فأقواله لها قيمتها.

وكتب عن الذهبي من المحدَثين العرب: حسام الدين القدسي[1]، والأستاذ سعيد الأفغاني[2]، ومصطفى جواد[3]، ومحمد بن شنب[4]، والدكتور صلاح الدين المنجد[5] وغيرهم[6]. وكتب عنه من المستشرقين: شبيز[7]، وبروكلمان[8] وسوموجي[9].

وليس في هذه الكتابات الحديثة أكثر من تلخيص لما هو شائع في المصادر، إلا أن ما كتبه الدكتور المنجد يعد جيدًا، بسبب اعتماده على معجم شيوخ الذهبي وإن كان فيما كتبه بعض الأوهام، وقد أفدنا منها. وكتبت أنا سيرة موجزة لحياته في مقدمة كتابه «أهل المئة فصاعدًا»[10]، وفيها بعض الأوهام أيضًا.

وقد عنينا العناية التامة بمؤلفات الذهبي، لإيماننا بأن من أكثر الينابيع صفاءً وأعلاها ثقة في تدوين سير العلماء هو دراسة ما خلفه صاحب السيرة من تراث كتابي، لا سيما إذا كان العالم ظاهر الشخصية في كتبه من جهة، وإذا كان قد تناول عصره الذي عاش فيه وشاهده من جهة أخرى. ومن هنا كان استيعابنا لمؤلفات الذهبي على غاية من الأهمية في استنباط أحداث سيرته العلمية؛ وآيةُ ذلك أن الذهبي ترك لنا ثروة ضخمة من الكتابات. وقد ظهرت شخصيته على

---

(١) مقدمة الجزء الأول من تاريخ الإسلام ١ / ٣ ـ ١٢.

(٢) مقدمة سيرة ابن حزم (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، م١٦ / ٩ / ٣٨٧ ـ ٣٩٨).

(٣) مقدمة المختصر المحتاج إليه، ١ / ٤ ـ ١٦.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة «الذهبي» من الترجمة العربية.

(٥) مقدمة سير أعلام النبلاء ١ / ١١ ـ ٣٥.

(٦) كتب معظم محققي وناشري كتب الذهبي ترجمة لحياته في مقدمات هذه الكتب وليس فيها جديد.

(٧) Spies, O.: Beitrage zur arabaischen, Lteraturgeschichte 112 (Leipziq 1932).

(٨) Brockelmann, C.: Geschichte der Arabischen, Leteratur, Band 2 P. 57 - 60.

(٩) Somogyi: Dhahbi, in, Ency. of Islam (New ed).

(١٠) مجلة المورد، العدد الرابع من المجلد الثاني، ص ١٠٧ ـ ١١٣.

أشدها في الأقسام الأخيرة من كتبه، وبخاصة تاريخ الإسلام، وتذكرة الحفاظ، وسير أعلام النبلاء، ومعرفة القراء الكبار، وغيرها. يزاد على أن ما وصل إلينا من كتابات للذهبي في الحديث والتاريخ والعقائد، يوضح جوانب غير معروفة من سيرته، فكان أن جمعنا ما تناثر منها في أثناء كتبه من نصوص أفادتنا في دراسة سيرته، مدققين تلكم النصوص ومقارنين إياها بما حفظته لنا كتب التراجم على مر العصور.

فضلاً عن أن الإمام الذهبي ترك لنا ثلاثة معجمات لشيوخه: المعجم الكبير، والمعجم الأوسط، والمعجم الصغير، وقد وصل إلينا معجمه الكبير[١] ومعجمه الصغير[٢]، ومعجمه المختصّ[٣].

ومعلوم أن أي معجم للشيوخ يمثل في حقيقته سجلاً أمينًا لتطور سيرة صاحبه العلمية، وقائمة بشيوخه الذين كان على اتصال وثيق بهم بحكم رؤيته لهم واتصاله بهم وتتلمذه عليهم، ومن ثم فإن دراسته تؤدي بالباحث إلى تلمس الطريق الذي اتخذته دراساته ولقاؤه المشايخ وما أخذ عنهم، وأسماء الكتب والأجزاء التي سمعها منهم مما يشير إلى نوعية اهتمامه واتجاهاته العلمية، ولذلك فإنها تعد من أنفس المصادر والمنابع التي يستقي منها الباحثون الكاتبون في سير العلماء، فضلاً عن أنها تكوّن المادة الرئيسة لمؤلفي كتب التراجم والرجال خاصة أولئك الذين لم يدركوا عصر المؤلف، وإن لم يشيروا إلى ذلك دائمًا[٤].

---

(١) منه نسخة بدار الكتب المصرية، برقم (٦٥ حديث) وصورت لنفسي نسخة منه.

(٢) منه نسخة بدار الكتب الظاهرية برقم (١٢ مجموع)، وعند الحاج صبحي السامرائي نسخة مصورة منه أعارنيها ـ حفظه الله ـ ويسمى «المعجم اللطيف» أيضًا وهو من تخريج الذهبي نفسه.

(٣) نشره صديقنا الحبيب الهيلة التونسي، الطائف ١٩٨٨م.

(٤) انظر بحثنا: «معاجيم الشيوخ والمشيخات وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي» مجلة الأقلام البغدادية ج٧ السنة الخامسة (١٩٦٩م) ص ٦١ فما بعد، ودراستنا عن ابن الدبيثي في المجلة التاريخية (العدد الثالث ص ١١ ـ ١٢)، ومقدمتنا لـ «مشيخة النعال البغدادي» ص ٥=

وقد عنيت عناية كبيرة بمعجمه الكبير ودرسته بإمعان وروية، وتحصلت لدي منه نسختان: نُقلت الأولى من نسخة بخط المؤلف[1]. أما النسخة الثانية فقد قرئت على المؤلف سنة ٧٤٥هـ، وهي تمثل آخر نشرة له، فقد جاء في آخر المجلد الثاني من هذه النسخة سماع صاحبها عبد الله[2] بن أحمد بن يوسف الزرندي على مؤلفه ومخرجه «الحجة شيخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ابن الذهبي ـ أبقاه الله ـ في مجالس آخرها يوم السبت رابع عشري شهر رمضان المعظم من سنة خمس وأربعين وسبع مئة، وقوبل بأصل المخرِّج وأشار بإسقاط جماعة من المكتوبين على حواشي الأصل من أصحاب ابن البخاري[3] فلم يكتبوا هنا وما عليه مكتوب في الحواشي بخطي وأصله بيد عمي». وقد أشار عبد الله الزرندي، سامع النسخة، في حواشيها، وبخطه، إلى مقابلته بالأصل وقراءته على المؤلف في غير موضع منها[4].

ومع أن الذهبي كان قد كتب معجمه وخرجه منذ مدة مبكرة، لكنه بقي يزيد

= فما بعد (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٧٥م بالاشتراك مع عمّي العلاّمة الدكتور ناجي معروف يرحمه الله). وقد ذكر السخاوي في الجواهر والدرر أن الذهبي ألف سيرة لنفسه (ص ٧٤٦) ولكنها لم تصل إلينا.

(١) نسخة أحمد الثالث (رقم ٤٦٢) وهي في (٢٢٧) ورقة، وجاء في آخرها أن عدد التراجم في سنة ٧٣٨هـ (١٢٧٨) ترجمة، وذكر أن المؤلف أنهى كتابه المعجم في أول صفر سنة ٧٢٧هـ، وهي في مجلدين، يبدأ الأول بحرف الألف وينتهي في أثناء حرف العين، ويبدأ المجلد الثاني بمن اسمه «علي» من حرف العين، وينتهي بنهاية الكتاب.

(٢) جلال الدين عبد الله بن أحمد بن يوسف الزرندي المدني، ولد سنة ٧٢٠هـ ومات شابًا في شعبان سنة ٧٤٩هـ (ابن حجر: الدرر ٢ / ٣٥٢).

(٣) هو الإمام فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي المعروف بابن البخاري «٥٩٥ ـ ٦٩٠هـ» صاحب المشيخة المشهورة التي سمعها الخلق العظيم، وفي خزانة كتبي نسخة مصورة منها عن نسخة المكتبة الأحمدية بحلب ذات الرقم ٢٦١.

(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ ورقة ٤٤، ٦٩، ٧٦، ٨٤، ٨٦، م٢ ورقة ١٠، ٢٤، ٤١، ٨٠.

ويحذف ويصحح ويعلق ويدقق حتى سنة ٧٤٥هـ[١]. وقد ظلت بعض الزيادات والإشارات التي تدل على نشر الكتاب أكثر من مرة واضحة في أصل النسخة التي قوبلت على المؤلف، مثال ذلك قوله: «والله يمد في عمره. توفي ليلة الجمعة سابع جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبع مئة»[٢]. وقوله في ترجمة شيخه ورفيقه علم الدين البرزالي: «فالله يلهمه رشده ويمد في عمره» ثم يقول في آخر الترجمة: «توفي بخليص في ثالث ذي الحجة سنة تسع وثلاثين»[٣]، وقال في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن تمام التلي الصالحي الخياط: «فالله يبارك في عمره... توفي في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبع مئة»[٤]. ومع أن الكتب التي ترجمت له ذكرت أن هذا المعجم حوى نحوًا من ألف وثلاث مئة ترجمة[٥]، إلا أنني أحصيت ما في هذه النسخة الأخيرة فكان فيها قرابة ألف وخمس وثلاثين ترجمة[٦]، وقد انخفض العدد بسبب إشارة المؤلف إلى إسقاط جماعة من المكتوبين على حواشي الأصل من أصحاب ابن البخاري[٧].

اشتمل معجم الذهبي الكبير على شيوخه بالسماع والإجازة مخلوطين إلا

---

(١) جاء في آخر النسخة من معجم الشيوخ: «تم الكتاب بحمد الله وعونه في ضاحي نهار الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وسبع مئة على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى مغفرته حسين بن محمد سبط الشيخ محمد بن سعد الكاتب رحمه الله». (م٢ ورقة ١٠٠).

(٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ ورقة ٢٨.

(٣) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ ورقة ٢٥.

(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ ورقة ٣١.

(٥) انظر مثلاً: الصفدي: الوافي، ٢ / ١٦٤، ابن ناصر الدين: بديعة الزمان، ورقة ١٦٦، العيني: عقد الجمان، ورقة ٣٧.

(٦) بينهم ١٠٥ من النساء. وقد احتوى المجلد الأول على ٤٩٧ شيخًا بينهم ٧٠ امرأة واحتوى المجلد الثاني على ٥٣٨ شيخًا بينهم ٢٥ امرأة (في طبعة صديقنا الهيلة ١٠٤٠ ترجمة). علمًا أن نسخة إستانبول (المنقولة عن نسخة المؤلف الموجودة سنة ٧٢٧هـ) قد حوت ١٢٧٨ ترجمة كما أشرنا سابقًا، ويبدو أن مؤلفي سيرته قصدوا هذا الرقم فهو قريب إلى ما ذكروا.

(٧) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ ورقة ١٠١.

أنه لم يستوعبهم، وخاصة شيوخه بالإجازة، إذ ربما أجاز له الرجل ولم يشعر به بخلاف من سمع منه فإنه يعرفه معرفة جيدة بسبب اللقيا. واعتذر الذهبي عن الجمع بين الشيوخ بالسماع والإجازة بأنه وجد الحافظ الكبير أبا القاسم ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ قد خلطهم أيضًا[١]. وكتب الذهبي معجمه هذا على حروف المعجم في الأسماء والآباء والأجداد، وابتدأ بالأحمدين في حرف الألف تكريمًا لاسم النبي ﷺ[٢]، وعمل إحالات للأسماء والنسب المشهورة[٣]، وتناول فيه اسم المترجم وشيئًا من سيرته الحياتية والعلمية، وأورد بعد ذلك حديثًا أو رواية عنه بسنده، وتكلم على الأحاديث وخرجها، كما أورد بعض الكتب والأجزاء التي سمعها منه.

أما الفصل الخاص بمؤلفات الذهبي من هذا الباب فقد رجعنا فيه إلى الكتب التي ترجمت له، وإلى الكتب التي عنيت بذكر المؤلفات العربية قديمًا[٤]، وحديثًا[٥]، فضلاً عن قيامنا بتصيد الإشارات العديدة في كتبه الموجودة عن مؤلفاته وتخاريجه ومختصراته وتعاليقه.

على أن الأساس في مثل هذا البحث يعتمد كثيرًا على خبرة الباحث ومعرفته بالمؤلفات العربية مطبوعها ومخطوطها. إذ إن ما ذكرته أولاً لا يمكن أن يسد النقص في مثل هذا البحث ما لم تعضده خبرة الباحث. وقد حاولت جاهدًا

---

(١) انظر مقدمة المعجم (م١ ورقة ١) وراجع عن تنظيم معجمات الشيوخ وترتيبها مقدمة كتاب مشيخة النعال البغدادي ص ١٦ فما بعد.

(٢) م١ ورقة ٢ لكنه لم يبدأ بالمحمدين في حرف الميم (م٢ ورقة ٢٨).

(٣) انظر مثلاً م١ ورقة ٣٩.

(٤) منها مثلاً كتاب الإعلان بالتوبيخ لشمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ، وكشف الظنون لحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧هـ. ومنها أيضًا: إيضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي المتوفى سنة ١٣٣٩هـ.

(٥) منها: تاريخ التراث العربي لبروكلمان (بالألمانية)، ومعجم المطبوعات ليعقوب سركيس، وفهارس الكتب المتعددة لخزائن الكتب ودورها في أنحاء العالم.

أن أطلع على مؤلفات الذهبي وأقتني نسخًا منها سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة، مستعينًا بالخبرة القليلة التي تحصلت لي في هذا الفن من فنون التاريخ بحمد اللّه ومنه، أما ما لم أستطع الوقوف عليه، لأسباب خارجة عن طاقتي، فقد أشرت إلى مظانه ونبهت على عدم اطلاعي عليه.

ولما كنت قد عنيت بذكر أهمية بعض كتب الذهبي الرئيسة فقد صار لزامًا علي أن أتتبع أثر هذه المؤلفات في المؤلفات الأخرى التي تناولت موضوعها بعدها، ثم رجعت إلى عدد كبير منها دارسًا ومتتبعًا أثر الذهبي فيها، لا سيما من نقل عن كتاب «تاريخ الإسلام».

٢ ـ موارد الباب الثاني:

لما كان هذا الباب مخصصًا لدراسة منهج الذهبي في كتابه «تاريخ الإسلام» فقد كان هذا التاريخ هو عمدتنا في هذه الدراسة. وبالنظر لكون الكتاب ما زال مخطوطًا لم يطبع منه إلا جزء يسير جدًا، فقد اعتمدت في هذه الدراسة على النسخة المصورة المحفوظة في خزانة كتبي والتي وصفتها قبل قليل.

ولما كنا قد عنينا في هذا القسم من الدراسة بمقارنة منهج الذهبي بالكتب التي من بابته ممن سبقوه أو جاءوا بعده، فقد وجب علينا الرجوع إليها، فحاولنا أن نتعرّف مناهج كتب الحوليات التي عنيت بالحوادث بصفة خاصة مثل كتاب «التاريخ» لخليفة بن خياط «ت ٢٤٠هـ» و«تاريخ الطبري» «ت ٣١٠هـ»، أو تلك التي عنيت بذكر الحوادث والتراجم وأعطت أهمية للتراجم مثل: كتاب «المنتظم» لابن الجوزي «ت ٥٩٧هـ» وكتاب «مرآة الزمان» لسبطه «ت ٦٥٤هـ» والذيل عليه لليونيني «ت ٧٢٦هـ» و«عقد الجمان» للعيني «ت ٨٥٥هـ» ونحوها. كما عنينا بالاطلاع على الكتب التراجمية حينما بحثنا عن منهجه في التراجم مثل: «تاريخ مدينة السلام» للخطيب «ت ٤٦٣هـ» و«تاريخ ابن الدبيثي» «ت ٦٣٧هـ» و«التكملة» للمنذري «ت ٦٥٦هـ» و«صلة التكملة» للحسيني «ت ٦٩٥هـ» ونحوها.

إن اهتمام هذه الدراسة بمنهج الذهبي في الموارد وطرائق النقل منها قد

اضطرنا إلى الرجوع إلى عشرات المؤلفات التي نقل منها سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة، بغية الوقوف على مدى إفادة الذهبي منها، وما هو منهجه في النقل عنها، ابتداء بالمغازي وانتهاء بالكتب المتأخرة.

وعلى الرغم من عدم توافر دراسة مسهبة سابقة في «المنهج» عن أحد الكتب التاريخية كالتي قمت بها، فإنه لا بد لي من الإشارة إلى إفادتي الكبيرة مما تحقق من الدراسات عن بعض المصادر الإسلامية التي قام بها جماعة من الأساتذة أخص منهم بالذكر الدكاترة: صالح أحمد العلي(١) وعبد العزيز الدوري(٢)، وفرانتس روزنتال(٣). وبالدراسات التي قام بها زميلي وصديقي الدكتور أكرم العمري(٤). كما أعانتني دراساتي السابقة العديدة في مثل هذه الموضوعات(٥) على تفهم كثير من المشاكل التي واجهتني في هذا البحث.

---

(١) من ذلك بحوثه عن: المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز (مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد الحادي عشر) ومصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية (المجلة السابقة، العدد الرابع عشر) ومصادر دراسة الكوفة في القرون الإسلامية الأولى (المجلة السابقة، العدد الرابع والعشرون)، وغيرها.

(٢) من أبرزها كتابه القيم بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت ١٩٦٠م).

(٣) من أبرزها كتابه القيم عن علم التاريخ عند المسلمين الذي ترجمه الدكتور صالح العلي (بغداد ١٩٦٣م) وكتابه عن مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي الذي ترجمه الدكتور أنيس فريحة (بيروت ١٩٦١م).

(٤) منها: كتابه «بحوث في تاريخ السنة المشرفة» (ط٢ بغداد ١٩٧٢م) وبحثه: نفطويه النحوي ودوره في الكتابة والتاريخ (مجلة كلية الآداب، سنة ١٩٧٢م)، ونظرة في مصادر ودراسة السيرة النبوية (مجلة كلية الدراسات الإسلامية، ١٩٧٠م) ودراسته النفيسة عن موارد الخطيب في تاريخ بغداد (رسالة دكتوراه من القاهرة ١٩٧٤م وطبعت أخيرًا في دمشق) وغيرها.

(٥) منها: مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين (مجلة الأقلام، العدد الخامس من السنة الأولى، بغداد ١٩٦٥م) وأثر الحديث في نشأة علم التاريخ عند المسلمين (بغداد ١٩٦٦م) وكتب الوفيات وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي (مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد الثاني ١٩٦٨م) ومعاجيم الشيوخ والمشيخات وأهميتها في دراسة التاريخ=

وبعد:

فإن البحث لم يكن سهلاً ميسورًا؛ فالذهبي الذي خصصنا له هذه الدراسة كان واحدًا من أغزر العلماء إنتاجًا، وقد وصل إلينا من إنتاجه الشيء الكثير لم يزل جله مخطوطًا، فكان علينا أن نقف عليه وندرسه بروية وإنعام ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. وهو بعد ذلك عالم احتل مكانة مرموقة بين علماء عصره والذين جاءوا بعده، وانتشرت كتبه في الآفاق وتناولها العلماء درسًا وتمحيصًا لها، وتعقيبًا وتذييلاً عليها، ثم مدحًا له أو قدحًا به، فكان لا بد من تتبع كل ذلك بغية تقويمه بما يستأهله من المكانة بين أهل فنه. أما كتابه «تاريخ الإسلام» فإن أكثره لم يزل مخطوطًا مبعثرًا في خزائن الكتب بالخافقين شرقًا وغربًا ولم يكن الحصول على نسخة كاملة منه تعتمد في مثل هذه الدراسة الأكاديمية من الأمور الهينة أبدًا. وهو فوق كل ذلك كتاب عظيم الضخامة؛ إذ لو طبع على الطريقة الحديثة لجاء في نحو سبعين مجلدًا، تناول فيه نطاقًا زمانيًا امتد سبعة قرون من تاريخ الإسلام الحافل، ونطاقًا مكانيًا شمل جميع العالم الإسلامي اعتمد فيه مؤلفه أنواعًا متعددة من الموارد، ومئات عديدة من المؤلفات السابقة. وعليه، فإن قراءة الكتاب قراءة الدارسين بحاجة إلى وقت طويل وعزيمة أكيدة لا يقويها إلا حب البحث والمطالعة.

ويعلم المعنيون بشؤون المخطوطات مدى الصعوبات التي تجابه الباحثين في الحصول على نسخ مصورة منها لا سيما إذا كانت من ذوات المجلدات العديدة. ويعرف الذين عانوا قراءة المخطوطات المصورة ماذا يعني إدمان النظر فيها على مدى أشهر طويلة وأثر ذلك في نظر العين، ناهيك عن الخطوط الرديئة

= الإسلامي (مجلة الأقلام، العدد السابع من السنة الخامسة بغداد ١٩٦٩م) وأصالة الفكر التاريخي عند العرب (بغداد ١٩٧٤م) وابن الدبيثي (المجلة التاريخية، العدد الثاني، بغداد ١٩٧٤م)، وتواريخ بغداد التراجمية (بغداد ١٩٧٤م) وتاريخ بغداد لابن الدبيثي: منهجه، موارده، أهميته (بغداد ١٩٧٤م) وكتاب المنذري وكتابه التكملة لوفيات النقلة (النجف ١٩٦٨م)، وغيرها.

التي كتبت بها معظم مخطوطاتنا.

ومع أن العراق يبذل جهودًا جدية في محاولة جمع التراث العربي وإحيائه، فإن ضخامة هذا التراث تتطلب جهودًا أكبر، ولولا خزانة شيخنا الحاج صبحي السامرائي وخزانة كتبي الخاصة، وهما خزانتان عامرتان بمئات من نفائس المخطوطات التاريخية والتراجمية المصورة، لما ظهر هذا البحث بمثل هذه الهيئة التي هو عليها.

والحق: أن هذا البحث لم يكن وليد السنيات القليلة التي قضيتها طالبًا في قسم الدكتوراه بكلية الآداب، بل هو نتيجة ولعٍ شديد بهذا الفن لازمني منذ اثني عشر عامًا عندما كنت طالبًا في قسم الماجستير بدائرة التاريخ والآثار بجامعة بغداد، ثم معيدًا بها ومدرسًا وأستاذًا مساعدًا. وقد كنت طيلة تلك المدة على صلة بتاريخ الإسلام للذهبي أفيد منه في بحوثي ولا سيما في الكتب التي حققتها[1] في هذه المدة، فقد كنت أجد في مادته الضخمة ودقته وسعته خير مُعِين ومَعين في المقارنة والمطابقة.

وأرى من الواجب عليّ أن أنوه بمن ساعد على إخراج هذه الدراسة، وأخص منهم بالذكر الأستاذ الدكتور جعفر خصباك الذي تفضل فأشرف على هذا البحث، والأستاذ الدكتور ناجي معروف الذي قرأت عليه هذه الرسالة قبل طبعها، وأستاذي وصديقي الدكتور علي الزُّبيدي لتقييمه هذا البحث بما يستأهله في أثناء المناقشة، وزميلي وصديقي الدكتور أكرم العمري لتنبيهاته القيمة، وابن خالتي الخطاط الأستاذ وليد الأعظمي لتفضله بتزويق البحث بخطوطه الجميلة، وصديقي الأستاذ الشيخ الأديب عبد اللّه شبانة لما بذله من جهد في إتقان

---

(١) مثل كتاب التكملة لوفيات النقلة للمنذري (م١ ـ ٤، النجف ١٩٦٨م فما بعد، م٥ ـ ٦ القاهرة ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦م)، وكتاب الوفيات لعبد الرحيم الحاجي (بغداد ١٩٦٦م)، وكتاب أهل المئة فصاعدًا للذهبي (بغداد ١٩٧٣م)، وكتاب ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد لابن الدبيثي (بغداد ١٩٧٤م) وكتاب مشيخة النعال البغدادي لمحمد بن الأنجب النعال (نشره المجمع العلمي العراقي في بغداد سنة ١٩٧٥م).

تصحيح هذا الكتاب عند طبعه. أما شيخنا الأستاذ العالم المحدث الحاج صبحي السامرائي فإني أجد نفسي عاجزًا عن شكره، فقد فتح لي خزانة كتبه العامرة بنفائس المخطوطات الرجالية، ولم يألُ جهدًا في معاونتي بكل ممكن، وفضله ظاهر في صفحات الرسالة. حفظهم اللّه جميعًا ووفقهم لخدمة تراث هذه الأمة؛ إنه سميع الدعاء، إليه الرغباء وبيده النعماء.

كتبه

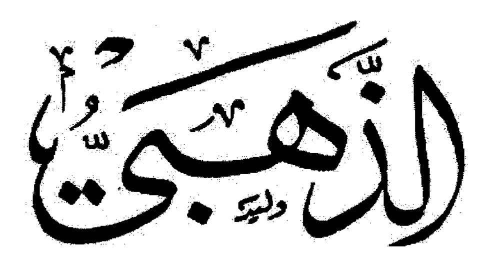
أفقر العباد بشار عواد، الدكتور

الأعظمية: غرة ذي الحجة سنة ١٣٩٥هـ

٣ من كانون الأول سنة ١٩٧٥م



الباب الأول



الفصل الأول
حياة الذهبي ومكانته العلمية

أولاً: بيئة الذهبي ونشأته:

قامت دولة المماليك البحرية على أنقاض الدولة الأيوبية بمصر والشام، وتمكن المماليك أن يكوّنوا دولة قوية كان لها أثر في إيقاف التقدم المغولي وتصفية الإمارات الصليبية في بلاد الشام[١].

وكانت دمشق في نهاية القرن السابع الهجري ومطلع القرن الثامن قد أصبحت منارًا كبيرًا من منارات الحياة الفكرية، فيها من المدارس العامرة ودور الحديث والقرآن العدد الكثير، عمل على تعميرها حكامها وبعض المياسير من أهلها لا سيما منذ عهد نور الدين زنكي[٢]. وكانت العناية بالدراسات الدينية، من تفسير وحديث وفقه وعقائد، هي السمة البارزة لهذا العصر، ولم يعد هناك اهتمام بدراسة العلوم الصرفة التي كانت قد أصبحت من «الصنائع المظلمة»[٣] و«الهذيان»[٤]. ثم رأينا تباينًا شديدًا في قيمة الإنتاج الفكري لهذه المدة الزمنية وأصالته، فوجدنا الكثير من المؤلفات الهزيلة التي لم تكن غير تكرار لما هو موجود في بطون الكتب السابقة، ووجدنا القليل من المؤلفات التي امتازت بالأصالة والإبداع والمناهج العلمية المتميزة. وقد زاد من صعوبة الإبداع أن الواحد من العلماء كان يجد أمامه تراثًا ضخمًا في الموضوع الذي يروم التأليف فيه، وهو في وضعه هذا يختلف عن المؤلفين الأولين الذين لم يجدوا مثل

---

(١) راجع عن عصر المماليك: الدكتور علي إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية، ط٢ (القاهرة ١٩٤٨م) والدكتور سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، وغيرهما. والكتاب الأخير أحسن ما كتب في الموضوع.

(٢) يتضح ذلك من العدد الذي ذكره النعيمي في كتابه تنبيه الدارس.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٢٦٣ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢، الورقة ٤.

هذا التراث.

وشهدت دمشق في هذا العصر نزاعًا مذهبيًا وعقائديًا حادًا، كان الحكام المماليك يتدخلون فيه في كثير من الأحيان، فيناصرون فئة على أخرى[١]. وكان الأيوبيون قبل ذلك قد عنوا عناية كبيرة بنشر مذهب الإمام الشافعي، فأسسوا المدارس الخاصة به وأوقفوا عليها الوقوف[٢]. وعنوا في الوقت نفسه بنشر عقيدة الأشعري واعتبروها السنة التي يجب اتباعها[٣]، لذلك أصبحت للأشاعرة قوة عظيمة في مصر والشام. وقد أثر ذلك على المذاهب الأخرى فأصابها الوهن والضعف، عدا الحنابلة الذين ظلوا على جانب كبير من القوة، وكانت لهم في دمشق مجموعة من دور الحديث والمدارس[٤]. وكان النزاع العقائدي بين الحنابلة والأشاعرة مضطرمًا، قوامُهُ اعتماد الحنابلة على النصوص في دراسة العقائد واعتماد الأشاعرة على الاستدلال العقلي والبرهان المنطقي في دراستها[٥]. وبقدر ما ولّد هذا التعصب من تمزق في المجتمع فإنه ولد في الوقت نفسه نشاطًا علميًا واضحًا في هذا المضمار تمثل في الكتب الكثيرة التي وضعت فيه. كما ظهر تحيز واضح في كثير من كتابات العصر.

وكان الجهل والاعتقاد بالخرافات والمغيبات منتشرًا بين العوام في المجتمع الدمشقي. وكان التصوف منتشرًا في أرجاء البلاد انتشارًا واسعًا، وظهر بينهم كثير من المشعوذين الذين أثروا على العوام أيما تأثير، بل عمل الحكام المماليك على الاهتمام بهم وكان لهم اعتقاد فيهم، فكان للملك الظاهر بيبرس البندقداري «ت ٦٧٦هـ» شيخ اسمه الخضر بن أبي بكر بن موسى العدوي، كان «صاحب حال ونفس مؤثرة وهمة إبليسية وحال كاهني»، وكان الظاهر يعظمه

---

(١) ابن كثير: البداية، ١٤ / ٢٨، ٣٨، ٤٩، وابن حجر: الدرر، ١ / ٦١ وغيرهما.

(٢) انظر التفاصيل في كتابنا: المنذري وكتابه التكملة، ص ٣٨ فما بعد.

(٣) وكان صلاح الدين أشعريًا محضًا كما هو معروف من سيرته.

(٤) انظر النعيمي: تنبيه الدارس ٢ / ٢٩ ـ ١٢٦.

(٥) أبو زهرة: ابن تيمية، ص ٢٥.

ويزوره أكثر من مرة في الأسبوع ويطلعه على أسراره ويستصحبه في أسفاره لاعتقاده التام به[1]. وانتشر تقديس الأشياخ والاعتقاد فيهم، وطلب النذور عند قبورهم، بل كانوا يسجدون لبعض تلك القبور ويطلبون المغفرة من أصحابها[2].

في هذه البيئة الفكرية والعقائدية المضطربة ولد مؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد اللّه الذهبي في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٣هـ[3]. وكان من أسرة تركمانية الأصل، تنتهي بالولاء إلى بني تميم[4]، سكنت مدينة ميافارقين من أشهر مدن ديار بكر[5]. ويبدو أن جد أبيه قايماز قضى حياته فيها[6]، وتوفي سنة ٦٦١هـ وقد جاوز المئة، قال الذهبي: «قايماز ابن الشيخ عبد اللّه التركماني الفارقي جد أبي. قال لي ابن عم والدي علي بن فارس النجار: توفي جدنا عن مئة وتسع سنين. قلت: عمر وأضر بأخرة، وتوفي سنة إحدى وستين وست مئة»[7]، وكان قد حج[8].

وكان جده فخر الدين أبو أحمد عثمان أميًّا لم يكن له حظ من علم، قد

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٣٦ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٢) المصدر نفسه، الورقة ٧٥ (أياصوفيا ٣٠٠٧).

(٣) انظر مثلاً: الذهبي: طبقات القراء، ص ٥٤٩، الصفدي: الوافي ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٢، وذكر ابن حجر أن مولده في الثالث من الشهر المذكور (الدرر ٣ / ٤٢٦).

(٤) كتب الذهبي بخطه على طرة المجلد التاسع عشر من تاريخ الإسلام (نسخة أياصوفيا ٣٠١٢): «تأليف محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز مولى بني تميم».

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ٤ / ٧٠٣ فما بعد.

(٦) لم يذكر الذهبي في نسبته أنه دمشقي، بل قال: الفارقي، مما يدل على أنه لم ينتقل إلى دمشق. وذكر الدكتور صلاح الدين المنجد في مقدمة سير أعلام النبلاء أن قايماز هو الذي قدم دمشق وأشار إلى معجم الشيوخ، ولم نجد لذلك دليلاً في مصدره ١ / ١٥، وانظر معجم الشيوخ م١ الورقة ٨٩.

(٧) الذهبي: أهل المئة فصاعدًا، ص ١٣٧، ومعجم الشيوخ، م١ ورقة ٨٩.

(٨) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ ورقة ٨٩.

اتخذ من النجارة صنعة له، لكنه كان «حسن اليقين باللّه»[١]. ويبدو أنه هو الذي قدم إلى دمشق واتخذها سكنًا له، وتوفي بعد ذلك بها سنة ٦٨٣هـ وهو في عشر السبعين[٢].

أما والده شهاب الدين أحمد فقد ولد سنة ٦٤١هـ تقريبًا، وعدل عن صنعة أبيه إلى صنعة الذهب المدقوق، فبرع بها وتميز، وعرف بالذهبي، وطلب العلم فسمع «صحيح البخاري» سنة ٦٦٦هـ من المقداد القيسي، وحج في أواخر عمره، وكان دينًا يقوم من الليل[٣]. وقد يسرت له صنعته رخاء وغنى، فأعتق من ماله خمس رقاب[٤]، وتزوج من ابنة رجل موصلي الأصل هو علم الدين أبو بكر سنجر بن عبد اللّه عرف بغناه وكان «خيرًا عاقلاً مديرًا للمناشير بديوان الجيش. . . وخلف خمسة عشر ألفًا»[٥] من الدنانير. وأحله علمه وغناه ومروءته مكانًا جعلت خلقًا من أهل دمشق يشيعونه يوم وفاته في آخر جمادى الأولى سنة ٦٩٧هـ يؤمهم قاضي القضاة يومئذ عز الدين ابن جماعة الكناني[٦].

وعرف محمد بابن الذهبي، نسبة إلى صنعة أبيه، وكان هو يقيد اسمه «ابن الذهبي»[٧]. ويبدو أنه اتخذ صنعة أبيه مهنة له في أول أمره لذلك عرف عند بعض

---

(١) الذهبي: معجم الشيوخ م١ ورقة ٨٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام وفيات ٦٩٧ نسخة أياصوفيا ٣٠١٤، ومعجم الشيوخ، م١ ورقة ١٣، والصفدي: الوافي، م٧ ورقة ٨٦.

(٤) كان من بينهم فك أسر امرأتين من أسر الفرنجة من عكا (انظر المصادر في الهامش السابق).

(٥) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ ورقة ٥٥ وتوفي سنة ٦٨٦.

(٦) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ١٣.

(٧) ونسبته بـ «ابن الذهبي» مقيدة بخطه في معظم الكتب والطبقات التي بخطه مثل: طبقة سماع كتاب أهل المئة فصاعدًا (ص ١١١ بتحقيقنا)، وطرر المجلدات التي وصلت بخطه من تاريخ الإسلام (نسخة أياصوفيا) وطبقة سماع لكتاب الكاشف له (نسخة التيمورية رقم ١٩٣٦) وجاء في أول معجم شيوخه: «أما بعد، فهذا معجم العبد المسكين محمد بن أحمد. . . ابن الذهبي».

معاصريه بـ«الذهبي» مثل: الصلاح الصفدي[١] وتاج الدين السبكي[٢] والحسيني[٣] وعماد الدين ابن كثير[٤] وغيرهم.

وعاش طفولته بين أكناف عائلة علمية متدينة، فكانت مرضعته وعمته ست الأهل بنت عثمان، الحاجة أم محمد، قد حصلت على الإجازة من ابن أبي اليسر وجمال الدين بن مالك وزهير بن عمر الزرعي وجماعة آخرين، وسمعت من عمر ابن القواس وغيره، وروى الذهبي عنها[٥]. وكان خاله علي قد طلب العلم وروى عنه الذهبي في معجم شيوخه، وقال: علي بن سنجر بن عبد الله الموصلي ثم الدمشقي الذهبي الحاج المبارك أبو إسماعيل خالي. مولده في سنة ثمان وخمسين وست مئة. وسمع بإفادة مؤدبه ابن الخباز من أبي بكر ابن الأنماطي وبهاء الدين أيوب الحنفي وست العرب الكندية. وسمع معي ببعلبك من التاج عبد الخالق وجماعة. وكان ذا مروءة وكد على عياله وخوف من الله. توفي في الثالث والعشرين من رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة»[٦]. وكان زوج خالته فاطمة، أحمد بن عبد الغني بن عبد الكافي الأنصاري الذهبي المعروف بابن الحرستاني قد سمع الحديث ورواه، وكان حافظًا للقرآن الكريم كثير التلاوة له، وتوفي بمصر سنة ٧٠٠هـ[٧].

وطبيعي أن تعتني مثل هذه العائلة المتدينة، التي كان لها حظ من العلم، بأبنائها، لذلك وجدنا أخاه من الرضاعة علاء الدين أبا الحسن علي بن إبراهيم بن

---

(١) الوافي، ٢ / ١٦٣، ونكت الهميان، ص ٢٤١.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٩ / ١٠٠.

(٣) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٤.

(٤) البداية والنهاية ١٤ / ٢٢٥.

(٥) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ ورقة ٥٧. ولدت ست الأهل سنة ٦٥٣هـ وتوفيت سنة ٧٢٩هـ.

(٦) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ ورقة ٦.

(٧) المصدر السابق، م١ ورقة ١٢.

داود ابن العطار الشافعي: «٦٥٤ ـ ٧٢٤هـ»[١] يسرع ويستجيز للذهبي جملة من مشايخ عصره في سنة مولده[٢]، منهم من دمشق: أحمد بن عبد القادر أبو العباس العامري «٦٠٩ ـ ٦٧٣هـ»[٣]، وابن الصابوني «٦٠٤ ـ ٦٨٠هـ»[٤]، وأمين الدين ابن عساكر «٦١٤ ـ ٦٨٦هـ»[٥]، وجمال الدين ابن الصيرفي «٥٨٣ ـ ٦٧٨هـ»[٦]. ومن حلب: أحمد بن محمد بن النصيبي «٦٠٩ ـ ٦٩٢هـ»[٧]، ومن مكة: الإمام محب الدين الطبري محدث الحرم ومفتيه «٦١٥ ـ ٦٩٤هـ»[٨]، وغيره[٩]. ومن المدينة: كافور بن عبد الله الطواشي[١٠]. ويبدو أن علاء الدين ابن العطار قد حج في تلك السنة[١١] فحصل بعض الإجازات من مكة والمدينة. وذكر ابن حجر أن الذين أجازوه في هذه السنة «جمع جم»[١٢]، وقال في ترجمة ابن العطار: «وهو الذي استجاز للذهبي سنة مولده فانتفع الذهبي بعد ذلك بهذه الإجازة

---

(١) الذهبي: ذيل العبر، ص ١٣٦، ومعجم الشيوخ، م٢ ورقة ١، ابن كثير: البداية، ١٤ / ١١٧، ابن حجر: الدرر، ٣ / ٧٣ ـ ٧٤، النعيمي: تنبيه الدارس، ١ / ٦٨ ـ ٧٠، ٩٩، ١١٢. ورأينا لأبي الحسن ابن العطار هذا رسالةً في السماع في خزانة كتب جستربتي بدبلن في ضمن مجموع برقم ٣٢٩٦.

(٢) ابن حجر: الدرر، ٣ / ٤٢٦.

(٣) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ١٢.

(٤) المصدر السابق، م٢ الورقة ٥٥.

(٥) المصدر السابق، م١ الورقة ٨٠.

(٦) المصدر السابق، م٢ الورقة ٨٧.

(٧) المصدر السابق، م١ الورقة ١٨.

(٨) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٨.

(٩) انظر مثلاً: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٩٠، م٢ الورقة ٦، ٣١، ٥٩ ـ ٦٠، ٨٨، وابن حجر: الدرر ٣ / ٤٣٦.

(١٠) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٢٦.

(١١) المصدر السابق، م٢ الورقة ٥٩ ـ ٦٠.

(١٢) ابن حجر: الدرر، ٣ / ٤٢٦.

انتفاعًا شديدًا»[1].

ويمضي الطفل إلى أحد المؤدبين هو علاء الدين علي بن محمد الحلبي المعروف بالبصبص، وكان من أحسن الناس خطًّا وأخبرهم بتعليم الصبيان، فيقيم في مكتبه أربعة أعوام[2]، وفي أثناء ذلك كان جده عثمان يدمنه على النطق بالراء يقوّم بذلك لسانه[3]. ولا نعرف في أية سنة ترك المكتب ولكنه كان في سنة ٦٨٢هـ لم يزل عنده حيث أنشده في هذه السنة شعرًا لأبي القاسم الحريري[4]. وقد اتجه الذهبي بعد ذلك إلى شيخه مسعود بن عبد اللّه الصالحي فلقنه جميع القرآن، ثم قرأ عليه نحوًا من أربعين ختمة، وكان الشيخ مسعود إمام مسجد بالشاغور، وكان خيرًا متواضعًا برًا بصبيانه لقن خلقًا، وتوفي سنة ٧٢٠هـ[5]. وبدأ الصبي بالحضور إلى مجالس الشيوخ ليسمع كلام بعضهم[6]. ولما قدم عز الدين الفاروثي، عالم العراق، إلى دمشق سنة ٦٩٠هـ، ذهب الفتى وسلم عليه وحدثه[7]، مما يدلل على حبه للعلم والعلماء منذ الصغر.

ثانيًا: بدء عنايته بطلب العلم:

بدأ الذهبي يعتني بطلب العلم حينما بلغ الثامنة عشرة من عمره، وتوجهت عنايته إلى ناحيتين رئيستين هما: القراءات، والحديث الشريف.

أ ـ القراءات:

اهتم الذهبي بقراءة القرآن الكريم، والعناية بدراسة علم القراءات، فتوجه سنة ٦٩١هـ هو ورفقة له، إلى شيخ القراء جمال الدين أبي إسحاق إبراهيم بن

---

(١) ابن حجر، الدرر، ٣ / ٧٣.

(٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ١١.

(٣) المصدر السابق، م١ الورقة ٨٩.

(٤) المصدر السابق، م٢ الورقة ١١. ومات مؤدبه في حدود سنة ٦٩٠هـ.

(٥) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٧٨.

(٦) المصدر السابق، م٢ الورقة ٥٨.

(٧) الذهبي: معرفة القراء، ص ٥٤٤. وتوفي الفاروثي سنة ٦٩٤هـ.

داود العسقلاني ثم الدمشقي المعروف بالفاضلي، فشرع عليه بالجمع الكبير[١]، وكان الفاضلي قد صحب الشيخ علم الدين السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣هـ، وهو الذي انتهت إليه رياسة الإقراء في زمانه[٢]، وجمع عليه القراءات السبع، وتصدر للإقراء بتربة أم الصالح ولكنه أصيب بطرف من الفالج فكان يقرئ في بيته، وينتهي الذهبي عليه إلى أواخر سورة القصص، ويزداد الفالج على الشيخ فيمنع الطلبة من الدخول عليه، ثم يموت سنة ٦٩٢هـ، وتظل قراءة الذهبي على الفاضلي ناقصة[٣]. ولكنه كان في أثناء شروعه بالجمع الكبير على الفاضلي، قد شرع في الوقت نفسه يقرأ بالجمع الكبير على الشيخ جمال الدين أبي إسحاق إبراهيم بن غالي المقرئ الدمشقي «ت ٧٠٨هـ»[٤]. وقرأ ختمة جامعة لمذاهب القراء السبعة بما اشتمل عليه كتاب «التيسير» للداني وكتاب «حرز الأماني» للشاطبي على ابن جبريل المصري نزيل دمشق[٥]. وما لبث الذهبي أن أصبح على معرفة جيدة بالقراءات وأصولها ومسائلها وهو لمّا يزل فتى لم يتعد العشرين من عمره، قال في ترجمة قاضي القضاة شهاب الدين أبي عبد اللّه محمد بن أحمد بن خليل الخويي ثم الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٦٩٣هـ: «جلست بين يديه وسألني عن غير مسألة من القراءات فمنَّ اللّه وأجبته وشهد في إجازتي من الحاضرين وأجاز لي مروياته[٦]، على أنه استمر في تحصيل هذا الفن فكتب في سنة ٦٩١هـ «المقدمة في التجويد» عن مؤلفها المقرئ المجود أبي عبد اللّه محمد بن جوهر

---

(١) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٢٧، ومعرفة القراء، ص ٥٦٢ ـ ٥٦٣، ابن الجوزي، غاية، ٢ / ٧١.

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة، ٨ / ٧٥٨، القفطي: إنباه، ٢ / ٣١١، الحسيني: صلة التكملة، (وفيات ٦٤٣)، الذهبي: العبر، ٥ / ١٧٨، ابن كثير: البداية، ١٣ / ١٧، ابن الجزري: غاية، ١ / ٥٦٨.

(٣) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٢٧، ومعرفة القراء، ص ٥٦٢ ـ ٥٦٣، ٥٧٦، ٥٩٢.

(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٣٠، ومعرفة القراء ص ٥٧٦.

(٥) الحسيني: ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٣٦.

(٦) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٣١.

التلعفري المتوفى سنة ٦٩٦هـ[١]، وتلا ختمة للسبعة على مجد الدين أبي بكر بن محمد المرسي نزيل دمشق المتوفى سنة ٧١٨هـ[٢] وجمع الختمة على شيخ القراء ببعلبك موفق الدين المتوفى سنة ٦٩٥هـ[٣]، وقرأ بالسبع أيضًا على المقرئ شمس الدين أبي عبد اللّه محمد بن منصور الحلبي المتوفى سنة ٧٠٠هـ، وكان الحلبي هذا من المتصدرين بالعادلية وبالجامع الأموي[٤]. وقرأ كتاب «المبهج في القراءات السبع»[٥] لسبط الشيخ أبي منصور الخياط البغدادي، و«السبعة» لابن مجاهد وغيرهما على شيخه أبي حفص عمر ابن القواس المتوفى سنة ٦٩٨هـ، وسمع «الشاطبية» من غير واحد من القراء[٦].

وتميز الشاب في دراسة القراءات وبرع فيها براعة جعلت شيخه شمس الدين أبا عبد اللّه محمد بن عبد العزيز الدمياطي ثم الدمشقي الشافعي، وهو من المقرئين المجودين، يتنازل له عن حلقته بالجامع الأموي في أواخر سنة ٦٩٢هـ أو أوائل سنة ٦٩٣هـ حينما أصابه المرض الذي توفي فيه، وكان الذهبي قد أكمل عليه القراءات قبل ذلك[٧]، فكان هذا أول منصب علمي يتولاه الذهبي فيما نعلم وإن لم يدم فيه أكثر من سنة واحدة[٨].

---

(١) الذهبي، معجم الشيوخ م٢ الورقة ٣٩.

(٢) المصدر السابق، م٢ الورقة ٩٨.

(٣) المصدر السابق، م٢ الورقة ٧٤.

(٤) المصدر السابق، م٢ الورقة ٦٥ ـ ٦٦.

(٥) عندي منه نسخة مصورة عن نسخة معهد إحياء المخطوطات (رقم ٧٥ قراءات وتجويد) وهو كتاب نفيس للغاية.

(٦) انظر مثلاً الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٣٥، ٦٩.

(٧) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٤٨، وتوفي شيخه بعد ذلك في صفر من سنة ٦٩٣هـ.

(٨) قال الذهبي في ترجمة محمد بن أحمد بن علي شمس الدين أبي عبد اللّه الرضي الحنفي من معرفة القراء: «ولما سافرت إلى بعلبك، سنة ثلاث وتسعين، وتعوقت بالقراءة على الموفق، وثب على حلقتي، فأخذها لكوني لم أستأذن الحاكم في الغيبة، وهو الآن يقرئ بالجامع» ص ٦٠٠.

ب ـ الحديث:

وفي الوقت نفسه كان الذهبي، وهو في الثامنة عشرة من عمره، قد مال إلى سماع الحديث واعتنى به عناية فائقة[1]. وانطلق في هذا العلم حتى طغى على كل تفكيره، واستغرق كل حياته بعد ذلك، فسمع ما لا يحصى كثرة من الكتب والأجزاء، ولقي كثيرًا من الشيوخ والشيخات، وأصيب بالشره في سماع الحديث وقراءته ورافقه ذلك طيلة حياته، حتى كان يسمع من أناس قد لا يرضى عنهم، قال في ترجمة علاء الدين أبي الحسن علي بن مظفر الإسكندراني ثم الدمشقي، شيخ دار الحديث النفيسية، المتوفى سنة ٧١٦هـ: «ولم يكن عليه ضوء في دينه حملني الشره على السماع من مثله، والله يسامحه كان يخل بالصلوات ويرمي بعظائم الأمور»[2]، وقال في ترجمة شيخه شهاب الدين غازي بن عبد الرحمن الدمشقي المتوفى سنة ٧٠٩هـ: «وكان ذا سيرة غير محمودة فالله يعفو عنه، كتب عنه خلق من أبناء البلد»[3]، وقال في ترجمة شيخه أبي عبد الله محمد بن أحمد المقدسي المتوفى سنة ٧٠٦هـ: «فقير مسكين... ورأيتهم يذمونه... روى لنا عن خطيب مردا جزء البطاقة»[4]، وذكر عن شيخه محمود ابن يحيى التميمي الدمشقي المتوفى سنة ٧٣٣هـ، أنه كان «سيئ الحال سفيهًا»[5]، وقال عن أحد شيوخه: «لا ينبغي الرواية عنه، حكوا لي عنه مصائب»[6]، وقال عن آخر: إنه كان «من عوام الطلبة»[7]، وقال في ترجمة شيخه محمد بن النصير المؤذن المتوفى سنة ٧١٥هـ: «شويخ عامي سمعنا منه ولم يكن

---

(١) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٩ / ١٠٢، والسيوطي: طبقات الحفاظ، الورقة ٨٤.

(٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ١٢.

(٣) المصدر نفسه، م٢ الورقة ٢١.

(٤) المصدر نفسه، م٢ الورقة ٣٠.

(٥) المصدر نفسه، م٢ الورقة ٧٧.

(٦) المصدر نفسه، م١ الورقة ٧٢.

(٧) المصدر نفسه، م٢ الورقة ٥٥.

بذاك»[1]، بل إنه ليذهب به حبه للحديث إلى القراءة على الصم، فقد قال في ترجمة شيخه محمود بن محمد الخرائطي الصالحي الأصم المتوفى سنة ٧١٦هـ: «قرأت عليه بأقوى صوتي في أذنه»[2].

ثالثًا: رحلاته في طلب العلم:

كان الذهبي يتحسر على الرحلة إلى البلدان الأخرى، لما لذلك من أهمية بالغة في تحصيل علو الإسناد وقدم السماع ولقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة عنهم[3]. إلا أن والده لم يشجعه على الرحلة، بل منعه في بعض الأحيان، قال في ترجمة أبي الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد بن وريدة البغدادي الحنبلي شيخ المستنصرية «٥٩٩ ـ ٦٩٧هـ»[4]: «وقد هممت بالرحلة إليه ثم تركته لمكان الوالد»[5]، وقال في ترجمته من معرفة القراء الكبار: «وانفرد عن أقرانه، وكنت أتحسر على الرحلة إليه، وما أتجسر خوفًا من الوالد فإنه كان يمنعني»[6]، وقال في ترجمة المكين الأسمر المقرئ الإسكندراني المتوفى سنة ٦٩٢هـ: «ولما مات شيخنا الفاضلي، فازددت تلهفًا وتحسرًا على لقيّه، ولم يكن الوالد يمكنني من السفر»[7]. ولم يكن الذهبي ابنًا

---

(١) الذهبي، معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٦٧.
(٢) المصدر نفسه، م٢ الورقة ٧٦.
(٣) راجع عن أهمية الرحلة: الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، «باب الرحلة في الحديث إلى البلاد النائية للقاء الحفاظ وتحصيل الأسانيد العالية» الورقة ١٦٨ ـ ١٦٩ (نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية) ٣٧١١ج.
(٤) الدكتور ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية، ١ / ٣٤٢ـ٣٤٥.
(٥) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٧٤.
(٦) الذهبي: معرفة القراء، ص ٥٥٦ وقال في تاريخ الإسلام: «وكنت في سنة أربع وتسعين وسنة خمس أتلهف على لقيّه وأتحسر وما يمكنني الرحلة إليه لمكان الوالد ثم الوالدة» الورقة ٢٦٨ (أياصوفيا ٣٠١٤).
(٧) المصدر نفسه، ص ٥٥١. وانظر أمثلة أخرى في معجم الشيوخ، م١ الورقة ٥.

عاقًّا يخالف إرادة والده، لا سيما أن آداب طلب العلم تقتضي استئذان الأبوين في الرحلة[1]، ووجوب طاعتهما وبرهما، وترك الرحلة مع كراهتهما ذلك وسخطهما[2]. ويبدو لنا أن الذهبي كان وحيد أبيه، أو كان هو البارزَ بين أبنائه في الأقل[3]، بحيث كان يخاف عليه هذا الخوف كله.

ويظهر أن والده قد سمح له بالرحلة حينما بلغ العشرين من عمره، وذلك سنة ٦٩٣هـ[4]. على أنه سمح له برحلات قصيرة لا يقيم في كل منها أكثر من أربعة أشهر[5] في الأغلب، ويرافقه فيها بعض من يعتمد عليهم[6].

أ ـ رحلاته داخل البلاد الشامية:

تشير المصادر إلى رحلات الذهبي عرضًا ولكنها لا تقدم لنا عنها الكثير. على أننا استطعنا أن نتبين أن أول رحلة له ربما كانت إلى بعلبك سنة ٦٩٣هـ[7] حيث قرأ فيها القرآن جمعًا على الموفق النصيبي المتوفى سنة ٦٩٥هـ[8]، وأكثر عن المحدث الأديب الإمام تاج الدين أبي محمد المغربي ثم البعلبكي المتوفى

---

(١) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي، الورقة ١٧٠.

(٢) الخطيب البغدادي: الجامع، الورقة ١٧١ ـ ١٧٥.

(٣) لم نقف على أخ لمحمد بن أحمد الذهبي في جميع الكتب المطبوعة والمخطوطة التي اطلعنا عليها، مع أن الذهبي كثير العناية بذكر أقربائه.

(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٦٥.

(٥) قال الذهبي في ترجمة شرف الدين أبي الحسين يحيى بن أحمد الجذامي الإسكندراني وكان قد بلغ السابعة والثمانين من عمره، ووجد الذهبي بعض صعوبات وتأخير في قراءة القراءات عليه فخاف أن يذهب وقته سدى: «وكنت قد وعدت أبي وحلفت له أني لا أقيم في الرحلة أكثر من أربعة أشهر، فخفت أعقه» معرفة القراء، ص ٥٥٨.

(٦) كان والده يرافقه في رحلته إلى حلب سنة ٦٩٣هـ وقد سمع معه فيها، وكان رفيقه في رحلته إلى البلاد المصرية سنة ٦٩٥هـ ابن أمه في الرضاع داود بن إبراهيم بن داود ابن العطار الفقيه الشافعي، وهو أكبر من الذهبي بثمانية أعوام. معجم الشيوخ، م١ الورقة ٤٧.

(٧) الذهبي: معجم الشيوخ، ١ / الورقة ٦٥.

(٨) ابن الجزري: غاية، ٢ / ٧١، الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٧٤.

سنة ٦٩٦[١]. وسوف نجده مرة أخرى في بعلبك سنة ٧٠٧هـ[٢]، وقد سمع في هاتين الرحلتين على كثير من شيوخ البلد[٣]. ورحل بعد ذلك إلى حلب، وأكثر فيها عن علاء الدين أبي سعيد سنقر بن عبد اللّه الأرمني ثم الحلبي، قال: «رحلت إليه وأكثرت عنه، ونعم الشيخ كان دينًا ومروءة وعقلاً وتعففًا»[٤]، وسمع من جملة من شيوخها[٥]. وتشير المصادر إلى أنه قد سمع ببلدان عديدة منها: حمص[٦]، وحماة[٧]، وطرابلس[٨]، والكرك[٩]، والمعرة[١٠]، وبصرى[١١]، ونابلس[١٢]، والرملة[١٣]، والقدس[١٤]، وتبوك[١٥].

---

(١) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٧١، السبكي: طبقات، ٩ / ١٠٢.

(٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٥٢.

(٣) انظر مثلاً الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٢٤، ٨٣، ٨٨، م٢ الورقة ٩، ٧٢، ٧٤، ٨١.

(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٥٥، وذيل العبر، ص ٣٦، السبكي: طبقات ٩ / ١٠٢، الطباخ: أعلام النبلاء، ٤ / ٥٤٠.

(٥) انظر مثلاً: الذهبي معجم الشيوخ، م١ الورقة ٢٧، ٣٤، ٣٩، السبكي: طبقات، ٩ / ١٠٢.

(٦) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٦٣، والصفدي: الوافي ٢ / ١٦٥.

(٧) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٨٢، م٢ الورقة ٦٨، ٨٢.

(٨) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٧، ٢٢، ٢٩، م٢ الورقة ٦، ٩ وذكر أنه نزل في مدرسة القاضي شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن منصور الإسكندراني الفقيه قاضي طرابلس (معجم الشيوخ، م١ الورقة ٢٢).

(٩) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٦١، م٢ الورقة ١٦، ٤٢ ـ ٤٣ وقد سمع بها سنة ٦٩٨هـ من قاضي القضاة عز الدين محمد بن سلمان الحلبي.

(١٠) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٨٩.

(١١) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٨٣.

(١٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٧٦، م٢ الورقة ٧.

(١٣) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٤٧، والصفدي: الوافي، ٢ / ١٦٥.

(١٤) الصفدي: الوافي ٢ / ١٦٥.

(١٥) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٦٥.

ب ـ رحلته إلى البلاد المصرية:

على أن رحلة الذهبي إلى البلاد المصرية كانت من أبرز رحلاته المبكرة، ويقول الدكتور صلاح الدين المنجد: إنه لا يعرف متى سافر الذهبي إلى مصر، ثم يقول: «ولعل سفره إلى مصر كان بُعيد وفاة أبيه سنة ٦٩٧هـ وقد عاد سنة ٦٩٩هـ»[١]. واستند في ذلك على ما نقله ابن حجر عن مشيخة بدر الدين النابلسي الذي قال: «وأول ما ولي تصدير حلقة إقراء بجامع دمشق في أول رواق زكريا عوضًا عن شمس الدين العراقي الضرير المقرئ في المحرم سنة ٦٩٩هـ بعد رجوعه من رحلته من مصر بقليل»[٢].

وقد استطعنا، نتيجة تتبعنا لنشاط الذهبي أن نحدد رحلته إلى البلاد المصرية وأنها كانت بين رجب وذي القعدة من سنة ٦٩٥هـ، فقد تبين أنه ابتدأ سفرته في رجب سنة ٦٩٥هـ متوجهًا إلى فلسطين، قال في ترجمة شيخته أم محمد سيدة بنت موسى بن عثمان المارانية المصرية المتوفاة سنة ٦٩٥هـ: «وقد رحلت إلى لقيها فماتت وأنا بفلسطين في رجب سنة خمس وتسعين وست مئة»[٣] وقال في ترجمتها من تاريخ الإسلام: «كنت أتلهف على لقيها، ورحلت إلى مصر وعلمي أنها باقية فدخلت فوجدتها قد ماتت من عشرة أيام.. توفيت يوم الجمعة سادس رجب وأنا بوادي فحمة»[٤]، وبذلك نستنتج أنه وصل إلى البلاد المصرية في السادس عشر من رجب سنة ٦٩٥هـ.

وأول ما افتتح سماعه بمصر على شيخه جمال الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد اللّه الحلبي المعروف بابن الظاهري[٥] «٦٢٦ ـ ٦٩٦هـ»، قال في تاريخ الإسلام: «وبه افتتحت السماع في الديار المصرية وبه اختتمت وعنده

(١) مقدمة سير أعلام النبلاء، ١ / ١٨.

(٢) ابن حجر: الدرر، ٣ / ٤٢٧.

(٣) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٥٩.

(٤) الورقة ٢٤٦ (أياصوفيا ٣٠١٤) ولم يذكر ياقوت وادي فحمة هذا.

(٥) كان والده محمد مولى الملك الظاهر صاحب حلب، فنسب إليه.

نزلت وعلى أجزائه اتكلت. وقد سمع منه علم الدين (يعني البرزالي) أكثر من مئتي جزء»[١]، وقال في ترجمته من معجم شيوخه: «ودعته في ذي القعدة سنة خمس وتسعين فقال لي: قل للجماعة يجعلوني في حل...»[٢]. وطبيعي أن يرجع الإمام الذهبي في ذي القعدة من السنة لأنه كان قد وعد أباه وحلف له أنه لا يقيم في الرحلة أكثر من أربعة أشهر فخاف أن يعقه إذا تأخر[٣]. وقد توفي ابن الظاهري بعد ذلك في ربيع سنة ٦٩٦هـ[٤]. وقد ذكر مترجمو الذهبي أنه سمع من الحافظ ابن الظاهري[٥] فكيف يصح القول عندئذ أنه سافر بُعيد ٦٩٧هـ!؟ وسمع بمصر بعد ذلك من جماعة كبيرة من أشهرهم: مسند الوقت أبو المعالي أحمد بن إسحاق بن محمد الأبرقوهي[٦] المتوفى سنة ٧٠١هـ[٧]، وشيخ الإسلام المجتهد قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد القشيري المتوفى سنة ٧٠٢هـ[٨]، والعلامة شرف الدين عبد المؤمن بن خلف

---

(١) الورقة ٢٥٧ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٢) م١ الورقة ١٨.

(٣) الذهبي: معرفة القراء، ص ٥٥٨.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام الورقة ٢٥٧ (أياصوفيا ٣٠١٤)، ومعجم الشيوخ م١ الورقة ١٨، ابن الجزري: تاريخ، م٢ الورقة ٦٠ (باريس ٦٧٣٩).

(٥) انظر مثلاً: السبكي: طبقات، ٩ / ١٠٢، وسبط ابن حجر: رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٦) نسبة إلى (أبرقوه) بلد قرب يزد (ياقوت: معجم البلدان، ١ / ٨٥) وقد ولد بها حينما كان أبوه قاضيًا عليها (الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٥).

(٧) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٥، وذيل العبر، ص ١٨، السبكي: طبقات، ٩ / ١٠٢، ابن حجر: الدرر، ١ / ١١٠، ٣ / ٤٢٦، سبط ابن حجر: رونق الألفاظ، (نسخة الخالدية)، الفاسي: العقد الثمين، ٣ / ١٥، ابن تغري بردي: النجوم، ٨ / ١٩٨ والمنهل الصافي، ١ / ٢١٨ وغيرها.

(٨) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ ورقة ٥٥، وذيل العبر، ص ٢١، وتذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٨١ - ١٤٨٤، ابن سيد الناس: أجوبة، الورقة ٦٥ (الإسكوريال ١١٦٠)، الأدفوي: الطالع السعيد، ص ٣١٧ - ٣٣٨، الصفدي: الوافي ٤ / ١٩٣، ابن حجر: رفع الإصر، الورقة ١١٢ وغيرها.

الدمياطي المتوفى سنة ٧٠٥هـ[1]، وغيرهم[2].

وفي أثناء وجوده بالبلاد المصرية رحل إلى الإسكندرية وكان بها في شوال من السنة، قال في ترجمة شيخه أبي الحجاج يوسف بن الحسن التيمي القابسي ثم الإسكندراني: «وكنت في شوال هذه السنة في الإسكندرية وهو حي، وسمعت منه التجريد»[3]. وقرأ بها على شيخه صدر الدين سحنون مدة أحد عشر يومًا، وتوفي شيخه في الرابع من شوال سنة ٦٩٥هـ[4]. وفي ثغر الإسكندرية مضى الذهبي إلى أسنَدِ أهلها في القراءات، الإمام شرف الدين أبي الحسين يحيى بن أحمد بن عبد العزيز ابن الصواف الجذامي الإسكندراني المقرئ المشهور «٦٠٩ ـ ٧٠٥»[5] فأدخل عليه فوجده قد أضر وأصم، وهو في سبع وثمانين سنة، فقرأ عليه جزءًا ورفع صوته فسمع، ثم كلمه في أن يجمع عليه القراءات السبع فوافق، وبدأ الذهبي بالقراءة فقرأ عليه الفاتحة وآيات من البقرة والشيخ يرد الخلاف ويرد رواية يعقوب وغيره، ولما ذكر له الذهبي أن قصده القراءة بالسبع حسب، تخيل الشيخ منه نقص المعرفة وطلب منه أن يذهب إلى أحد تلامذته، قال الذهبي: «وزهدني فيه أني كنت لا أدخل عليه إلا بمشقة وأمنع، ويؤذن لي مرة، وأيضًا فكنت لا أقرأ ربع حزب جمعًا، حتى ينقطع صوتي

---

(١) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٨٧، وتذكرة الحفاظ، ٤ / ١٤٧٧ ـ ١٤٧٩، ابن شاكر: فوات، ٢ / ١٧، ابن كثير: البداية، ١٤ / ٤٠، ابن قاضي شهبة: منتقى المعجم المختص، الورقة ١٦٢ (أوقاف)، الصفدي: الوافي، م١٧ ورقة ٢٣٦ ومعجم شيوخه لخصه وترجمه إلى الفرنسية الأستاذ جورج فايدا وطبع بباريس سنة ١٩٦٢م. وفي خزانة كتبي الجزء الثالث من إحدى نسخه الخطية.

(٢) انظر مثلاً: الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٢١، ٤٢، ٦٤، ٩٦.

(٣) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٢٥.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٢٤٧ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٥) الذهبي: ذيل العبر، ص ٣٢، ابن حجر: الدرر، ٥ / ١٨٥ ـ ١٨٦، الجزري: غاية، ٢ / ٣٦٦، المقريزي: السلوك، ٢ / قسم ١ / ٢١.

لمكان صممه» فخاف الذهبي ضياع الوقت القصير فتركه[1]، وذهب إلى الإمام المقرئ صدر الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الحليم بن عمران الدكالي المعروف بسحنون «٦١٠ ـ ٦٩٥هـ»[2] وكان قد ضعف وأضر، فختم عليه بقراءتَيْ ورش وحفص في مدة أحد عشر يومًا مع جماعة من رفاقه[3]. وسمع بالإسكندرية من جملة من علمائها المتميزين[4] من أبرزهم: تاج الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد المحسن الهاشمي الحسيني الواسطي الغرافي ثم الإسكندراني «٦٢٨ ـ ٧٠٤هـ» شيخ دار الحديث النبيهية بالإسكندرية[5]. كما رحل إلى بلبيس وسمع بها[6]. لقد كانت هذه الرحلة قصيرة، وكان الذهبي يجهد نفسه في قراءة أكبر كمية ممكنة على شيوخ تلك البلاد؛ فقد ذكر مثلاً أنه قرأ جميع سيرة ابن هشام على شيخه أبي المعالي الأبرقوهي في ستة أيام فقط[7].

جـ ـ رحلته للحج وسماعه هناك:

وفي سنة ٦٩٨هـ، أي: بُعيد وفاة والده، رحل الذهبي للحج، قال في حوادث السنة من تاريخ الإسلام: «وحج بنا الأمير شمس الدين العينتابي»[8]، وكان يرافقه في حجه جماعة من أصحابه وشيوخه[9]، منهم شيخ دار الحديث

---

(١) الذهبي: طبقات القراء، ص ٥٥٨، ومعجم الشيوخ، م٢ الورقة ٨٤.
(٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٧٣.
(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٢٤٧ (أياصوفيا ٣٠١٤)، ومعرفة القراء ص ٥٥٥.
(٤) انظر مثلاً معجم الشيوخ، م١ الورقة ٢١، ٢٢، ٧٥، ٨٦، م٢ الورقة ١٧، ٦٠، ٧٤، ٨٣، ٨٥.
(٥) الذهبي: معجم الشيوخ، م٣ الورقة ٢ ـ ٣، وذيل العبر، ص ٢٨ ـ ٣٢، الحسيني: ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٩٤، ابن حجر: الدرر، ٣ / ٨٥ ـ ٨٦، المقريزي: السلوك ٢ / قسم ١ / ١٣. وانظر أيضًا: السبكي: طبقات ٩ / ١٠٢.
(٦) الصفدي: الوافي ٢ / ١٦٤.
(٧) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ١٣٥ (أياصوفيا ٣٠٠٧).
(٨) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٣٣٣ (أياصوفيا ٣٠١٤).
(٩) انظر مثلاً: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٧٢، م٢ الورقة ١٦.

بالمدرسة المستنصرية[1] العالم المسند أبو عبد الله محمد بن عبد المحسن المعروف بابن الخراط الحنبلي «٦٣٨ ـ ٧٢٨هـ»، وكان ابن الخراط قد قدم دمشق في تلك السنة وجلس للوعظ بدمشق في شهر رمضان[2]، قال الذهبي: «ورافقنا في الحج فسمعت منه بالعلى ومعان كتاب «الفرج بعد الشدة»»[3]. وقد سمع بمكة[4]، وعرفة[5]، ومنى[6]، والمدينة[7] من مجموعة من الشيوخ.

رابعًا: طبيعة دراساته:

لم ينقطع الذهبي طيلة حياته عن الدراسة والسماع لا يشغله عنهما شاغل، تدل على ذلك معجمات شيوخه ولا سيما المعجم الكبير. وكانت دراساته وسماعاته متنوعة لم تقتصر على القراءات والحديث.

وقد عني بدراسة النحو فسمع «الحاجبية» في النحو على شيخه موفق الدين أبي عبد الله محمد بن أبي العلاء النصيبي البعلبكي المتوفى سنة ٦٩٥هـ[8]. ودرس على شيخ العربية وإمام أهل الأدب في مصر آنذاك الشيخ بهاء الدين محمد بن إبراهيم المعروف بابن النحاس المتوفى سنة ٦٩٨هـ[9]. زيادة على سماعه لعدد كبير من مجاميع الشعر واللغة والآداب[10].

---

(١) الدكتور ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية، ١ / ٣٥٤ ـ ٣٦٠.

(٢) ذكر ذلك علم الدين البرزالي المتوفى سنة ٦٣٩هـ (ابن رجب: الذيل ٢ / ٣٨٥)، والذهبي في معجم شيوخه، م٢ الورقة ٥٠.

(٣) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٥٠، والكتاب المذكور للتنوخي كما هو معروف.

(٤) السبكي: طبقات، ٩ / ١٠٢.

(٥) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٨٠.

(٦) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٨٣، ٨٤.

(٧) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٥٠.

(٨) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٧٤.

(٩) المصدر نفسه، م٢ الورقة ٣٠، وتاريخ الإسلام، الورقة ٢٨٧ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(١٠) انظر مثلاً: تاريخ الإسلام، ٣ / ٦٥ (مطبوعة) والورقة ١١٧ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ١٥٧ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٤٩ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) ومعجم =

واهتم بالكتب التاريخية فسمع عددًا كبيرًا منها على شيوخه، في المغازي[1]، والسيرة[2]، والتاريخ العام[3]، ومعجمات الشيوخ والمشيخات[4]، وكتب التراجم الأخرى[5].

إلا أن عنايته الرئيسة في السماع كانت منصبة على الحديث؛ فقد سمع الذهبي مئات الكتب والأجزاء الحديثية طيلة حياته في طلب العلم، يعرف ذلك من يقرأ معجمات شيوخه وكتبه بروية وإنعام نظر، فضلاً عن أن هذه الكتب والأجزاء هي ليست كل ما قرأ الذهبي على شيوخه، فهناك العدد الهائل من الأحاديث النبوية الشريفة التي لم يورد في معجمات شيوخه منها إلا أمثلة حسبُ. يزاد على ذلك أنه كان ربما سمع الكتاب أو الجزء على أكثر من شيخ حتى يبلغ في بعضها عشرات المرات أو عددًا كبيرًا منها، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة؛ فقد سمع «جزء الحسن بن عرفة» وهو من الأجزاء الحديثية المشهورة أكثر من أربعين مرة على أكثر من أربعين شيخًا[6]، وسمع «نسخة أبي مسهر» عبد الأعلى بن مسهر المتوفى سنة ٢١٨[7] أكثر من اثنتي عشرة

= الشيوخ م٢ الورقة ٥٠.

(١) انظر مثلاً تاريخ الإسلام، ٦ / ١٣٣ (مطبوعة).

(٢) انظر مثلاً تاريخ الإسلام، الورقة ١٣٥ (أياصوفيا ٣٠٠٧).

(٣) المصدر نفسه، مثلاً الورقة ١٩٨ (حلب).

(٤) انظر مثلاً معجم الشيوخ، م١ الورقة ١٥، ٢٢، ٢٦، ٢٨، ٣٣، ٤٢، ٤٦، ٥٥، ٨٠، م٢ الورقة ٩، ١٠، ٥٠، ٧١، ١٠٠، وتاريخ الإسلام، الورقة ٩٦ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٢٢ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٤ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) والورقة ١٨٥ (أحمد الثالث ١١ / ٢٩١٧).

(٥) مثلاً تاريخ الإسلام، الورقة ٦٨، ٧٩ (أياصوفيا ٣٠٠٢) وغيرها.

(٦) انظر الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٩، ١٦، ١٧، ٣٣، ٣٦، ٣٨، ٤٩، ٥٣، ٥٨، ٦٤، ٧٢، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٦، م٢ ورقة ٨، ١١، ١٣، ٢٤، ٣١، ٣٢، ٣٧، ٣٩، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٥٩، ٧٧، ٧٩، ٨٢، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٨، ١٠٠.

(٧) منه نسخة بدار الكتب المصرية، رقم ٢٥٥٥١ ب.

مرة[١]، وسمع «جزء ابن فيل»[٢] لأبي طاهر الحسن بن أحمد بن فيل البالسي على أكثر من عشرة من الشيوخ[٣].

وأرى من الواجب أن أشير إلى أن الذهبي لم يعن بذكر مسموعاته بصورة مفصلة في معجم شيوخه كما فعل ابن حجر مثلاً في «المعجم المفهرس» الذي رتبه أساسًا على الكتب[٤]، وفي «المجمع المؤسس» الذي رتبه على الشيوخ ولكن ذكر فيه المرويات أيضًا[٥]. ومع ذلك فإن المرويات لا تمثل أصلاً دراسات الطالب أو العالم، لأن الكتب المروية محدودة عمومًا، بينما يستطيع الطالب أن يقرأ ما يشاء من الكتب الفقهية والتاريخية والأدبية ودواوين الشعراء ونحوها، وطائفةٌ كبيرة منها لا تروى.

على أننا نستطيع القول من دراستنا لكتب الذهبي واهتماماته: إنه عني بالعلوم الدينية عمومًا والعلوم المساعدة لها كالنحو واللغة والأدب والشعر. كما أنه اطلع على بعض الكتب الفلسفية. ونشك أنه درس كتبًا في العلوم الطبيعية الصرفة لعدم اعتقاده بجدواها.

خامسًا: صلاته الشخصية وأثرها في تكوينه الفكري:

اتصل الذهبي اتصالاً وثيقًا بثلاثة من شيوخ ذلك العصر وهم: جمال الدين أبو الحجاج يوسف[٦] بن عبد الرحمن المزي الشافعي «٦٥٤ ـ ٧٤٢هـ»،

---

(١) انظر الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٣٨، ٥٠، ٦٦، ٧٢، ٧٥، م٢ ورقة ٢٠، ٣٢، ٣٥، ٣٧، ٥١، ٦٥، ٦٧.

(٢) منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٥٦٨ ب.

(٣) انظر الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٦، ٢٠، ٧٢، ٧٤، ٧٧، م٢ الورقة ٣١، ٣٧، ٥٣، ٧٧، ٨٨.

(٤) ابن حجر: المعجم المفهرس (دار الكتب ٨٢ مصطلح الحديث).

(٥) نسختي المصورة (عن دار الكتب ٧٥ مصطلح الحديث).

(٦) راجع الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٩٠، وتذكرة الحفاظ، ٢ / ١٤٩٨، الحسيني: الذيل على ذيل العبر، ص ٢٢٩، السبكي: طبقات، ٦ / ٢٥١ (القاهرة ١٣٢٤هـ)، ابن كثير: البداية ١٤ / ١٩١ ـ ١٩٢، ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص ١٢٨، والتبيان، =

وتقي الدين أبو العباس أحمد[1] بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية الحراني، «٦٦١ ـ ٧٢٨هـ»، وعلم الدين أبو محمد القاسم[2] بن محمد البرزالي «٦٦٥ ـ ٧٣٩هـ»، وترافق معهم طيلة حياتهم. وكان الذهبي أصغر رفاقه سنًا، وكان أبو الحجاج المزي أكبرهم. وكان بعضهم يقرأ على بعض؛ فهم شيوخ وأقران في الوقت نفسه.

وقد ساعـد مِن شدِّ أواصر هذه الرفقـة اتجاههـم نحو طلب الحديث منذ مدة مبكرة وميلهم إلى عقائد السلف ودفاعهم عن مذهبهم، مع أن المزي والبرزاليّ والذهبي كانوا من الشافعية. وكان كل واحد منهم محبًا للآخر ذاكرًا فضله. ويذكر الذهبي جيدًا أن علم الدين البرزالي هو الذي حبب إليه العناية بالحديـث النبوي الشريف؛ فقال في معجم شيوخه الكبيـر: «الإمام الحافظ المتقن الصادق الحجة مفيدنا ومعلمنا ورفيقنا محدث الشام مؤرخ العصر»[3]، وقال في موضع آخر: «وهو الذي حبب إليّ طلب الحديث فإنه رأى خطي، فقال: خطك يشبه خط المحدثين! فأثر قوله فيّ، وسمعت منه، وتخرجت به في

= الورقة ١٦٦، ابن حجر: الدرر، ٥ / ٢٣٣ ـ ٢٣٧، ابن تغري بردي: النجوم ١٠ / ٧٦، ابن طولون: المعزة، ص ١٠، ابن العماد: شذرات، ٦ / ١٣٦، الكتاني: فهرس ١ / ١٠٧.

(١) ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية معروفة تناولها معظم المؤرخين الذين تناولوا عصره ومنهم الذهبي. ومن الذين كتبوا عنه مفردًا ابن ناصر الدين في «الرد الوافر» (بيروت ١٣٩٣هـ) وابن عبد الهادي في «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية». ومن المحدثين: محمد كرد علي في «ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية» (لم يذكر مكان الطبع ولا تاريخه)، ومحمد بن بهجة البيطار في «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» (دمشق ١٩٦١م) ومحمد أبو زهرة: «ابن تيمية، حياته وعصره، آراؤه وفقهه» (القاهرة ١٩٥٢م).

(٢) انظر الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٢٥، ذيل العبر ص ٢٠٩، الحسيني: ذيل تذكرة الحفاظ، ص ١٨ ـ ٢١، السبكي: طبقات ٦ / ٢٤٦ (القاهرة ١٣٢٤هـ)، ابن كثير: البداية، ١٤ / ١٨٥، ابن شاكر: فوات، ص ١١٩، ابن حجر: الدرر، ٣ / ٣٢١ ـ ٣٢٣، ابن تغري بردي: النجوم، ٩ / ٣١٩، ابن العماد: شذرات ٦ / ١٢٤.

(٣) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٢٥.

أشياء»[١]، وكان على غاية من الإعجاب بعلمه ولا سيما معجم شيوخه[٢] الذي خرجه لنفسه وفيه ثلاثة آلاف شيخ، منهم ألفان بالسماع وألف بالإجازة[٣]. وكتب الذهبي عن شيخه ورفيقه المزي بأنه: «العلامة الحافظ البارع أستاذ الجماعة... محدث الإسلام»[٤] وأنه كان «خاتمة الحفاظ وناقد الأسانيد والألفاظ، وهو صاحب معضلاتنا وموضِّح مشكلاتنا»[٥].

أما ابن تيمية فكانت شخصيته قد اكتملت منذ أن كان الذهبي شابًا في أول طلبه العلم، وكان قد أصبح مجتهدًا له آراؤه الخاصة التي تقوم في أصلها على اتباع آثار السلف، وابتدأ منذ سنة ٦٩٨هـ يدخل في خصومات عقائدية حادة مع علماء عصره من المخالفين له[٦]، ويقيم الحدود بنفسه ويحلق رؤوس الصبيان[٧]، ويحارب المشعوذين من أدعياء التصوف[٨]، ويمنع من تقديم النذور[٩]، ويدور هو وأصحابه على الخمارات والحانات ويريق

---

(١) ابن حجر: الدرر، ٣ / ٣٢٣.

(٢) نظم الذهبي في هذا المعجم بيتين من الشعر، قال:

إن رمت تفتيش الخزائن كلها ... وظهور أجزاءٍ حوت وعوالي
ونعوت أشياخ الوجود وما رووا ... طالع أو اسمع معجم البرزالي

(ابن حجر: الدرر، ٣ / ٣٢٢، ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص ١٢٠).

(٣) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٢٥، وذيل العبر، ص ٢٠٨، ابن حجر: الدرر، ٣ / ٣٢٢، ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص ١٢٠.

(٤) معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٧٠، وانظر تذكرة الحفاظ، ٤ / ١٤٩٨ ـ ١٤٩٩.

(٥) ابن حجر: الدرر، ٥ / ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٣٣٢ (أياصوفيا ٣٠١٤)، الصفدي: الوافي، ٥ / ٢٢، ابن كثير: البداية، ١٤ / ٤، ابن حجر: الدرر، ١ / ١٥٥.

(٧) ابن كثير: البداية، ١٤ / ١٩.

(٨) الصفدي: الوافي، ٥ / ١٨، ابن كثير: البداية، ١٤ / ٣٣، وانظر فتواه في «الصوفية والفقراء» (نشرها رشيد رضا بالقاهرة ١٣٤٨هـ، ط٢).

(٩) ابن كثير: البداية، ١٤ / ٣٤.

الخمور[١]، ويقاتل بعض من يعتقد فساد عقيدته[٢]، ويشتط على القضاة[٣]، بل بلغ الأمر به في إحدى المرات أن دخل السجن وأخرج رفيقه المزي منه بنفسه[٤].
وظهرت شخصيته السياسية في الحرب الغازانية سنة ٦٩٩هـ وما بعدها ولا سيما سنة ٧٠٢هـ، حيث لعب دورًا كبيرًا في انتصار المماليك على المغول في وقعة شقحب[٥].

وقد أحب الذهبي شيخه ورفيقه وأعجب به، فقال بعد أن مدحه مدحًا عظيمًا: «وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته، فلو حلِّفت بين الركن والمقام لحلفت: أني ما رأيت بعيني مثله، ولا واللّه ما رأى هو مثل نفسه في العلم»[٦]. ولما مات رثاه بقصيدة[٧]، وذكر أن مصنفاته قد جاوزت الألف[٨]، وبالغ في ذكر مساوئ من حط عليه مثل: الأمير سيف الدين تنكز[٩] نائب الشام.

ولم تكن محبة رفيقيه وإعجابهما بابن تيمية بأقل من محبة الذهبي له، بل ربما كان المزي أكثرهم إعجابًا به ومحبة له مع أنه أكبر منه سنًا[١٠].

---

(١) ابن كثير، البداية، ١٤ / ١١.
(٢) المصدر نفسه، ١٤ / ١٢.
(٣) ابن حجر: الدرر، ١ / ١٥٦.
(٤) السبكي: طبقات، ٦ / ٢٥٤ (القاهرة ١٣٢٤هـ)، ابن كثير: البداية، ١٤ / ٣٧، ابن حجر: الدرر، ٥ / ٢٣٤.
(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٣٣٤ فما بعد (أياصوفيا ٣٠١٤)، الصفدي: أعيان العصر، ٨ / الورقة ١ ـ ٧ (أياصوفيا ٢٩٦٨)، ابن كثير: البداية ١٤ / ٩ فما بعد.
(٦) ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص ٣٥، وقارن ابن حجر: الدرر، ١ / ١٦٨ ـ ١٦٩.
(٧) ابن ناصر الدين: بديعة الزمان، الورقة ١٦٥، والرد الوافر: ص ٣٥ ـ ٣٦.
(٨) ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص ٣٥، وقارن ابن حجر: الدرر، ١ / ١٦٠. وقال الصفدي: «ومَن الذي يأتي على مجموعها؟» وذكر منها جملة كبيرة (الوافي ٥ / ٢٣ ـ ٣٠).
(٩) ابن حجر: الدرر، ١ / ٦١. وعاتب الذهبي تلميذه تاج الدين السبكي بسبب كلام وقع منه في ابن تيمية فاعتذر منه السبكي برسالة أرسلها إليه (ابن حجر: الدرر، ١ / ١٦٩).
(١٠) انظر أقوال المزي في ابن تيمية في كتاب الرد الوافر ص ١٢٨ ـ ١٣٠، وأقوال البرزالي في=

ومع أن الذهبي قد خالف رفيقه وشيخه «في مسائل أصلية وفرعية»[١] وأرسل إليه نصيحته الذهبية[٢] التي يقرعه فيها ويلومه وينتقد بعض آرائه وآراء أصحابه بها، إلا أنه بلا ريب قد تأثر به تأثرًا عظيمًا، بحيث قال تاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ: «إن هذه الرفقة: المزي والذهبي والبرزالي أضر بها أبو العباس ابن تيمية إضرارًا بينًا، وحمَّلها من عظائم الأمور أمرًا ليس هينًا وجرهم إلى ما كان التباعد عنه أولى بهم»[٣].

إن هذه الصلة بين الرفقة وما اختطوه لأنفسهم فيما ارتضوه ومالوا إليه من آراء الحنابلة قد أدت في كثير من الأحيان إلى إيذائهم والتحامل عليهم بما ليس فيهم. وقد أوذي المزي بسبب ذلك[٤]، وحرم الذهبي بسبب آرائه من تولي أكبر دار للحديث بدمشق هي دار الحديث الأشرفية[٥] التي شغرت مشيختها بعد وفاة

= الكتاب نفسه ص ١١٩ ـ ١٢٣. وكان ابن تيمية شديد الإعجاب بالمزي، فلما باشر دار الحديث الأشرفية بعد الشريشي قال ابن تيمية: «لم يلها من حين بنيت إلى الآن أحق بشرط الواقف منه» انظر: ابن كثير: البداية، ١٤ / ٨٩، ابن حجر: الدرر، ٥ / ٢٣٤، النعيمي: تنبيه، ١ / ٣٥.

(١) ابن حجر: الدرر ١ / ١٦٦.

(٢) الذهبي: النصيحة الذهبية لابن تيمية (دمشق ١٣٤٧هـ).

(٣) السبكي: طبقات، ٦ / ٢٥٤ (القاهرة ١٣٢٤هـ).

(٤) من ذلك ما حدث سنة ٧٠٥هـ حينما وقعت المناظرة بين ابن تيمية والشافعية، فقرأ الشيخ جمال الدين المزي فصلاً بالرد على الجهمية من كتاب «خلق أفعال العباد» للبخاري تحت قبة النسر بعد قراءة ميعاد البخاري، فغضب بعض الفقهاء الحاضرين وشكاه إلى القاضي الشافعي ابن صصرى، وكان من أعداء ابن تيمية، فأمر بسجن المزي، ولما بلغ ابن تيمية ذلك تألم كثيرًا وذهب إلى السجن فأخرجه منه بنفسه، فغضب نائب دمشق فأعيد المزي ثم أفرج عنه. (ابن كثير: البداية، ١٤ / ٣٧، ابن حجر: الدرر ٥ / ٢٣٤).

(٥) منسوبة إلى الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن العادل الأيوبي، ابتدأ عمارتها سنة ٦٢٨هـ وافتتحت سنة ٦٣٠هـ. وأول من وليها محدث عصره الشيخ تقي الدين ابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣هـ. (انظر الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٢٤٣ (أياصوفيا ٣٠١٢)، =

رفيقه المزي سنة ٧٤٢هـ. فأشار قاضي القضاة علي بن عبد الكافي السبكي أن يعين الذهبي لها، فتكلم الشافعية بأن الذهبي ليس بأشعري، وأن المزي ما وليها إلا بعد أن كتب بخطه وأشهد على نفسه بأنه أشعري، واتسع النقاش بينهم ورفض الشافعية أن يتولاها الذهبي بعد أن جمعهم نائب الشام ألطنبغا بالرغم من إلحاح السبكي، ولم يحسم الأمر إلا بتولية السبكي نفسه[١].

ثم أثرت صلة الذهبي بابن تيمية فيما اختصر[٢] أو ألف[٣] من كتب، وفي بلورة بعض آرائه، وحبه للحنابلة[٤]، وموقفه من بعض المتصوفة[٥] ولا سيما طائفة الأحمدية أتباع الشيخ أحمد الرفاعي[٦].

وهو يذكر أن علم المنطق «نفعه قليل وضرره وبيل، وما هو من علوم الإسلام»[٧]، ويقول عن الفلسفة: «الفلسفة الإلهية ما ينظر فيها من يرجى فلاحه ولا يركن إلى اعتقادها من يلوح نجاحه؛ فإن هذا العلم في شق وما جاءت به الرسل في شق، ولكن ضلال من لم يدر ما جاءت به الرسل كما ينبغي بالحكمة أشر ممن يدري، واغوثاه بالله، إذا كان الذين قد انتدبوا للرد على الفلاسفة قد

= والنعيمي: تنبيه الدارس ١ / ١٩ فما بعد).

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ٦ / ١٧٠ ـ ١٧١ (القاهرة ١٣٢٤هـ)، ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، الورقة ١٠٥ (أحمد الثالث ٢٨٣٦).

(٢) من ذلك مثلاً: «المنتقى من منهاج الاعتدال» لشيخه ابن تيمية (وانظر الفصل الخاص بكتبه).

(٣) من ذلك مثلاً: كتاب «العلو» (وانظر الفصل الخاص بكتبه).

(٤) الذهبي: معجم الشيوخ م١ ورقة ٤.

(٥) قال في ترجمة شيخه بهاء الدين أبي المحاسن عبد المحسن بن محمد المعروف بابن العديم، المتوفى سنة ٧٠٤هـ: «وكان يدخل في ترهات الصوفية». (معجم الشيوخ، م١ الورقة ٨٥).

(٦) قال في ترجمة ثعلب بن جامع الصعيدي الأحمدي البازدار، المتوفى سنة ٧٢٥هـ: «كان من كبار الأحمدية، وله أتباع، ثم إنه تاب وترك تلك الرعونات». (معجم الشيوخ، م١ الورقة ٤٠).

(٧) الذهبي: بيان زغل العلم، ص ٢٤، وقال في ترجمة أحد شيوخه: «ثم دخل في المنطق، فالله يسلم، ثم أقبل على شأنه». معجم الشيوخ م١ ورقة ٦٦ ـ ٦٧.

حاروا ولحقتهم كسفة، فما الظن بالمردودعليهم»[١]!؟

ثم كان لهذه الرفقة، أعني رفقة ابن تيمية، أن جعلت بعض الناس يجدون فيها سببًا لطعنهم في كتاباته بسبب اعتقادهم بتحيزها[٢]. وقد أثارت هذه المطاعن نقاشًا بين علماء عصره، وعند العلماء الذين جاءوا بعده[٣]، وهو ما سوف نبحثه عند كلامنا على منهجه في تاريخ الإسلام[٤].

ومع أن كثيرًا من الانتقادات التي وجهت إلى الذهبي بسبب العقائد كان يغلب عليها طابع التحامل والتعصب[٥]. إلا أننا في الوقت نفسه يجب أن نعترف بأن تكوينه الفكري العام قد ارتبط ارتباطًا شديدًا بالحديث والمحدثين ونظرتهم إلى العلوم والعلماء وفلسفتهم تجاه العلوم العقلية. وقد أثر ذلك، كما سنرى، في منهجه التاريخي تأثيرًا واضحًا حينما ربطه بالحديث النبوي الشريف وعلومه، فاهتم اهتمامًا كبيرًا بالتراجم حتى صارت أساس كتابه ومحور تفكيره. ثم أثر تكوينه الفكري هذا في نظرته إلى الأحداث التاريخية وأسس انتقائها ونوعية اهتماماته، كما سنراه مفصلاً في الباب الثاني من هذه الرسالة.

سادسًا: نشاطه العلمي ومناصبه التدريسية:

بدأت حياة الذهبي العلمية في الإنتاج في مطلع القرن الثامن الهجري كما يبدو، فبدأ باختصار عدد كبير من أمهات الكتب في شتى العلوم التي مارسها، ومن أهمها التاريخ والحديث. ثم توجه بعد ذلك إلى تأليف كتابه العظيم «تاريخ الإسلام» الذي انتهى من إخراجه لأول مرة سنة ٧١٤هـ[٦]. وقد تولى الذهبي في

---

(١) الذهبي: بيان زغل العلم، ص ٢٥ ـ ٢٦، وانظر معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٤٩.

(٢) السبكي: معيد النعم، ص ٧٤، والطبقات، ٢ / ١٣ ـ ١٥، ٢٢ ـ ٢٥، ٩ / ١٠٣.

(٣) السخاوي: الإعلان، ص ٤٩٩ فما بعد، وابن عبد الهادي: معجم الشافعية، الورقة ٤٧ ـ ٤٨.

(٤) انظر أدناه الباب الثاني تجد فيه تفصيلاً مغنيًا.

(٥) انظر الفصل الأخير من الباب الثاني.

(٦) انظر الورقة الأخيرة من نسخة أياصوفيا ٣٠١٤.

سنة ٧٠٣هـ الخطابة بمسجد كفر بطنا[١]، وهي قرية بغوطة دمشق[٢]، وظل مقيمًا بها إلى سنة ٧١٨هـ. وفي هذه القرية الهادئة ألف الذهبي خيرة كتبه، وقد ساعده على ذلك كما يبدو تفرغه التام للتأليف.

وفي شوال سنة ٧١٨هـ توفي الشيخ كمال الدين أحمد بن محمد بن أحمد ابن الشريشي الوائلي، وكيل بيت المال، وشيخ دار الحديث بتربة أم الصالح وغيرها[٣]، وكانت هذه الدار من كبريات دور الحديث بدمشق آنذاك[٤]، تولاها كمال الدين ابن الشريشي مدة ثلاث وثلاثين سنة ابتداءً من سنة ٦٨٥هـ، إلى حين وفاته، وكان والده قد تولاها قبله[٥]، قال ابن كثير في حوادث سنة ٧١٨هـ: «وفي يوم الاثنين العشرين من ذي الحجة باشر الشيخ شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي المحدث الحافظ بتربة أم الصالح عوضًا عن كمال الدين ابن الشريشي... وحضر عند الذهبي جماعة من القضاة»[٦]. وقد اتخذها الذهبي سكنًا له ثم مات فيها بعد ذلك.

وفي يوم الأربعاء السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٧٢٩هـ ولي شمس الدين الذهبي دار الحديث الظاهرية[٧] بعد الشيخ شهاب الدين أحمد بن

---

(١) الحسيني: ذيل العبر، ص ٢٦٩، ابن كثير: البداية، ١٤ / ٢٨.

(٢) محمد كرد علي: غوطة دمشق، ص ٢٤.

(٣) الذهبي: ذيل العبر، ص ٩٩، ابن كثير: البداية، ١٤ / ٩١، النعيمي: تنبيه الدارس، ١ / ٣٣-٣٤.

(٤) النعيمي: تنبيه، ١ / ٣١٦، وواقفها هو الصالح إسماعيل ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر.

(٥) ابن كثير: البداية، ١٤ / ٨٨، ٩١، النعيمي: تنبيه، ١ / ٣٤.

(٦) ابن كثير: البداية، ١٤ / ٨٨.

(٧) أسسها الملك الظاهر بيبرس البندقداري سنة ٦٧٦هـ، هي والمدرسة الظاهرية وهي اليوم مقر دار الكتب الظاهرية الواقعة قبالة المجمع العلمي العربي بدمشق، انظر عنها: النعيمي: الدارس، ١ / ٣٤٨.

جهبل ونزل عن خطابة كفر بطنا[١].

ولما توفي الشيخ علم الدين البرزالي، شيخ الذهبي ورفيقه، سنة ٧٣٩هـ، تولى الذهبي تدريس الحديث بالمدرسة النفيسية وإمامتها عوضًا عنه، وكتب له تلميذه صلاح الدين الصفدي توقيعًا بذلك[٢].

وفي هذه السنة أيضًا، أعني سنة ٧٣٩هـ، كمل تعمير دار الحديث والقرآن التنكزية[٣]، وباشر الذهبي مشيخة الحديث بها[٤]. وقد أخطأ محيي الدين عبد القادر النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ حينما جعل الذهبي يخلف تقي الدين ابن تيمية في دار الحديث السكرية[٥]، فترجمه فيها[٦] وكرر ذلك، مع أن الذهبي لم يتول هذه الدار كما يبدو. ويظهر أن «التنكزية» تحرفت إلى «السكرية»[٧] فظن الرجل أنه تولاها، مع أنه ذكر أن الذهبي تولى دار الحديث التنكزية ونقل

---

(١) ابن كثير: البداية ١٤ / ١٤٣.

(٢) الصفدي: الوافي، ٢ / ١٦٦ وتجد نص التوقيع في كتابه.

(٣) منسوبة إلى الأمير تنكز نائب الشام، وليها سنة ٧١٢هـ ومات معتقلاً بالإسكندرية في أوائل سنة ٧٤١هـ (الحسيني: ذيل العبر، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠، ابن حجر: الدرر، ٢ / ٥٥ ـ ٦٢) قال ابن كثير في حوادث سنة ٧٣٩هـ: «ومما حدث في هذه السنة إكمال دار الحديث السكرية (كذا والصحيح: التنكزية) وباشر مشيخة الحديث بها الشيخ الإمام الحافظ مؤرخ الإسلام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، وقرر فيها ثلاثون محدثًا لكل منهم جراية وجامكية كل شهر سبعة دراهم ونصف رطل خبز، وقرر للشيخ ثلاثون رطل خبز، وقرر فيها ثلاثون نفرًا يقرؤون القرآن لكل عشرة شيخ، ولكل واحد من القراء نظير ما للمحدثين، ورتب لها إمام، وقارئ حديث، ونواب، ولقارئ الحديث عشرون درهمًا وثماني أواق خبز، وجاءت في غاية الحسن... إلخ» ١٤ / ١٨٤.

(٤) ابن كثير: البداية، ١٤ / ١٨٤، النعيمي: تنبيه، ١ / ١٢٣.

(٥) تنبيه الدارس، ١ / ٧٧ ـ ٧٨.

(٦) المصدر نفسه، ١ / ٧٨ ـ ٧٩.

(٧) علمًا بأنها محرفة في النسخة المطبوعة من البداية والنهاية (١٤ / ١٨٤) وهذه النسخة كثيرة الأغلاط كما هو معروف.

النصوص الدالة نفسها، قال في دار الحديث السكرية بعد أن ترجم لشيخها تقي الدين ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ: «ثم وليها بعده الحافظ الذهبي، وهو محمد... ثم ولي مشيخة السكرية هذه بعده الصدر المالكي، قال الشيخ شمس الدين السيد في ذيل العبر، سنة تسع وأربعين وسبع مئة: «والإمام صدر الدين سليمان بن عبد الحكم[1] المالكي مدرس الشرابيشية وشيخ السكرية بعد الذهبي. انتهى. وقال الصلاح الصفدي في تاريخه في حرف السين: سليمان ابن عبد الحكم... إلخ»[2] ثم قال في: «دار القرآن والحديث التنكزية» من كتابه بعد ذكر عمارتها ووقوفها: «قال السيد الحسيني في ذيل العبر في سنة تسع وأربعين (وسبع مئة)[3]: والإمام صدر الدين سليمان بن عبد الحكم المالكي شيخهم ومدرس الشرابيشية وشيخ التنكزية بعد الذهبي. انتهى. وقد تقدمت ترجمة الذهبي في دار الحديث السكرية. وقال الصلاح الصفدي في تاريخه في حرف السين: سليمان بن عبد الحكم... إلخ»[4]. وهذا النص الأخير هو الصحيح، وهو الذي أورده الحسيني في ذيل العبر[5]. إن هذا الاختلاط والتحريف بالنصوص جعل الدكتور صلاح الدين المنجد يذهب إلى القول بأن الذهبي خلف ابن تيمية سنة ٧٢٨هـ في دار الحديث السكرية، وهو وهم لا أساس له[6].

---

(١) هكذا في الأصل. وفي ذيل العبر ص ٢٧٦ وذيل تذكرة الحفاظ ص ١١٩: عبد الحكيم. وهو الصحيح.

(٢) النعيمي: تنبيه، ١ / ٧٧ ـ ٨٠.

(٣) زيادة من عندي يقتضيها السياق.

(٤) النعيمي: تنبيه الدارس، ١ / ١٢٧.

(٥) الحسيني: ذيل ذيل العبر ص ٢٧٦.

(٦) مقدمة سير أعلام النبلاء، ١ / ٢٢ والطريف أن ابن تيمية لم يكن متوليًا لهذه المدرسة سنة ٧٢٨! فقد اعتقل في ١٦ شعبان سنة ٧٢٦ وظل معتقلاً بالقلعة إلى حين وفاته في ليلة العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨ (ابن كثير: البداية، ١٤ / ١٢٣، ١٣٥).

ومن دور الحديث التي تولاها الذهبي: دار الحديث الفاضلية[١]، التي أسسها القاضي الفاضل وزير صلاح الدين المتوفى سنة ٥٩٦هـ.

وهكذا تولى الذهبي كبريات دور الحديث بدمشق في أيامه، لما وصل إليه من المعرفة الواسعة في هذا الفن. وحينما توفي سنة ٧٤٨هـ كان يتولى مشيخة الحديث في خمسة أماكن هي:

١ ـ مشهد عروة، أو دار الحديث العروية، ودرس فيها بعده شرف الدين ابن الواني الحنفي، نزل الذهبي له عنها في مرض موته[٢].

٢ ـ دار الحديث النفيسية، وقد نزل الذهبي عنها إلى الشيخ شرف الدين ابن الواني الحنفي في مرض موته أيضًا فدرس فيها في ذي القعدة[٣].

٣ ـ دار الحديث التنكزية، ودرس فيها بعده الإمام صدر الدين سليمان بن عبد الحكيم المالكي كما مر بنا قبل قليل[٤].

٤ ـ دار الحديث الفاضلية بالكلاسة، ودَرَّس فيها بعده تلميذه تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع بن هجرس السلامي المتوفى سنة ٧٧٤هـ[٥].

٥ ـ تربة أم الصالح، دَرَّس فيها بعده تلميذه أبو الفدا عماد الدين ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ[٦].

---

(١) النعيمي: تنبيه الدارس، ١ / ٩٤.

(٢) ابن قاضي شهبة: الإعلام، الورقة ٨٦ وهو منسوب إلى شرف الدين محمد بن عروة الموصلي المتوفى سنة ٦٢٠هـ (النعيمي: تنبيه الدارس، ١ / ٨٢).

(٣) ابن قاضي شهبة: الإعلام، الورقة ٨٦.

(٤) وانظر أيضًا ابن قاضي شهبة: الإعلام، الورقة ٨٦.

(٥) ابن قاضي شهبة: الإعلام، الورقة ٨٦، والنعيمي: تنبيه، ١ / ٩٤.

(٦) قال في كتابه البداية والنهاية في حوادث سنة ٧٤٨هـ: «وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة حضرت تربة أم الصالح ـ رحم الله واقفها ـ عوضًا عن الشيخ شمس الدين الذهبي، وحضر جماعة من أعيان الفقهاء وبعض القضاة، وكان درسًا مشهودًا ولله الحمد والمنة. . . إلخ» ١٤ / ٢٢٥.

سابعًا: منزلة الذهبي العلمية:

لعل خير ما يصور منزلة الذهبي العلمية واتجاهاته الفكرية هو دراسة آثاره الكثيرة التي خلفها، وتبيان قيمتها مقارنة بمثيلاتها، ومدى اهتمام العلماء والدارسين بها في العصور التالية، والمشاركة الفعلية التي قدمتها للحضارة الإسلامية.

وسيرة الذهبي العلمية، استنادًا إلى آثاره، ذات وجوه متعددة يستبينها الباحث الفاحص من نوعية تلك الآثار.

وأول ما يلحظ الدارس هذا العدد الضخم من الكتب التي اختصرها والتي تربي على خمسين كتابًا، معظمها من الكتب الكبيرة التي اكتسبت أهمية عظيمة عند الدارسين، والتي تعد من بين أحسن الكتب التي وضعت في عصرها وأكثرها أصالة، مما يدل على استيعاب الذهبي لمؤلفات السابقين، ومعرفته بالجيد الأصيل منها، وتمتعه بقابلية ممتازة على الانتقاء.

ومما يثير الانتباه أن مختصرات الذهبي لم تكن اختصارات عادية يغلب عليها الجمود والنقل، بل إن المطلع عليها الدارس لها بروية وإنعام نظر يجد فيها زيادات كثيرة، وتعليقات نفيسة، واستدراكات بارعة، وتصحيحات وتصويبات لمؤلف الأصل إذا شعر بوهمه أو غلطه، ومقارنات تدل على معرفته وتبحره في فن الكتاب المختصر؛ فهو اختصار مع سد نقص وتحقيق ونقد وتعليق وتدقيق، وهو أمر لا يتأتى إلا للباحثين البارعين الذي أوتوا بسطة في العلم ومعرفة في فنونه.

والذهبي حين يزيد على الكتاب المختصر يشعر بضرورة ذلك لسد نقص يعتري ذلك الكتاب. فحينما اختصر ـ مثلاً ـ كتاب «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لعز الدين ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ، زاده من عدة تواريخ منها: «تاريخ الصحابة الذين نزلوا حمص» لأبي القاسم عبد الصمد بن سعيد الحمصي المتوفى سنة ٣٢٤هـ، و«مسند» الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ، و«مسند» بقي بن مخلد المتوفى سنة ٢٧٦هـ، و«طبقات» ابن سعد المتوفى سنة

٢٣٠هـ، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ، ومن كتابات ابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤هـ[١]. وقال سبط ابن حجر عند كلامه على اختصار الذهبي لمعجم شيوخ الأئمة النبل لابن عساكر: «زاده فوائد ومحاسن»[٢].

ويجد الباحث في مختصرات الذهبي تعليقات نفيسة، من ذلك مثلاً ما عمله في كتاب «الكاشف» الذي اختصره من «تهذيب الكمال» لأبي الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ، فعلى الرغم من محافظة الذهبي على روح النص الأصلي، فقد بث فيه من روحه ونشر فيه من علمه ما جعله يكاد يكون مؤلفًا من تآليفه مخالفًا للأصل المختصر منه في كثير من الأمور، وآية ذلك أنه علق على آراء بعض أئمة الجرح والتعديل فيه تعديلاً أو إبطالاً، كما حقق كثيرًا من التراجم وزادها تدقيقًا لا نجده في الأصل. فضلاً عن بيان رأيه في كثير من الرواة على أسس من دراساته الواسعة وخبرته العميقة بعلم الحديث النبوي الشريف، مما حدا بتاج الدين السبكي أن يصف هذا المختصر بأنه «كتاب نفيس»[٣].

وتظهر براعة الذهبي في النقد والتحقيق في كثير من هذه المختصرات، فمن ذلك مثلاً ما ظهر في مختصره لكتاب «المستدرك على الصحيحين» لأبي عبد اللّه الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ الذي قصد فيه مؤلفه أن يورد أحاديث على شرط البخاري ومسلم مما لم يذكراه في صحيحيهما، حيث يتبين لنا من مطالعة المختصر وتعليقات الذهبي عليه وتخريجاته ونقده أنه لم يصحح من أحاديث الكتاب سوى النصف، وبين أن نصف النصف الآخر يصح سنده وإن كان فيه علة، أما الربع الأخير فهو أحاديث مناكير وواهيات لا تصح، بل إن في بعضها أحاديث موضوعة[٤]. ومع أن الذهبي لم يكن من وكده الكلام على جميع الأحاديث، لكن نقداته السريعة تدل على علم جم، مع إنه اختصره في شبيبته.

---

(١) انظر أدناه قائمة المختصرات في مؤلفات الذهبي و«تجريد أسماء الصحابة».

(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٣) طبقات الشافعية، ٩ / ١٠٤.

(٤) انظر أدناه «تلخيص المستدرك» في كلامنا على مؤلفات الذهبي.

وغالبًا ما يقوم الذهبي بتخريج الأحاديث الواردة في الكتب التي يقوم باختصارها، فغالب التخريج في كتاب «تلخيص العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» الذي لخصه من كتاب «العلل» لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ هو من كلام الذهبي[١]. ولما اختصر الذهبي كتاب «السنن الكبرى» للبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ تكلم على أسانيد الكتاب بنفائس تدل على تبحره بهذا الفن، ووضع رموزًا على الحديث لمن خرجه من أصحاب الصحيحين والسنن الأربع، وخرج الأحاديث التي لم ترد في هذه الكتب الستة.

وكثيرًا ما كان الذهبي يخرج تراجم الكتب التي يختصرها في علم الرجال، من ذلك مثلاً ما عمله في اختصاره لتاريخ ابن الدبيثي المتوفى سنة ٦٣٧هـ حيث زاد في كثير من تراجمه ولا سيما الرجال الذين أخذوا عن صاحب الترجمة، وهو ما أغفله ابن الدبيثي في تاريخه[٢]. كما تظهر مقارنات دقيقة بالكتب والتواريخ التي من بابته كتاريخ محب الدين ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣هـ الذي ذيل به على تاريخ الخطيب المتوفى سنة ٤٦٣هـ[٣]، ووفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ[٤]، والتكملة لوفيات النقلة لزكي الدين المنذري المتوفى سنة ٦٥٦[٥] وغيرها. أو من كتب الأدب والشعر ككتاب «الخريدة» للعماد الأصبهاني القرشي المتوفى سنة ٥٩٦هـ[٦]. أو من كتابات كبار

---

(١) الذهبي: تلخيص العلل، ورقة ٨٥ (نسخة الأزهر رقم ٢٩٠ حديث).

(٢) انظر المختصر المحتاج، مثلاً ١ / ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٥، ٤٠، ٤٢، ٤٤، ٤٧، ١٠١، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٤٨، ١٧٩، ١٩٩... إلخ.

(٣) انظر المختصر المحتاج، مثلاً ١ / ٢١، ٤٩، ٥١، ٦٩، ٧٢، ٧٧، ٨٠، ١٠١، ١٣٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٨، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١١، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٨... إلخ.

(٤) المصدر نفسه، مثلاً ١ / ١٥٨.

(٥) المصدر نفسه ١ / ١٧٥.

(٦) المصدر نفسه ١ / ٢٢٥.

العلماء الذين أخذوا عن المترجم له، مثل زكي الدين البرزالي المتوفى سنة ٦٣٦هـ[١]، وفخر الدين ابن البخاري المتوفى سنة ٦٩٠هـ صاحب «المشيخة» المشهورة[٢]، وشهاب الدين أحمد بن إسحاق الأبرقوهي المتوفى سنة ٧٠١هـ[٣]، وضياء الدين المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣هـ[٤] وغيرهم كثير. أو من خطوط العلماء نحو قوله: «قرأت بخط ابن قدامة»[٥]. فضلاً عما زاد هو من الأسانيد التي قرأها على شيوخه مما يتصل بتلك التراجم، وهي زيادات أصيلة للترجمة، فهو حينما يقول مثلاً: «وروى لنا عنه بمصر أبو المعالي الأبرقوهي»[٦] أو «روى لنا عنه أبو العباس ابن الظاهري وأبو الحسين اليونيني وعلي بن عبد الدائم ومحمد بن يوسف الإربلي. . . إلخ»[٧] فمعنى ذلك أن هؤلاء الشيوخ قد أخذوا عن صاحب الترجمة[٨].

ومن زياداته على تلك المختصرات أيضًا تواريخ وفيات المترجمين الذين لم يذكر صاحب الكتاب الأصلي وفياتهم، فنحن نعلم مثلاً أن ابن الدبيثي لم يذكر وفاة أحد ممن ذكرهم في تاريخه ممن تأخرت وفاته عن سنة ٦٢١هـ، وهي السنة التي حدث ابن الدبيثي فيها بتاريخه والتي تمثل آخر إخراج له[٩]، في حين أن وفيات بعضهم قد تأخرت إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري، فاستخرج الذهبي وفياتهم وذكرها ليكون اختصاره أكمل ولتكون معلومات

(١) المختصر المحتاج، مثلاً ٢ / ٦٢.
(٢) المصدر نفسه، مثلاً ٢ / ٦٣.
(٣) المصدر نفسه، مثلاً ٢ / ٣٦.
(٤) المصدر نفسه، مثلاً ٢ / ٣٦، ٦٢.
(٥) المصدر نفسه، مثلاً ١ / ٦٥.
(٦) المصدر نفسه، ١ / ٢١.
(٧) المصدر نفسه، ١ / ٢٣.
(٨) انظر مزيدًا من الأمثلة، المختصر المحتاج، مثلاً ١ / ٧٦، ١٣٠، ١٣٦، ١٤٠، ١٥٢، ٢٢٦، ٢٣١.
(٩) انظر كتابنا: تاريخ بغداد لابن الدبيثي، منهجه، موارده، أهميته، ص ٤ (بغداد ١٩٧٤م).

الكتاب أتم[1]. يزاد على ذلك أنه يروي بعض الأحاديث الواردة في هذه المختصرات بسنده إذا وجد مجالاً لذلك[2].

وأعاد الذهبي تنظيم بعض الكتب التي اختصرها، فحينما اختصر كتاب «الكنى» لأبي أحمد الحاكم المتوفى سنة ٣٧٨هـ أعاد ترتيبه على حروف المعجم بعد أن زاد عليه أشياء أخرى مما ليس فيه[3]. كما رتب «المجرد من تهذيب الكمال» على عشر طبقات ورتب كل طبقة على حروف المعجم، في حين كان كتاب «تهذيب الكمال» للمزي مرتبًا على حروف المعجم[4].

وقد حفظنا من سيرة الذهبي أنه عني بالقراءات ودرسها على كبار شيوخ عصره من المقرئين المشهورين حتى أصبح «الأستاذ الثقة الكبير»[5] فيها. وذكر ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢هـ أنه كان «إمامًا في القراءات»[6]. لكننا نلحظ في الوقت نفسه أنه لم يتخرج عليه في القراءات سوى عدد قليل جدًا[7]، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنه عني بهذه الناحية في مطلع حياته العلمية، ثم اتجه بعد ذلك إلى الحديث والتاريخ وغيرهما. ولم نعرف من آثاره في هذا الفن غير كتاب «التلويحات في علم القراءات»[8] وكتاب «معرفة القراء الكبار على

---

(١) انظر المختصر المحتاج إليه، مثلاً ١ / ٧٦، ٨٦، ١٠٦، ١٣٣، ١٥١، ١٥٢... إلخ، ونجد أيضًا ذكرًا لوفيات من يرد اسمه عرضًا في بعض الأحيان ١ / ١٠٣.

(٢) المختصر المحتاج إليه ١ / ٤٩، ٦٥.

(٣) انظر مقدمة نسخة فيض الله رقم ١٥٣١ من الكتاب.

(٤) انظر أدناه كلامنا على كتاب «المجرد من تهذيب الكمال».

(٥) ابن الجزري: غاية، ٢ / ٧١.

(٦) الرد الوافر، ص ٣١.

(٧) ابن الجزري: غاية، ٢ / ٧١، قال: «ولم أعلم أحدًا قرأ عليه القراءات كاملاً، بل شيخنا الشهاب أحمد بن إبراهيم المنبجي الطحان قرأ عليه القرآن جميعه بقراءة أبي عمرو والبقرة جمعًا. وروى عنه الحروف إبراهيم بن أحمد الشامي ومحمد بن أحمد ابن اللبان وجماعة. وسمع منه الشاطبية يحيى بن أبي بكر البوني وحدث بها عنه في اليمن».

(٨) انظر أدناه كلامنا على آثار الذهبي (القراءات).

الطبقات والأعصار»[1] الذي هو إلى كتب التراجم أقرب منه إلى القراءات وإن كانت محتوياته غالبًا ما تتعلق بموضوع القراءات. وقد شهد له ابن الجزري بالإحسان فيه[2]، ولذلك سلخه بأجمعه في كتابه «غاية النهاية» كما نص على ذلك في المقدمة[3]، ووصفه شمس الدين السخاوي بأنه «كتاب حافل»[4]. ومع كل ذلك فإن هـذا الوجه من حياة الذهبـي العلميـة هو أضعف الوجوه وأقلها آثارًا.

على أن منزلة الذهبي العلمية وبراعته تظهران في أحسن الوجوه إشراقًا وأكثرها تألقًا عند دراستنا له محدثًا يعنى بهذا الفن، فقد مهر الذهبي في علم الحديث وجمع فيه الكتب الكثيرة «حتى كان أكثرَ أهل عصره تصنيفًا»[5]. وقد رأينا إقباله العظيم عليه وشرهه لسماعه وذاك العدد الضخم من الشيوخ الذين حوتهم معجمات شيوخه الثلاثة والكتب والأجزاء والمجاميع الكثيرة التي قرأها على الشيوخ أكثر من مرة. وقد فتحت له هذه المعرفة الواسعة آفاقًا عظيمة في هذا الفن فاختصر عددًا كبيرًا من الكتب وألف عددًا أكبر يستبينه الباحث عند إلقائه نظرة على قائمة مؤلفاته في هذا المجال. كما ألف في مصطلح الحديث كتبًا، وخرج التخاريج الكثيرة من الأربعينات، والثلاثينات، والعوالي، والأجزاء، ومعجمات الشيوخ، والمشيخات، وغيرها مما فصلنا القول فيه عند كلامنا على آثاره.

ومع أن الذهبي قد عاش في عصر غلب عليه الجمود والنقل والتلخيص، فإنه قد تخلَّص من كثير من ذلك بفضل سعة دراساته وفطنته، قال عنه تلميذه صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ: «لم أجد عنده جمود المحدثين ولا

(١) انظر أدناه كلامنا على مؤلفات الذهبي في الرجال.
(٢) غاية، ٢ / ٧١.
(٣) المصدر نفسه، ١ / ٣.
(٤) الإعلان، ص ٥٦٤.
(٥) ابن حجر: الدرر، ٣ / ٤٢٦.

كودنة[1] النقلة، بل هو فقيه النظر له دربة بأقوال الناس ومذاهب الأئمة من السلف وأرباب المقالات. وأعجبني منه ما يعانيه في تصانيفه من أنه لا يتعدى حديثًا يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن أو ظلام إسناد أو طعن في رواته، وهذا لم أرَ غيره يراعي هذه الفائدة فيما يورده»[2].

إن هذه البراعة في علم الحديث والتمكن منه ذاك التمكن، جعلا الذهبي ينطلق بعد ذلك يجرح، ويعدل، ويفرع، ويصحح، ويعلل، ويستدرك على كبار العلماء[3]، «فدخل في كل باب من أبوابه» على حد تعبير تلميذه تاج الدين السبكي[4]، حتى أطلق عليه معاصروه «محدث العصر»[5]. وبلغ اعتراف حافظ عصره الإمام ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ بفضل الذهبي وبراعته إلى درجة أنه شرب ماء زمزم سائلاً اللّه أن يصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ وفطنته[6].

ومفهوم التاريخ عند الذهبي يتصل اتصالاً وثيقًا بالحديث النبوي وعلومه، ويظهر ذلك من كتب الرجال التي يطلق الذهبي عليها اسم «التاريخ». وقد أصبح

---

(١) الكودنة: البلادة.

(٢) الوافي، ٢ / ١٦٣.

(٣) الحسيني: ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٣٥.

(٤) الطبقات الوسطى (ترجمة الذهبي من نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٥٤).

(٥) السبكي: الطبقات، ٩ / ١٠٠، العيني: عقد الجمان، ورقة ٣٧ (أحمد الثالث رقم ٢٩١١).

(٦) استنادًا إلى حديث رسول اللّه ﷺ «ماء زمزم لما شرب له» وقد ذكر ذلك تلميذه السخاوي في الإعلان ص ٤٧٢. وقديمًا شرب ابن خزيمة المتوفى سنة ٣١١هـ ماء زمزم وطلب علمًا نافعًا (الذهبي: تذكرة، ٢ / ٧٢١). وقال الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ: «شربت ماء زمزم وسألت اللّه أن يرزقني حسن التصنيف» (الذهبي: تذكرة، ٣ / ١٠٤٤). وألف شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣هـ رسالة في «التزام ما لا يلزم فيما ورد في ماء زمزم» منها نسخة في خزانة كتب جستربتي في دبلن في ضمن مجموع برقم ٣٣١٧.

واضحًا أن الغاية الرئيسة من العناية بالرجال تأتي لضبط الرواة أولاً[1]، وهو ما يظهر في معظم مقدمات كتبه في هذا الفن، وهو مفهوم ساد عند المحدثين المؤرخين ولا سيما في ذلك العصر[2].

وعلى علم الرجال، وعلى آثار الذهبي فيه، قامت شهرته الواسعة بعدِّه مؤرخًا، كما نرى. وقد خلف الذهبي في هذا الفن عددًا ضخمًا من الآثار ابتدأها باختصار أمهات الكتب المؤلفة فيه، كالتواريخ المحلية مثل «تاريخ مدينة السلام» للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، والذيول عليه لابن السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ، وابن الدبيثي المتوفى سنة ٦٣٧هـ وابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣هـ. ومنها أيضًا «تاريخ دمشق» لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ، و«تاريخ مصر» لابن يونس المتوفى سنة ٣٤٧هـ، و«تاريخ نيسابور» لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ، و«تاريخ خوارزم» لابن أرسلان الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٨هـ. ومن كتب الوفيات: «التكملة لوفيات النقلة» لزكي الدين المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ وصلته للحسيني المتوفى سنة ٦٩٥هـ. ومن كتب الأنساب: كتاب «الأنساب» لأبي سعد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ. ومن كتب الصحابة: كتاب «أسد الغابة» لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ. ومن كتب رجال الصحاح والسنن: مثل كتاب «تهذيب الكمال في معرفة الرجال» لأبي الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ، و«المعجم المشتمل على أسماء شيوخ

---

(١) انظر كتابنا: «أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين». بغداد، مطبعة الحكومة ١٩٦٦م، وبحثنا: «مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين» المنشور في مجلة الأقلام البغدادية، السنة الأولى، العدد الثالث ١٩٦٥م.

(٢) حينما شعر الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ أن من بين مستدركاته على الذهبي في كتابه «المشتبه» أسماء لشعراء وفرسان في الجاهلية وما أشبه ممن ليست لهم رواية حديثية، اعتذر عن ذلك بقوله: «فإن غالب من ذكرت يأتي ذكره في كتب المغازي والسير والمبتدأ والأنساب والتواريخ والأخبار ولا يستغني طالب الحديث عن ضبط ما يرد في ذلك من الأسماء ولو لم يكن لهم رواية». تبصير المنتبه، ٤ / ١٥١٣.

الأئمة النبل» لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ وغيرها[١]. فكانت هذه المختصرات المادة الرئيسة التي كونت شخصيته العلمية ومعرفته بالعصور السابقة. أما تراجم المعاصرين فيعد الذهبي من بين أحسن الذين كتبوا فيهم، وقد أدرك أهمية هذا الأمر فكان كتابه «المعجم المختص بالمحدثين» خير دليل على ذلك، ولا عبرة بعد ذلك بمن انتقده لتناوله التاريخ المعاصر كابن الوردي[٢]، لأن هذا هو التاريخ الأكثر أهمية وخطرًا، وهو الذي يعطي المؤرخ أهميته البالغة بين المؤرخين ويميزه عن غيره.

لقد أنتجت هذه المعرفة الرجالية الواسعة مؤلفات كثيرة لعل من أهمها كتابه العظيم «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» الذي هو إلى كتب التراجم أقرب منه إلى التاريخ بمفهومه الحديث كما سيأتي بيانه في فصول قادمة، ثم ذلك العدد الضخم من المؤلفات التي سوف نفصل القول فيها في فصل آت.

ولعل مما يميز الذهبي عن غيره من بعض مؤلفي كتب التراجم أنه لم يقتصر في تأليفه على عصر معين، أو فئة معينة، أو تنظيم معين، بل تناولت مؤلفاته رجال الإسلام من أول ظهوره حتى عصره، بله المعاصرين له. وهو في كتابته للترجمة تراجمي مبدع مليء بفن التراجم يجد الباحث فيها دقة متناهية في التعبير وحبكًا للترجمة تشد القارئ إليها مع تعدد الموارد وانتقاء لأفضلها، وإبداء لآرائه الشخصية فيها[٣].

وقد عانى الذهبي كتابة «السيرة»، وهو فن خاص له مميزاته التي تجعله يختلف عن كتابة «الترجمة» المجردة، فكتب في سير الخلفاء الراشدين، وأئمة الفقه، والحديث، وغيرهم[٤].

ومعرفة الذهبي الواسعة في الرجال دفعت تاج الدين السبكي الذي انتقده

---

(١) انظر أدناه كلامنا على «المختصرات» من الفصل الآتي.

(٢) ابن الوردي: تتمة المختصر، ٢ / ٣٤٩.

(٣) انظر الباب الثاني من هذا البحث عند كلامنا على منهج الذهبي في تاريخ الإسلام.

(٤) انظر أدناه كلامنا على «السير» من آثار الذهبي في الفصل القادم.

في بعض المواضع إلى القول: «إنه كان شيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال، وكأنما جُمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يعبر عنها إخبار من حضرها»[١]. وقد ازداد شأنه بعد عصره بحيث عُدَّ هو والمزي مؤرخي القرن الثامن اللذين لا ينافسهما أحد[٢]، وعده الإمام السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ رأس طبقة ذكر فيها القطب الحلبي المتوفى سنة ٧٣٥هـ وابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤هـ وشمس الدين المقدسي المتوفى سنة ٧٤٤هـ وتقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٥٦هـ وعلم الدين البرزالي المتوفى سنة ٧٣٩هـ وشهاب الدين النابلسي المتوفى سنة ٧٥٨هـ[٣] وهم من أعلام الحفاظ المحدثين المؤرخين، وذكر أن المحدثين في عصره عيال في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة أحدهم الذهبي[٤].

ومع أن براعة الذهبي التاريخية أكثر ما ظهرت في التراجم فإنه قد درس التاريخ السياسي، واختصر عددًا من المؤلفات الرئيسة فيه مثل تاريخ أبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ وتاريخ أبي الفدا المتوفى سنة ٧٣٢هـ وغيرهما، وأفاد من معظم التواريخ المعروفة في عصره ودرسها كسيرة ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ وتواريخ: الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ وابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ وابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ وغيرها مما يطول تعداده[٥]. وقد ظهرت هذه الكتابات في تواريخه المرتبة على الحوادث والوفيات مثل «تاريخ الإسلام» و«العبر» و«دول الإسلام» وغيرها. ونستبين من نطاق كتاباته هذه أنه كان مؤرخًا جوال الذهنية استطاع استيعاب عصور التاريخ الإسلامي من أول ظهوره حتى زمانه الذي كتب فيه مؤلفاته، وهي مدة تزيد على السبعة القرون، فألف في كل

---

(١) السبكي: طبقات، ٩ / ١٠١.

(٢) السخاوي: الإعلان، ص ٢٠٤.

(٣) السيوطي: طبقات الحفاظ، ورقة ٨٥ فما بعد (نسخة الإسكندرية).

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٨٦.

(٥) انظر أدناه كلامنا على نهج الذهبي في الموارد.

هذه العصور بعد أن درسها دراسة عميقة قامت على دعامتين رئيستين هما: الرواية الشفوية والكتب. وهذا أمر لم يتأت لكثير من العلماء الذين سبقوه أو عاصروه. وحينما كتب الذهبي كتابه «تذكرة الحفاظ» ورتبه على الطبقات تكلم في نهاية أكثرها على الأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية في الوقت الذي تناولته فأجمل الأوضاع العامة بفقرات قليلة دللت على سعة أفقه التاريخي وقدرته الفائقة على تصوير حقبة كاملة من الزمن وعلى امتداد العالم الإسلامي المترامي الأطراف بعبارة وجيزة. وهذا أمر لا يتأتى إلا لمن استوعب العصر ودرسه دراسة عميقة بحيث حصل له مثل هذا التصور والفهم العام[١].

ثم إن هذه المعرفة الواسعة بالرجال مع ما أوتي من ذكاء وإدراك واسعين جعلت منه ناقدًا ماهرًا، تدل على ذلك مؤلفاته في النقد وأصوله والتي من أبرزها كتابه العظيم «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» الذي عدَّه معاصروه[٢] ومن جاء بعدهم[٣] من أحسن كتبه وأجلها. وقد تناوله عدد كبير من الحفاظ والعلماء والمعنيين بالنقد استدراكًا وتعقيبًا وتلخيصًا بحيث قال شمس الدين السخاوي: «وعول عليه من جاء بعده»[٤].

وللذهبي انتباهات بارعة في أصول النقد؛ فقد ألف رسالة في «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» تكلم فيها على أصول النقد وطبقات النقاد وكيفية أخذ أقوالهم[٥]. وأورد في مقدمة «الميزان» عبارات الجرح والتعديل من أعلى مراتبها إلى أدناها وبين مدلولاتها في النقد[٦]. وهو في كتبه يشرح بعض

(١) انظر مثلاً الذهبي: تذكرة الحفاظ ١ / ٧٠، ١٥٨ ـ ١٦٠، ٢٤٤، ٣٢٨، ٢ / ٥٣٠، ٦٢٧ ـ ٦٢٨، ٤ / ١٢٦٦، ١٤٨٥.

(٢) السبكي: طبقات، ٩ / ١٠٤، الحسيني: ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥.

(٣) ابن حجر: لسان الميزان، ١ / ٤

(٤) الإعلان، ص ٥٨٧ وانظر أدناه كلامنا على الميزان في الفصل الآتي.

(٥) نسخة أياصوفيا رقم ٢٩٥٣.

(٦) ميزان الاعتدال، ١ / ٣ ـ ٤.

هذه الأصول، من ذلك مثلاً ما ذكره في ترجمة أبان بن تغلب الكوفي، قال: «شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته. وقد وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم، وأورده ابن عدي، وقال: كان غاليًا في التشيع. وقال السعدي: زائغ مجاهر. فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع وحد الثقة العدالة والإتقان؟ فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة؟ وجوابه أن البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة. ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر رضي اللّه عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة... ولم يكن أبان بن تغلب يعرض للشيخين أصلاً، بل قد يعتقد عليًا أفضل منهما»[1]. وقال في ترجمة أبي نعيم أحمد بن عبد اللّه الأصبهاني: «أحد الأعلام صدوق، تُكُلِّمَ فيه بلا حجة، ولكن هذه عقوبة من اللّه لكلامه في ابن مندة بهوى، قال الخطيب: «رأيت لأبي نعيم أشياء يتساهل فيها، منها أنه يطلق في الإجازة أخبرنا ولا يبين. قلت (يعني الذهبي): هذا مذهب رآه أبو نعيم وغيره، وهو ضرب من التدليس. وكلام ابن مندة في أبي نعيم فظيع، لا أحب حكايته، ولا أقبل قول كل منهما في الآخر، لا أعلم لهما ذنبًا أكثر من روايتهما الموضوعات ساكتين عنها... قلت: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، ما ينجو منه إلا من عصم اللّه، وما علمت أن عصرًا من الأعصار سلم أهله من ذلك، سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس، اللّهم فلا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم»[2].

ولم يكن الذهبي ليصدر اتباعًا لآراء الآخرين في النقد فهو يخالفهم في

---

(١) ميزان الاعتدال، ١ / ٥ ـ ٦ وانظر أمثلة أخرى في معجم الشيوخ م١ الورقة ٢٥٦، م٢ الورقة ٧٢، وتاريخ الإسلام، الورقة ٩٣ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٢) نفسه، ١ / ١١١ وانظر تاريخ الإسلام، الورقة ٢٣٤ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

بعض الأحيان حين لا يجد لآرائهم من سند قوي يؤيدها؛ فمن ذلك ـ مثلاً ـ ما جاء في ترجمة زيد بن وهب الجهني، أحد التابعين، وهو الذي تكلم فيه أبو يعقوب الفسوي في تاريخه وذكر أن في حديثه خللاً كبيرًا، فقال: «ولا عبرة بكلام الفسوي»[1] وأورد في «ميزان الاعتدال» مآخذ الفسوي عليه ورد عليها ثم قال: «فهذا الذي استنكره الفسوي من حديثه ما سُبق إليه، ولو فتحنا هذه الوساوس علينا لرددنا كثيرًا من السنن الثابتة بالوهم الفاسد»[2] والميزان مليء بمثل هذه الانتقادات لا مجال لتكثير الأمثلة منها.

ولم يقتصر نقد الذهبي على الرجال حسب، بل تعدى ذلك إلى نقد الموارد التي يطالعها أو يختصرها أو يأخذ منها، وهو ما يعرف اليوم بنقد المصادر؛ من ذلك مثلاً نقده لكتاب «الضعفاء» لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ الذي اختصره وذيل عليه، فقال في ترجمة أبان بن يزيد العطار: «قد أورده أيضًا العلامة ابن الجوزي في الضعفاء ولم يذكر فيه أقوال من وثقه. وهذا من عيوب كتابه يسرد الجرح ويسكت عن التوثيق»[3]. وقال في ترجمة حفص بن بغيل من الميزان: «قال ابن القطان: لا يعرف له حال ولا يعرف. قلت: لم أذكر هذا النوع في كتابي هذا؛ فإن ابن القطان يتكلم في كل من لم يقل فيه إمام عاصر ذاك الرجل أو أخذ عمن عاصره مما يدل على عدالته. وهذا شيء كثير، ففي الصحيحين من هذا النمط خلق كثير مستورون، ما ضعفهم أحد ولا هم بمجاهيل»[4]. وانتقد الذهبي كتاب «الضعفاء» لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي المتوفى سنة ٣٢٢هـ لإيراده بعض الثقات ومنهم حافظ عصره علي ابن

---

(١) الذهبي: تذكرة، ١ / ٦٧.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال، ٢ / ١٠٧ وانظر: تاريخ الإسلام، الورقة ٤٨٥ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٣) المصدر نفسه، ١ / ١٦. وقد تكلم في هذه المسألة ابن حجر في اللسان فراجعه هناك تجد فائدة.

(٤) ميزان الاعتدال، ١ / ٥٥٦.

المديني المتوفى سنة ٢٣٤هـ فقال في ترجمة ابن المديني من الميزان: «ذكره العقيلي في كتاب الضعفاء فبئس ما صنع» ورد عليه حينما نقل قول عبد اللّه بن أحمد بن حنبل: «كان أبي حدثنا عنه، ثم أمسك عن اسمه. . . ثم ترك حديثه»، بقوله: «بل حديثه عنه في مسنده» وهذا رد مفحم من الذهبي، بل قال بعد ذلك: «وهذا أبو عبد اللّه البخاري ـ وناهيك به ـ قد شحن صحيحه بحديث ابن المديني»[١]. ولا يقتصر الذهبي في نقد الكتب على إيراد مساوئها، بل كثيرًا ما يذكر محاسنها ومميزاتها؛ فقد سبق أن قال إن كتاب العقيلي مفيد[٢]، وقال عن كتاب «الكامل» لابن عدي المتوفى سنة ٣٦٥هـ إنه «أكمل الكتب وأجملها في ذلك»[٣]، وقال في ترجمة الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥هـ: «وإذا شئت أن تتبين براعة هذا الإمام الفرد فطالع العلل له فإنك تندهش ويطول تعجبك»[٤].

ونحن نعلم أيضًا أن الذهبي قد عانى النقد في تآليف خاصة رد بها على كتب معينة، فقد ألف كتابًا في الرد على ابن القطان المتوفى سنة ٦٢٨هـ[٥]. كما ألف كتاب «من تكلم فيه وهو موثق» رد به على جملة من كتب الضعفاء[٦].

وبسبب هذا الذي قدمنا ذكره من براعة الذهبي في النقد والتمكن منه، فقد أصبح «شيخ الجرح والتعديل» كما ذكر تاج الدين السبكي[٧]. وقال ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢هـ: «ناقد المحدثين وإمام المعدلين والمجرحين. . . وكان آية في نقد الرجال، عمدة في الجرح والتعديل»[٨]، وقال

(١) ميزان الاعتدال، ٣ / ١٣٨ ـ ١٤٠.

(٢) المصدر نفسه ١ / ٢.

(٣) المصدر نفسه ١ / ٢.

(٤) تذكرة الحفاظ، ٣ / ٩٩٣ ـ ٩٩٤.

(٥) الذهبي: الرد على ابن القطان، (نسخة الظاهرية، مجموع رقم ٧٠).

(٦) انظر أدناه كلامنا على هذا الكتاب في آثار الذهبي، الفصل الآتي.

(٧) الطبقات، ٩ / ١٠١.

(٨) الرد الوافر، ص ٣١.

شمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ: «وهو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال»[١]، فأصبحت أقوال الذهبي فيمن يترجم لهم تُعدُّ عند النقاد والمؤرخين الذين جاءوا بعده أقصى حدود الاعتداد، وظهرت بصورة جلية في المؤلفات التي كتبت بعد عصره، ولا سيما في مؤلفات مؤرخ القرن التاسع وحافظه ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ[٢].

ويطالعنا عند قراءة كتب الذهبي العديد من الأمثلة التي تدل على قوته في البحث والاستدلال، ومناقشة آراء غيره بروح علمي يعتمد الدليل والإقناع، من ذلك ـ مثلاً ـ مناقشته لمن اتهم الحافظ أبا حاتم محمد بن حبان البستي التميمي المتوفى سنة ٣٥٤هـ بالزندقة لقوله: «إن النبوة هي العلم والعمل» وما تبع ذلك من كتابة الخليفة أمرًا بقتله لهذا السبب، قال الذهبي: «وهذا أيضًا له محمل حسن ولم يرد حصر المبتدأ بالخبر، ومثله: الحج عرفة. فمعلوم أن الرجل لا يصير حاجًا بمجرد الوقوف بعرفة، وإنما ذكر مهم الحج، ومهم النبوة؛ إذ أكمل صفات النبي العلم والعمل، ولا يكون أحد نبيًا إلا أن يكون عالمًا عاملاً. نعم، النبوة موهبة من الله تعالى لمن اصطفاه من أولي العلم والعمل لا حيلة للبشر في اكتسابها أبدًا، وبها يتولد العلم النافع والعمل الصالح، ولا ريب أن إطلاق ما نقل عن أبي حاتم لا يسوغ، وذلك نفس فلسفي»[٣].

ومن الأمثلة الطريفة أيضًا مناقشته لمسألة معرفة النبي ﷺ الكتابة، فقال في ترجمة الحافظ العلامة أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي المتوفى سنة ٤٧٤هـ: «ولما تكلم أبو الوليد في حديث الكتابة يوم الحديبية الذي في البخاري قال بظاهر لفظه، فأنكر عليه الفقيه أبو بكر ابن الصائغ وكفره بإجازة الكتب على رسول الله

(١) الإعلان، ص ٧٢٢.

(٢) انظر مثلاً كتابه: «لسان الميزان».

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٣ / ٩٢١ ـ ٩٢٢ وراجع تاريخ الإسلام، ورقة ١٦ ـ ١٧ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) وانظر أيضًا ميزان الاعتدال، ٣ / ٥٠٧ ـ ٥٠٨ ففيه تفصيل أكثر في هذه المسألة.

ﷺ النبي الأمي وأنه تكذيب بالقرآن، فتكلم في ذلك من لم يفهم الكلام حتى أطلقوا عليه الفتنة وقبّحوا عند العامة ما أتى به خطباؤهم في الجمع وقال شاعرهم:

برئت ممن شرى دنيا بآخرة   وقال: إن رسول اللّه قد كتبا

وصنف أبو الوليد رسالة بين فيها أن ذلك غير قادح في المعجزة فرجع بها جماعة. قلت: ما كل من عرف أن يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه أميًا لأنه لا يسمى كاتبًا. وجماعة من الملوك قد أدمنوا في كتابة العلامة وهم أميون، والحكم للغلبة لا للصورة النادرة، فقد قال عليه السلام: «إنا أمة أمية» أي أكثرهم كذلك لندور الكتابة في الصحابة، وقال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم﴾[1] وقال في موضع آخر معقبًا على هذه المسألة أيضًا: «قلت: وما المانع من جواز تعلم النبي ﷺ يسير الكتابة بعد أن كان أميًا لا يدري ما الكتابة، فلعله لكثرة ما أملى على كتاب الوحي وكتاب السنن والكتب إلى الملوك عرف من الخط وفهمه وكتب الكلمة والكلمتين كما كتب اسمه الشريف يوم الحديبية محمد بن عبد اللّه، وليست كتابته لهذا القدر اليسير ما يخرجه من كونه أميًا ككثير من الملوك أميين ويكتبون العلامة»[2]. ومثل هذا كثير في كتب الذهبي.

وقد حفظنا من سيرة الذهبي أنه كان سلفي العقيدة قد أثرت فيه البيئة الدمشقية وصحبته لشيخ الإسلام ابن تيمية. ومع أن الذهبي لم يكن متحمسًا للخوض في مضايق العقائد ويعد السكوت فيها أولى وأسلم[3]، لكنه في الوقت نفسه أبدى آراءه في كثير من المواضع، وألف فيها. وقد عدَّ «الاعتزال بدعة»[4] وهاجم الفلاسفة اليونانيين هجومًا عنيفًا[5]. وكان على غاية من الإعجاب بأعمال

---

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٣ / ١١٨١ ـ ١١٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ٢ / ٧٤٢.

(٣) تذكرة الحفاظ، ٢ / ٦٠٠، ٤ / ١٤٩٩.

(٤) انظر مثلاً تذكرة الحفاظ، ٣ / ١١٢٢.

(٥) أهل المئة فصاعدًا، ص ١١٥.

السلف وإنجازاتهم[١]، واهتم اهتمامًا كبيرًا بذكر أخبار العلماء في المحنة التي أصيبوا بها حينما أعلن المأمون رأيه وألزم الناس القول بخلق القرآن، وبين مواقفهم الجريئة من هذا الأمر[٢].

لقد اختصر الذهبي عددًا من الكتب المهمة في العقائد منها ـ مثلاً ـ كتاب «البعث والنشور» وكتاب «القدر» اللذان للبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، وكتاب «الفاروق في الصفات» لشيخ الإسلام الأنصاري المتوفى سنة ٤٨١هـ وكتاب «منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال» لرفيقه وشيخه تقي الدين ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ.

وخلف الذهبي عددًا من الآثار في هذا العلم منها كتاب «الكبائر وبيان المحارم» وكتاب «الأربعين في صفات رب العالمين» وكتاب «العرش» و«كتاب مسألة الوعيد» وغيرها. ولعل من أشهرها كتابه المعروف «العلو للعلي الغفار» الذي يعد أوسع هذه الكتب وأكثرها شهرة[٣].

بحث الذهبي العقائد على طريقة السلف من أهل الحديث، فكانت المادة الرئيسة التي تكون هذه الكتب والأدلة المستعملة فيها من الأحاديث النبوية الشريفة. وقد انتُقد الذهبي من قبل مخالفيه على تأليفه لبعض هذه الكتب واعتقاده مثل هذه العقائد، قال الشيخ محمد زاهد الكوثري عن كتاب «العلو»: «ولو لم يؤلفه لكان أحسن له في دينه وسمعته لأن فيه مآخذ كثيرة، وقد شهر عن الذهبي أنه كان شافعي الفروع حنبلي المعتقد»[٤].

ولم يشتهر الذهبي بوصفه فقيهًا أو عالمًا بالفقه مع أنه درسه على أعلام العصر آنذاك مثل الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني وبرهان الدين الفزاري

---

(١) تذكرة الحفاظ، ٢ / ٦٢٧ ـ ٦٢٨.

(٢) انظر مثلاً تذكرة الحفاظ، ١ / ٤٧٦، ٤٧٧، ٥٦١، ٥٨٩ و٢ / ٧٣٠، ٧٣٣، ٧٤٧... إلخ.

(٣) انظر أدناه كلامنا على آثار الذهبي.

(٤) ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٣٤٨ هامش ٢.

وكمال الدين ابن قاضي شهبة وغيرهم[١]. وقد ألف في أصوله، وعني باختصار كتاب «المحلى» لابن حزم[٢]، وهو من كبار الكتب الفقهية، وألف عددًا من الكتب والأجزاء التي تناولت موضوعات فقهية، وكانت له فيه خواطر وآراء ونقدات جاءت في أثناء كتبه، من ذلك مثلاً كلامه في مسألة الطلاق ومناقشته لابن تيمية[٣]. وهو كغيره من علماء الحنابلة يعدُّ القرآن والحديث هما أساس الفقه، ويظهر مفهوم الفقه عند الذهبي واضحًا في بيتين من الشعر له ذكرهما غير واحد ممن ترجم له وهما:

الفقه قال اللّه قال رسوله   إن صح والإجماع فاجهد فيه
وحذار من نصب الخلاف جهالة   بين النبي وبين رأي فقيه[٤]

وهذا الذي قدمناه لا يعني أن الذهبي لم يكن عارفًا بالفقه، لكنه كان عزوفًا عنه لانشغاله بالحديث وروايته، وهو الأصل الثاني للفقه، قال ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢هـ: «له دربة بمذاهب الأئمة وأرباب المقالات قائمًا بين الخلف بنشر السنة ومذهب السلف»[٥].

ولغة الذهبي في كتبه لغة جيدة مقارنة بالعصر الذي عاش فيه، ويكفي أننا قلما وجدنا له لحنًا في كتبه. وهو بعدِّه محدثًا كبيرًا وناقدًا ماهرًا دقيق في تعابيره، لما لذلك من أهمية في وضع الكلمة المناسبة أو العبارة في موضعها الملائم ولا سيما في تحبير التراجم، فضلاً عن أسلوبه السلس الممتع لمن أدمن قراءة مثل هذه الكتب.

وقد عُني الذهبي في مطلع حياته العلمية برواية الشعر وأورد طائفة من

---

(١) انظر أعلاه كلامنا على سيرته وورنق الألفاظ لسبط ابن حجر، ورقة ١٨٠.
(٢) وهو كتاب «المستحلى في اختصار المحلى» وانظر أدناه كلامنا على آثار الذهبي.
(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٢ / ٧١٣ـ٧١٥.
(٤) ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص ٣١. الصفدي: الوافي، ٢ / ١٦٦.
(٥) الرد الوافر ص ٣١.

الأشعار عن شيوخه[١]. وذكرت لنا مصادر ترجمته بعضًا من نظمه في المدح[٢]، والرثاء[٣]. وله شعر تعليمي، فقد علمنا أنه نظم أسماء المدلسين بقصيدة أوردها السبكي في طبقاته[٤]، كما نظم أسماء الخلفاء بقصيدة أخرى[٥]. وكان كثير الاعتناء بالشعراء تدل على ذلك تراجمهم الواسعة في كتابه «تاريخ الإسلام» والنماذج الشعرية الكثيرة التي أوردها وعنايته الفائقة بتتبع دواوين الشعراء بحيث قال في ترجمة أبي الحسن محمد بن المظفر البغدادي الخرقي في وفيات سنة ٤٥٥هـ «ولا يكاد يوجد ديوانه»[٦].

وكان للذهبي خط متقن قد أعجب به علم الدين البرزالي منذ أن بدأ الذهبي يطلب العلم[٧]. وقد وصل إلينا الكثير من كتبه وكتب غيره مكتوبًا بخطه، وهو وإن لم يكن جميلاً مراعيًا لأصول الخطاطين والكتاب، لكنه يمتاز بالدقة والإتقان ولا سيما للذي يدمن عليه.

---

(١) انظر مثلاً معجم الشيوخ، م١ ورقة ٣، ٧، ١٥، ٢٠، ٢٤، ٢٩، ٣٤، ٣٥، ٤٥، ٤٨، ٥٢، ٥٥، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٩، ٧٥، ٧٧، ٨١، ٨٣، ٨٩. م٢ ورقة ١ ـ ٦، ١١، ١٢، ٣٠، ٣٣، ٣٦، ٤٠، ٥٢، ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦٦، ٧٤، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٦، ٩٩.

(٢) من بين الذين مدحهم الذهبي ووصل إلينا شعره فيهم: إسحاق بن أبي بكر بن إبراهيم الأسدي الحلبي الحنفي النحاس المتوفى سنة ٧١٠هـ (معجم الشيوخ، م١ ورقة ٣٤) وتقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٥٦هـ وولده التاج المتوفى سنة ٧٧١هـ (طبقات السبكي، ٩ / ١٠٦، والسيوطي: طبقات الحفاظ، ورقة ٨٦) ومعجم البرزالي (ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص ١٢٠).

(٣) من ذلك قصيدته في رثاء رفيقه وشيخه ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ (ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص ٣٥ ـ ٣٦ والتبيان، ورقة ١٦٥).

(٤) ٩ / ١٠٧ ـ ١٠٩.

(٥) السخاوي: الإعلان، ص ٥٤٧.

(٦) تاريخ الإسلام، ورقة ١٧٩ (أحمد الثالث ١١ / ٢٩١٧).

(٧) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٢٥، ابن حجر: الدرر، ٣ / ٣٢٣.

وعرف الذهبي بزهده وورعه وديانته المتينة، وقد رأينا عند دراستنا لمجمل سيرته أنه كان يأنس إلى الاجتماع بمشاهير الفقراء والصوفية من ذوي الديانة والتمسك بالآثار، قال تلميذه تقي الدين ابن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤هـ: «كان خيرًا صالحًا متواضعًا حسن الخلق حلو المحاضرة، غالب أوقاته في الجمع والاختصار والاشتغال بالعبادة. له ورد بالليل وعنده مروءة وعصبية وكرم»[١] وقال الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ: «مع ما كان عليه من الزهد التام والإيثار العام والسبق إلى الخيرات والرغبة بما هو آت»[٢]، ويكفي الذهبي أنه أفنى حياته في دراسة حديث رسول اللّه ﷺ وتدريسه.

لقد أصبحت كتب الذهبي متداولة في عصره والعصور التالية له، وعُدَّت من أعظم الموارد التي استقى منها الكتّاب الذين جاءوا بعده، قال ابن حجر: «ورغب الناس في تواليفه ورحلوا إليه بسببها وتداولوها قراءة، ونسخًا، وسماعًا»[٣] وقال عنه تلميذه الحسيني: «وقد سار بجملة منها الركبان في أقطار البلدان»[٤] وحسبنا أن نلقي نظرة عجلى على المستدركات والتلخيصات والذيول التي عُملت على كتبه لندرك أهميتها البالغة[٥].

وكان الذهبي مدرسة قائمة بنفسها خرّجت العديد من الحفاظ والعلماء. وقد أتاحت له معرفته العظيمة الواسعة بالحديث وعلومه والتاريخ وفنونه مكانة مرموقة بين أساتيذ العصر، فأَمَّه طلبة العلم من كل حدب وصوب. ونحن نعلم أن الذهبي تولى مناصب تدريسية كثيرة نعرف منها مشيخة الحديث في تربة أم الصالح، ودار الحديث الظاهرية، والمدرسة النفيسية، ودار الحديث التنكزية، ودار الحديث الفاضلية، ودار الحديث العروية. وقد أتاحت له هذه المناصب أن

---

(١) سبط ابن حجر: رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٢) عقود الجمان (نسخة مكتبة فاتح رقم ٤٤٣٥).

(٣) ابن حجر: الدرر، ٣ / ٤٢٧.

(٤) ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٣٦.

(٥) وانظر كلامنا على أهمية تاريخ الإسلام، أعلاه.

يدرس عليه عدد كبير من الطلبة يفوق الحصر، قال تلميذه الحسيني: «وحمل عنه الكتاب والسنة خلائق»[1] وقال ابن قاضي شهبة الأسدي: «سمع منه السبكي والبرزالي والعلائي وابن كثير وابن رافع وابن رجب وخلائق من مشايخه ونظرائه. . . وتخرج به حفاظ»[2]. وإن كتب القرن الثامن لتزخر بمئات من تلاميذ الذهبي النجب لم نجد في إيرادهم كثير فائدة في مثل هذا البحث.

ونرى من المفيد أن نقتطف في نهاية هذا الفصل آراء العلماء فيه لما لذلك من أهمية في تقويمه، وكنا نقلنا في أثناء هذا البحث بعضًا منها، فقد وصفه رفيقه وشيخه علم الدين البرزالي المتوفى سنة ٧٣٩هـ في معجم شيوخه ـ والذهبي ما زال في مطلع حياته العلمية ـ بقوله: «رجل فاضل، صحيح الذهن. اشتغل ورحل، وكتب الكثير. وله تصانيف واختصارات مفيدة. وله معرفة بشيوخ القراءات»[3]. وقال تلميذه صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ: «الشيخ الإمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد اللّه الذهبي. حافظ لا يجارى ولافظ لا يبارى، أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرَّف تراجم الناس، وأزال الإبهام في تواريخهم والإلباس. ذهن يتوقد ذكاؤه، ويصح إلى الذهب نسبته وانتماؤه. جمع الكثير، ونفع الجم الغفير، وأكثر من التصنيف، ووفر بالاختصار مؤونة التطويل في التأليف. . . اجتمعت به وأخذت عنه وقرأت عليه كثيرًا من تصانيفه ولم أجد عنده جمود المحدثين ولا كودنة النقلة»[4].

وعلى الرغم من مخالفة تاج الدين السبكي لشيخه الذهبي في بعض المسائل ورده عليه، فإنه قال في حقه: «شيخنا وأستاذنا، الإمام الحافظ. . . محدث العصر. اشتمل عصرنا على أربعة من الحفاظ، بينهم عموم وخصوص:

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٣٦.

(٢) الإعلام، م١ ورقة ٩٠ (نسخة باريس ١٣٩٨).

(٣) سبط ابن حجر: رونق الألفاظ، ورقة ١٨٠.

(٤) الوافي، ٢ / ١٦٣.

المزي والبرزالي والذهبي والشيخ الإمام الوالد، لا خامس لهؤلاء في عصرهم. . . وأما أستاذنا أبو عبد اللّه فنضيرٌ لا نظير له، وكبيرٌ[1] هو الملجأ إذا نزلت المعضلة، إمام الوجود حفظًا، وذهب العصر معنى ولفظًا، وشيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال في كل سبيل. . . وهو الذي خرجنا في هذه الصناعة، وأدخلنا في عداد الجماعة»[2] وقال أيضًا: «وسمع منه الجمع الكثير. وما زال يخدم هذا الفن إلى أن رسخت فيه قدمه، وتعب الليل والنهار وما تعب لسانه وقلمه، وضربت باسمه الأمثال وسار اسمه مسير لقبه الشمس إلا أنه لا يتقلص إذا نزل المطر، ولا يدبر إذا أقبلت الليالي. وأقام بدمشق يرحل إليه من سائر البلاد وتناديه السؤالات من كل ناد»[3].

---

(١) في المطبوع من الطبقات الكبرى: «فبصر» و«كنز» وهما مصحفتان، والذي أثبتناه مجود التقييد في معجم الشيوخ، وقد قُرأ على التاج السبكي وعليه خطه. وقد أورد صديقنا وشيخنا العلامة عبد الفتاح أبو غدة هذه العبارة في مقدمته لكتاب «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» ص ١٤٥ فجعلها: «فبحر لا نظير له وكنز» وعلق عليها في الحاشية فقال: «هذا هو الصواب في هذه الكلمة، وقد وقعت محرفة على أنحاء شتى ومَرّ عليها محققون أفاضل» وذكر عشرة ممن استشهد بها، ذكرني من بينهم، ثم قال: «والصواب فيها: فبحر لا نظير له وكنز، كما جاءت على الصحة هكذا في جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين لنعمان الألوسي ص ٣٢».

قلت: وقد وقع العلامة الشيخ عبد الفتاح بما وقع به غيره، فجاءت محرفة عنده مثلما هي محرفة في جلاء العينين، والصواب في العبارة ما أثبتناه كما جاءت في نسخة معجم شيوخ السبكي، وهي أصل في التقييد لأن ناسخها قرأها على التاج السبكي. وأما قوله: «نضير» فمعناه نعمة، ثم يُلاحظ بَعْدُ الجرس اللفظي بين «نَضِير» و«نظير». وكنت ذاكرت العلامة الشيخ فيها فأحب الإطلاع على النسخة في حينها، ولم يمكن ذلك إذ كنتُ وإياه في طريقنا متوجهين في سفر من بغداد إلى باكستان، تغمده اللّه برحمته وأسكنه فسيح جناته، فقد كان بعيد الغاية في الإنصاف وصواب الرأي وحسن الخلق.

(٢) الطبقات، ٩ / ١٠٠ ـ ١٠١، ومعجم الشيوخ، ٣٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ٩ / ١٠٣.

ووصفه تلميذه الحسيني المتوفى سنة ٧٦٥هـ بأنه «الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين قدوة الحفاظ والقراء محدث الشام ومؤرخهومفيده»[١] وقال في موضع آخر: «وكان أحد الأذكياء المعدودين والحفاظ المبرزين»[٢].

وقال تلميذه عماد الدين ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ: «الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الإسلام وشيخ المحدثين... وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه»[٣]. وحينما قدم العلامة أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي الأصل الأطرابلسي[٤] إلى دمشق سنة ٧٣٤هـ ودرس على الذهبي في تلك السنة قال فيه:

ما زلت بالسمع أهواكم وما ذكرت أخباركم قط إلا ملت من طرب
وليس من عجب أن ملت نحوكم فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب[٥]

ووصفه الحافظ ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢هـ بأنه «الحافظ الهمام مفيد الشام ومؤرخ الإسلام»[٦]. وقال ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ «قرأت بخط البدر النابلسي في مشيخته: كان علامة زمانه في الرجال وأحوالهم حديد الفهم ثاقب الذهن وشهرته تغني عن الإطناب فيه»[٧]. وقال بدر الدين العيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ: «الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المؤرخ شيخ المحدثين»[٨]. وذكره سبط ابن حجر المتوفى سنة ٨٩٩هـ في رونق الألفاظ وبالغ في الإطناب فيه، وقال: «الشيخ الإمام العالم العلامة حافظ الوقت الذي

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٣٤.
(٢) المصدر نفسه ص ٣٦.
(٣) البداية والنهاية، ١٤ / ٢٢٥.
(٤) توفي سنة ٧٧٤هـ وقد ترجمه ابن حجر في الدرر، ٤ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧.
(٥) ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص ٣١ ـ ٣٢.
(٦) المصدر نفسه، ص ٣١.
(٧) الدرر، ٣ / ٤٢٧.
(٨) عقد الجمان، ورقة ٣٧ (نسخة أحمد الثالث ٢٩١١).

صار هذا اللقب علمًا عليه. . . فللّه دره من إمام محدث. . . فكم دخل في جميع الفنون وخرج وصحح وعدل وجرح وأتقن هذه الصناعة. . . فهو الإمام سيد الحفاظ إمام المحدثين قدوة الناقدين». وقال في موضع آخر: «وكتب بخطه كثيرًا من الأجزاء والكتب وحصل الأصول وانتقى على جماعة من شيوخه. . . وعني بهذا الفن أعظم عناية وبرع فيه وخدمه الليل والنهار»[١].

ثامنًا: وفاته وأولاده:

أضر الذهبي في أخريات سني حياته، قبل موته بأربع سنين أو أكثر، بماء نزل في عينيه، فكان يتأذى ويغضب إذا قيل له: لو قدحت هذا لرجع إليك بصرك، ويقول: ليس هذا بماء، وأنا أعرَف بنفسي، لأنني ما زال بصري ينقص قليلاً قليلاً إلى أن تكامل عدمه[٢]. وتوفي بتربة أم الصالح ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة قبل نصف الليل سنة ٧٤٨هـ ودفن بمقابر باب الصغير، وحضر الصلاة عليه جملة من العلماء كان من بينهم تاج الدين السبكي[٣]. وقد رثاه غير واحد من تلامذته منهم الصلاح الصفدي[٤] والتاج السبكي[٥] وغيرهما.

وترك الذهبي أربعة من أولاده عرفوا بالعلم منهم:

١ ـ ابنته أمة العزيز، وقد أجاز لها غير واحد باستدعاء والدها منهم: شيخ المستنصرية رشيد الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه البغدادي المتوفى سنة ٧٠٧هـ[٦]. ويظهر أنها تزوجت في حياة والدها وخلفت ولدًا اسمه عبد القادر

---

(١) الورقة ١٨٠.

(٢) الصفدي: نكت الهميان، ص ٢٤٢، ابن دقماق: ترجمان الزمان، الورقة ٩٩.

(٣) السبكي: طبقات، ٩ / ١٠٥ ـ ١٠٦ وقد زاره والده تقي الدين السبكي قبل المغرب وسأله عن حاله. الصفدي: الوافي، ٢ / ١٥٦، ونكت الهميان، ص ٢٤٢، ابن حجر: الدرر، ٣ / ٤٢٧ وغيرهم، ممن ترجم له.

(٤) الوافي، ٢ / ١٦٥.

(٥) طبقات، ٩ / ١٠٩ ـ ١١١ وهي طويلة أورد بعضها، وابن قاضي شهبة: الإعلام، م١ ورقة ٩٠.

(٦) الذهبي: منتقى المعجم المختص، الورقة ٣٩ (باريس ٢٠٧٦) ومعجم الشيوخ م٢ ورقة=

سمع مع جده من أحمد بن محمد المقدسي المتوفى سنة ٧٣٧هـ[١]، وأجاز له جده رواية كتابه تاريخ الإسلام[٢].

٢ ـ ابنه أبو الدرداء عبد الله، ولد سنة ٧٠٨هـ وأسمعه أبوه من خلق كثير، وحدث ومات في ذي الحجة سنة ٧٥٤[٣].

٣ ـ ابنه شهاب الدين أبو هريرة عبد الرحمن، ولد سنة ٧١٥هـ وسمع مع والده أجزاء حديثية كثيرة[٤]، وسمع من عيسى المطعم الدلال المتوفى سنة ٧١٩هـ، وخرج له أبوه أربعين حديثًا عن نحو مئة نفس، وحدث منذ سنة ٧٤٠هـ وتأخرت وفاته إلى ربيع الآخر سنة ٧٩٩هـ[٥] وخلف ولدًا اسمه محمد، سمع مع جده[٦]، وأجاز له جده رواية كتابه تاريخ الإسلام[٧].

* * *

= ٤٦، وانظر أيضًا م١ ورقة ٧٨.

(١) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ١٧.

(٢) راجع طرة المجلد الحادي والعشرين من «تاريخ الإسلام» الذي بخط الذهبي (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٣) ابن حجر: الدرر، ٢ / ٣٩٢.

(٤) انظر مثلاً: معجم الشيوخ، م١ ورقة ٣٨، ٦٩ ـ ٧٠، ٧٤ ـ ٧٥، ٧٨، ٨٥، م٢ الورقة ٤٤، ٤٥، ٥٣.

(٥) ابن حجر: الدرر، ٢ / ٤٤٩، والتونسي: دستور الإعلام بمعارف الأعلام، الورقة ١١٦ (نسخة ولي الدين جار الله ١٦٠٥ ـ ٦٩٧).

(٦) معجم الشيوخ، م١ ورقة ٤٤.

(٧) انظر طرة المجلد الحادي والعشرين (أياصوفيا ٣٠١٤).



الفصل الثاني
آثار الذهبي

مدخل:

لقد عنيت في هذا الفصل بذكر الآثار التي خلفها الذهبي، سواء أكانت تآليف أم مختصرات وتخاريج. وقد قسمت المؤلفات بحسب موضوعاتها، ورتبت الكتب الواردة في كل موضوع من هذه الموضوعات على حروف المعجم. أما المختصرات والتخاريج فاكتفيت بسردها مرتبة على حروف المعجم من غير تقسيم لها.

وقد اجتهدت أن أتبع منهجًا واحدًا في تناول كل كتاب يمكن تلخيصه بما يأتي:

١ ـ الإشارة إلى من ذكره من المؤلفين السابقين.

٢ ـ التنبيه فيما إذا كان الكتاب موجودًا: مخطوطًا أو مطبوعًا، واجتهدت أن أطلع عليه، وأشرت إلى الطبعة أو المخطوطة التي وقفت عليها. أما بعض النسخ الخطية التي لم أتمكن من الوقوف عليها، وهي قليلة، فقد أشرت إلى ذلك ونبهت عليه.

٣ ـ حاولت أن أقدم وصفًا مختصرًا لنوعية الكتاب ومجاله وموضوعه وترتيبه بعبارة وجيزة وافية ودالة مستندًا إلى دراستي للكتاب. وعنيت بتبيان أهمية الكتاب فتتبعت من اختصره أو ذيل عليه. أما المختصرات فقد حاولت أن أقارن المختصر بالأصل جهد الطاقة بغية تبيان عمل المؤلف وجهوده في الاختصار وطبيعة تلك الجهود.

٤ ـ لم أعن باستقصاء طبعات الكتب ولا نسخها في جميع خزائن الكتب لكني أشرت إلى المهم منها.

أولاً: القراءات:

١ ـ التلويحات في علم القراءات:

ذكر ابن تغري بردي[١] وسبط ابن حجر[٢] وابن العماد[٣] أن الذهبي ألف مختصرًا في القراءات: وذكر بروكلمان نسخة من كتاب «التلويحات في علم القراءات»[٤]: فلعله هو المختصر المذكور، ولم أستطع الوقوف عليه. ولا نعرف للذهبي غير هذا الكتاب في هذا الفن[٥]. (توجد منه الآن نسخة خطية في مركز الملك فيصل بالرياض رقم (٤١٣٥٣)).

ثانيًا: الحديث:

٢ ـ الأربعون[٦] البلدانية[٧]:

ذكرها سبط ابن حجر[٨]، وأشار إليها السيوطي[٩]، وقال الذهبي في مقدمة «الأربعين البلدانية» التي خرجها من المعجم الصغير للإمام أبي القاسم الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ: «... إنني قد كنت سمعت البلدانية للحافظ السلفي والأربعين البلدانية للحافظ ابن عساكر، ورأيت الأربعين ليوسف بن أحمد

---

(١) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٣) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٤) تاريخ التراث العربي، الملحق ٢ / ٤٧ (بالألمانية).

(٥) بحساب أن كتاب «معرفة القراء الكبار» هو إلى كتب التراجم أقرب.

(٦) إن الغاية من كتب «الأربعينات» أن يجمع المحدث أربعين حديثًا في موضوع معين أو أسانيد معينة أو بلدان معينة... إلخ. انظر تفاصيل ذلك في كتابنا: المنذري، ص ١٧٦ فما بعد (النجف ١٩٦٨م).

(٧) وهي أن يجمع المحدث أربعين حديثًا عن أربعين شيخًا في أربعين مدينة فالتنظيم فيها على البلدان أساسًا.

(٨) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٩) الوسائل إلى مسامرة الأوائل، ص ١١٥ (بغداد ١٩٥٠م).

الشيرازي . . . وشرعت في أربعين بلدية لم تتكمل لي . . . »[١].

٣ ـ الثلاثون البلدانية :

وهي على غرار الأربعين البلدانية التي ذكرناها قبل قليل، ذكرها الصفدي في نَكْت الهميان وذكر أنه كتبها بخطه وقرأها على المؤلف[٢] وذكرها ابن حجر أيضًا[٣]. وهي غير الثلاثين المخرجة من معجم الطبراني[٤].

٤ ـ طرق حديث الرحمة :

ذكر الكتاني في «الرسالة المستطرفة» أنّ ممن ألف فيه: ابن الصلاح، والذهبي، وتقي الدين السبكي، وآخرون[٥].

٥ ـ طرق حديث رفع اليدين في الصلاة :

ذكره السخاوي فقال: «وقد تتبع طرقه الحافظ الذهبي فبلغت نيفًا عن أربعين صحابيًا»[٦].

٦ ـ طرق حديث : «من كنت مولاه فعلي مولاه» :

أثيرت مسألة هذا الحديث كثيرًا في تفضيل الإمام علي رضي اللّه عنه قال الذهبي في ترجمة أبي عبد اللّه الحاكم النيسابوري «ت ٤٠٥هـ» من تذكرة الحفاظ: «وأما حديث من كنت مولاه، فله طرق جيدة، وقد أفردت ذلك»[٧]. (حققه صديقنا العلامة السيد عبد العزيز الطباطبائي المتوفى سنة ١٤١٦هـ، ونشر في قم سنة ١٤٢٣هـ وأشار إلينا في مقدمته).

---

(١) نسخة الخزانة التيمورية، رقم ٤٣٨ حديث. وقد وصلت إلينا نسخة من هذه «الأربعين البلدانية» (بانكيبور ٥ / ٢ / ٤٦٢).

(٢) نكت الهميان، ص ٢٤٢.

(٣) الدرر الكامنة، ٣ / ٤٢٦.

(٤) انظر التخاريج أدناه.

(٥) الرسالة المستطرفة، ص ١١٢.

(٦) السخاوي: الغاية في شرح الهداية، ص ٧١.

(٧) ٣ / ١٠٤٣.

٧ ـ الكلام على حديث الطير :

وحديث الطير معروف في التاريخ، فيذكر أنه كان عند النبي ﷺ طير، فقال: «اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير» فجاء علي رضي اللّه عنه فأكل معه. وقد أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس بن مالك[١]. وأثار هذا الحديث كثيرًا من الدراسات ولا سيما بعد تصحيح الحاكم له وإخراجه في مستدركه على الصحيحين، قال السبكي: «وحكى شيخنا الذهبي أن الحاكم سئل عن حديث الطير، فقال: لا يصح، ولو صح لما كان أحد أفضل من علي بعد رسول اللّه ﷺ ثم قال شيخنا: وهذه الحكاية سندها صحيح، فما باله أخرج حديث الطير في المستدرك؟ ثم قال: فلعله تغير رأيه. قلت: وكلام شيخنا حق، وإدخاله حديث الطير في «المستدرك» مستدرك»[٢]. وقال الذهبي في ترجمة أبي عبد اللّه الحاكم من تذكرة الحفاظ: «ثم تغير رأي الحاكم وأخرج حديث الطير في مستدركه، ولا ريب أن في المستدرك أحاديث كثيرة ليست على شرط الصحة، بل فيه أحاديث موضوعة شان المستدرك بإخراجها فيه. وأما حديث الطير فله طرق كثيرة جدًا قد أفردتها بمصنف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل»[٣].

٨ ـ المستدرك على مستدرك الحاكم :

ذكره ابن تغري بردي[٤]، ونقل حاجي خليفة عند كلامه على «المستدرك» لأبي عبد اللّه الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ قول سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني المتوفى سنة ٨٠٥هـ فيه: «وفيه ضعيف، وموضوع أيضًا، وقد بين ذلك الحافظ الذهبي، وجمع منه جزءًا من الموضوعات يقارب مئة

---

(١) انظر جامع الترمذي (٣٧٢١) بتحقيقنا.

(٢) الطبقات، ٤ / ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٣) تذكرة، ٣ / ١٠٤٢ ـ ١٠٤٣. وقول الذهبي أن للحديث أصلاً يدفع عنه «الوضع» فالذهبي لا يعتقد بأنه موضوع، ولكنه غير صحيح.

(٤) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

حديث»[1]. وقد وصلت إلينا قطعة منه[2].

ثالثًا: مصطلح الحديث وآدابه:

٩ ـ ذكر سلسلة الذهب:

ذكرها تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى مع تذييلاته عليها، وهي سلسلة مَنْ أحفظ الناس علقها الذهبي بخطه[3].

١٠ ـ كتاب الزيادة المضطربة:

ذكره ابن تغري بردي[4] وسبط ابن حجر[5] وابن العماد[6]، وموضوعه عنوانه، وهو أن يأتي الراوي بلفظ ينفرد به عن رواية الثقات في متن الحديث، فتكون هذه زيادة مضطربة[7].

١١ ـ العذب السلسل في الحديث المسلسل[8]:

---

(١) كشف الظنون، ٢ / ١٦٧٢ وراجع كلامنا على «تلخيص المستدرك» للذهبي في «المختصرات».

(٢) في دار الكتب الظاهرية في ضمن مجموع برقم (٦٢ مجاميع) وهي قطعة من أوله.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ١٠ / ٢٢٠ ـ ٢٢٦.

(٤) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٥) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٦) شذرات، ٦ / ١٥.

(٧) السيوطي: تدريب الراوي، ص ١٥٦ فما بعد.

(٨) التسلسل من نعوت الأسانيد، وهو عبارة عن تتابع رجال الإسناد وتواردهم فيه واحدًا بعد واحد على صفة أو حالة واحدة، كأن يكون التسلسل في صيغ التحمل نحو: «سمعت فلانًا، قال: سمعت فلانًا» إلى آخر الإسناد، أو أن يكون أول حديث سمعه جميع رجال السند من شيخ معين من شيوخهم، وهو «الحديث المسلسل بالأولية» أو نوعية الرواة، كأن يكونوا كلهم قضاة مثلاً... إلخ (انظر ابن الصلاح: علوم الحديث، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩، ابن الشلبي: إتحاف الرواة بمسلسل القضاة)، وذكر ابن طولون الصالحي في كتابه «الأربعون المسلسلات» أربعين نوعًا من أنواع التسلسل (نسخة الخزانة التيمورية رقم ٥٤٢ حديث).

ذكره حاجي خليفة[1] والبغدادي[2] وهو في الحديث المسلسل بالأولية.

قال ابن حجر في ترجمة عبد الرحمن بن محمد، أسد الدين الدمشقي (٧٤٦ ـ ٨٢٥هـ): «وسمع المسلسل بالأولية من الذهبي بسنده الذي جمعه في جزء معروف»[3].

١٢ ـ منظومة في أسماء المدلسين:

طبعت بآخر كتاب «تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس» للحافظ ابن حجر (عمان ١٤٠٤هـ).

١٣ ـ منية الطالب لأعز المطالب:

ذكره حاجي خليفة[4] والبغدادي[5]، ولا نعرف له نسخة.

١٤ ـ الموقظة في علم مصطلح الحديث:

وهي رسالة صغيرة في علم المصطلح. وقد غلط كارل بروكلمان حينما حاول أن يبين أن الكتاب قد يكون في وفيات المحدثين[6]. وقد وصل الكتاب إلينا مخطوطًا[7]، وحققه صديقنا وشيخنا العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة يرحمه اللّه وطبع في بيروت سنة ١٤٠٥هـ وصدرت منه أكثر من طبعة.

---

(١) كشف الظنون، ٢ / عمود ١١٣٠.

(٢) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤.

(٣) المجمع المؤسس، الورقة ٨٨، وانظر عن الحديث المسلسل بالأولية مشيخة أبي الفتح بن صالح: بغية الطالب الفالح، تخريج ابن فهد الهاشمي المكي، الورقة ٢ ـ ٥ من نسخة البلدية بالإسكندرية (رقم ١٨٠٥د).

(٤) كشف الظنون، ٢ / عمود ١٨٨٦.

(٥) إيضاح المكنون، ٢ / عمود ٥٩٦ (وهو من مستدركاته على حاجي خليفة مع أنه ذكره)، هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٥.

(٦) تاريخ التراث العربي، ٢ / ٥٩ (بالألمانية).

(٧) وقفنا على نسخة منها بدار الكتب الوطنية في باريس تحمل الرقم (٤٥٧٧ عربيات). وفي دار الكتب الظاهرية نسخة ناقصة منها ضمن مجموع برقم (٨٨ عام) بين الورقتين ٦٩ ـ ٧٩، ويقع النقص بين الورقتين ٧٠ ـ ٧١.

رابعًا: العقائد:

١٥ ـ إثبات اليد لله عز وجل صفة من صفاته:

طبع بتحقيق الشيخ عبد الله بن صالح البراك (دار الوطن ١٩٩٨م).

١٦ ـ أحاديث الصفات:

ذكره ابن تغري بردي[١] وسبط ابن حجر[٢] وابن العماد[٣]، ولا نعرف منه نسخة.

١٧ ـ الأربعين في صفات رب العالمين:

وهي أربعون حديثًا في صفات الخالق عز وجل وقد تكلم الذهبي على الأحاديث وخرجها. ذكرها سبط ابن حجر[٤]، ووقفنا على قسم منها[٥].

١٨ ـ جزء في إثبات الشفاعة:

ذكره ابن تغري بردي[٦] وسبط ابن حجر[٧] وابن العماد[٨]. وطبع أخيرًا بتحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد (أضواء السلف ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م).

---

(١) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٣) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٤) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٥) بدار الكتب الظاهرية بدمشق الجزء الأول منها، وهي نسخة جيدة نقلت من نسخة بخط المؤلف وقوبلت عليها. وانظر الألباني: فهرس مخطوطات الظاهرية، ص ٢٨٠ وطبع في المدينة المنورة، بتحقيق عبد القادر بن محمد عطا صوفي، ١٤١٣هـ.

(٦) المنهل الصافي، الورقة ٧١.

(٧) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٨) شذرات، ٦ / ١٥٦.

١٩ ـ جزءان في صفة النار:

ذكره ابن تغري بردي[١] وسبط ابن حجر[٢] وابن العماد[٣]، ولا نعرف اليوم له نسخة.

٢٠ ـ رسالة في ذم البدعة وذم الفرق الضالة:

منها نسخة خطية في مكتبة الإسكوريال بإسبانيا برقم (٧٠٧)، ومنها صورة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٧/ ٣٧٠٢).

٢١ ـ رسالة فيما يذم ويعاب في كل طائفة:

منها نسخة مصورة في مركز الملك فيصل بالرياض برقم (٤١٣٤٤)، وتنظر علاقتها بسابقتها؟

٢٢ ـ الرسالة الذهبية إلى ابن تيمية:

وهي رسالة بعث بها الذهبي إلى شيخه ورفيقه شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية الحراني «ت ٧٢٨هـ» ينصحه فيها ويعاتبه في بعض تصرفاته. وهي رسالة مفيدة في تبيان عقيدة الذهبي. وقد ذكرها شمس الدين السخاوي في الإعلان فقال: «وقد رأيت له عقيدة مجيدة ورسالة كتبها لابن تيمية، هي لدفع نسبته لمزيد تعصبه، مفيدة»[٤] وذهب بعضهم إلى القول بأنها مزورة، ولا عبرة بذلك[٥]، ولكن قد تكون بعض الألفاظ فيها مدخولة، فيحتاج الأمر إلى تحقيق.

---

(١) المنهل الصافي، الورقة ٧١.

(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٣) شذرات، ٦/ ١٥٦.

(٤) الإعلان، ص ٥٠٤.

(٥) منها نسخة في دار الكتب المصرية بخط تقي الدين ابن قاضي شهبة الأسدي المتوفى سنة ٨٥١هـ (رقم ١٨٨٢٣ب) ومنها نسخة بدار الكتب الظاهرية (برقم ١٣٤٧). وقد نشرها حسام الدين القدسي بدمشق سنة ١٣٤٧هـ مع كتاب بيان زغل العلم. وذهب السيد زكريا علي يوسف إلى القول بأن الرسالة مزورة، وادعى أنه اتصل بالدكتور محمد رشاد سالم (هاتفيًا) وأن الأخير ما وجد لها أصلاً (انظر مقدمة المهذب في اختصار السنن، ١/ ٤ ـ ٧، =

٢٣ ـ الروع والأوجال في نبأ المسيح الدجال:

ويعرف بـ «نبأ الدجال» و«أخبار الدجال». ذكره الصفدي[١] والسبكي[٢] والزركشي[٣] وابن تغري بردي[٤] وسبط ابن حجر[٥] وابن العماد[٦] وحاجي خليفة[٧] والبغدادي[٨]. وذكر الصفدي أنه في مجلد. وقال تاج الدين السبكي في الطبقات الوسطى: «وهو حسن قرأته عليه».

٢٤ ـ كتاب رؤية الباري:

ذكره ابن تغري بردي[٩] وابن العماد[١٠]، ولم يصل إلينا.

٢٥ ـ طرق أحاديث النزول:

ذكـره ابن تغري بردي[١١] وسبط ابن حجـر[١٢] وابن العماد[١٣]، وذكـره هو في كتاب العلو فقال: «وقد ألفتُ أحاديث النزول في جزء، وذلك متواتر

= وكتب (محققًا) الكتاب (مقدمة) في آخر الجزء الأول من الكتاب المذكور تكلمًا على هذه المسألة، وحاصل كلامهما أنه من كلام العوام ليس فيه غير الشتائم.

(١) الوافي، ٢ / ١٦٤ ونكت الهميان ٢٤٣.

(٢) الطبقات، ٩ / ١٠٥، والطبقات الوسطى (في ترجمة الذهبي منها).

(٣) عقود الجمان، الورقة ٧٩.

(٤) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٥) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٦) شذرات، ٦ / ١٥.

(٧) كشف الظنون، ١ / عمود ٩٣٣.

(٨) هدية العارفين، ٢ / ١٥٤.

(٩) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(١٠) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(١١) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(١٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(١٣) شذرات، ٦ / ١٥٦.

أقطع به»[١].

٢٦ ـ كتاب العرش:

ذكره ابن تغري بردي[٢] وسبط ابن حجر[٣] وابن العماد[٤] وحاجي خليفة[٥] والبغدادي[٦]. وذكر بروكلمان أن من كتاب «العرش» نسخة في رامبور وأخرى في آصف باشا، وتساءل فيما إذا كان هو كتاب «العلو للعلي الغفار» الآتي ذكره[٧]. ولما كنت لم أستطع الوقوف على هاتين النسختين فلا يمكنني التثبت من ذلك، ولكن سبط ابن حجر ذكر كتاب «العرش» هذا وذكر كتاب «العلو» في موضع آخر مما يدل على اختلافهما. وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق قسم من «رسالة في أن اللّه على العرش»[٨]. ولدى مطالعتها تبين أنها غير كتاب «العلو»، فلعلها هي كتاب العرش؟

ثم طبع أخيرًا بتحقيق الشيخ محمد خليفة التميمي (أضواء السلف ١٩٩٩م).

٢٧ ـ العلو للعلي الغفار:

وصلت من الكتاب نسخ عديدة، وطبع غير مرة[٩]. ويعد من أوسع كتب الذهبي في العقائد وأكثرها أهمية. وقد ذكر الذهبي في مقدمته أنه كان قد جمع

---

(١) مختصر العلو، ص ١١٦.

(٢) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٣) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٤) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٥) كشف الظنون، ٢ / عمود ١٤٣٨.

(٦) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤.

(٧) تاريخ التراث العربي، الملحق ١ / ٤٧ (بالألمانية).

(٨) ضمن مجموع برقم (٤٧ مجاميع).

(٩) رأيت نسخة منه في مكتبة الأوقاف العراقية (رقم ٦٥٨٠). ويوجد منه أكثر من طبعة من أجودها: تحقيق عبد اللّه بن صالح البراك. ط دار الوطن ١٩٩٩م رسالة دكتوراه.

بعض الأحاديث في مسألة العلو سنة ٦٩٨هـ وفاته كلام على بعضها فأراد أن يستوعب الموضوع فألف هذا الكتاب.

أورد الذهبي أولاً الآيات القرآنية الدالة على علو اللّه تعالى واستوائه على العرش، ثم أورد الأحاديث النبوية الشريفة المؤيدة لذلك وبين طرقها وتكلم على أسانيدها، وعُني بعد ذلك بإيراد أقوال الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في هذا الموضوع. وكانت غايته من تأليف هذا الكتاب إثبات عقيدته في الصفات وعدم قبول التأويل، والإيمان بما ثبت من نعوت اللّه تعالى كالإيمان بذاته المقدسة، وذلك لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما يجب إثبات ذات بلا كيف كذلك نثبت صفات بلا كيف، فكذلك القول في صفاته: يجب الإيمان بها وبوجودها من غير الخوض فيها أو تشبيهها بصفات خلقه، فالصفات والاستواء منها عند الذهبي معلومة وكيفيتها مجهولة، والسؤال عنها بدعة. وهذه هي عقيدة السلف الصالح. وقد نقل الذهبي عن جملة كبيرة من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع والتي لم يصل إلينا إلا أقلها، وهنا تكمن أهمية الكتاب الكبيرة.

٢٨ ـ كتاب الكبائر:

ذكره الصفدي[١] وابن شاكر[٢] والزركشي[٣] وابن تغري بردي[٤] وسبط ابن حجر[٥] والبغدادي[٦]. ومن الكتاب نسخ متعددة[٧]، وهو مطبوع[٨].

---

(١) الوافي ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٣.

(٢) عيون التواريخ، الورقة ٨٦.

(٣) عقود الجمان، الورقة ٧٩.

(٤) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٥) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٦) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤.

(٧) من ذلك نسخة في سوهاج (رقم ١٤١ تصوف) وأخرى بدار الكتب المصرية (رقم ١٩٥٣ تصوف).

(٨) كثير من طبعاته منحولة، وأصحها طبعة صديقنا الدكتور محيي الدين مستو، وطبعة العلامة=

تناول الذهبي فيه ستة وسبعين نوعًا من الكبائر التي يجب على المسلم اجتنابها كالشرك باللّه، وقتل النفس، وترك الصلاة، ومنع الزكاة، والإفطار في رمضان، وعقوق الوالدين ونحوها. وأورد في كل كبيرة منها الآيات القرآنية المحرمة لها والأحاديث النبوية المانعة منها وبعض الحكايات المؤيدة له[1].

٢٩ ـ كتاب ما بعد الموت:

ذكره الصفدي[2] وابن شاكر الكتبي[3] وذكرا أنه في مجلد. وسماه ابن تغري بردي[4] وسبط ابن حجر[5] وابن العماد[6] والبغدادي[7] «كتاب الموت وما بعده» وهو اليوم في عداد المفقودات.

٣٠ ـ مسألة خلود الكفار في النار:

ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء فقال: «وفي المسألة بحث عندي أفردتها في جزء»[8].

٣١ ـ كتاب مسألة دوام النار:

ذكره ابن تغري بردي[9] وسبط ابن حجر[10] وابن العماد[11]، ولا نعرف

= الشيخ المحقق مشهور حسن، صديقنا (٢٠٠٣م).

(١) وتنظر بلا بد مقدمة الدكتور محيي الدين مستو في الزيادات التي زيدت على هذا الكتاب، وليست من كلام الذهبي.

(٢) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكتب الهميان، ص ٢٤٣.

(٣) عيون التواريخ، الورقة ٨٧.

(٤) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٥) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٦) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٧) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤.

(٨) سير أعلام النبلاء ١٨ / ١٢٦.

(٩) المنهل الصافي، الورقة ٧١.

(١٠) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(١١) شذرات، ٦ / ١٥٦.

منه نسخة.

٣٢ ـ كتاب مسألة الغيبة:

ذكره ابن تغري بردي[١] وابن العماد[٢]، وقال سبط ابن حجر: إنه في جزء[٣]. ولا نعرف عنه شيئًا اليوم.

٣٣ ـ كتاب مسألة الوعيد:

ذكره سبط ابن حجر[٤]، ولا نعرف له نسخة اليوم.

٣٤ ـ المقدمة الزهرا في الإمامة العظمى:

منه نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بإستانبول رقم ٤٩٦، الورقة ٢٠ ـ ٢٣، وطبعت في مصر، دار ابن عباس سنة ٢٠٠٧م.

خامسًا: أصول الفقه:

٣٥ ـ كتاب مسألة الاجتهاد:

ذكره سبط ابن حجر[٥]، ولا نعرف منه نسخة.

٣٦ ـ كتاب مسألة خبر الواحد:

ذكره سبط ابن حجر[٦]، وهو في عداد المفقودات أيضًا.

سادسًا: الفقه:

٣٧ ـ تحريم أدبار النساء:

ذكره الذهبي في ترجمة أبي عبد الرحمن النسائي عند كلامه على رأيه في إتيان النساء من أدبارهن، فقال: قال ابن الذهبي: «ثبت نهي المصطفى ﷺ عن

---

(١) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٢) شذرات، ٦ / ١٥٦ وتصحف فيه إلى «الغيب».

(٣) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٦) المصدر نفسه.

أدبار النساء، ولي فيه مصنف»[١]. وذكره الصفدي[٢] والكتبي[٣] والزركشي[٤] وابن تغري بردي[٥] والبغدادي[٦] وذكروا أنه في جزءين.

٣٨ ـ تشبيه الخسيس بأهل الخميس:

ذكره البغدادي[٧]، ووقفنا على نسخة منه[٨]. وقد حذر الذهبي فيه المسلمين من التشبه بأهل الكتاب في الأعياد التي يقيمونها. وطبع بتحقيق فضيلة العلامة الشيخ علي حسن الحلبي (دار عمار ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٣٩ ـ جزء في الخضاب:

ذكره سبط ابن حجر[٩]، وهو في عداد المفقودات.

٤٠ ـ جزء في صلاة التسبيح:

ذكره ابن تغري بردي[١٠] وسبط ابن حجر[١١] وابن العماد[١٢]، وهو مفقود أيضًا.

---

(١) تذكرة الحفاظ، ٢ / ٦٩٩.

(٢) نكت الهميان، ص ٢٤٣، والوافي، ٢ / ١٦٤.

(٣) فوات الوفيات، ٢ / ١٨٣، وعيون التواريخ، الورقة ٨٦.

(٤) عقود الجمان، الورقة ٧٩.

(٥) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٦) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤.

(٧) إيضاح المكنون، ١ / عمود ٢٨٩، وهدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤، ويظهر أنه وقف على نسخة منه بدليل نقله عنه.

(٨) بدار الكتب المصرية.

(٩) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(١٠) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(١١) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(١٢) شذرات، ٦ / ١٥٦.

٤١ ـ صلاة الضحى:

ذكره الذهبي في المعجم المختص[١].

٤٢ ـ جزء في القهقهة:

ذكره سبط ابن حجر[٢]. ولعله رد على من يقول: إن القهقهة في الصلاة تبطل الصلاة والوضوء كالحنفية، إذ أن الحنابلة والشافعية والمالكية وجمهور العلماء لا يرون ذلك ولا يعدون القهقهة حدثًا، وهو موضوع تناولته كتب الفقه.

٤٣ ـ حقوق الجار:

وهي مجموعة أحاديث في الوصية بالجار وبعض حقوقه الفقهية، وقد وقفنا على نسخة منه بخط سبط ابن حجر[٣]، وطبع بتحقيق هشام بن إسماعيل السقا، (الرياض، عالم الكتب ١٩٨٥م).

٤٤ ـ كتاب فضائل الحج وأفعاله:

ذكره ابن تغري بردي[٤] وسبط ابن حجر[٥] وابن العماد[٦]، وهو في عداد المفقودات.

٤٥ ـ كتاب اللباس:

ذكره ابن تغري بردي[٧] وسبط ابن حجر[٨] وابن العماد[٩]، وهو مفقود

---

(١) المعجم المختص، ص ٩٢.

(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٣) عندي منه نسخة مصورة عن نسخة كوبرلي بإستانبول (رقم ٣ / ١٥٨٤) كتبها سبط ابن حجر بخطه سنة ٨٦٤هـ.

(٤) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٥) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٦) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٧) المنهل الصافي، الورقة ٧١.

(٨) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٩) شذرات، ٦ / ١٥٦.

الآن أيضًا.

٤٦ ـ كتاب مسألة السماع:

ذكره ابن تغري بردي[١] وسبط ابن حجر[٢] وابن العماد[٣]. وذكروا أنه في «جزء». وسيأتي أن الذهبي اختصر كتاب «الإمتاع» للأدفوي بكتاب سماه «الرخصة في الغناء والطرب بشرطه» وأنه اختصر كتاب الرد على ابن طاهر المقدسي لسيف الدين ابن المَجْد[٤]، فلعل هذا الكتاب هو خلاصة دراسته للموضوع؟

٤٧ ـ كتاب الوتر:

ذكره حاجي خليفة وقال: إنه في مجلد[٥]، وذكره البغدادي[٦] أيضًا. وهو في عداد المفقودات.

سابعًا: الرقائق:

٤٨ ـ جزء في محبة الصالحين:

ذكره سبط ابن حجر[٧]، وهو في عداد المفقودات.

٤٩ ـ كتاب دعاء المكروب:

ذكره ابن تغري بردي[٨] وسبط ابن حجر[٩] وابن العماد[١٠]، وهو

---

(١) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.
(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.
(٣) شذرات، ٦ / ١٥٦.
(٤) انظر أدناه كلامنا على المختصرات.
(٥) كشف، ٢ / عمود ١٤٦٨ ـ ١٤٦٩.
(٦) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤.
(٧) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.
(٨) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.
(٩) رونق، الورقة ١٨٠.
(١٠) شذرات، ٦ / ١٥٦.

مفقود أيضًا.

٥٠ ـ كتاب ذكر الولدان[١]:

ذكره سبط ابن حجر[٢]، وهو مفقود أيضًا.

٥١ ـ التعزية الحسنة بالأعزة:

ذكره حاجي خليفة[٣]. وسماه البغدادي: «التعزية الحسنة بالآخرة»[٤] ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

٥٢ ـ كشف الكربة عند فقد الأحبة[٥]:

ذكره حاجي خليفة وقال: إنه في كراستين[٦]. وذكره البغدادي أيضًا[٧].

ثامنًا: التاريخ والتراجم:

٥٣ ـ أخبار السّد:

ذكره الصفدي[٨] وابن شاكر الكتبي[٩]. وهو في أخبار السد الذي بناه ذو القرنين والذي ورد ذكره في القرآن الكريم[١٠].

---

(١) إن العنوان يوحي بأنه يتصل بصفات ولدان الجنة، وإن كان من المحتمل أنه قصد أولاد المحدثين الرواة.

(٢) رونق، الورقة ١٨٠.

(٣) كشف الظنون، ١ / عمود ٤٢٢.

(٤) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤.

(٥) إن موضوع هذا الكتاب، كما يدل عنوانه، يشبه موضوع كتاب «التعزية الحسنة بالأعزة» الذي قدمنا ذكره.

(٦) كشف الظنون، ٢ / عمود ١٤٩٤.

(٧) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤.

(٨) الوافي ٢ / ١٦٤ ونكت الهميان، ص ٢٤٣.

(٩) فوات الوفيات، ٢ / ١٨٣، وعيون التواريخ، الورقة ٨٦.

(١٠) راجع سورة [الكهف: ٩٣] فما بعد، وانظر التفاصيل في كتب التفسير وفي معجم البلدان لياقوت ٣ / ٥٣ ـ ٥٨، وتناول الذهبي شيئًا من أخباره في تاريخ الإسلام ٢ / ٤٦ ـ ٤٩ (مطبوعة).

٥٤ ـ أخبار قضاة دمشق:

ذكره الصفدي[١] وحاجي خليفة[٢] والبغدادي[٣].

٥٥ ـ أسماء الذين راموا الخلافة:

حققه الدكتور صلاح الدين المنجد وطبع في بيروت سنة ١٩٧٨م.

٥٦ ـ أسماء الرواة عن مالك:

ذكره الذهبي في السير فقال: «وقد كنت أفردت أسماء الرواة عنه في جزء كبير يقارب عددهم ألفًا وأربع مئة»[٤].

٥٧ ـ أسماء الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وأناس ثقات فيهم لين:

منه نسخة خطية في مركز الملك فيصل بالرياض برقم (٦٢٨٨٥).

٥٨ ـ أسماء شيوخ الحديث:

منه نسخة خطية في مركز الملك فيصل بالرياض برقم (٦٢٨٨٤).

٥٩ ـ أسماء من عاش ثمانين سنة بعد شيخ أو بعد تاريخ سماع:

ألفه الذهبي سنة ٧١٧هـ، وأورد فيه أسماء الرواة الذين عمروا بحيث ظلوا ثمانين سنة أو أكثر بعد وفاة شيوخهم أو سماعهم منهم للدلالة على علو إسنادهم. وقد اقتنيت نسخة مصورة منه[٥]، وطبع بتحقيق عواد الخلف (مؤسسة الريان، بيروت ١٤١٨هـ).

---

(١) الوافي، ١ / ٥٣.

(٢) كشف الظنون، ١ / عمود ٢٩.

(٣) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨ / ٥٢.

(٥) عن نسخة مكتبة أياصوفيا (رقم ٢٩٥٣).

٦٠ ـ الإشارة إلى وفيات الأعيان والمنتقى من تاريخ الإسلام:

ذكره السبكي[١] وابن حجر[٢] وسبطه[٣] وابن تغري بردي[٤] والسخاوي[٥] وابن العماد[٦]، واقتنيت نسخة مصورة منه[٧]. وقد تناول فيه المؤلف وفيات المشهورين من السنة الأولى للهجرة حتى سنة ٧٠٠هـ واعتمد فيه على تاريخ الإسلام. ونقل ابن تغري بردي منه كثيرًا في كتابه «النجوم الزاهرة» فتارة يذكر اسمه وتارة أخرى ينقل منه بلا إشارة، على أنه اعتمده اعتمادًا كليًا في نهاية كل سنة عند ذكر المتوفين فيها. وطبع في بيروت سنة ١٩٩١م بتحقيق السيد إبراهيم صالح.

٦١ ـ الإعلام بوفيات الأعلام:

ذكره السبكي[٨] وابن تغري بردي[٩] وسبط ابن حجر[١٠] وابن العماد[١١] وحاجي خليفة[١٢] والبغدادي[١٣]. وذكر السخاوي أنه يسمى «درة التاريخ»[١٤]

---

(١) الطبقات، ٩ / ١٠٤.
(٢) الدرر الكامنة، ٣ / ٤٢٦.
(٣) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.
(٤) المنهل الصافي، الورقة ٦٩.
(٥) الإعلان، ص ٦٧٥.
(٦) شذرات، ٦ / ١٥٥.
(٧) عن نسخة المكتبة الأحمدية بحلب (رقم ٣٢٨) وهي في (١١٥) ورقة.
(٨) الطبقات، ٩ / ١٠٤.
(٩) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.
(١٠) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.
(١١) شذرات، ٦ / ١٥٥.
(١٢) كشف الظنون، ١ / عمود ١٢٧.
(١٣) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤.
(١٤) الإعلان، ص ٦٧٥.

وقد وقفنا على بعض نسخه[1]، ثم طبع بعد بتحقيق عبد الحميد مراد، وعبد الجبار زكار ببيروت سنة ١٩٩١م.

والمعروف أنه مختصر لكتابه «الإشارة» الذي قدمنا ذكره، لكننا وجدنا نسخة الظاهرية تبدأ بذكر مشاهير المتوفين من السنة الأولى للهجرة وتنتهي بسنة ٧٤٠هـ. ويبدو لنا أن الذهبي كتبه قبل هذا التاريخ بكثير، وأنه كان يزيد فيه كلما تقدمت السنون على غرار كثير من كتبه الأخرى، تدل على ذلك طبقة السماع التي على طرة نسخة دار الكتب الظاهرية والتي بخط الذهبي وهي مؤرخة في سنة ٧٣٥هـ حيث جاء فيها: «سمع الكتاب علي من لفظي كاتبه الأمير الفاضل ناصر الدين أبو الفوارس محمد بن طولوبغا السيفي والقاضي الإمام شرف الدين عبد الرحيم بن عبد اللّه بن محمد الزريراني والإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن سلمان ابن الشرجاني في جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة، وكتب محمد بن أحمد بن عثمان عفا اللّه عنه وصح بالمدرسة الصدرية»، فضلاً عن ذكرنا لأصل النسخة.

ومع ذلك فإننا نعلم أن الذهبي قد ذيل على كتابه الإشارة[2]، فهل يكون قد اختصر الأصل وذيله؟ وقد ذكر الذهبي في أول الكتاب تواريخ بعض الغزوات والفتوح المشهورة مثل بدر، وأحد، والخندق، وتبوك، واليمامة، واليرموك، والقادسية... إلخ. وقد ذيّل عليه التقي الفاسي المتوفى سنة ٨٣٥هـ بكتاب سماه «إرشاد ذوي الأفهام إلى تكميل كتاب الإعلام بوفيات الأعلام»[3].

---

(١) منه نسخة بدار الكتب الظاهرية (١١٧ مجموع) في ٣٦ ورقة. وكنت قد انتسخت لنفسي معظم الوفيات المتأخرة عند رحلتي إلى بلاد الشام سنة ١٣٨٥هـ ثم اقتنيت نسخة مصورة منها. ورأينا نسخة منه في مكتبة رئيس الكتاب بإستانبول (في ضمن مجموع برقم ١١٦٢ يبدأ فيه من الورقة ٥٠). وذكر أن في صنعاء نسخة منه لم أقف عليها (انظر مجلة معهد إحياء المخطوطات العربية، م١ / ٢ / ١٩٩).

(٢) انظر أدناه «ذيل الإشارة».

(٣) ذيول تذكرة الحفاظ، ص ٢٩٤.

٦٢ ـ الأمصار ذوات الآثار:

هو جزء أفرده الذهبي في ذكر أشهر الأمصار ومن نسب إليها من العلماء أو عاش فيها، وتكلم فيه على ظهور العناية بالعلم في كل قطر أو مدينة تناولها وما آلت إليه على مدى العصور، ثم تناول أوضاع العلم فيها على زمانه. ولم يعن بترتيب أسماء البلدان على حروف المعجم، ولا اهتم بتسلسلها أو موقعها الجغرافي، فقد بدأ بالمدينة ثم مكة، وبيت المقدس، ودمشق، ومصر، والإسكندرية، وبغداد، وحمص، والكوفة... إلخ. وقد أورد شمس الدين السخاوي قسمًا كبيرًا منه في كتابه «الإعلان»[١]، وعلق عليه، وقال في نهايته «قلت: وهذا الفصل كله جزء أفرده الذهبي، وصدر بالأمصار ذوات الآثار وهو مفتقر لقليل تذييل سوى ما ألحقته في أثنائه، إما مميزًا، أو مدرجًا»[٢]. وحققه السيد قاسم علي سعد، وطبع في دار البشائر الإسلامية. بيروت سنة ١٩٨٦م.

٦٣ ـ أهل المئة فصاعدًا:

ذكره سبط ابن حجر وسماه «كتاب أهل المئة عام»[٣]، وأشار إليه السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ» عند كلامه على من ألف في المعمرين، فقال: «أو على المعمرين في الجاهلية وصدر الإسلام وهم غير واحد من الأخباريين، أو في الإسلام كالذهبي في كراسة، وشيخنا»[٤]. وقد حققت هذا الكتاب ونشرته سنة ١٩٧٣م[٥].

---

(١) كان الأستاذ فرانتس روزنتال قد حذف هذا القسم من الإعلان ولم يترجمه أو يعلق عليه حينما حقق الكتاب وترجمه إلى الإنكليزية بعدِّه كتابًا مستقلاً للذهبي أقحمه السخاوي في كتابه، إلا أن أستاذنا الدكتور صالح أحمد العلي أعاده إلى موضعه. (ص ٦٥٩ ـ ٦٦٨).

(٢) الإعلان ص ٦٦٨.

(٣) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٤) الإعلان، ص ٦٠٩، وقوله «وشيخنا» يعني الإمام ابن حجر العسقلاني.

(٥) مجلة المورد البغدادية، المجلد الثاني العدد الرابع، بغداد ١٩٧٣ (ص ١٠٧ ـ ١٤٣) وقد نشرتها على نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق (رقم ١١٦ مجاميع) وهي نسخة كتبها =

تناول الذهبي في هذا الكتاب من عُمِّر من الأنبياء ومن عاصرهم في العصور الأولى ذاكرًا نتفًا يسيرة من ذلك، ثم ذكر بعض من جاز المئة من الصحابة رضي اللّه عنهم وذكر بعض معمري المشركين، وذكر بعد ذلك التابعين الذين لحقوا زمن الجاهلية ثم غيرهم من معمري التابعين، وتكلم على المعمرين من أهل القرن الثالث، واستمر بعد ذلك من غير أن يضع عنوانًا لموضوعاته، بل رتب التراجم على الوفيات، وأورد بعض شيوخه المعمرين. وقد أوضح السبب الذي دعاه إلى تأليف هذا الكتاب في مقدمته فقال: «وهذا مؤلف في من حضرني ذكره من المعمرين الذين جاوزوا المئة أو كملوها من هذه الأمة، حداني على جمعه إنكار بعض الناس أن يكون أحد من هذه الأمة يتعدى المئة، ولا شبهة لهم إلا الحديث المشهور عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «أرأيتم ليلتكم هذه فإنه ليس من نفس منفوسة يأتي عليها مئة سنة» حديث صحيح رواه مسلم. وهذا حق فما أتى على أحد ممن كان حيًا وقت مقالته بعد ذلك مئة سنة... فقال المخالف: فإذا كان ﷺ أخبر أن بعد المئة لا تبقي عين تطرف وكذلك يكون القرن الذي يليه. وهذا لا ينهض فإن الرسول ﷺ لم يقله ولا هو داخل في عموم نصه»[1].

= شهاب الدين أحمد بن أيبك الدمياطي عن نسخة المؤلف سنة ٧٤٠هـ بالمدرسة العادلية. وفي تلك الأثناء عثر صديقنا المحقق المصري الأستاذ محمود الطناحي على نسخة أخرى في السعودية وكتب إلي بخبرها برسالته المؤرخة في ٢٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٤هـ ووصفها بقوله: «ونسختي هذه ـ أيها الأخ العزيز ـ عثرت عليها مختبئة ضمن مجموعة بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة، وأزكى السلام، وهي بقلم نسخي جيد، كتبها سالم بن حسن البعلي الشافعي وفرغ منها سنة أربعين وسبع مئة (٧٤٠) عن نسخة بخط الذهبي المؤلف، وفي آخرها قراءة من الناسخ المذكور، على المؤلف، في سنة النسخ المذكورة، وكتب الذهبي بخطه صحة القراءة». ثم تفضل فصور لي نسخة منها عند رحلتي إلى مصر في نهاية سنة ١٣٩٤هـ وعند دراستها تبين أن النسختين قد نسختا عن أصل واحد، وهي لذلك لا تزيد على نسخة الظاهرية شيئًا لكنها توثقها توثيقًا أكيدًا.

(١) انظر مقدمتنا للكتاب المذكور ص ١١١ ـ ١١٢.

٦٤ ـ كتاب البيان عن اسم ابن فلان:

ذكره سبط ابن حجر[١]. ويبدو أن موضوع الكتاب في الرجال المشهورين بـ «ابن فلان» ممن ذكروا كذلك في أسانيد الأحاديث، وكأن المؤلف أورد ذلك وذكر أسماءهم الصريحة.

٦٥ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:

وهو أعظم كتب الذهبي وأوسعها، وسنتكلم عليه تفصيلاً في القسم الثاني من هذا البحث. وقد وفقنا اللّه جل في علاه، فحققناه وأتممنا تحقيقه بعيد استيلاء الكفار على مدينة السلام، وطبع في دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة ٢٠٠٣م.

٦٦ ـ التاريخ الممتع:

ذكره ابن تغري بردي[٢] وسبط ابن حجر[٣] وابن العماد[٤] وذكروا أنه في ستة أسفار. وأشار إليه الذهبي غير مرة في «تذكرة الحفاظ» وأحال إليه بعض التراجم من الرجال الذين لم يترجم لهم في التذكرة[٥]، وهذا يدلل على أن الكتاب في التراجم.

٦٧ ـ تجريد الحفاظ:

ذكره الحسيني في ترجمة تقي الدين أبي الفتح محمد بن عبد اللطيف السبكي من «ذيل تذكرة الحفاظ» فقال: «وذكره شيخنا أبو عبد اللّه الذهبي في المعجم المختص وأثنى على علمه وديانته، وذكره أيضًا في تجريد الحفاظ»[٦].

---

(١) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٢) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٣) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٤) شذرات، ٦ / ١٥٥.

(٥) انظر مثلاً: ١ / ١٣٥، ١٣٧، ١٩٣، ٢٠٢، ٣٦١، ٣٨٨.

(٦) ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٥٢.

٦٨ ـ تذكرة الأئمة البررة والحفاظ المهرة:

منه نسخة خطية في مركز الملك فيصل بالرياض تحمل الرقم (٢٩٦٩٥).

٦٩ ـ تذكرة الحفّاظ[(١)]:

ذكره الصفدي[(٢)] والسبكي[(٣)] وابن حجر[(٤)] وابن دقماق[(٥)] وغيرهم ممن ترجم للذهبي. ومن الكتاب نسخ عديدة في أنحاء العالم، وقد طبع غير مرة[(٦)].

رتب الذهبي كتابه على الطبقات[(٧)]، فجعله في إحدى وعشرين طبقة ابتدأ فيه بالصحابة، وهم الطبقة الأولى، وانتهى به إلى زمانه، وآخر من فيه ترجمة شيخه أبي الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ فبلغ مجموع تراجم الكتاب (١١٧٦) ترجمة. يزاد على ذلك أنه ذكر في نهاية كثير من التراجم، من توفي من المشهورين في سنة وفاة المترجم له، ولا سيما في الطبقات المتوسطة والأخيرة. وفي نهاية كثير من الطبقات أوجز الذهبي بعبارة قصيرة الأوضاع السياسية والعلمية للعالم الإسلامي في المدة التي تناولتها تلك الطبقة.

ولم يقصد الذهبي استيعاب جميع «الحفاظ» في هذا الكتاب، فاعتذر عن ذلك في غير موضع من كتابه، فقال في نهاية الطبقة الثانية: «ولعل فيمن تركناهم

---

(١) انظر عن شروط الحافظ: الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي، الورقة ١٥٠ ففيه تفصيل طريف (نسخة الإسكندرية رقم ٣٧١١ج).

(٢) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان ص ٢٤٣.

(٣) الطبقات، ٩ / ١٠٤.

(٤) الدرر الكامنة، ٣ ٤٢٦.

(٥) ترجمان الزمان، الورقة ٩٩ (أحمد الثالث ٢٩٢٧).

(٦) منها طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، وهي الطبعة الثالثة لهذه الدائرة بعناية العلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني المكي يرحمه الله في أربعة مجلدات، وهي أصح الطبعات (١٩٥٥ ـ ١٩٥٨م).

(٧) لذلك سمي كتابه «طبقات الحفاظ» كما في معظم الكتب التي ترجمت له، وانظر أيضًا مقدمة طبقات الحفاظ للسيوطي، ص ١.

من هو أجل وأعلم»[١]، وقال في نهاية الطبقة الخامسة: «وإنما اقتصرت على إيراد هذا النيف والسبعين إمامًا طلبًا للتخفيف»[٢]، وقال في نهاية الطبقة السابعة: «وهم عدد كثير اقتصرت منهم على الأعلام»[٣]، وأحال القارئ على تاريخه الكبير، تاريخ الإسلام[٤]، ومعجمه المختص[٥] لمن أراد تفصيلاً، إذ أوضح أنه إنما اقتصر على نبذ من أخبارهم في هذا الكتاب[٦].

لقد احتلت «تذكرة الحفاظ» أهمية كبيرة في التاريخ العلمي عند المسلمين، فقد ذيل عليها تلميذه الحافظ شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي المتوفى سنة ٧٦٥هـ[٧]، فذكر الطبقات: من الثانية والعشرين إلى الرابعة والعشرين، وجملة ما زاده على شيخه اثنتان وعشرون ترجمة[٨]. ثم جاء الحافظ تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي المتوفى سنة ٨٧١هـ[٩]، فاستدرك اثنتي عشرة ترجمة على الذهبي[١٠]، وثماني تراجم على الحسيني[١١]، ثم ذيل من الطبقة الخامسة والعشرين إلى الطبقة السابعة والعشرين وألحق بها طبقة صغيرة، فكان

---

(١) ١ / ٧٠.

(٢) ١ / ٢٤٤.

(٣) ١ / ٣٢٩، وانظر أيضًا: ٢ / ٥٢٩ ـ ٥٣٠، ٦٢٨، ٤ / ١٥٠٠.

(٤) انظر مثلاً، ٢ / ٦٢٧، ٤ / ١٤٦٦.

(٥) انظر مثلاً، ٤ / ١٥٠٠.

(٦) ١ / ١٦٠.

(٧) ابن ناصر الدين: التبيان، الورقة ١٦٨، ابن حجر: الدرر، ٢ / ١٨٠، قال: «وقرأت بخطه ذيلاً على طبقات الحفاظ للذهبي»، ابن فهد: لحظ الألحاظ، ص ١٥٠، السيوطي: طبقات الحفاظ، الورقة ٨٧ ـ ٨٨.

(٨) حققها محمد زاهد الكوثري ونشرها بدمشق سنة ١٣٤٧.

(٩) انظر مقدمة ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٢، والشوكاني: البدر الطالع، ٢ / ٢٥٩.

(١٠) واحدة في الطبقة (١٥) وست تراجم في الطبقة (٢٠) وخمس تراجم في الطبقة (٢١).

(١١) واحدة في الطبقة (٢٢) وخمس في الطبقة (٢٣) وترجمتان في الطبقة (٢٤).

مجموع ما زاده اثنتين وثلاثين ترجمة[١]. وقد رتب والده نجم الدين عمر بن محمد بن فهد المتوفى سنة ٨٨٥هـ[٢]، الأصل والذيول على حروف المعجم[٣]. وعمل محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد المتوفى سنة ٩٥٤هـ ذيلاً على كتاب والد جده «لحظ الألحاظ» سماه: «تحفة الأيقاظ بتتمة ذيل طبقات الحفاظ»[٤].

واختصر الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ «تذكرة الحفاظ» للذهبي وذيول الحسيني وابن فهد، واستدرك على الحسيني ست تراجم[٥]، وترجمتين على ابن فهد وزاد في بعض التراجم كترجمة الذهبي مثلاً[٦].

والتقط الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ من التذكرة من ليس في «تهذيب الكمال» لأبي الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ، وذيل عليه بكراسة فيها (٢٨) ترجمة. وذكر السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ أن له زيادات أيضًا[٧].

وقام عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن محمد بن بردس البعلبكي الحنبلي كاتب الذهبي المتوفى سنة ٧٨٦هـ[٨] بنظم وفيات الحفاظ الواردة تراجمهم في

---

(١) حققه الكوثري ونشره مع ذيل الحسيني بدمشق سنة ١٣٤٧هـ.
(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ٦ / ١٢٦، والشوكاني: البدر الطالع ١ / ٢٩٦.
(٣) السخاوي: الإعلان، ص ٥٦٥.
(٤) راجع آخر لحظ الألحاظ، ص ٣٨٣، وابن شيخ العيدروس: النور السافر، ص ٢٤١.
(٥) منها خمس تراجم في الطبقة الثانية والعشرين، وترجمة واحدة في الطبقة الرابعة والعشرين.
(٦) اعتمدت نسخة مضبوطة منه في مكتبة البلدية بالإسكندرية (برقم ٨٢٢ب) في ٩٠ ورقة. وكان الكتاب قد طبع في أوروبا سنة ١٨٣٣م، ثم أعاد تحقيقه السيد علي محمد عمر، ونشرته مكتبة وهبة في القاهرة سنة ١٩٧٣م وطبع بمطبعة الاستقلال الكبرى.
(٧) الإعلان، ص ٥٦٥.
(٨) ابن فهد: لحظ الألحاظ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧، ابن حجر: الدرر، ١ / ٤٠٤، ابن ناصر الدين: التبيان، الورقة ١٧٠، ابن العماد: شذرات، ٦ / ٢٨٧.

التذكرة بحروف الجُمَّل وسماه «الإعلام في وفيات الأعلام»[1]. كما نظم الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢هـ «تذكرة الحفاظ» بمنظومة سماها «بديعة البيان في وفيات الأعيان»[2]. وشرحها في مجلد نفيس سماه: «التبيان لبديعة البيان»[3]. وجملة ما زاده على الذهبي ست وعشرون ترجمة.

٧٠ ـ تراجم الأئمة الكبار أصحاب السنن والآثار:

حققه السيد فهمي سعيد، وطبع في بيروت سنة ١٩٩٣م.

٧١ ـ تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق:

وهي رسالة صغيرة في الرجال الذين روى عنهم محمد بن إسحاق بن يسار المتوفى سنة ١٥١هـ وصاحب «السيرة» المشهورة[4].

٧٢ ـ تسمية رجال صحيح مسلم الذين انفرد بهم عن البخاري:

وموضوعه يدل على محتواه، فقد ترجم للرجال الذين انفرد بهم مسلم بن الحجاج ولم يخرج لهم البخاري فذكر لهم تراجم مختصرة. وقد وقفت على نسخة منه[5].

٧٣ ـ كتاب تقييد المهمل:

ذكره سبط ابن حجر[6]. وهو مفقود.

---

(١) اقتنيت نسخة مصورة عن نسخة أياصوفيا ذات الرقم ٢٩٦١ (٢) كان معهد إحياء المخطوطات العربية قد صورها وهي عنده برقم ٥١ تاريخ، وهي في ٤٨ ورقة، وتاريخ نسخها سنة ٧٧٧هـ. وشاهدت نسخة أخرى منه محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣١٩٢ تاريخ في ٩٣ صفحة كتبت سنة ٧٥٩هـ.

(٢) انظر نسخة جامع الزيتونة بتونس (رقم ١٦٧٣).

(٣) في خزانة العالم الفاضل الحاج صبحي السامرائي نسخة مصورة منها في ١٧٨ ورقة، أعارنيها مدة، وقد نقلنا منها كثيرًا في هوامش هذا الكتاب.

(٤) نشره فشر في ليدن سنة ١٨٩٠ وفي مجلة جمعية المستشرقين الألمان سنة ١٨٩٥، ص ٤٣٢ فما بعد.

(٥) في خزانة كتب لإله لي باستانبول (رقم ٢٠٨٩) وقد كتبت هذه النسخة سنة ٧٣١هـ.

(٦) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

٧٤ ـ كتاب التلويح بمن سبق ولحق:

ذكره ابن تغري بردي[١] وسبط ابن حجر[٢] وابن العماد[٣]، وهو مفقود.

٧٥ ـ جزء أربعة تعاصروا:

ذكره سبط ابن حجر[٤]، وهو مفقود.

٧٦ ـ دول الإسلام:

ذكره معظم الذين ترجموا للذهبي، وطبع في الهند[٥] ومصر[٦]، وبيروت.

وقد اعتمد فيه على «تاريخ الإسلام»، ويسمى في بعض الأحيان «التاريخ الصغير»، ووصل به إلى سنة ٧٠٠هـ، ثم ذيل عليه إلى سنة ٧٤٤هـ[٧]، وقد أسقط فيه كثيرًا من الأعلام الواردين في تاريخه الكبير «تاريخ الإسلام» فضلاً عن اختصار الترجمة والعناية بالحوادث الرئيسة فيه.

وممن ذيل على «دول الإسلام» الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ ابتدأه من سنة ٧٤٥هـ ووصل به إلى سنة ٨٩٨هـ وسماه: «وجيز الكلام في ذيل دول الإسلام» ذكره في كتابه «الإعلان»، فقال: «ولي على الدول وجيز الكلام»[٨] اقتنيت منه نسخة مصورة[٩].

---

(١) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٢) رونق، الورقة ١٨٠.

(٣) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٤) رونق، الورقة ١٨٠.

(٥) حيدرآباد ١٣٣٧هـ في جزءين.

(٦) نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٤هـ بتحقيق السيدين فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم. وفي بيروت سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٧) انظر أدناه كلامنا على «ذيل دول الإسلام».

(٨) ص ٦٧٥، وذكر حاجي خليفة أنه وصل فيه إلى سنة ٩٠١هـ وأنه سماه «الذيل التام بدول الإسلام» كشف الظنون، ١ / عمود ٧٦٢، ٨٢٩، ولعله واهم في ذلك.

(٩) عن نسخة كوبرلي (رقم ١١٨٩) وهي نسخة كتبت في حياة المؤلف وعليها خطه في مواضع متعددة، تقع في (٢٢٨) ورقة.

قال في مقدمته: «فهذا ذيل تام على دول الإسلام لشيخ الحفاظ والمؤرخين أبي عبد اللّه الذهبي، أوحد المعدلين والمجرحين جمعته امتثالاً لإشارة. . .» وبين أنه سار فيه على طريقة الذهبي في الاختصار وذكر الوفيات بعد الحوادث، وقد ترجم فيه لمؤلف الأصل في وفيات سنة ٧٤٨هـ[١].

٧٧ ـ ديوان الضعفاء والمتروكين:

ذكره السبكي[٢] وسبط ابن حجر[٣] والسخاوي[٤]. وقد تناول فيه مؤلفه تراجم الرجال الكذابين والوضاعين، والمتروكين الهالكين، والضعفاء من المحدثين والناقلين، والكثيري الوهم من الصادقين، والثقات الذين فيهم شيء من اللين، أو من لينهم من الحفاظ، فضلاً عن خلق من المجهولين. وبذلك أورد الذهبي في كتابه هذا جميع من تكلم فيه حتى وإن كان حافظًا ثقة، وهو المنهج الذي سلكه ابن عدي في كتابه «الكامل». ورتبه على حروف المعجم ليسهل تناوله.

وهذا الكتاب هو غير كتاب «المغني في الضعفاء والمتروكين»[٥]، يظهر ذلك من المعاينة والمقارنة وتطبيق المنهج في التراجم، فضلاً عن معرفة العلماء بذلك، قال تاج الدين السبكي بعد أن ذكر كتابي الذهبي في الضعفاء وهما «الميزان» و«المغني»: و«كتابًا ثالثًا في ذلك»[٦] وصرح بذلك أيضًا السخاوي في «الإعلان» فقال: «كما أن للذهبي في الضعفاء مختصرًا سماه المغني وآخر سماه

---

(١) الورقة ٧ من نسختي المصورة. ثم هيأ اللّه فنشرناه في مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٩٥م بالاشتراك، في أربعة مجلدات.

(٢) طبقت الشافعية، ٩ / ١٠٤.

(٣) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٤) ص ٥٨٧.

(٥) انظر أدناه.

(٦) طبقات الشافعية، ٩ / ١٠٤.

الضعفاء والمتروكين وذيل عليه»[1] وقد وقفنا عليه[2]. وطبع في بيروت سنة ١٩٨٨م.

٧٨ ـ ذكر من اشتهر بكنيته من الأعيان:

وهو في كنى المشهورين وقفنا على نسخة منه[3]. وللذهبي أيضًا «المرتجل في الكنى»، ولا أدري فيما إذا كان هو هذا الكتاب أم غيره حيث لم أستطع الاطلاع على «المرتجل»[4]. وقد طبع بالكويت.

٧٩ ـ ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل:

وهي رسالة وقفنا على نسخة منها في خزانة كتب أياصوفيا بإستانبول[5]،

---

(١) الإعلان، ص ٥٨٧.

(٢) منه نسخة جيدة في دار الكتب الظاهرية بدمشق في ضمن مجموع برقم ٣٦٩ حديث، الورقة ١٤٥ ـ ٢٢٧، ويتضح من دراستها أن الملزمة الأولى ناقصة، لكنها موجودة في الدار نفسها ضمن مجموع برقم ٧٥٣٩ عام. وحصلت سنة ١٩٧٤م على نسخة مصورة من «ديوان الضعفاء» عن نسخة أحمد الثالث باستانبول ذات الرقم ١ / ٣٠٥٣ كتب عليها بخط متأخر أنها كتاب «المغني في الضعفاء»، وهو وهم؛ إذ تبين أنها نسخة «من ديوان الضعفاء» لعدة أسباب من أهمها:

١ ـ تصريح المؤلف في مقدمة الكتاب بعنوانه حيث قال: «أما بعد، فهذا ديوان أسماء الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين... إلخ».

٢ ـ تمتاز مقدمة هذه النسخة بقصرها، وهي تختلف عن مقدمة كتاب «المغني».

٣ ـ رتب الذهبي كتاب المغني حسب حروف المعجم من غير نظر لأي أمرٍ آخر فابتدأ كتابه بمن اسمه أبان ثم إبراهيم... إلخ في حين بدأ بالأحمدين في هذا الكتاب.

٤ ـ ومن المقارنة والمعاينة تبين أن كتاب المغني أكثر تفصيلاً قياسًا على ديوان الضعفاء.

(٣) في مكتبة جستربتي بدبلن في ضمن مجموع برقم (٣٤٥٨) وهو في (١٨) ورقة. وقد نقلت هذه النسخة عن نسخة المؤلف سنة ٨١٣هـ كما جاء في آخرها.

(٤) انظر أدناه كلامنا عليه.

(٥) (رقم ٢٩٥٣).

وطبع بتحقيق العلامة عبد الفتاح أبو غدة ضمن ثلاث رسائل في الحديث ونشرته مكتبة الرشد بالرياض في طبعة خامسة سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

وقد نقل شمس الدين السخاوي قسمًا منها من غير إشارة إليها[١].

وقد قسم الذهبي المتكلمين في الرجال إلى ثلاثة أقسام من حيث الاستيعاب:

١ ـ قسم تكلموا في سائر الرواة مثل يحيى بن معين وأبي حاتم الرازي.

٢ ـ وقسم آخر تكلموا في كثير من الرواة مثل مالك وشعبة بن الحجاج.

٣ ـ وقسم ثالث تكلموا في قليل منهم مثل ابن عيينة والشافعي.

ثم قسمهم بعد ذلك إلى ثلاث طوائف من حيث تشددهم وتساهلهم في الجرح والتعديل:

١ ـ الطائفة الأولى، متشددة في التوثيق تجرح الراوي نتيجة الغلطتين والثلاث، مثل يحيى بن سعيد القطان، وابن معين.

٢ ـ والطائفة الثانية معتدلة مثل الإمام أحمد والدارقطني وابن عدي.

٣ ـ والثالثة متساهلة مثل الترمذي وأبي عبد الله الحاكم.

٨٠ ـ ذيل الإشارة إلى وفيات الأعيان:

ذكره السخاوي[٢]. ومن الطبيعي أن يذيل الذهبي على هذا الكتاب لأن أصله يقف عند سنة ٧٠٠هـ كما مر بنا.

٨١ ـ ذيل دول الإسلام:

قد علمنا أن الذهبي وقف في دول الإسلام عند سنة ٧٠٠هـ بعدِّه مختصرًا من تاريخه الكبير، تاريخ الإسلام، فذيل عليه إلى سنة ٧٤٠هـ. على أن المطبوع من «دول الإسلام» في حيدرآباد بالهند يشمل الأصل والذيل[٣]، وهو ما لم ينتبه

---

(١) الإعلان، ص ٧٢١ ـ ٧٢٣.

(٢) الإعلان، ص ٦٧٥.

(٣) حيدرآباد سنة ١٣٣٧هـ.

إليه ناشرو الكتاب، بله طبعة القاهرة[١] فيها إلى سنة ٧٤٤هـ، ولعل هذه السنوات الأربع مما زاده المؤلف فيما بعد لوقوف السخاوي عليه عند سنة ٧٤٤هـ. وقد مر بنا أن السخاوي أكمل الذيل ابتداء من سنة ٧٤٥هـ[٢].

٨٢ ـ ذيل سير أعلام النبلاء:

ذكره حاجي خليفة[٣]، وعده ابن حجر من بين مصادره الرئيسة في الدرر الكامنة[٤]. ويبدأ الذيل من مطلع المئة الثامنة وآخر ما فيه ترجمة المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ[٥].

وقد استدرك عليه الحافظ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢هـ[٦]، وذيله إلى عصره بكتاب سماه: «تعريف ذوي العلاء لمن لم يذكره الذهبي من النبلاء»[٧]. طبع في دار صادر، بيروت ٢٠٠١م.

٨٣ ـ ذيل ديوان الضعفاء والمتروكين:

ذكره السخاوي في الإعلان[٨]، ورأينا نسختين منه[٩]. ثم طبع بتحقيق

---

(١) القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٤.
(٢) نسخة كوبرلي رقم (١١٨٩) وانظر أعلاه كلامنا على دول الإسلام.
(٣) كشف الظنون، ٢ / عمود ١٠١٥.
(٤) ١ / ٤.
(٥) طبع طبعة رديئة على مخطوطة رضا رامبور، وهو الذي نشر بالرياض سنة ١٩٩٨م بعناية مازن بن سالم باوزير باسم «الذيل على تاريخ الإسلام» ثم أعاد نشره الدكتور عمر عبد السلام تدمري بالاسم نفسه، وهو الذيل على السير بلا ريب.
(٦) السخاوي: الإعلان، ص ٦٧٥، حاجي خليفة: كشف الظنون، ٢ / عمود ١٠١٥.
(٧) انظر نسخة برلين (رقم ٩٨٣٧).
(٨) الإعلان، ص ٥٨٧.
(٩) ولهما مصورتان في خزانة كتبي، الأولى: عن دار الكتب الظاهرية بدمشق (في ضمن مجموع برقم ٣٦٩ حديث، الورقة ٢٢٧ ـ ٢٣٩) وهي نسخة قوبلت على الأصل المنتسخ منه. والثانية: في نهاية نسخة أحمد الثالث (رقم ١ / ٣٠٥٣) والتي كتب في طرتها أنها كتاب المغني في الضعفاء وقد تكلمنا على خطأ هذا العنوان عند تعليقنا على كتاب ديوان الضعفاء=

العالم الفاضل الشيخ حماد الأنصاري (مكة المكرمة سنة ١٩٨٦م).

وقد استدرك المؤلف في هذا «الذيل» ما فاته في «ديوان الضعفاء»، ورتبه على ترتيب الأصل نفسه، وجاء في أوله: «قال الشيخ الإمام العلامة الحافظ... الذهبي: هذا ذيل على كتابي ديوان الضعفاء التقطته من عدة تواليف، وهذا شيء لا سبيل إلى استيعابه وإنما هو بحسب ما عرفت أو اطلعت عليه، وإن لم يكن للإنسان ذوق النقاد وبصر الحُفَّاظ وإلا فإنه يضعف الحديث القوي ويصحح الحديث الواهي مع أن أئمة هذا الشأن تختلف اجتهاداتهم وتتقارب معارفهم وأذواقهم لكن يقل ذلك وفيهم يندر، والله الهادي». ومع أنه رتبه على حروف المعجم كما ذكرنا إلا أنه بدأ بالأحمدين من حرف الألف وبالمحمدين من حرف الميم، تكريمًا لاسم النبي ﷺ.

٨٤ ـ ذيل كتاب الضعفاء لابن الجوزي:

سوف يأتي أن الذهبي اختصر كتاب الضعفاء لابن الجوزي وعلق عليه بفوائد، وقال الذهبي في «مقدمة الميزان»: «وصنف أبو الفرج ابن الجوزي كتابًا كبيرًا في ذلك كنت اختصرته أولاً ثم ذيلت عليه ذيلاً بعد ذيل»[1]. وقال شمس الدين السخاوي بعد ذكر اختصار الذهبي لكتاب «الضعفاء» لابن الجوزي: «بل وذيل عليه في تصنيفين جمع معظمهما في ميزانه»[2].

ومن هنا يتبين لنا أن الذهبي عمل ذيلاً على كتاب الضعفاء لابن الجوزي، ثم عمل:

٨٥ ـ الذيل على ذيل الضعفاء لابن الجوزي.

٨٦ ـ ذيل العبر في خبر من عبر:

أشار إليه النعيمي في «تنبيه الدارس»[3]، وابن طولون في «القلائد

= قبل قليل فراجعه.

(١) ميزان الاعتدال، ١ / ٢.

(٢) الإعلان، ص ٥٨٧.

(٣) ٢ / ١٩٤.

الجوهرية»[1]، وإن كان كل من النعيمي، وابن طولون في «قضاة دمشق» يطلقان اسم «العبر»، وهو الأصل، على «الذيل» أيضًا، وكذلك ابن العماد الحنبلي، وهو ممن سلخ هذا الكتاب في شذراته، بل تعقيبه عند سنة ٧٠٠هـ بقوله: «وبهذه السنة ختم الذهبي كتابيه العبر والدول»[2]. وهذا من باب التجوز لا غير[3]. وقد أشار الذهبي، كما نقل النعيمي، إلى أنه كتب هذا الذيل في سنة ٧٤٤هـ. وقد نهج المؤلف في «ذيل العبر» منهجه في الأصل، وانتهى به إلى سنة ٧٤٠هـ[4].

٨٧ ـ ذيل معرفة القراء الكبار:

وهو ذيل صغير فيه سبع تراجم نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مجلد ٤٩).

٨٨ ـ رجال الصحيحين:

منه نسخة خطية في مركز الملك فيصل بالرياض رقم (٤١٣٣٧).

٨٩ ـ الرد على ابن القطان[5]:

---

(١) ١ / ١٩٤.

(٢) ابن العماد: شذرات الذهب، ٦ / ١٢٤.

(٣) انظر مقدمة ذيل العبر، ص ٧.

(٤) ومن الذيل نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحمل الرقم (٣٥٠ تاريخ) وأخرى في مكتبة جامعة ييل بالولايات المتحدة (برقم ١٢٦٤). وعلى هاتين النسختين حققه صديقنا العلامة الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب المصري (المتوفى بالقاهرة فجاءة في عصر آخر يوم من سنة ١٣٩٤هـ، وأنا معه في القاهرة) ونشر في سلسلة التراث العربي بالكويت مع ذيل الحسيني على ذيل العبر (دون تاريخ) وهي نشرة متقنة؛ فقد كان المحقق عديم النظر في فن المخطوطات ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٥) أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي القرطبي الأصل، أقام بمراكش عند بني عبد المؤمن ونال عندهم دنيا عريضة، وكان رأس العلماء بها، توفي سنة ٦٢٨هـ. ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص ٢٩٨، الذهبي: تاريخ الإسلام الورقة ٧٢ (أياصوفيا ٣٠١٢)، ابن ناصر الدين: التبيان، الورقة ١٥٢، ابن العماد: شذرات ٥ / ١٢٨. وطبعت الأحكام الشرعية الكبرى بتحقيق حسين بن عكاشة ط. الرُّشْد، الرياض ١٤٢٢هـ.

ألف ابن القطان كتاب «بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام» انتقد به كتاب «الأحكام الشرعية الوسطى» لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن ابن عبد اللّه الأزدي الإشبيلي المعروف بابن الخراط المتوفى سنة ٥٨١هـ[١]. وقد وقع ابن القطان نفسه بأوهام كثيرة في رده، قال الذهبي كما وجدت بخطه من تاريخ الإسلام: «طالعت جميع كتابه الوهم والإيهام الذي عمله. . . يدل على تبحره في فنون الحديث وسيلان ذهنه، ولكنه تعنت وتكلم في حال رجال فما أنصف»[٢]. وقال ابن ناصر الدين في «التبيان» بعد أن ذكر كتابه: «ولابن القطان فيه وهم كثير نبه عليه أبو عبد اللّه الذهبي في منتقى منه كبير»[٣].

وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق كتاب «الرد على ابن القطان» للذهبي، ذكره الألباني في الفهرس[٤] ووقفت على نسخة مصورة منه[٥]، وعند دراستها ظهر لنا ما يأتي:

١ ـ إن الذهبي قد اختصر كتاب «الوهم والإيهام» لابن القطان أولاً ثم نبه على أغلاطه ورد عليها ثانيًا، ودلالة ذلك بما جاء في أول نسخة دار الكتب الظاهرية: «قال الشيخ الإمام أبو عبد اللّه الذهبي ـ رحمه اللّه ـ في كتاب «مختصر كتاب الوهم والإيهام» لابن القطان. . . »[٦].

---

(١) ابن شاكر: فوات، ١ / ٢٤٨، الغبريني: عنوان الدراية، ص ٢٠، ابن ناصر الدين: التبيان، الورقة ١٤٧. ومن كتابه الأحكام نسخة مصورة عند الحاج صبحي السامرائي. طبعت الأحكام الشرعية الوسطى بتحقيق حمدي عبد المجيد السلفي وصبحي السامرائي (الرشد بالرياض ١٤١٦هـ).

(٢) الورقة ٧٢ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٣) الورقة ١٥٢.

(٤) ص ٢٨٢.

(٥) هي النسخة المصورة المحفوظة في خزانة كتب شيخنا العالم الفاضل الحاج صبحي السامرائي عن نسخة دار الكتب الظاهرية (مجموع رقم ٧٠)، وهي في (١٢) ورقة.

(٦) الرد على ابن القطان، الورقة ١٥.

٢ ـ إن الذهبي ربما أفرد الرد في كتاب خاص رتبه بحسب الأحاديث أولاً ورد عليه، ثم رتبه ثانية بحسب ترتيب المصنف[١].

٣ ـ إن نسخة الظاهرية ما هي إلا مختصر رد الذهبي على ابن القطان قام أحدهم باختصارها، ودلالة ذلك في مقدمة النسخة التي تظهر فيها ذاتية الملخِّص واضحة، فضلاً عما جاء في آخر النسخة من قول الذهبي: «فرغنا من ترتيب ما وجدناه في الكتاب بالترتيب الصناعي[٢]، يقي علينا أن نذكر جميع ما مر ذكره في الأبواب ذكرًا مختصرًا مرتبًا على نسق المؤلف ليسهل كشفه. (قال الملخِّص)[٣]: «فسرد ذلك في خمس وثلاثين ورقة»[٤] وهذه الأوراق الخمس والثلاثون غير موجودة في النسخة. ونقول الآن: إذا كان الترتيب المختصر، وهو ما أريد به التسهيل، في (٣٥) ورقة فكيف يصح بعد ذلك ترتيب الرد الأصلي في (١٢) ورقة فقط؟ تأمل ذلك!

ويعد رد الذهبي على ابن القطان، في رأينا، مثالاً نفيسًا في النقد الحديثي. ونشره الدكتور فاروق حمادة بالمغرب سنة ١٩٨٨م.

٩٠ ـ كتاب الزلازل:

ذكره ابن تغري بردي[٥] وسبط ابن حجر[٦] وابن العماد[٧]. وذكر السخاوي كتاب «الزلازل والفتن» من بين الكتب المؤلفة في التاريخ على الحوادث ولم يشر إلى مؤلفه، فهل هو الذي للذهبي[٨]؟

---

(١) الورقة ٢٦، وهي آخر نسخة الظاهرية.

(٢) يعني على الأحاديث.

(٣) ما بين القوسين زيادة مني لتوضيح النص.

(٤) انظر آخر نسخة الظاهرية، الورقة ٢٦.

(٥) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٦) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٧) شذرات، ٦ / ١٥.

(٨) الإعلان، ص ٦٦٩.

٩١ ـ سير أعلام النبلاء:

سماه صلاح الدين الصفدي وابن دقماق «تاريخ النبلاء»[١]، وابن شاكر الكتبي «تاريخ العلماء النبلاء»[٢]، وتاج الدين السبكي «كتاب النبلاء»[٣] وسبط ابن حجر «أعيان النبلاء»[٤]. وسماه كل من الحسيني، وابن ناصر الدين، وابن حجر، والسخاوي «سير النبلاء»[٥]. وقد اعتمدنا العنوان أعلاه، وهو الذي جاء في طرة نسخة أحمد الثالث رقم ٢٩١٠ المنقولة عن نسخة المؤلف[٦].

---

(١) الوافي، ٢ / ١٦٣، وابن دقماق، ترجمان الزمان، الورقة ٩٨.

(٢) فوات الوفيات، ٢ / ١٨٣، وعيون التواريخ، الورقة ٨٦.

(٣) طبقات، ٩ / ١٠٤.

(٤) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٥) الحسيني: الذيل ص ٢٦٨، ابن ناصر الدين: الرد الوافي، ص ٣١، ابن حجر: الدرر، ٣ / ٤٢٦، السخاوي: الإعلان، ص ٦٧٤.

(٦) لم يعرف بروكلمان هذه النسخة ولا غيرها من النسخ وهي:

أ ـ نسخة أحمد الثالث هذه، وهي برقم ١ / ٢٩١٠ وتتكون من ثلاثة عشر مجلدًا ضخمًا ترك الذهبي منها المجلدين الأول والثاني ليؤخذا من تاريخ الإسلام، وهي أول نسخة نسخت من نسخة المؤلف وذلك في السنوات ٧٣٩ ـ ٧٤٣هـ وكانت موقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة. ويتكون كل مجلد من (٢٩٠) ورقة تقريبًا، ويبلغ مجموع أوراقها (٣١٧٠) ورقة، وهي نسخة نفيسة جدًا.

ب ـ نسخة ثانية في مكتبة أحمد الثالث أيضًا رقم ٢ / ٢٩١٠، وفيها المجلدات: الثاني والثالث والخامس والسادس والسابع والتاسع والعاشر والحادي عشر وتقسيمها يختلف عن تقسيم النسخة السابقة حيث يبدأ المجلد الثاني منها عند بداية المجلد الثالث من النسخة السابقة، وهي نسخة غير دقيقة كتبت سنة ١٠٠٢هـ.

جـ ـ نسخة في اليمن، بمكتبة الإمام يحيى، وهي نسخة ناقصة ومتأخرة كتبت سنة ١٠٦٦هـ.

وفي سنة ١٩٥٦م بدأت جامعة الدول العربية بنشره فظهرت منه ثلاثة أجزاء متوسطة الحجم باعتناء الدكتور صلاح الدين المنجد، لكنها توقفت عن نشره. وقد علمت في أثناء رحلتي إلى القاهرة في أواخر سنة ١٣٩٤هـ أن الجامعة كانت قد وزعت مجلدات منه تصل إلى المجلد الثامن على بعض المعنيين بالتراث العربي وأنها عازمة على نشره. ثم يسر اللّه فنشرته مؤسسة الرسالة بإشراف صديقنا العلامة الشيخ شعيب الأرنؤوط، وحققت أنا =

رتب الذهبي هذا الكتاب على الطبقات، فجعله من بداية الإسلام حتى سنة ٧٤٢هـ تقريبًا في أربعين طبقة مع ذيله، تكون في أربعة عشر مجلدًا ضخمًا، ثم ذيل الذهبي عليه بمجلد آخر. وأفرد المجلدين: الأول والثاني للسيرة النبوية الشريفة والخلفاء الراشدين: وبدأ المجلد الثالث بالعشرة المبشرين بالجنة ثم كبار الصحابة، فالتابعين... وهلم جرا. والكتاب ليس مجرد اختصار لتاريخ الإسلام، فقد ضمنه كثيرًا من الروايات الجديدة التي لم يوردها في «تاريخ الإسلام» وتوسع في بعض التراجم، على أنه لم يزد تراجم جديدة عليه.

٩٢ ـ طبقات الشيوخ:

ذكره الذهبي في «تذكرة الحفاظ»، فقال في ترجمة علي بن حمشاذ النيسابوري العدل: «متقن رحّال، ذكرناه في طبقات الشيوخ، ولو نقل إلى هنا لساغ فإن له مسندًا في ثلاث مئة جزء أو أكثر. توفي في سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة»[١]. ويظهر من استقراء هذا النص أن طبقات الشيوخ اشتمل على المحدثين الذين هم دون الحفاظ مرتبة.

٩٣ ـ طبقات علماء مصر:

منه نسخة خطية في مركز الملك فيصل بالرياض رقم (٧٥٤٥٧).

٩٤ ـ العباب في التاريخ[٢]:

ذكره ابن تغري بردي[٣]، ولا نعرف عنه شيئًا[٤].

= والدكتور محيي هلال السرحان المجلدات ٢١ ـ ٢٣، وحققت مجلدين في السيرة النبوية ومجلدًا في سير الخلفاء الأربعة، وكتبت مقدمة مفصلة للكتاب استغرقت (١٤٠) صفحة.

(١) ٣ / ٨٧٦ لكنه كان ذكره قبل هذا في ٣ / ٨٥٥ ـ ٨٥٦ وكأن المؤلف اقتصر أولاً على ذكره هنا ثم عاد فألحق ترجمة وافية له في موضعها من الطبقة وبقي ما هنا على حاله.

(٢) يظهر أن الذهبي زاد على «العباب» عبارة: «في التاريخ» لتمييزه عن غيره من الكتب التي تحمل العنوان نفسه، من ذلك مثلاً كتاب «العباب» في اللغة للإمام الصاغاني المتوفى سنة ٦٥٠هـ (انظر حاجي خليفة: كشف، ٢ / ١١٢٢).

(٣) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٤) ذكر الأستاذ خير الدين الزركلي في الأعلام ٦ / ٢٢٢ أن من هذا الكتاب نسخة خطية، ولم=

٩٥ ـ العبر في خبر من عبر:

ذكره الصفدي[١] والسبكي[٢] وابن حجر[٣] وسبطه[٤] وغيرهم. ومن الكتاب نسخ عديدة[٥] وطبع في الكويت[٦] باسم «العبر في خبر من غبر» ـ بالغين المعجمة ـ وهو وهم[٧].

ويعرف هذا التاريخ بالتاريخ الأوسط[٨]. وقد لخصه مؤلفه من كتابه الكبير «تاريخ الإسلام» سنة ٧١٥هـ كما يبدو[٩]. ومع ذلك فقد نجد أحيانًا من الحوادث والوفيات التي تناولها مما ليس مذكورًا في «تاريخ الإسلام» وهو أمر يدل على أن الذهبي استدرك فيه بعض الاستدراكات على «تاريخ الإسلام».

وقد احتل هذا التاريخ مكانًا بارزًا بين كتب الذهبي فوصفه السبكي بأنه «حسن جدًّا»[١٠]. وقد سلخه كل من النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ في كتابه «تنبيه

= يعين مكانها على خطته في كتابه، وما أظنه أصاب في ذلك فما عرفنا مثل هذا، والله أعلم.

(١) نكت الهميان، ص ٢٤٣، والوافي، ٢ / ١٦٤.

(٢) طبقات، ٩ / ١٠٤.

(٣) الدرر، ٣ / ٤٢٦.

(٤) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٥) من ذلك نسخة المكتبة الأهلية بباريس ذات الرقم (١٥٨٤) ونسخة المتحفة البريطانية (رقم ٦٤٢٨) ونسخة ولي الدين (رقم ٣٤٤٩) وكوبرلي (رقم ١٠٤٨) بإستانبول.

(٦) حقق الأستاذ فؤاد سيد يرحمه الله الجزءين الثاني والثالث وحقق الدكتور المنجد الأجزاء الباقية.

(٧) لأن «عبر» مصدره العبور على المشهور، قال ابن منظور في «عبر» من اللسان: «ويقال: عبر فلان إذا مات فهو عابر، كأنه عبر سبيل الحياة، وعبر القوم أي ماتوا؛ قال الشاعر:

فإن نعبر فإن لنا لمات ... وإن نغبر فنحن على نذور

يقول: إن متنا فلنا أقران وإن بقينا فنحن ننتظر ما لا بد منه، كأن لنا في إتيانه نذرًا».

ومن هنا يتبين أن الغبور هو البقاء، فضلاً عن أن «عبر» أكثر جناسًا من «غبر» بالغين المعجمة.

(٨) السبكي: طبقات ٩ / ١٠٤.

(٩) انظر مقدمة الدكتور المنجد للجزء الأول ص (ب) من المقدمة.

(١٠) السبكي: طبقات، ٩ / ١٠٤.

الدارس» وابن العماد المتوفى سنة ١٠٨٩هـ في كتابه «شذرات الذهب». واختصره تقي الدين ابن قاضي شهبة الأسدي المتوفى سنة ٨٥١هـ[١].

واشتهرت الذيول على كتاب «العبر» في تاريخ التأليف التاريخي عند المسلمين، فقد ذيل على ذيل الذهبي على العبر[٢] تلميذه شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي الحسيني الدمشقي المتوفى سنة ٧٦٥هـ[٣] ابتدأ به من سنة ٧٤١هـ ووصل به إلى سنة ٧٦٤هـ أي قبل وفاته بسنة واحدة، وسار على منهجه في ذكر الحوادث والوفيات، لكنه نظّم السنة الواحدة بحسب أشهرها في بعض الأحيان[٤]. ثم ذيل على ذيل الحسيني شمس الدين أبو العباس محمد بن موسى بن محمد اللخمي المصري الشامي المعروف بابن سند المتوفى سنة ٧٩٢هـ. وكان ابن سند قد قرأ على الذهبي، وذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين، وهو آخر المذكورين فيه وفاة، قال ابن حجر: «وقد ذيل على العبر للذهبي بعد ذيل الحسيني، رأيته بخطه، وذيل فيه إلى قرب الثمانين فقط»[٥]. وممن ذيل على ذيل العبر للذهبي أيضًا الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن المعروف بالعراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ[٦]، قال ابن فهد المكي: «وذيل على ذيل العبر للذهبي من سنة إحدى وأربعين إلى سنة ثلاث

---

(١) منه نسخة في المتحفة البريطانية.

(٢) انظر أعلاه كلامنا على «ذيل العبر».

(٣) انظر ابن حجر: الدرر، ٤ / ١٧٩ ـ ١٨٠، ابن فهد: لحظ الألحاظ، ص ١٠٥، ابن كثير: البداية، ١٤ / ٣٠٧، النعيمي: تنبيه الدارس، ١ / ٥٨.

(٤) نشره صديقنا المرحوم الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب مع ذيل العبر للذهبي في الكويت (دون تاريخ).

(٥) الدرر، ٥ / ٤٠ وانظر حاجي خليفة: كشف، ٢ / ١١٢٤. ولكن ابن سند افتتح كتابه من أول سنة ٧٦٣هـ فلعله لم يقف على ذيل الحسيني كاملاً (انظر مقدمة ذيل أبي زرعة العراقي ـ نسخة دار الكتب رقم ١٩٩٩د).

(٦) الجزري: غاية، ١ / ٣٨٢، السخاوي: الضوء، ٤ / ١٧١، ابن فهد: لحظ الألحاظ، ص ٢٢٠ فما بعد، السيوطي: طبقات الحفاظ، الورقة ٨٨ ـ ٨٩.

وستين»[١] يعني وسبع مئة. ثم جاء ولده ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي المتوفى سنة ٨٢٦هـ فذيل على تذييل والده وابتدأ به من سنة ٧٦٢هـ ووصل به إلى سنة ٧٨٦هـ[٢].

وذيل الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني على ذيل الحسيني، وابتدأ به من سنة ٧٦٣هـ فكتب هذه السنة وبعض التي تليها[٣].

٩٦ ـ عنوان السير في ذكر الصحابة:

ذكره حاجي خليفة[٤]. ولا ندري فيما إذا كان هو «تجريد أسماء الصحابة» الذي اختصره من «أسد الغابة» لابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٠هـ لعدم وقوفنا على نسخة منه أو وصف له وإن كنا نستبعد ذلك لسببين: أولهما أن حاجي خليفة لم يشر إلى ذلك إطلاقًا كما لم يشر أحد ممن ذكر «التجريد» إلى هذا الاسم، وثانيهما أنه ذكر «التجريد» في موضع آخر غير هذا الموضع[٥]. وقد نقل السيد الزبيدي في مادة (حول) من «تاج العروس» عن «معجم الصحابة» للذهبي،

---

(١) لحظ الألحاظ، ص ٢٣١.

(٢) ابن فهد: لحظ الألحاظ، ص ٢٣١، ٢٨٧. ومن «ذيل» ولي الدين أبي زرعة العراقي نسخة بدار الكتب المصرية (رقم ١٩٩٩د) ونسخة حديثة أخرى نسخت عنها (رقم ٥٦١٥ تاريخ) جاء في أوله: «هذا تاريخ متوسط ابتداؤه سنة مولدي، وهو ذيل على تاريخ والدي ـ أبقاه الله تعالى ـ الذي ذيل به على ذيل العبر للحافظ أبي عبد الله الذهبي ـ رحمه الله ـ فأقول...». وقد ظن بعضهم أن هذا التاريخ يبدأ من سنة ٧٦٣هـ، وهو وهم. (انظر أيضًا الورقة ١٤، ٣٤٩) (دار الكتب ٥٦١٥ تاريخ) وللنسخة الأخيرة صورة في المجمع العلمي العراقي، وعندي نسخة مصورة أيضًا. وحققه تلميذي الدكتور صالح مهدي عباس ونشرته مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٩م.

(٣) جاء في طرة ذيل أبي زرعة العراقي: «ثم إن الإمام شهاب الدين ابن حجر: ذيل على الحسيني أيضًا فكتب سنة ٦٣ وبعض التي تليها كما وقعت على ذلك بخطه في آخر النسخة التي من العبر وهي عند قريبه الإمام نجم الدين ـ نفع الله به ـ».

(٤) كشف الظنون، ١ / عمود ١١٧٥.

(٥) كشف الظنون، ١ / عمود ٣٥١. وانظر أدناه كلامنا على «التجريد» في القسم الخاص بالمختصرات من مؤلفات الذهبي.

ويظهر أنه كان يمتلك نسخة منه[1]، فلعله هو؟

٩٧ ـ القبان (في أصحاب التقي ابن تيمية):

ذكره السخاوي[2].

٩٨ ـ المجرد في أسماء رجال كتب سنن الإمام أبي عبد الله بن ماجة سوى من أخرج له منهم في أحد الصحيحين:

وقفنا على نسخة منه بخط المؤلف[3] وطبع بتحقيق صديقنا الأستاذ الدكتور باسم الجوابرة (ط. دار الراية ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م). وقد جعلهم الذهبي في ثماني طبقات وهم: طبقة الصحابة[4]، وطبقة زمن الأعمش وابن عون[5]، وطبقة الزهري وأيوب[6]، وطبقة ابن المسيب ومسروق[7]، وطبقة الحسن وعطاء[8]، وطبقة عفان وعبد الرزاق[9]، وطبقة علي بن المديني وأحمد بن حنبل[10]، وطبقة البخاري ومن تبقى[11]. ورمز فوق الأسماء بالحمرة للكتب الستة برموزهم السائرة. ويلحظ أن هذه الطبقات غير مرتبة زمنيًا.

٩٩ ـ المرتجل في الكنى:

ذكر بروكلمان نسخة منه في خزانة (لي) الإنكليزي[12] لم أقف عليها، ولا

---

(١) الزبيدي: تاج العروس، ٧ / ٢٩٧ (ط. الكويت).

(٢) الإعلان، ص ٦٧٥.

(٣) بدار الكتب الظاهرية (رقم ٥٣١ حديث) وهي في عشرين ورقة.

(٤) الورقة ١ ـ ٦.

(٥) الورقة ٦ ـ ٨.

(٦) الورقة ٨ ـ ١٢.

(٧) الورقة ١٢ ـ ١٣.

(٨) الورقة ١٣ ـ ١٤.

(٩) الورقة ١٤ ـ ١٥.

(١٠) الورقة ١٥ ـ ١٦.

(١١) الورقة ١٦ ـ ٢٠.

(١٢) تاريخ التراث العربي، ٢ / ٥٩ (بالألمانية).

أدري علاقته بكتاب «ذكر من اشتهر بكنيته من الأعيان» الذي مر ذكره.

١٠٠ ـ المشتبه في الرجال: أسمائهم وأنسابهم:

ذكره الصفدي[١] وابن دقماق[٢] وحاجي خليفة[٣] وغيرهم. وفي خزائن الكتب العالمية غير نسخة منه[٤]، وهو مطبوع[٥].

وقد ألفه الذهبي سنة ٧٢٣هـ[٦]. وهو كتاب في معرفة ما يشتبه ويتصحف من الأسماء والأنساب والكنى والألقاب مما اتفق وضعًا واختلف نطقًا، وهي من المسائل المهمة في تاريخ التدوين العربي عمومًا وتاريخ علم الرجال خصوصًا، لأن أسماء الرجال شيء لا يدخله القياس، وليس هناك شيء قبله يدل عليه ولا شيء بعده يدل عليه فليس له إلا التقييد والضبط.

رتب الذهبي كتابه على حروف المعجم وجعل لكل حرف بابًا، واعتمد فيه أمهات الكتب المؤلفة في هذا الفن مثل كتاب «المؤتلف والمختلف» لعبد الغني ابن سعيد الأزدي المتوفى سنة ٤٠٩هـ وكتاب «الإكمال» للأمير ابن ماكولا المتوفى سنة ٤٧٥هـ و«إكمال الإكمال» لمعين الدين ابن نقطة الحنبلي المتوفى سنة ٦٢٩هـ و«تكملة إكمال الإكمال» لابن الصابوني المتوفى سنة ٦٨٠هـ و«الذيل على إكمال» ابن نقطة لمنصور بن سليم الإسكندراني المتوفى سنة

---

(١) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٢.

(٢) ترجمان الزمان، الورقة ٩٩.

(٣) كشف الظنون: ٢ / عمود ١٦٣٧، ١٦٩١.

(٤) منه ثلاث نسخ في إستانبول: في أحمد الثالث (رقم ٣٠٢٨)، وكوبرلي (رقم ٣٨٦)، وجار الله (رقم ٤٣٩)، ونسخة بمكتبة الأسكوريال بإسبانيا (برقم ١٧٨١) ونسخة بجامع القرويين بفاس (رقم ٦٢٩)، ونسخة في دار الكتب الظاهرية بدمشق (برقم ٣٦٩ حديث)، وأخرى بمكتبة عارف حكمت بالمدينة (رقم ١٨٨ مجاميع).

(٥) حققه المستشرق الهولندي (دي يونغ) ونشره في ليدن سنة ١٨٦٣م في ٦١٢ صفحة. ثم أعادت طبعة مكتبة عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٦٢م بعناية السيد علي محمد البجاوي في جزأين معتمدًا نسخة أحمد الثالث مع توافر نسخ غيرها.

(٦) انظر مقدمة ابن ناصر الدين لكتاب توضيح المشتبه (سوهاج).

٦٧٣هـ ومن كلام شيخه أبي العلاء محمود بن أبي بكر الفرضي الحنفي المتوفى سنة ٧٠٠هـ وغيرهم. فضلاً عما وقع له وتنبه إليه جراء دراساته وممارسته لعلم الرجال.

ولما كان موضوع الكتاب على غاية من الاتساع فإن مؤلفه بالغ في اختصاره واعتمد القلم في ضبط المشتبه إلا فيما يصعب ويشكل فكان يقيده بالحروف، وهو نادر. وكان الذهبي يعلم جيدًا صعوبة الاعتماد على ضبط القلم فنبه إلى ذلك بقوله: «فأتقن ـ يا أخي ـ نسختك، واعتمد على الشكل والنقط، ولا بد، وإلا لم تصنع شيئًا»[١].

وقد احتل كتاب «المشتبه» للذهبي مكانًا مرموقًا عند المعنيين بعلم الرجال والمؤلفين فيه، فطالعه العلامة ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢هـ وضبط لنفسه نسخة نفيسة منه[٢]، ثم ألف كتابه العظيم «توضيح المشتبه»[٣] قيد فيه الأسماء والأنساب والكنى والألقاب بالحروف لإيمانه أن القلم لا يمكن الاعتماد عليه في مثل هذه الأمور. وأوضح بعض ما أهمله الذهبي، وشرح بعض مختصراته، واستدرك عليه استدراكات نفيسة تدل على علم جم ومعرفة متقنة بهذا الفن.

ولما كان الحافظ ابن حجر العسقلاني من المعجبين بمؤلفات الذهبي والمهتمين بها فقد قرأ هذا الكتاب ثم علقه، لكنه وجد فيه إعوازًا من ثلاثة أوجه:

أحدها، وهو أهمها، تحقيق ضبطه، لأنه أحال في ذلك على ضبط القلم.

---

(١) المشتبه، ص ٢ (ط. البجاوي).

(٢) هي نسخة أحمد الثالث بإستانبول ذات الرقم (٣٠٢٨).

(٣) هو من مراجعنا العظيمة في ضبط الأسماء ولدينا منه نسختان إحداهما ناقصة وهي مصورة عن مكتبة سوهاج بمصر، والثانية مصورة عن دار الكتب الظاهرية بدمشق. ونشرته مؤسسة الرسالة في عشرة مجلدات بتحقيق صديقنا العالم المحقق الشيخ محمد نعيم العرقسوسي (بيروت ١٤١٤هـ).

ثانيها: إجحافه في الاختصار، بحيث إنه يعمد إلى الاسمين المشتبهين إذا كثرا فيقول في كل منهما: فلان وفلان وفلان وغيرهم، وهذا لا يروي الغلة ولا يشفي العلة بل يبقى اللبس على المستفيد كما هو، وكان ينبغي أن يستوعب أقلهما.

ثالثها: ما فاته من التراجم المستقلة التي لم يتضمنها كتابه مع كونها في أصل ابن ماكولا وذيل ابن نقطة اللذين لخصهما[1].

ولكل هذه الأسباب عمد الحافظ ابن حجر إلى تأليف كتابه «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه»[2] استدرك فيه ذاك الإعواز الذي ذكره معتمدًا على نسخة بخط المؤلف، وعلى الأصول التي نقل الذهبي منها، وعلى غيرها مما لم يطلع عليه.

وحاول تلميذ الذهبي تقي الدين محمد بن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤هـ أن يستدرك على كتاب شيخه في المشتبه فعمل جزءًا جعله كالذيل عليه، نشره الدكتور الفاضل صلاح الدين المنجد ببيروت سنة ١٩٧٤م على نسختين من إستانبول[3]، وذكر أنه قابل التبصير بذيل ابن رافع فتبين له أن ابن حجر لم يطلع عليه مدللاً بذلك على نفاسة الكتاب[4]. وغلط في ذلك غلطًا كبيرًا لأن ابن حجر قد اطلع عليه ونص على ذلك تصريحًا في آخر التبصير فقال: «وقد ذيل عليه الحافظ تقي الدين ابن رافع تلميذه في هذا المختصر جزءًا قدر عشر أوراق غالبه لا يُرَد عليه، لأنه إما أن يكون قد ذكره أو يكون لا يشتبه إلا على بعد»[5] فتأمل ذلك!

---

(١) انظر مقدمة التبصير، ١ / ١.

(٢) نشرته المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر بالقاهرة بعناية علي محمد البجاوي سنة ١٩٦٧م.

(٣) بيروت: دار الكتاب الجديد. وعنوان الكتاب ذيل مشتبه النسبة للذهبي ويقع في ٥٥ صفحة مع المقدمة والفهارس العامة.

(٤) ابن رافع: ذيل مشتبه النسبة، ص ٥ من المقدمة.

(٥) ابن حجر: تبصير المنتبه ٤ / ١٥١٢ ـ ١٥١٣.

١٠١ ـ معجم الشيوخ الكبير[١] :

١٠٢ ـ المعجم الصغير (اللطيف) :

١٠٣ ـ المعجم المختص بمحدثي العصر :

ذكره الذهبي في آخر تذكرة الحفاظ، فقال: «وقد كنت ألفت معجمًا لي يختص بمن طلب هذا الشأن[٢] من شيوخي ورفاقي، فاستوعبت من له أدنى عمل وبينت أحوالهم»[٣]. وقال ابن حجر: «فذكر فيه غالب الطلبة من أهل ذلك العصر وعاش الكثير منهم بعده إلى نحو أربعين سنة»[٤]. وذكره السبكي[٥] وابن تغري بردي[٦] وابن العماد[٧]. وتحرف في الإعلان للسخاوي[٨]، وكشف الظنون[٩] وفهرس الأوقاف[١٠] إلى «المختصر» وهو وهم جد ظاهر.

وهذا الكتاب ليس معجمًا لشيوخ الذهبي، بل هو معجم مختص بطلبة العلم في عصره، فقد ذكر الذهبي فيه حتى صغار الطلبة آنذاك. وقد أشار السخاوي إلى مثل هذا فقال عند كلامه على تواريخ المحدثين: «وللذهبي المعجم المختص بهم»[١١]. وقد أفاد منه ابن حجر في «الدرر الكامنة»، بل

---

(١) راجع عن المعجم الكبير والأوسط والصغير كلامنا على تحليل موارد البحث في مقدمة هذا الكتاب. ونشرت المعجمات الثلاثة، فالكبير والمختص حققهما صديقنا الدكتور الحبيب الهيلة، وأما الصغير فطبع بالكويت (١٤٠٨هـ).

(٢) يعني الحديث النبوي الشريف.

(٣) تذكرة، ٤ / ١٥٠٠.

(٤) الدرر، ٣ / ٤٢٦ ـ ٤٢٧. وآخر المذكورين فيه هو ابن سند المتوفى سنة ٧٩٢هـ.

(٥) طبقات، ٩ / ١٠٥ وهو فيه «المختص لمحدثي العصر».

(٦) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٧) شذرات ٦ / ١٥٦.

(٨) السخاوي: الإعلان، ص ٦٠٦.

(٩) حاجي خليفة: كشف، ٢ / عمود ١٦٢٥.

(١٠) الجبوري: فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة، ٤ / ٢٧٠، ٤٥٧، ٥٨٣.

(١١) الإعلان، ص ٥٦٥.

سلخه بحيث نجده ينقل عنه في كثير من التراجم.

١٠٤ ـ كتاب معرفة آل مندة:

بنو مندة الأصبهانيون العبديون[١] من أعلام الحفاظ في الدنيا، اشتهر منهم غير واحد في تاريخ الثقافة الإسلامية، لذلك ألف الذهبي كتابًا خاصًا بهم، ذكره سبط ابن حجر[٢]، وقال الذهبي في ترجمة أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن مندة المتوفى سنة ٣٩٥هـ: «واستوفينا ذكر أبي عبد الله في كتاب آل مندة»[٣].

١٠٥ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار:

ذكره الصلاح الصفدي، وقال: «تناولته منه وأجازني روايته وكتبته عليه» وذكر أربعة أبيات شعر في تقريظه[٤]. كما ذكره السبكي[٥]، وابن دقماق[٦]، وابن حجر[٧]، وسبطه[٨]، وابن الجزري[٩]، والسخاوي[١٠]، وغيرهم. ومن الكتاب نسخ متعددة في خزائن الكتب العالمية[١١]. وقد طبع بتحقيقنا ومشاركة العلامة

---

(١) نسبة إلى ولائهم لعبد القيس.

(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٣) تذكرة الحفاظ، ٣ / ١٠٣٥.

(٤) الوافي، ١ / ٥٣، ٢ / ١٦٣، ونكت الهميان ص ٢٤٢.

(٥) الطبقات ٩ / ١٠٤.

(٦) ترجمان الزمان، ورقة ٩٩.

(٧) الدرر، ٣ / ٤٢٦.

(٨) رونق الألفاظ، ورقة ١٨٠.

(٩) غاية النهاية ٢ / ٧١.

(١٠) الإعلان، ص ٥٦٤.

(١١) منها نسخة في برلين (رقم ٣١٤٠) وأخرى بالمكتبة الوطنية بباريس رقم (٢٠٨٤) وثالثة في مكتبة كوبرلي بإستانبول (رقم ١١٦). ومنه أيضًا نسخة خزائنية نفيسة بقلم نسخي نفيس كتبت في القرن الثامن وبآخرها خط مصنف الكتاب الحافظ الذهبي بصحة قراءة الكتاب عليه، وهي في ٢٨٨ ورقة، وهذه النسخة محفوظة في الخزانة العامة بالرباط برقم ١١٩ق. وقد صورت لخزانة كتبي نسخة منها.

الشيخ شعيب الأرنؤوط والدكتور صالح مهدي في مجلدين سنة ١٤٠٨هـ.

رتب الذهبي هذا الكتاب على الطبقات فجعله في سبع عشرة طبقة[١] بحسب اللقيا، فكانت الطبقة الأولى في الصحابة الذين عرضوا على رسول اللّه ﷺ وهم سبعة، ثم تسلسل في الطبقات. أما محتويات التراجم فهي تتعلق بالقراءة في الأغلب الأعم، لم تعن كثيرًا بالأمور الأخرى، وهو أمر طبيعي لأن هذا هو موضوع الكتاب، وقد أشار الذهبي إلى ذلك في نهاية الطبقة الأولى بقوله: «واختصرت أخبارهم، فلو سقتها كلها لبلغت خمسين كراسًا»[٢].

لقي كتاب الذهبي في القراء تقديرًا كبيرًا عند أهل العناية بهذا الفن من فنون علم الرجال، فذكر ابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ أنه أحسن فيه[٣]، ولذلك سلخه بأجمعه في كتابه «غاية النهاية» كما صرح بذلك في مقدمة كتابه حينما قال: «وأتيت فيه على جميع ما في كتابي الحافظين أبي عمرو الداني وأبي عبد اللّه الذهبي ـ رحمهما اللّه ـ»[٤] وذكر شمس الدين السخاوي: أنه كتاب حافل[٥].

وقد ذيل عليه المؤلف بسبع تراجم، ثم ذيل عليه تاج الدين أحمد بن عبد القادر ابن مكتوم في جزء فيه عشرون ترجمة رتبهم بحسب الوفيات[٦]. وقام الحافظ عز الدين عبد العزيز ابن الحافظ نجم الدين عمر بن محمد بن فهد المكي الهاشمي المتوفى سنة ٩٢٠هـ بترتيب معرفة القراء للذهبي على حروف المعجم، قال السخاوي: «ورتب الذهبي على المعجم العزي بن فهد، بقية بيتهم، وجمال الحرم»[٧] والظاهر أن عبارة «جمال الحرم» صفة مدح لعز الدين

---

(١) تصحفت الطبقة السابعة عشرة إلى الطبقة الثامنة عشرة في المطبوعة.

(٢) معرفة القراء، ص ٣٩.

(٣) غاية النهاية، ٢ / ٧١.

(٤) غاية النهاية، ١ / ٣.

(٥) الإعلان، ص ٥٦٤.

(٦) طبع في آخر معرفة القراء، ص ٦٠٤ فما بعد.

(٧) الإعلان، ص ٥٦٤ ـ ٥٦٥.

عبد العزيز ابن الحافظ نجم الدين. وعلق روزنتال على قول السخاوي بأن جمال الحرم قد يكون هو عبد العزيز بن عمر، وهو استنتاج غير صحيح لأن عبد العزيز بن عمر هو العز بن فهد الذي ذكره السخاوي في النص السابق، وقد ترجم له في الضوء اللامع[1] كما ترجم له الغزي[2] وابن العماد الحنبلي[3] وذكروا له كتاب «ترتيب طبقات القراء».

وذكر حاجي خليفة أن الشريف أبا المحاسن محمد بن علي الحسيني المتوفى سنة ٧٦٥هـ قد ذيل على معرفة القراء للذهبي[4]. وأظن ذلك من أوهام حاجي خليفة، فالذي حفظناه من سيرة الحسيني أنه لم يؤلف ذيلاً على معرفة القراء، ولعله خلط بين «طبقات القراء» وهو الاسم الذي اشتهر به «معرفة القراء» وبين كتاب «طبقات الحفاظ» وهو الاسم الذي عرفت به «تذكرة الحفاظ» فوقع في هذا الوهم؟!

١٠٦ ـ المعين في طبقات المحدثين:

عندي منه نسخة مصورة[5]. وقد جاء في أولها: «فهذه مقدمة في ذكر أسماء حملة الآثار النبوية تبصر الطالب النبيه وتذكِّر المحدث المفيد، يقبح بالطلبة أن يجهلوهم. وليس هذا الكتاب بالمستوعب للكبار بل لمن سار ذكره في الأوطان والأعصار». ورتب الذهبي كتابه هذا على الطبقات وابتدأ أولاً بذكر النبي ﷺ ثم الخلفاء الراشدين وبقية العشرة المبشرة بالجنة[6]، ثم باقي أعلام

---

(١) ٤ / ٢٢٤.

(٢) الكواكب السائرة، ١ / ٢٣٨.

(٣) شذرات الذهب، ٨ / ١٠٠.

(٤) كشف الظنون، ٢ / عمود ١١٠٥.

(٥) تقع هذه النسخة في (٥٥) ورقة، صورتها عن النسخة الخطية المحفوظة في مكتبة فيض اللّه بإستانبول (رقم ١٥٢٨). وكان بروكلمان قد ذكرها في ملحق كتابه (تاريخ التراث العربي، ٢ / ٤٧) وتساءل فيما إذا كان الكتاب هو كتاب «المغني في الضعفاء» وهي مساءلة غير موفقة. وقد طبع الكتاب بتحقيق الدكتور همام سعيد ونشر في عمان سنة ١٩٨٤م.

(٦) الورقة ١.

الصحابة مرتبين على حروف المعجم[١]. وذكر بعد ذلك أكابر التابعين وجعلهم طبقة[٢]، ثم ذكر الطبقة الثانية منهم[٣]، والثالثة وهي طبقة الزهري[٤]. . . إلخ. والكتاب مختصر جدًا يكاد أن يقتصر على الأسماء. وأحال في نهاية الكتاب على كتابه الكبير «تاريخ الإسلام» فقال: «وأخبار المذكورين في هذا الكتاب مدونة في تاريخي الكبير وفي غيره فمن رام ذلك فليطلبه»[٥].

١٠٧ ـ المغني في الضعفاء:

ذكره الصفدي[٦]، والسبكي[٧]، والزركشي[٨]، وسبط ابن حجر[٩]، والسخاوي[١٠] وسماه حاجي خليفة[١١] والبغدادي[١٢]: «المغني في الضعفاء وبعض الثقات»، وهو مطبوع[١٣]. وقد توهم ابن تغري بردي حينما ذكر أنه مختصر لكتاب «الميزان»[١٤]، فإننا نعلم أنه ألفه قبل الميزان[١٥] فكيف يصح أن يكون مختصرًا له؟

---

(١) الورقة ٣ ـ ٥.

(٢) الورقة ٥ ـ ٦.

(٣) الورقة ٦ ـ ٧.

(٤) الورقة ٧ فما بعد.

(٥) الورقة ٥٥.

(٦) الوافي ٢ / ١٦٤، ونكت، ص ٢٤٣.

(٧) الطبقات، ٩ / ١٠٤.

(٨) عقود الجمان، الورقة ٧٩، وهو فيه «المكتفي في الضعفاء» ولعله سبق قلم من الناسخ.

(٩) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(١٠) الإعلان، ص ٥٨٧.

(١١) كشف، ٢ / عمود ١٧٥٠.

(١٢) هدية العارفين ٢ / عمود ١٥٥.

(١٣) حققه الدكتور نور الدين عتر تحقيقًا علميًا، وعلق عليه بفوائد تدل على معرفته التامة بهذا العلم، ونشرته دار المعارف بحلب سنة ١٩٧١م.

(١٤) المنهل الصافي، الورقة ١، وتابعه ابن العماد في الشذرات، ٦ / ١٥٥.

(١٥) كما صرح الذهبي في مقدمة الميزان حينما قال: «ألفته بعد كتابي المغني».

وموضوع الكتاب هو موضوع «ديوان الضعفاء» الذي تكلمنا عليه قبل قليل، لكنه امتاز بسلوك طريق الإيجاز في الكلام على الرواة وتحرير أقوال أئمة الجرح والتعديل فيهم، وأبان رأيه في كثير منهم مؤيدًا أو مخالفًا، ويجد الباحث في تعقيبات الذهبي الموجزة فوائد جمة يحتاج في تحصيلها إلى كبير جهد في مراجعة عدد كبير من الكتب في هذا الفن، فضلاً عن فقداننا لعدد كبير منها، لذلك حظي الكتاب بعناية العلماء وثنائهم حتى جعله الحافظ جلال الدين السيوطي مثالاً لكتاب: «صغير الحجم نافع جدًا من جهة أنه يحكم على كل رجل بالأصح فيه بكلمة واحدة»[١].

١٠٨ ـ المقدمة ذات النقاط في الألقاب:

وهو في الألقاب كما يدل عليه عنوانه[٢]، وطبع بتحقيق محمد رياض المالح (مؤسسة علوم القرآن، عجمان ١٤١٤هـ).

١٠٩ ـ من تكلم فيه وهو موثق:

هكذا ذكر عنوانه صلاح الدين الصفدي، وذكر أنه كتبه بخطه وقرأه على مؤلفه[٣]، ولذلك اعتمدنا هذا العنوان. وحققه الدكتور عبد اللّه بن ضيف اللّه الرحيلي لنيل درجة الماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٣٩٨هـ. وكذلك حققه محمود شكور المياديني وطبع في دار المنار، سنة ١٤٠٦ ـ الأردن بعنوان «ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق».

١١٠ ـ معرفة الرواة المتكلّم فيهم بما لا يوجب الرد:

ذكره السخاوي[٤] وغيره، وحققه السيد محمد إبراهيم الموصلي، ونشرته دار البشائر الإسلامية سنة ١٤١٢هـ.

---

(١) تدريب الراوي، ص ٥١٩.

(٢) منه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية بالقاهرة بخط الحافظ جلال الدين السيوطي (رقم ٤٤٢٣ج).

(٣) نكت الهميان، ص ٢٤٢.

(٤) الإعلان ٥٨٧.

١١١ ـ منظومة في أسماء حفاظ الحديث:

منها نسخة خطية في مركز الملك فيصل بالرياض تحمل الرقم (١٠٩٥٠٦).

١١٢ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال:

ذكر هذا الكتاب معظم الذين ترجموا للذهبي، وقد طبع أكثر من مرة[١].

وعُدَّ هذا الكتاب من أحسن كتب الذهبي وأجلها[٢] وأجمعها وأكثرها استيعابًا في النقد، قال المؤلف في مقدمته: «. . . فهذا كتاب جليل مبسوط في إيضاح نقلة العلم النبوي وحملة الآثار، ألفته بعد المغني وطولت العبارة، وفيه أسماء عدة من الرواة زائدًا على من في المغني، زدت معظمهم من الكتاب «الحافل»[٣] المذيل على الكامل لابن عدي»[٤].

ويمثل كتاب «الميزان» قمة معلومات الذهبي في النقد، جرحًا وتعديلاً، وهو الذي أكسبه شهرة عظيمة في هذا العلم، فقد اعتمد فيه معظم المصنفات التي سبقته في الضعفاء، أو التي جمعت بين الضعفاء والثقات، والتي ألفها كبار

---

(١) اخرها طبعة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٣م بعناية البجاوي. وقد عثرت بعثة معهد إحياء المخطوطات إلى المغرب سنة ١٩٧٥م على نسخة فيها المجلد الثاني من الميزان بخط المؤلف في الخزانة العامة بالرباط برقم ١٢٩ق تقع في ٢٥٠ ورقة. وفي آخر النسخة قراءتان على المؤلف، الأولى سنة ٧٤٣ والثانية سنة ٧٤٥، وفي حواشي النسخة زيادات وإلحاقات كثيرة بخط المؤلف أيضًا، وعندي صورة منه.

(٢) السبكي، طبقات، ٩ / ١٠٤، الحسيني: ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٣٥.

(٣) كتاب الحافل في تكملة الكامل للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن مفرج النباتي الإشبيلي المعروف بابن الرومية المتوفى سنة ٦٢٧هـ.

(٤) كتاب الكامل في ضعفاء الرجال، ويسمى أيضًا الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث، من الكتب المشهورة جدًا في الضعفاء. وقد تأثر الذهبي به كثيرًا. ومن الكتاب نسخ كثيرة، وقد رأينا نسخة نفيسة منه في مكتبة أحمد الثالث برقم ٢٩٤٣. وطبع ببيروت طبعات رديئة جدًا.

النقاد أمثال يحيى بن سعيد القطان[1] وتلامذته: يحيى بن معين[2]، وعلي ابن المديني[3]، وأحمد بن حنبل[4]، وعمرو بن علي الفلاس[5]، وأبو خيثمة[6]. ثم

---

(١) توفي سنة ١٩٨هـ ولم يعرف له تأليف، لكن أقواله في كتب تلامذته فمن بعدهم كثيرة (ابن حجر، تهذيب، ١١ / ٢١٦).

(٢) توفي سنة ٢٣٣هـ، وقد رأيت له في خزانة كتب الحاج صبحي السامرائي: كتاب التاريخ والعلل رواية عباس الدوري عنه (عن الظاهرية، مجموع رقم ١١٢) وهو يذكر فيه الرجل ثم يورد الجرح وبعض أحاديثه المعلولة. وحققه الدكتور محمد نور سيف ونشر سنة ١٣٩٩هـ. وكتاب معرفة الرجال رواية أحمد بن محمد بن محرز (عن الظاهرية، مجموع رقم ١ وحققه محمد كامل القصار ومحمد مطيع الحافظ، وطبعه مجمع دمشق ١٤٠٥هـ). وجزء فيه تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين في تجريح الرواة وتعديلهم نسخة نفيسة كتبت سنة ٦٨٢هـ مصورة عن مكتبة الشيخ سليمان بن بسام في عنيزة، وهو غير مفهرس في مخطوطات الجامعة العربية (حققه الدكتور أحمد نور سيف وطبع بدار المأمون للتراث). وكتاب سؤالات هاشم بن مرثد الطبراني ليحيى بن معين (عن أحمد الثالث ١٠ / ٦٢٤) حققه نظر بن محمد الفريابي وطبع بالرياض سنة ١٩٩٠م. وكتاب سؤالات ابن الجنيد الختلي لابن معين (عن أحمد الثالث ٤ / ٦٢٤) ونشرها الدكتور أحمد محمد نور سيف في المدينة المنورة سنة ١٩٨٨م. وكتاب سؤالات عثمان بن طالوت لابن معين (عن أحمد الثالث ٦٢٤).

(٣) توفي سنة ٢٣٤هـ وطبع كتابه علل الحديث ومعرفة الرجال على النسخة المخطوطة في أحمد الثالث (رقم ٢٥ / ٦٢٤) باسم العلل باعتناء محمد مصطفى الأعظمي (بيروت ١٣٩٢هـ).

(٤) توفي سنة ٢٤١هـ. وله كتاب العلل ومعرفة الرجال، طبع بأنقرة ابتداءً من سنة ١٩٦٣م. ثم طبع بتحقيق الدكتور وصي الله محمد عباس (بيروت ١٩٨٥م).

(٥) توفي سنة ٢٤٩هـ وله كتاب في الضعفاء وآخر في التاريخ ولم يصلا إلينا (العمري: بحوث، ص ٩٠، ١٠٤) وانظر مقدمة تاريخ الإسلام حيث عد الذهبي كتابه في التاريخ من بين مصادره الرئيسة.

(٦) أبو خيثمة زهير بن حرب المتوفى سنة ٢٣٤هـ. ولم يصل إلينا كتابه. وقد اشتهر كتاب ولده التاريخ الكبير الذي وصف بأنه كثير الفوائد (السخاوي: الإعلان، ص ٥٨٨)، ومن الكتاب قطعة في خزانة القرويين، وقد طبع بتحقيق عادل بن سعد وأيمن شعلان (الكويت ١٤٢٥هـ).

تلامذة هؤلاء كأبي زرعة[1]، وأبي حاتم[2]، والبخاري[3]، ومسلم[4]، وأبي إسحاق الجوزجاني السعدي[5]. ومن بعدهم: مثل النسائي[6]، وابن خزيمة[7]،

---

(١) عبيد الله بن عبد الكريم، أبو زرعة الرازي المتوفى سنة ٢٦٤هـ، وتجد أقواله في كتاب أبي عثمان سعيد بن عمرو البرذعي الحافظ المتوفى سنة ٢٩٣هـ. الضعفاء والكذابون والمتروكون من أصحاب الحديث. نسخة معهد المخطوطات المصورة (رقم ٧١٩ تاريخ). وطبع بتحقيق الدكتور سعدي الهاشمي سنة ١٩٨٢م.

(٢) أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي المتوفى سنة ٢٧٧هـ وأكثر ما نجد أقواله في الجرح والتعديل في كتاب ابنه عبد الرحمن المتوفى سنة ٣٢٧هـ الجرح والتعديل وهو من الكتب المطبوعة المشهورة. وقد سأله البرذعي المتوفى سنة ٢٩٢هـ عن الرجال وثبت أقواله في كتابه الضعفاء (مصورة معهد المخطوطات رقم ٧١٩ تاريخ).

(٣) الإمام المتوفى سنة ٢٥٦هـ كما هو مشهور. وله كتاب الضعفاء الكبير والضعفاء الصغير ومن الكتاب الأول نسخة في باتنة ذكرها بروكلمان (الترجمة العربية، ٣ / ١٧٩). أما الكتاب الثاني فقد طبع، ومنها طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد (دون تاريخ). أما كتاباه: التاريخ الكبير، والتاريخ الصغير فمطبوعان مشهوران.

(٤) صاحب الصحيح المتوفى سنة ٢٦١هـ. وله كتاب رواة الاعتبار والكنى والأسماء وغيرهما (انظر سزكين: تاريخ التراث العربي، ١ / ٣٦٩، والعمري: بحوث، ص ١٠٤) وطبع بتحقيق عبد الرحيم محمد أحمد القشقري ونشره المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٤هـ. وللإمام مسلم كتاب التمييز طبع أيضًا بتحقيق الدكتور محمد الأعظمي الرياض ١٤٠٢هـ.

(٥) توفي سنة ٢٥٩هـ. وذكر الذهبي له كتاب الضعفاء (تذكرة ٢ / ٥٤٩) وقد اطلعت على كتابه أحوال الرجال. والظاهر أن هذا هو كتابه في الضعفاء الذي ذكره الذهبي وغيره فليس فيه غير الضعفاء (الظاهرية ٢٤٩) وحققه الشيخ صبحي السامرائي، وطبع ببيروت سنة ١٤٠٥هـ.

(٦) صاحب السنن المتوفى سنة ٣٠٣هـ وكتابه الصغير الضعفاء والمتروكين. طبع بحيدرآباد مع كتاب الضعفاء الصغير للبخاري. ثم أعيد طبع الكتابين في حلب بعناية محمود إبراهيم زايد ونشرته دار الوعي بها (حلب ١٩٧٥م).

(٧) إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة المتوفى سنة ٣١١هـ، ولم يصل إلينا كتابه.

والدولابي[1]، والعقيلي[2]، وابن حبان[3]. ثم كتاب «الكامل» لابن عدي وهو أجل الكتب وأكملها[4]، وكتاب «الجرح والتعديل» لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي[5]، وكتاب «الضعفاء» للدارقطني[6]، و«الضعفاء» للحاكم النيسابوري[7] وغيرها.

ونحن نعلم أيضًا أن الذهبي اختصر جملة من الكتب المتعلقة بهذا الموضوع، وانتقى من كتب أخرى، وذيل على الضعفاء لابن الجوزي بذيلين، وألف ديوان الضعفاء والمتروكين، وذيل عليه بتصنيف مستقل، ثم ألف كتاب

---

(١) أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الدولابي المتوفى سنة ٣١٠هـ على الصحيح. ولم يصل إلينا كتابه في الضعفاء، علمًا أنه يروي كتاب الضعفاء عن البخاري، وطبع كتابه الكنى والأسماء بحيدرآباد سنة ١٣٢٣هـ.

(٢) أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي المتوفى سنة ٣٢٢هـ، ومن كتابه الضعفاء نسخة بدار الكتب الظاهرية (رقم ٣٦٢ حديث) وقد صور معهد المخطوطات نسخة منه (رقم ٧١٨ تاريخ)، وطبع طبعة رديئة بتحقيق عبد المعطي قلعجي سنة ١٤٠٤هـ. ثم طبع بتحقيق الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي وطبع في الرياض سنة ٢٠٠٢م.

(٣) محمد بن أحمد بن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ وكتابه في الضعفاء هو معرفة المجروحين من المحدثين منه نسخة مصورة في معهد إحياء المخطوطات عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٩٥٩٨ب (٤٩٦ تاريخ). وطبع في حلب سنة ١٣٩٦هـ بتحقيق محمود زايد.

(٤) طبع ببيروت طبعات رديئة وهو بحاجة ماسة إلى التحقيق العلمي.

(٥) توفي سنة ٣٢٧ وكتابه الجرح والتعديل مشهور جدًا.

(٦) أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥هـ، وكتابه هو الضعفاء والمتروكين منه نسخة في خزانة أياصوفيا (رقم ٤ / ٣٤٠٥) وتوهم سزكين فنسب كتاب الذهبي في الضعفاء الذي في الظاهرية برقم (٣٦٩) إلى الدارقطني (تاريخ التراث، ١ / ٥١١)، بينما لا توجد منه في الظاهرية إلا قطعة صغيرة في (١٢) ورقة (مجموع رقم ١٢٤) وطبع بتحقيق موفق عبد القادر (مكتبة المعارف ١٤٠٤هـ).

(٧) توفي سنة ٤٠٥هـ وهو المدخل، فقد ذكر فصلاً في الضعفاء في كتابه المدخل إلى الصحيح. وطبع بتحقيق الشيخ ربيع المدخلي (دار الفرقان ١٤٢١ ـ ٢٠٠١م عجمان) وطبع قبل ذلك أيضًا.

«المغني في الضعفاء» فضلاً عن كتابه «تاريخ الإسلام» فكان «الميزان» محصلة كل هذه المؤلفات، وكل تلك الخبرة الواسعة في هذا المجال من المعرفة بعلم الرجال والتراجم.

رتب الذهبي الميزان على حروف المعجم في الأسماء والآباء ليقرب تناوله، ثم ذكر بعد ذلك الكنى، ومن عرف بأبيه، والأنساب، ومجاهيل الاسم، والنسوة المجهولات، وكنى النسوة، وفيمن لم تسم بل تذكر بكلمة والدة فلان.

وقد أعجب الذهبي الإعجاب كله بكتاب «الكامل» لابن عدي الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٥هـ، ولذلك سار على خطته فأورد في الكتاب كل من تكلم فيه ولو كان ثقة إذ أنه يذكر مثل هذا النوع لإنصافهم وما يضرهم ذلك، لكنه في الوقت نفسه التزم ألّا يذكر أحدًا من الصحابة أو الأئمة المتبوعين في الفروع لجلالتهم في الإسلام وعظمتهم في النفوس[١]. ونتيجة لذلك احتوى الميزان على عشر طوائف من الرجال هم[٢]:

١ ـ الكذابون الوضاعون المتعمدون.

٢ ـ الكذابون في أنهم سمعوا ولم يكونوا سمعوا.

٣ ـ المتهمون بالوضع أو بالتزوير.

٤ ـ الكذابون في لهجتهم لا في الحديث النبوي.

٥ ـ المتروكون الهلكى الذين كثر خطؤهم وترك حديثهم ولم يعتمد على روايتهم.

٦ ـ الحفاظ الذين في دينهم رقة، وفي عدالتهم وهن.

٧ ـ المحدثون الضعفاء من قبل حفظهم، فلهم غلط وأوهام، ولم يترك حديثهم، بل يقبل ما رووه في الشواهد والاعتبار بهم لا في الأصول والحلال والحرام.

---

(١) انظر مقدمة الميزان، ١ / ١ ومقدمة لسان الميزان لابن حجر، والسخاوي: الإعلان، ص ٥٨٦، وقارن مقدمة كتاب الكامل لابن عدي.

(٢) استنتجنا هذه الطوائف العشر من مقدمة الذهبي لكتاب الميزان ومن قراءتنا للكتاب.

٨ ـ المحدثون الصادقون أو الشيوخ المستورون الذين فيهم لين ولم يبلغوا رتبة الأثبات المتقنين.

٩ ـ خلق كثير من المجهولين ممن ينص أبو حاتم الرازي على أنه مجهول، أو يقول غيره: لا يعرف أو فيه جهالة أو يجهل، أو نحو ذلك من العبارات التي تدل على عدم شهرة الشيخ بالصدق، إذ المجهول غير محتج به.

١٠ ـ الثقات الأثبات الذين فيهم بدعة، أو الثقات الذين تكلم فيهم من لا يلتفت إلى كلامه في ذلك الثقة، لكونه تعنت فيه وخالف جمهور النقاد.

ونظرًا لأهمية الكتاب العظيمة فقد تناوله جملة من الحفاظ والعلماء المعنيين بنقد الرجال استدراكًا وتعقيبًا وتلخيصًا بحيث قال السخاوي: «وعول عليه من جاء بعده»[١].

أ ـ فقد علق عليه تلميذه شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني، قال ابن حجر في «الدرر»: «وله تعليق على الميزان بين فيه كثيرًا من الأوهام واستدرك عليه عدة أسماء وقفت على قدر يسير منه، قد احترقت أطرافه لما دخلت دمشق سنة ست وثلاثين (يعني وثمان مئة)[٢]».

ب ـ وألف تلميذه الحافظ المؤرخ عماد الدين ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ كتاب «التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل» جمع فيه بين «تهذيب الكمال» لأبي الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ و«ميزان الاعتدال» للذهبي مع زيادات وتحرير عليهما في الجرح والتعديل. وقد شاهدت قطعة منه في دار الكتب المصرية ونقلت منها بعض الفوائد[٣].

ج ـ وذيل على الميزان الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن

---

(١) الإعلان، ص ٥٨٧.
(٢) الدرر الكامنة، ٤ / ١٨٠.
(٣) (رقم ٢٤٢٢٧ب) وهي في مجلدين، وانظر أيضًا السخاوي: الإعلان، ص ٥٨٩.

الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ، قال السخاوي في الإعلان: «وذيل عليه الزين العراقي في مجلد»[١] وقال ابن فهد: «وذيل على الميزان ثم لم يبيضه»[٢]. وذكر ابن حجر أنه وقف عليه فرأى أن الكثير منهم من رجال «تهذيب الكمال» لأبي الحجاج المزي[٣].

د ـ وذيل على الميزان أيضًا الحافظ برهان الدين إبراهيم بن محمد الحلبي المعروف بسبط ابن العجمي المتوفى سنة ٨٤١هـ[٤]، بل ألف كتابًا سماه «نقد النقصان في معيار الميزان» في مجلد[٥].

هـ ـ واهتم الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ بكتاب الميزان فألف «تحرير الميزان»[٦] و«لسان الميزان». وكتابه الأخير من الكتب المشهورة المطبوعة المتداولة. وقد ذكر ابن حجر في مقدمة اللسان أن الحفاظ ألفوا في أسماء المجروحين كتبًا كثيرة كل منهم على مبلغ علمه ومقدار ما وصل إليه اجتهاده ثم قال: «ومن أجمع ما وقفت عليه في ذلك كتاب «الميزان» الذي ألفه الحافظ أبو عبد اللّه الذهبي، وقد كنت أردت نَسخه على وجهه فطال عليّ فرأيت أن أحذف منه أسماء من أخرج له الأئمة الستة في كتبهم أو بعضهم، فلما ظهر لي ذلك استخرت اللّه وكتبت منه ما ليس في تهذيب الكمال»[٧]. وذكر السخاوي أنه حققه عليه، وقال: «ولي عليه بعض زوائد»[٨].

---

(١) ص ٥٨٧.

(٢) لحظ الألحاظ، ص ٢٣١.

(٣) مقدمة لسان الميزان ١ / ١٣ (ط. دار الفكر).

(٤) انظر بروكلمان: تاريخ التراث العربي، ٢ / ٦٧ (بالألمانية).

(٥) انظر ابن فهد: لحظ الألحاظ، ص ٣١٣ ـ ٣١٤، الشوكاني: البدر الطالع، ١ / ٢٨، الطباخ: أعلام النبلاء، ٥ / ٢٠٥.

(٦) السخاوي: الإعلان، ص ٥٨٧.

(٧) ابن حجر: لسان الميزان، ١ / ٤ (ط. الهند).

(٨) الإعلان، ص ٥٨٧.

و ـ وجمع جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ «زوائد اللسان على الميزان»[١].

١١٣ ـ هالة البدر في عدد أهل بدر:

ذكره الصفدي[٢] وابن شاكر الكتبي[٣] وابن تغري بردي[٤] وسبط ابن حجر[٥] وابن العماد[٦] والبغدادي[٧]. وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق قطعة فيها هذا الموضوع، من المرجح أنها هذا الكتاب[٨].

تاسعًا: السير والتراجم المفردة:

إضاءة:

ألف الذهبي مجموعة من السير للرجال البارزين في تاريخ الإسلام مثل الخلفاء الراشدين والأئمة الأربعة وغيرهم. وقد أدى استلال بعض النساخ لتراجم معينة من «تاريخ الإسلام» و«سير أعلام النبلاء» وغيرهما إلى ظهور بعض

---

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ٢ / عمود ١٩١٧ ـ ١٩١٨.

(٢) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٣.

(٣) عين التواريخ، الورقة ٨٧.

(٤) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٥) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٦) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٧) إيضاح المكنون، ٢ / عمود ٧١٦، وهدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٥.

(٨) ضمن مجموع برقم (٤٧) وهي بين الورقتين ١٣٥ ـ ١٤٨ والورقتين ١٦٦ ـ ١٧٣. وقد ذهب أول الكتاب، والنسخة مغلوطة الترتيب محترقة من طرفها الأسفل ورجح المرحوم الأستاذ يوسف العش أنها لعلم الدين البرزالي المتوفى سنة ٧٣٩هـ (فهرس المخطوطات، ص ٤٦ ـ ٤٧). ولما اطلعنا عليه رجحنا أنه للذهبي؛ ذلك أن مترجمي البرزالي لم يذكروا له مثل هذا الكتاب. وتتكون النسخة من فصول ذكر المؤلف فيها: من شهد بدرًا من غير خلاف، ثم تسمية من شهدها وذكر الاختلاف فيهم، وشهداء بدر من قريش والأنصار ورتب كل ذلك على حروف المعجم، وتكلم على عدة البدريين، والأحاديث الواردة في فضل بدر.

الصعوبات في فرز السير والتراجم المفردة أصلاً عن تلك التراجم المستلة والتي لم يقصد الذهبي أن تكون كتبًا مستقلة[1]. قال الصلاح الصفدي: «وله في تراجم الأعيان لكل واحد مصنف قائم الذات مثل الأئمة الأربعة ومن جرى مجراهم، ولكنه أدخل الكل في تاريخ النبلاء»[2]. وقول الصفدي هذا لا يعني أن الذهبي أدخل التراجم والسير المستقلة بأكملها في «سير أعلام النبلاء»، لكنه قد يكون أدخل مختصراتها مستدلين بما يأتي:

١ ـ ذكر الذهبي لكثير من هذه السير ونصه على إفرادها في كتبه الأخرى، فضلاً عن ذكر مؤلفي التراجم لكثير منها أيضًا.

٢ ـ وجود عناوين مستقلة لبعض هذه السير مثل الخلفاء الراشدين، وعبد اللّه بن المبارك، وشعبة بن الحجاج وغيرهم.

٣ ـ ظهور السماعات على أصل النسخ المفردة، فحينما نشر الأستاذ سعيد الأفغاني ترجمة ابن حزم للذهبي عَدَّها مأخوذة من سير أعلام النبلاء مع أن الكتاب قُرئَ على الذهبي وفي آخره سماعان: أحدهما بخطه كتب بدمشق سنة ٧٣٤هـ والثاني كتبه بدمشق أيضًا ابن جماعة سنة ٧٤٠هـ[3].

٤ ـ ولما كان «سير أعلام النبلاء» لم يزل موجودًا بنسخه الخطية التي ذكرناها آنفًا واطلعنا عليها، فقد قمنا بمقارنة ما بقي من هذه التراجم والسير بما هو موجود في سير أعلام النبلاء فتبين لنا أن فيها اختلافًا واضحًا وأن المادة التي احتوتها هذه التراجم والسير في بعض الأحيان أكثر بكثير مما هي في سير أعلام النبلاء.

---

(١) من ذلك مثلاً ترجمة الحلاج من كتاب العبر، منها نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق (ضمن مجموع برقم ١٢) وترجمة الشيخ رسلان من تاريخ الإسلام، منها نسخة في المكتبة الظاهرية (ضمن مجموع برقم ٢٠).

(٢) الصفدي: الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٣.

(٣) انظر نص السماعين اللذين نشرها الأستاذ الأفغاني في نهاية الرسالة (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، م١٦ / ١٠ / ٤٤٩).

وعلى هذا فقد اقتصرنا هنا على ذكر ما ثبت لدينا إفراده بنص الذهبي عليه، أو بنص أحد المترجمين له، أو لوجوده بين أيدينا. وهذا يعني أن هذا الذي نذكره هو ليس كل ما كتب الذهبي، فهو لم يعن دائمًا بذكر السير المفردة التي كتبها في أثناء ترجمته لهم في كتبه التي وصلت إلينا ومنها كتاب «تاريخ الإسلام» فمع أن الصفدي مثلاً قد ذكر أنه أفرد الأئمة الأربعة بتراجم خاصة لكنه لم يذكر في أثناء ترجمته لهم غير ترجمتي أبي حنيفة ومالك.

١١٤ ـ أخبار أبي مسلم الخراساني:

ذكره الصفدي[١]، وابن شاكر الكتبي[٢]، والبغدادي[٣].

١١٥ ـ أخبار أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها:

قال الذهبي في ترجمتها من «تذكرة الحفاظ»: «وقد أفردت أخبارها في مصنف»[٤]. ولم يصل إلينا هذا الكتاب ونشر الأستاذ سعيد الأفغاني ترجمتها من سير أعلام النبلاء[٥].

١١٦ ـ التبيان في مناقب عثمان رضي اللّه عنه:

ذكره الصفدي[٦]، وابن شاكر الكتبي[٧]، والبغدادي[٨]، وقال الذهبي في ترجمته من «تذكرة الحفاظ»: «وقد أفردت سيرته في مصنف»[٩]. (وطبع بطنطا سنة ١٤١٣هـ).

---

(١) الوافي ٢ / ١٦٢، ونكت ص ٢٤٣.

(٢) فوات الوفيات، ٢ / ١٨٣، وعيون التواريخ، الورقة ٨٧.

(٣) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤.

(٤) تذكرة الحفاظ، ١ / ٢٩.

(٥) دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٤٥م.

(٦) الوافي، ٢ / ١٩٤، ونكت ٢٤٣.

(٧) فوات، ٢ / ١٨٣، وعيون التواريخ، الورقة ٨٦.

(٨) إيضاح المكنون، ١ / عمود ٢٢٤، وهدية العارفين ٢ / ١٥٤.

(٩) تذكرة الحفاظ ١ / ٩.

١١٧ ـ ترجمة أبي حيان التوحيدي:

منها نسخة خطية في مركز الملك فيصل بالرياض، رقم (٦٣٨٣٠).

١١٨ ـ ترجمة ابن عُقدة الكوفي[(١)]:

ذكر الذهبي أنه أفرد ترجمته في جزء[(٢)]، ولعل الذي دفعه إلى ذلك ما أثير حول الرجل من جدال في ثقته وعدالته، وقد دافع عنه الذهبي، وهو كثير الاعتماد عليه في كتبه.

١١٩ ـ ترجمة أبي حنيفة:

ذكرها السخاوي[(٣)]. وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: «وأخبار أبي حنيفة رضي اللّه عنه ومناقبه لا يحتملها هذا التاريخ فإني قد أفردت أخباره في جزءين»[(٤)] وذكر مثل هذا في «تذكرة الحفاظ»[(٥)]. وقد وصلت إلينا هذه الترجمة ونشرها محمد زاهد الكوثري[(٦)].

١٢٠ ـ ترجمة أبي يوسف القاضي:

ذكرها الذهبي في «تاريخ الإسلام»[(٧)] و«تذكرة الحفاظ»[(٨)] والسخاوي في

---

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي ٢٤٩ ـ ٣٣٢هـ. انظر الخطيب: تاريخ بغداد، ٥ / ١٤ ـ ٢٣، النجاشي: الرجال، ص ٦٨ ـ ٦٩، الطوسي: الفهرست، ص ٢٨، العاملي: أعيان الشيعة، ٩ / ٤٢٨، الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٣٩ فما بعد، وانظر: سزكين: تاريخ التراث العربي، ١ / ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

(٢) تذكرة الحفاظ، ٣ / ٨٤١.

(٣) الجواهر والدرر، ص ٧٣١.

(٤) تاريخ الإسلام ٦ / ١٤٢.

(٥) تذكرة، ١ / ١٦٩.

(٦) مع ترجمتي أبي يوسف ومحمد بن الحسن في القاهرة (دون تاريخ) باسم «مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن».

(٧) الورقة ١٦٩ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٨) ١ / ٢٩٣.

«الجواهر والدرر»[1]. ونشرها محمد زاهد الكوثري.

١٢١ ـ ترجمة أحمد بن حنبل:

ذكرها الصفدي[2].

١٢٢ ـ ترجمة البرزالي:

هو علم الدين القاسم بن محمد المتوفى سنة ٧٣٩هـ ذكر ابن قاضي شهبة أن الذهبي ترجمه في جزء مفرد[3].

١٢٣ ـ ترجمة تقي الدين ابن تيمية:

ذكرها الكتاني في فهرس الفهارس[4]، وتوجد نسخة خطية منها في مركز الملك فيصل بالرياض، رقم (٦٦٥٣٠)، وهي التي ذكرها البغدادي فسماها: «الدرة اليتيمية في سيرة التيمية»[5].

١٢٤ ـ ترجمة الحسن البصري (الزخرف القصري):

ذكرها الذهبي في «تذكرة الحفاظ»، فقال: «وقد كنتُ أفردتُ ترجمته في جزء سميته الزخرف القصري»[6] فالظاهر أن عنوان الترجمة هو: الزخرف القصري في ترجمة الحسن البصري.

١٢٥ ـ ترجمة الخضر:

ذكرها سبط ابن حجر[7].

١٢٦ ـ ترجمة السلفي[8]:

---

(١) ص ٧٣١، وانظر كلامنا على ترجمة أبي حنيفة.

(٢) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٣.

(٣) طبقات الشافعية ٢ / ٢٨٠.

(٤) فهرس الفهارس ١ / ٢٧٦.

(٥) إيضاح المكنون ١ / ٤٦٢، وهدية العارفين ٢ / عمود ١٥٤.

(٦) تذكرة الحفاظ ١ / ٧٢.

(٧) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٨) أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني المحدث المشهور المتوفى سنة =

ذكرها سبط ابن حجر[1]، والسخاوي[2].

١٢٧ ـ ترجمة الشافعي:

ذكرها الصفدي[3].

١٢٨ ـ ترجمة الشيخ الموفق[4]:

ذكرها السخاوي[5].

١٢٩ ـ ترجمة عبد اللّه بن أحمد بن حنبل:

ذكرها الذهبي في «السير» فقال: «وله ترجمة أفردتها»[6].

١٣٠ ـ ترجمة عبد القاهر البغدادي:

ذكرها في «السير» فقال في ترجمته: «وقع لي من عواليه وكنتُ أفردت له ترجمة لم أظفر الساعة بها»[7].

١٣١ ـ ترجمة ابن الفوطي:

هو كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد البغدادي المعروف بابن

= ٥٧٦هـ (ابن الأثير: الكامل ١١ / ١٩١، وسبط ابن الجوزي: مرآة، مختصر ٨ / ٣٦١ ـ ٣٦٢، النووي: طبقات الشافعية، الورقة ٤٢، الدمياطي: المستفاد الورقة ٢١، ابن منظور: مختار ذيل السمعاني، الورقة ٩٩ ـ ١٠٠، الذهبي: العبر، ٤ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨، العيني: عقد الجمان، ١٦ / ورقة ٦٣٠ ـ ٦٣٢ وغيرها).

(١) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٢) الجواهر والدرر، ص ٧٣٩.

(٣) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٣.

(٤) هو أبو محمد موفق الدين عبد اللّه بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ وصاحب الكتب المشهورة المطبوعة المتداولة، ومن أشهرها كتاب المغني والمقنع وغيرهما، وترجمته مشهورة جدًا. انظر مصادر ترجمته في كتاب المنذري: التكملة لوفيات النقلة (وفيات سنة ٦٢٠) وتعليقنا عليها.

(٥) الجواهر والدرر، ص ٧٣٢، وانظر مقدمة المغني ص ٤ (ط. المنار ١٣٤١هـ).

(٦) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٣٣.

(٧) سير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٧٣.

الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣هـ صاحب «تلخيص مجمع الآداب»، ذكرها في «ذيل السير» فقال: «وقد أفردتُ له ترجمة في جزء»[١].

١٣٢ ـ ترجمة قتيبة بن سعيد البغلاني:

ذكرها الذهبي في «السير»، قال: «وقد كنتُ عَملتُ له ترجمة معها نحو من ثمانين حديثًا من العوالي»[٢].

١٣٣ ـ ترجمة مالك بن أنس:

قال الذهبي في ترجمته من «تذكرة الحفاظ»: «قد كنت أفردت ترجمة مالك في جزء وطولتها في تاريخي الكبير»[٣] وذكر السخاوي في «الجواهر والدرر» أن الذهبي من بين الذين ألفوا في مناقب مالك بن أنس[٤]. وذكر الذهبي في موضع آخر أنها في جزء ضخم[٥].

١٣٤ ـ ترجمة محمد بن الحسن الشيباني:

ذكر الذهبي في ترجمة أبي يوسف من «التذكرة» أنه أفرده في جزء[٦]، وقال في ترجمته من «تاريخ الإسلام»: «وقد أفردت له ترجمة حسنة في جزء»[٧]. وذكرها أيضًا السخاوي في «الجواهر والدرر»[٨]. ونشرها الشيخ محمد زاهد الكوثري[٩].

---

(١) ذيل سير أعلام النبلاء ص ٢٥٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١ / ١٤.

(٣) تذكرة ١ / ٢١٢.

(٤) الجواهر والدرر ص ٧٣٢.

(٥) تاريخ الإسلام، ورقة ٨ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٦) تذكرة، ١ / ٢٩٣.

(٧) الورقة ١٢٩ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٨) الجواهر والدرر، ص ٧٣١.

(٩) راجع كلامنا على ترجمة أبي حنيفة.

١٣٥ ـ توقيف أهل التوفيق على مناقب الصديق:

وهو في مناقب الخليفة أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه. ذكر الذهبي أنه أفرد سيرته في مجلد وسط[١]. وذكره الصفدي[٢]، وابن شاكر[٣]، والبغدادي[٤].

١٣٦ ـ سيرة الحلاج (الحسين بن منصور):

ذكر هذه السيرة ابن تغري بردي[٥] وسبط ابن حجر[٦]، وابن العماد[٧]، والبغدادي[٨]، وأشار هو في حوادث سنة ٣٠٩ من تاريخ الإسلام إلى أنه أفردها في جزء[٩]. ولا شك أنه تناول فيها عقائده الفاسدة وشذوذاته وما نسب إليه من ممخرقات، فهو يعتقد أنه قتل على الكفر والحلول والانسلاخ من الدين.

١٣٧ ـ سيرة أبي القاسم الطبراني[١٠]:

ذكرها الذهبي في مقدمة الأربعين البلدية التي خرجها من «المعجم الصغير» لأبي القاسم الطبراني، فقال: «وقد أفردت سيرته وذكرت أنه مات في

---

(١) تذكرة، ١ / ٢.

(٢) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٣.

(٣) عيون التواريخ، الورقة ٨٦.

(٤) إيضاح المكنون، ١ / ٣٤٠، وهدية، ٢ / عمود ١٥٤.

(٥) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٦) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٧) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٨) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤.

(٩) الورقة ١٥ (حلي ١ / ١٢٢٠) (٧ / ٢٥ من طبعتنا).

(١٠) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني ـ نسبة إلى طبرية ـ المحدث المشهور وصاحب المعجمات المشهورة: الكبير والأوسط والصغير. ولد سنة ٢٦٠ وتوفي سنة ٣٦٠هـ انظر: ابن خلكان: وفيات، ٢ / ٤٠٧، الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٤٠ ـ ٤١ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) والعبر ٢ / ٣١٥ وتذكرة الحفاظ ٣ / ٩١٢ وغيرها.

سنة ستين وثلاث مئة. . . إلخ»[1].

١٣٨ ـ سيرة سعيد بن المسيب[2]:

ذكرها الذهبي في ترجمته من «تذكرة الحفاظ»[3].

١٣٩ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز:

ذكرها السخاوي[4].

١٤٠ ـ السيرة النبوية:

نحن نعلم أن الذهبي ذكر سيرة رسول اللّه ﷺ في أول تاريخ الإسلام فأصبحت كالكتاب، لكن شمس الدين السخاوي ذكر هذه السيرة، أعني التي في تاريخ الإسلام، ثم ذكر بعد ذلك جماعة ممن أفردها في كتاب مستقل وذكر الذهبي من بينهم وقال السخاوي: إنها في مجلد. وهذا النص يقتضي أن يكون الذهبي قد ألف كتابًا مستقلاً في السيرة النبوية[5]. فضلاً عن أن الذهبي سمح للنساخ أن يفردوا السيرة ويستلوها من تاريخه[6]. ونرى أن السيرة التي أفردها الذهبي كانت تشمل المغازي والترجمة النبوية. ومهما يكن من أمر فما أظن هذه السيرة أكثر من إفراد للمادة المتعلقة بها من «تاريخ الإسلام»، وقد حققتها ونشرتها مؤسسة الرسالة في مجلدين.

١٤١ ـ فتح المطالب في مناقب علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه:

ذكره الذهبي في ترجمته من «تذكرة الحفاظ»، فقال: «ومناقب هذا الإمام جمة أفردتها في مجلدة وسميته بفتح المطالب في مناقب علي بن أبي طالب رضي

---

(١) نسخة الخزانة التيمورية (رقم ٤٣٨ حديث) الورقة ١.

(٢) أحد فقهاء المدينة السبعة المشهورين، توفي سنة ٩٤هـ.

(٣) تذكرة، ١ / ٥٦.

(٤) الإعلان، ص ٥٤٨ والجواهر والدرر، ص ٧٣١.

(٥) الإعلان ص ٥٢٨ ـ ٥٢٩.

(٦) الورقة ٩٨ (أياصوفيا ٣٠٠٥).

اللّه عنه»[1]. وقال الصفدي بعد أن ذكره: «وقرأته عليه من أوله إلى آخره»[2] وذكره ابن شاكر[3] والبغدادي أيضًا[4].

١٤٢ ـ قض نهارك بأخبار ابن المبارك:

وهو في ترجمة المحدث الحافظ أبي عبد الرحمن عبد اللّه بن المبارك «١١٨ ـ ١٨١ هـ» ذكره الصفدي[5] وابن شاكر الكتبي[6] والبغدادي[7].

١٤٣ ـ مناقب البخاري:

قال الذهبي في ترجمته من «تذكرة الحفاظ»: «قد أفردت مناقب هذا الإمام في جزء ضخم فيها العجب»[8] وقال في تاريخ الإسلام بعد أن ترجم له ترجمة طويلة جدًا[9]: «ومناقب أبي عبد اللّه رضي اللّه عنه كثيرة وقد أفردتها في مصنف وفيها زيادات كثيرة هناك»[10] وذكره السخاوي أيضًا[11]. وفي دار الكتب المصرية نسخة منه[12].

١٤٤ ـ نعم السمر في سيرة عمر رضي اللّه عنه:

أورد الذهبي كثيرًا من مناقب عمر بن الخطاب وأخباره في «تذكرة الحفاظ»

---

(١) تذكرة ١ / ١٠.

(٢) الوافي ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٣.

(٣) عيون التواريخ، الورقة ٨٦.

(٤) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤، وإيضاح المكنون، ٢ / عمود ١٧٣.

(٥) الوافي ٢ / ١٦٤، ونكت ص ٢٤٣.

(٦) عيون التواريخ، الورقة ٨٧.

(٧) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤. وقد ترجم له الذهبي ترجمة مفصلة في تاريخ الإسلام (الورقة ٨٩ ـ ١٠١ أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٨) تذكرة، ٢ / ٥٥٦.

(٩) الورقة ٢٥٧ ـ ٢٦٩ (أحمد الثالث ٧ / ٢٩١٧).

(١٠) الورقة ٢٦٩ من النسخة المذكورة.

(١١) الجواهر والدرر، ص ٧٣٥.

(١٢) في خزانة كتب (طلعت) الملحقة بدار الكتب المصرية (في ضمن مجموع برقم ٩٦٥).

ثم قال: «فيا أخي إن أحببت أن تعرف هذا الإمام حق المعرفة فعليك بكتابي «نعم السمر في سيرة عمر» فإنه فارق فيصل بين المسلم والرافضي»[١]. وذكره الصفدي[٢] والبغدادي[٣] أيضًا.

١٤٥ ـ نفض الجعبة في أخبار شعبة:

ذكره ابن شاكر الكتبي[٤]، والصفدي[٥]، والبغدادي[٦]. وهو في ترجمة أبي بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي المحدث المشهور «٨٢ ـ ١٦٠هـ».

١٤٦ ـ سيرة لنفسه:

قال السخاوي في «الجواهر والدرر» عند الكلام على من ألف في «السير المفردة»: «وأبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، جمعها لنفسه»[٧].

عاشرًا: المنوعات:

١٤٧ ـ أوهام ابن الأبار في كتابه «الأربعون»:

هو أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه القضاعي المعروف بابن الأبار المقتول سنة ٦٥٨هـ، ذكرها الذهبي في ترجمته من السير فقال: «وأيضًا رأيت له أوهامًا في تيك الأربعين نبهتُ عليها»[٨].

١٤٨ ـ بيان زغل العلم والطلب:

رسالة نشرها حسام الدين القدسي[٩]. وجاء عنوانها في نسخة برلين:

---

(١) تذكرة ١ / ٦.

(٢) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٣.

(٣) إيضاح المكنون، ٢ / عمود ٦٦١، وهدية، ٢ / عمود ١٥٥.

(٤) عيون التواريخ، الورقة ٨٧.

(٥) نكت، ص ٢٤٣ والوافي ٢ / ١٦٤ وجاء فيه «نغض» مصحف.

(٦) إيضاح المكنون، ٢ / عمود ٦٧٣، وهدية، ٢ / عمود ١٥٥.

(٧) الجواهر والدرر، ص ٧٤٦.

(٨) سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٣٣٨ ـ ٣٣٩ بتحقيقنا.

(٩) دمشق ١٣٤٧ وعلق عليها الشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي.

«رسالة فيما يذم ويعاب في كل طائفة»[١].

وقد تناول الذهبي فيها العلوم المعروف ورأيه فيها وأوضاع المهتمين بها في زمانه وهي: القراءة والتجويد، والحديث، والفقه والفقهاء: المالكية والحنفية والشافعية والحنابلة، والنحو، واللغة، والتفسير، وأصول الفقه، وأصول الدين، والمنطق، والحكمة، والفرائض، والإنشاء، والشعر، والحساب، والشروط، والوعظ. وتحتل هذه الرسالة، على صغرها، أهمية بالغة في تصوير الحالة العلمية في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وقد نقل منها السخاوي أشياء تتعلق بابن تيمية والحنابلة، وعلم أصول الدين[٢].

١٤٩ ـ التمسك بالسنن:

ذكره ابن تغري بردي[٣] وسبط ابن حجر[٤] وابن العماد[٥]. وحققه الدكتور جمال عزون ونشرته مكتبة المعارف بالرياض سنة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٥٠ ـ جزء في فضل آية الكرسي:

ذكره ابن تغري بردي وسبط ابن حجر وابن العماد[٦]، وهو مفقود.

١٥١ ـ رسالة تتضمن وصية لأبي الفضل رافع السلامي:

طبعت في الرياض سنة ٢٠٠٣م بتحقيق الدكتور جمال عزون.

١٥٢ ـ الطب النبوي:

وهو في الطب المعتمد على الأحاديث النبوية الشريفة، وقد طبع غير

---

(١) (رقم ٥٥٧٠).

(٢) الإعلان ص ٥٠٤ ـ ٥٠٦ وقارن بيان زغل العلم، ص ١٧ ـ ١٨، ٢١ ـ ٢٨، وراجع مقالة المرحوم أحمد تيمور باشا في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق م٣ / ٣٦٥.

(٣) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٤) رونق، الورقة ١٨٠.

(٥) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٦) انظر الهوامش الثلاثة السابقة.

مرة[1]. وينسب أيضًا لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ[2]. وقد ألف جماعة من المحدثين في «الطب النبوي»، والظاهر أن كل واحد منهم كان يزيد على الكتاب شيئًا أو يهذب منه فينسب إليه[3].

١٥٣ ـ الغرة المليحة والألفاظ الصحيحة:

منه نسخة خطية مصورة في مكتبة جامعة الملك سعود برقم (١ / ١٩٧٧م).

١٥٤ ـ فهرس التقاسيم والأنواع لابن حِبّان:

منه نسخة خطية في مركز الملك فيصل بالرياض رقم (٥٨٠١٠).

١٥٥ ـ فوائد الرحلة:

نقل عنه السخاوي في فتح المغيث[4].

١٥٦ ـ كتاب العلوم:

منه نسخة خطية في مكتبة رامبور، رقم (١٢٥٢)، ويوجد الجزء الثالث منه في دار الكتب الظاهرية، رقم (٣٢٠) حديث.

١٥٧ ـ كسر وثن رتن:

كان رتن الهندي شيخًا دجالاً ظهر بعد سنة ٦٠٠هـ وادعى التعمير وصحبة النبي ﷺ وقد ذكره الذهبي في وفيات سنة ٦٣٢هـ من تاريخ الإسلام، وقال: «وقد أفردت جزءًا فيه أخبار هذا الضال وسميته: «كسر وثن رتن»[5]. وذكر مثل

---

(١) طبع بمصر عدة طبعات ابتداء من سنة ١٨٧٠م، وترجم إلى الفرنسية قبل ذلك سنة ١٨٦٠م.

(٢) حاجي خليفة: كشف، ٢ / عمود ١٠٩٥.

(٣) ألف فيه مثلاً أبو نعيم الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ، وأبو العباس جعفر بن محمد المستغفري المتوفى سنة ٤٣٢هـ (انظر حاجي خليفة: كشف ٢ / عمود ١٠٩٥) والضياء المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣هـ (ابن حجر: المجمع المؤسس، الورقة ١٣٧) وفصل في هذا الأمر الدكتور سامي خلف حمارنة في: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الطب والصيدلة، ص ٥٠٦ ـ ٥١٣ (دمشق ١٩٦٩م).

(٤) فتح المغيث، ص ١٨١.

(٥) الورقة ١٢٠ (أياصوفيا ٣٠١٢).

ذلك في «ميزان الاعتدال»[١]. وقد وقف ابن حجر العسقلاني على الجزء الذي جمعه الذهبي في أحواله بخطه، وأورد منه مقتطفات في نحو ست صفحات[٢].

وكان مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي صاحب «القاموس» (٧٢٩ ـ ٨١٧هـ) يحط على الذهبي كثيرًا بسبب هذا الكتاب، قال ابن حجر في المجمع المؤسس: «وأخبرني لفظًا أنه دخل بلدة رتن الهندي ورأى في قريته خلقًا كثيرًا يخبرون خبره ويثبتون أمره. ورأيت الشيخ قد أصغى إليهم وصدق ما لديهم. وكان يشدد النكير على قول الذهبي أنه لا وجود له في الخارج ويقول: كيف ساغ له الجزم بما لا علم له به ووجود هذا الرجل لا ينكره إلا من لم تبلغه أخباره على وجهها. قلت[٣]: والذهبي ما جزم بذلك، بل ردد. وعبارته في كسر وثن رتن معروفة، وكذلك في الميزان، وهو معذور لأنا معشر أهل الحديث نقطع بكذب من ادعى الصحبة بعد أبي الطفيل عامر بن واثلة ـ والله الهادي إلى الصواب ـ متمسكين بالحديث المتواتر عنه ﷺ أنه على رأس مئة سنة من حين مقاله لا يبقى على وجه الأرض ممن هو إذ ذاك عليها أحد[٤]، فدخل في العموم رتن على تقدير أن لو كان موجودًا حينئذ والله تعالى أعلم»[٥].

١٥٨ ـ مسائل في طلب العلم وأقسامه:

هي إحدى الرسائل الست التي طبعها السيد جاسم سليمان الدوسري، وكلها للذهبي.

١٥٩ ـ مسائل للشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي:

منه نسخة مصورة لم أقف عليها في مركز الملك فيصل بالرياض رقم (٧٠٥٠٠)، ولعله الذي قبله؟

---

(١) ميزان الاعتدال، ٢ / ٤٥.

(٢) ابن حجر: لسان، ٢ / ٤٥٠ ـ ٤٥٥.

(٣) القول للحافظ ابن حجر.

(٤) راجع عن هذا الحديث مقدمة الذهبي لكتاب «أهل المئة فصاعدًا».

(٥) المجمع المؤسس، الورقة ١٦٠ ـ ١٦١ (من نسختي المصورة).

١٦٠ ـ مفاخرة المشمش والتوت:

لم يذكره أحد ممن ترجم للذهبي. وذكر بروكلمان نسخة منه ببرلين[١]. وفي مكتبة باش أعيان بالبصرة رسالة في «مفاخرة المشمش والتوت» لم يذكر مؤلفها[٢] وهي ضمن رسائل من عصره. وموضوع هذه الرسالة قطعة أدبية على طريقة المحاكاة بين الأشجار، ويمتاز أسلوبها بالصنعة البيانية والعناية البلاغية، فإذا صح أنه للذهبي، فهو من كتبه الغريبة لما نعرف من عدم اهتمامه بمثل هذه الموضوعات.

أحد عشر: المختصرات والمنتقيات[٣]:

١٦١ ـ ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل:

نشره الشيخ ابن تميم الظاهري على موقعه www. aldahereyah. net.

١٦٢ ـ أحاديث مختارة من الموضوعات من الأباطيل للجورقاني:

رأيت نسخة منه[٤]، وطبع بتحقيق محمد حسن الغماري ونشرته دار

---

(١) (رقم ٨٥٩٢) تاريخ التراث العربي، ٢ / ٥٩ (بالألمانية) وراجع المجلد السابع ص ٥٥٤ من فهرس ألفرت. وتوجد نسخة مصورة في مركز الملك فيصل بالرياض رقم (٤١٣٤٥).

(٢) منها نسخة مصورة في المجمع العلمي العراقي وهي في أربع أوراق، تقع بين الورقتين ١٧ ـ ٢٠.

(٣) لقد وجدنا من الصعوبة التفريق بين المختصرات وبين الانتقاءات أو الانتخابات فإن طبيعة اختصارات الذهبي تقوم أساسًا على الانتقاء في كثير من الأحيان (انظر مثلاً كلامنا على المختصر المحتاج إليه)، ومن ثم فإننا نجد بعض الكتب التي أطلق عليها الذهبي لفظ «منتقى» هي مختصرات صرفة (انظر مثلاً كلامنا على كتاب: المنتقى من منهاج الاعتدال) فضلاً عن اختلاف المؤرخين في تحديد عمل الذهبي فيما إذا كان انتقاء أم اختصارًا (انظر أدناه قول حاجي خليفة عن كتاب: المنتقى من تاريخ خوارزم) لذلك عددنا الانتقاءات أو المنتخبات من ضمن المختصرات.

(٤) ضمن مجموع بالمكتبة الأزهرية برقم (٢٩٠ حديث) ومنها نسخة مصورة في خزانة كتب الحاج صبحي السامرائي، وهي في إحدى عشرة ورقة. وفي دار الكتب الظاهرية مختارات من كتاب «الأباطيل» للجورقاني (في ضمن مجموع برقم ٥٤٨٥ عام) لم أطلع عليها لعلها للذهبي أيضًا.

البشائر بالكويت سنة ١٤١٣هـ. وقد اختار الذهبي بعض الأحاديث من كتاب «الأباطيل»[١] لأبي عبد اللّه الحسين بن إبراهيم بن الحسين بن جعفر الجورقاني[٢] المتوفى سنة ٥٤٣هـ، وخرجها وتكلم عليها.

١٦٣ ـ بلبل الروض:

ذكره سبط ابن حجر[٣]، وذكر أنه اختصره من كتاب «الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام» تأليف عبد الرحمن بن

---

(١) نسبه الألباني لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني المتوفى سنة ٢٥٩هـ وتابعه في ذلك سزكين في كتابه «تاريخ التراث العربي، ١ / ٣٥٢» وهو وهم منهما. وطبع بالرياض سنة ١٤١٥هـ بتحقيق الشيخ عبد الرحمن الفريوائي.

(٢) ترجم له ابن الأثير في اللباب ١ / ٢٥٠ مستدركًا على أبي سعد السمعاني في «الجورقاني» من الأنساب ٣ / ٣٩٤ ـ ٣٩٥. وذكره ياقوت في معجم البلدان ٢ / ١٥١، والذهبي في تاريخ الإسلام (الورقة ٢٩٧ أياصوفيا ٣٠١٠) وتذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٨ ـ ١٣٠٩، وذكره ابن نقطة في إكمال الإكمال (الورقة ١٠٩ من نسخة الظاهرية) وغيرهم. قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: «مصنف كتاب الأباطيل، وهو محتو على أحاديث موضوعة وواهية طالعته واستفدت منه مع أوهام فيه، وقد بين بطلان أحاديث واهية بمعارضة أحاديث صحاح لها» ٤ / ١٣٠٨. أما نسبته «الجورقاني» فقد قيدها ابن نقطة وابن الأثير بالحروف ـ بالراء المهملة ـ وهكذا وجدتها مقيدة أيضًا بخط الذهبي في تاريخ الإسلام. أما وجودها مقيدة بالزاي في تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٠٨ فهو من التصحيف لا ريب لكن ياقوتًا الحموي ضبطها بالزاي حيث ذكرها بين «جوزفلق» و«جوزق» من معجم البلدان ٢ / ١٥١ ونسبه ابن نقطة والذهبي إلى «جورقان» قرية من همذان، بينما نسبه ياقوت وابن الأثير إلى قبيلة من الأكراد. وتكلم العلامة المرحوم عبد الرحمن المعلمي اليماني على هذه المسألة كلامًا جيدًا عند تعليقه على «الجورقاني» من الأنساب ٣ / ٣٩٤ ـ ٣٩٥ ورجح ضبطه بالراء المهملة، وهو المرجح عندنا أيضًا لأنه كتب بالإجازة إلى ابن شافع الجيلي، قال ابن شافع في تاريخه كما نقل معين الدين ابن نقطة في إكمال الإكمال: «بلغتنا وفاته لما خرج من بغداد ووصل خبره في يوم الأربعاء سادس عشر رجب من سنة ثلاث وأربعين، وأنه أدركه أجله بالطريق... أجاز لي» وكان ابن نقطة قال قبل ذلك إن «جورقان قرية من نواحي همذان» (الورقة ١٠٩ ظاهرية).

(٣) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

عبد اللّه بن أحمد الأندلسي المعروف بالسهيلي المتوفى سنة ٥٨١هـ[١]. وكتاب «الروض الأنف»[٢] من الكتب النفيسة التي عنيت بشرح السيرة النبوية، قال ابن القفطي: «وتصنيفه في شرح سيرة ابن هشام يدل على فضله ونبله وعظمته وسعة علمه»[٣] وقال الصفدي: «وهو كتاب جليل جود فيه ما شاء»[٤]، لذلك قام الذهبي باختصاره، كما اختصره غيره أيضًا[٥].

١٦٤ ـ تجريد أسماء الصحابة:

اختصر فيه كتاب «أسد الغابة في معرفة الصحابة»[٦] لعز الدين ابن الأثير الجزري المؤرخ المشهور المتوفى سنة ٦٣٠هـ. ذكره السبكي[٧] وابن تغري بردي[٨] وسبط ابن حجر[٩] والسخاوي[١٠] وحاجي خليفة[١١] وغيرهم.

---

(١) الضبي: بغية الملتمس، ص ٣٥٤، ابن القفطي: إنباه، ٢ / ١٦٢، ابن خلكان: وفيات ٣ / ١٤٣، ابن سعيد: المغرب، ١ / ٤٤٨، الذهبي: العبر، ٤ / ٢٤٤ وتذكرة، ٤ / ١٣٤٨، الصفدي: نكت، ص ١٨٧، المقري: نفح الطيب، ٢ / ١٠٢، ابن الجزري: غاية، ١ / ٣٧١، ابن كثير: البداية ١٢ / ٣١٨، ابن فرحون: الديباج، ص ١٥٠، ابن العماد: شذرات ٤ / ٢٧١، التجيبي: زاد المسافر، ص ٩٦ وغيرها.

(٢) طبع كتاب «الروض الأنف» بالمطبعة الجمالية بمصر سنة ١٩١٤م وبهامشه السيرة النبوية لابن هشام، في جزءين.

(٣) إنباه الرواة، ٢ / ١٦٢.

(٤) نكت الهميان، ص ١٨٧.

(٥) ممن اختصره أيضًا عز الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة الكناني المتوفى سنة ٨١٩هـ وسماه «نور الروض» وعليه حاشية لقاضب القضاة يحيى المناوي المتوفى سنة ٨٧١هـ (حاجي خليفة: كشف ١ / عمود ١٧ج ـ ٩١٨).

(٦) طبع غير مرة، منها طبعة في خمسة أجزاء في المطبعة الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٨٠هـ.

(٧) الطبقات ٩ / ١٠٤.

(٨) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٩) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(١٠) الإعلان ص ٥٤٢.

(١١) كشف الظنون ١ / عمود ٣٥١.

ومن الكتاب نسخ متعددة في خزائن الكتب العالمية[١] وهو مطبوع[٢]. وقد بين الذهبي أن الدوافع لهذا الاختصار قد جاءت من كون كتاب «أسد الغابة» لابن الأثير كتابًا نفيسًا مستقصيًا. وذكر أنه جرده وزاده من «تاريخ الصحابة الذين نزلوا حمص» لأبي القاسم عبد الصمد بن سعيد الحمصي المتوفى سنة ٣٢٤هـ و«تاريخ دمشق» لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ و«مسند» الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٤١هـ، و«مسند» بقي بن مخلد المتوفى سنة ٢٧٦هـ، و«طبقات» ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ ولا سيما النساء، ومن كتابات ابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤هـ. ووضع إشارات لهذه المصادر على عادته. ومن استدراكاته البارعة وزياداته النفيسة أنه علَّم لمن ذكر غلطًا ولمن لا تصح صحبته وإن لم يستوعب ذلك. وقد جاء عنوانه في بعض النسخ «الإصابة في تجريد أسماء الصحابة»[٣].

١٦٥ ـ تذهيب تهذيب الكمال في معرفة الرجال:

ذكره الصفدي[٤] والسبكي[٥] والزركشي[٦] وابن تغري بردي[٧] وسبط ابن

---

(١) منها نسخة في المكتبة الوطنية بباريس برقم ٢٠١٣ وثانية في المتحف البريطاني برقم ٣٥٦ وثالثة في مكتبة حكيم أوغلو باستانبول برقم ٣٤٤ ورابعة في مكتبة السليمانية باستانبول أيضًا برقم ١٩٤.

(٢) طبع في حيدرآباد سنة ١٣١٥هـ في ٨٢٨ صفحة، ثم طبع الجزء الأول منه في بومباي بالهند سنة ١٩٦٩م طبعة غير جيدة.

(٣) كما في نسختي باريس والمتحف البريطاني المذكورتين في الهامش السابق. ومما تجدر الإشارة إليه أن الذهبي قد ألف كتابًا في الصحابة باسم «عنوان السير في ذكر الصحابة» انظر كتب التاريخ والتراجم.

(٤) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت، ص ٢٤٣.

(٥) الطبقات الكبرى، ٩ / ١٠٤.

(٦) عقود الجمان، الورقة ٧٩.

(٧) عقد الجمان، الورقة ٣٧ (أحمد الثالث ٢٩١١).

حجر[1] والسخاوي[2] وابن العماد[3] وحاجي خليفة[4] والبغدادي[5]، وطبع بمصر سنة ٢٠٠٤م.

وكتاب «تهذيب الكمال»[6] لأبي الحجاج يوسف ابن الزكي المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ وهو شيخ الذهبي ورفيقه، هذب فيه كتاب «الكمال» للحافظ عبد الغني المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠هـ وهو من أنفس الكتب المؤلفة في علم رجال الحديث[7].

---

(١) المنهل الصافي، الورقة ٧١.

(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٣) الإعلان، ص ٦٠٠.

(٤) كشف، ٢ / عمود ١٥١٠.

(٥) شذرات، ٦ / ١٥٥.

(٦) هدية، ٢ / ١٥٤.

(٧) رتب عبد الغني المقدسي كتابه على الصحابة، ثم الرواة، ولم يستقص ولا توسع في التراجم (عندي منه نسخة مصورة في أربعة مجلدات عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٥ مصطلح الحديث) فجاء أبو الحجاج المزي فزاده قرابة ألف وسبع مئة ترجمة وتوسع في التراجم بحيث استقصى الرواة، وأعاد ترتيبه على حروف المعجم المشرقية وسماه «تهذيب الكمال» مع أنه أوسع من الأصل كثيرًا جدًا. وفي خزانة كتبي غير نسخة مصورة منه، منها أجزاء عديدة بخط المؤلف، ومنها نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية (رقم ٢٥ مصطلح الحديث) وهي في اثنى عشر مجلدًا يزيد عدد أوراقها على أربع آلاف ورقة من القطع الكبير، قرئت على المؤلف. ووقفنا على نسخة في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول هي نسخة ابن المهندس وهي في أصلها في اثنين وعشرين مجلدًا (يقع المجلد في أزيد من مئتي ورقة) (برقم ١ / ٢٨٤٨ ـ ٢٢ / ٢٨٤٨) كانت لقاضي القضاة موفق الدين أبي محمد عبد اللّه الحنبلي، كتبت في حياة المؤلف وقوبلت على النسخة التي بخطه من سنة ٧٠٦هـ إلى سنة ٧١٥هـ وهي بخط محمد بن إبراهيم بن غنائم ابن المهندس. وينقص هذه النسخة المجلدات، العاشر والحادي عشر والتاسع عشر. وفي مكتبة أحمد الثالث نسخة أخرى فيها المجلدات: الأول والثاني والخامس والسادس (رقم ٢٨٤٨ب). وهناك نسخة في الخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية تحمل الرقم (١٦٨١ تاريخ) تتكون من ستة=

وقد حافظ الذهبي في «التذهيب» على ترتيب الأصل وهو على حروف المعجم، لكنه زاد عليه زيادات جيدة، تبيناها من مقارنة الأصل بالمختصر؛ فقد علق على بعض تراجم الأصل من حيث الرواية وضبط الأسماء والوفيات، وبعض أقوال العلماء في المترجمين. وقد وصل الكتاب إلينا[1].

= مجلدات، على خمسة منها خط المؤلف. وعثرت بعثة معهد إحياء المخطوطات إلى اليمن على المجلد الأول من نسخة نقلت عن نسخة المؤلف سنة ٧١٢هـ وهو في (٣٩٣) ورقة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، دلني عليها صديقي العالم محمود الطناحي المصري فصورتها لخزانة كتبي. ومن الكتاب نسخ أخرى (انظر فهرس المخطوطات المصورة، ٢ / قسم ٣ / ١٢٠). (وقد وفقنا الله فحققناه ونشرته مؤسسة الرسالة في (٣٥) مجلدًا، وجميع الطبعات المنشورة مسروقة من هذا التحقيق). وقد استدرك على التهذيب تلميذ المزي الحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج المتوفى سنة ٧٦٢هـ بكتابه إكمال تهذيب الكمال (الأزهر ١٥ مصطلح الحديث). وزاد على التهذيب تلميذ المزي، شمس الدين الحسيني المتوفى سنة ٧٦٥هـ من له رواية في مسند الإمام أحمد من غير المذكورين فيه وسماه «الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوى من ذكر في تهذيب الكمال» (انظر النسخة المصورة في معهد إحياء المخطوطات برقم ٩٠٥ تاريخ). وقد اختصر التهذيب ابن بردس البعلي المتوفى سنة ٧٨٦هـ بكتابه بغية الأريب في اختصار التهذيب وذلك سنة ٧٧٩هـ (الأزهر، رواق المغاربة ٨٩٤) ومن أشهر المختصرات كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ. (وانظر عن الاستدراكات على التهذيب والمختصرات منه كشف الظنون ٢ / عمود ١٥١٠ ـ ١٥١١ ومقدمتنا لتهذيب الكمال).

(١) في خزانة كتبي نسخة مصورة منه، عن نسخة مكتبة أحمد الثالث بإستانبول ذات الأرقام (٢ / ٢٨٤٩، ٣ / ٢٨٤٩، ٤ / ٢٨٤٩) كتبت في حياة المؤلف سنة ٧٤٥هـ وعلى هامشها تصحيحات بخطه. ووقفت على نسخة أخرى منه بدار الكتب المصرية كتبت سنة ٧٣١هـ فيها المجلدات من الأول إلى الثالث التي تنتهي إلى حرف العين (رقم ٦٢ مصطلح الحديث) ووقفنا في الدار المذكورة على بعض أجزاء متفرقة منه تحمل الرقم (٨٨ مصطلح الحديث). وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق المجلدان الثالث والرابع من نسخة تتكون من أربعة =

وقام صفي الدين أحمد بن عبد اللّه بن أبي الخير بن عبد العليم الخزرجي الأنصاري سنة ٩٢٣هـ بتلخيصه بكتابه المعروف «خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال»[١]، وقيد بعض الأسماء بالحروف، وزاده من بعض الكتب الأخرى.

١٦٦ ـ ترتيب الموضوعات لابن الجوزي:

كتاب «الموضوعات من الأحاديث المرفوعات» لأبي الفرج عبد الرحمن ابن علي البغدادي المعروف بابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ[٢] من الكتب الواسعة في الأحاديث الموضوعة، تكلم في مقدمته على ذم الكذب، وعلى حديث «من كذب علي» وتناول موضوع نقد الرجال ثم أورد الأحاديث التي رأى أنها موضوعة[٣].

وقد وقفت على نسخة من «ترتيب الموضوعات» للذهبي[٤]، ويظهر منه أن

= مجلدات كتبت سنة ٧٦٢هـ (رقم ٢٨٢، ٢٨٣ تاريخ). ورأينا سنة ١٩٧٥م المجلد الأول منه في مكتبة أسعد أفندي بإستانبول (رقم ٢٩٢) ورأينا مجلدًا منه ضمن كتب الطب في المكتبة المذكورة لم يكتب اسم مؤلفه (رقم ٢٤٦١) وهناك نسخ أخرى لم نقف عليها ذكرها بروكلمان.

(١) طبع سنة ١٣٠١هـ بالقاهرة ثم طبع بعد ذلك سنة ١٣٢٣هـ.

(٢) انظر: ابن نقطة: التقييد، الورقة ١٤١، ابن الأثير: الكامل ١٢ / ٧١، ابن الدبيثي: ذيل، الورقة ١٢٢ ـ ١٢٣ (باريس ٥٩٢٢)، وراجع المنذري: التكملة م٢ / ٢٩١ ـ ٢٩٣ بهامشها.

(٣) طبع كتاب الموضوعات لابن الجوزي في مصر سنة ١٣٨٦هـ في ثلاثة مجلدات. وقال معين الدين ابن نقطة عند كلامه على كتاب الموضوعات (وهو الأباطيل) لأبي عبد اللّه الحسين بن إبراهيم الجورقاني المتوفى سنة ٥٤٣هـ: «وقال لي نصر بن أبي الفرج الحصري بمكة: إن أبا الفرج ابن الجوزي لما صنف كتاب الموضوعات إنما أخذه من كتابه، يعني الجورقاني...» (إكمال الإكمال، الورقة ١٠٩ ظاهرية).

(٤) ضمن مجموع في المكتبة الأزهرية يحمل الرقم (٢٩٠ حديث) وهو فيه بين الورقتين ٨٦ ـ ١٧٥. ومنه نسخة مصورة في خزانة كتب الحاج صبحي السامرائي. وقد صور معهد إحياء=

الذهبي قد رتب كتاب ابن الجوزي ونقحه وهذبه وخفف من طول أسانيده، واختصر بعض المتون الطوال وبعض القول في الرجال[1]، واعترض الذهبي عليه في غير موضع لإيراده أحاديث كثيرة حكم بوضعها وهي ليست بموضوعة بل هي ضعيفة وبعضها حسنة أو صحيحة حيث ورد بعضها في «مسند» الإمام أحمد بن حنبل[2] والسنن الأربع وغيرها.

١٦٧ ـ تلخيص العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي:

وقفت على نسخة منه[3]، وطبع بتحقيق الشيخ ياسر بن إبراهيم بن محمد، ونشرته مكتبة الرشد بالرياض سنة ١٤١٩هـ. ذكر فيه الذهبي أن ابن الجوزي ألف كتابه هذا[4] بعد كتاب «الموضوعات» فأتى فيه بموضوعات وقليل من الأحاديث الحسان[5]. والظاهر أن الذهبي لم يلتزم بعبارة المؤلف بل غالب التخريج من كلامه[6].

= المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة المكتبة الأزهرية وهي عنده برقم ١٤٥ (وقد جاء في فهرس المعهد ١ / ٦٧ ـ ٦٨ أن رقمها ١٤٣، وهو وهم) ثم نشرته دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٩٩٤م.

(١) انظر الورقة ١٧٥ من نسخة الأزهر.

(٢) راجع ابن حجر: القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد. (حيدرآباد ١٣٨٦هـ) ففيه فوائد (من فوائد الحاج صبحي السامرائي)، ومقدمة الشيخ أحمد شاكر للمسند.

(٣) في المكتبة الأزهرية ضمن مجموع برقم (٢٩٠ حديث) وهو فيه بين الورقتين (١ ـ ٨٥) ومنه نسخة مصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية برقم ١٥٩ حديث (وفي الفهرس ١ / ٦٩ برقم ١٥٧ خطأ) وفي خزانة كتب الحاج صبحي السامرائي نسخة مصورة من التلخيص عن النسخة الأزهرية.

(٤) وقد وقفنا على نسخة مصورة من كتاب ابن الجوزي عن نسخة آصف باشا ذات الرقم (١١٦).

(٥) راجع الورقة ٣ من نسخة الأزهر (٢٩٠ حديث).

(٦) انظر الورقة ٨٥ من النسخة السابقة.

١٦٨ ـ تنقيح كتاب التحقيق في أحاديث التعليق[١] لابن الجوزي:

طبع بتحقيق مصطفى أبو الغيط دار الوطن ١٤٢١هـ.

ذكره الصفدي[٢] والزركشي[٣]. وقد وقفت على نسخة من «تنقيح» الذهبي[٤]، تكلم فيها الذهبي على كثير من الأحاديث ورواتها ورد على ابن الجوزي كثيرًا من أوهامه في اعتبار درجات الأحاديث.

١٦٩ ـ تهذيب تاريخ علم الدين البرزالي:

ألف علم الدين القاسم بن محمد البرزالي المتوفى سنة ٧٣٩هـ تاريخًا ذيل به على تاريخ أبي شامة فابتدأه من سنة مولده، وهي سنة ٦٦٥هـ وسماه «المقتفي

---

(١) رأيت نسختين من كتاب التحقيق لابن الجوزي في خزانة كتب شيخنا الحاج صبحي السامرائي: أولاهما عن نسخة دار الكتب المصرية (رقم ٢ فقه حنبلي) والثانية عن الظاهرية (رقم ٣٠٠ حديث) والكتاب في الأحاديث المعلقة بمسائل الخلاف في الفقه، ولا علاقة له بالأحاديث المعلقة، وهي التي حذف من مبتدأ إسنادها واحد فأكثر (انظر عن الأحاديث المعلقة كتاب أبي زرعة العراقي: التقييد والإيضاح في شرح مقدمة ابن الصلاح، ص ٣٢ (القاهرية ١٩٦٩) وابن جماعة: المنهل الروي في علم الحديث النبوي: الورقة ١٠ (مصورة الحاج صبحي). وقد طبع «التحقيق»، بدار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٩٩٤م.

(٢) الوافي ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٣.

(٣) عقود الجمان، الورقة ٧٩.

(٤) مخزونة في مكتبة فيض الله بإستانبول (رقم ٢٩٦) وقد صورها معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم ١٧٠ الحديث والمصطلح وليس ١٦٨ كما جاء في فهرسته، ١ / ٧٠). وهي نسخة نفيسة كتبها المؤلف بخطه سنة ٧٢٩هـ وتقع في (١٨٧) ورقة، وقرأها الصلاح الصفدي على مؤلفها بمنزلة سنة ٧٣٥هـ كما يدل على ذلك توقيع الصفدي. ونجد عليها توقيع العلامة علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة ٧٥٦هـ. ومما تجدر الإشارة إليه أن لشمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي المتوفى سنة ٧٤٤هـ كتاب تنقيح التحقيق لابن الجوزي، وقفنا على المجلد الثاني منه بدار الكتب الظاهرية (رقم ٣٠١ حديث) وهو في ٥١٤ صفحة. ووقفنا في خزانة الحاج صبحي السامرائي على مصورة لهذا المجلد، وعلى قطعة من المجلد الأول من نسخة الظاهرية رقم (٥٨١ تفسير). وطبع تنقيح الذهبي سنة ١٤٢١هـ حققه مصطفى أبو الغيط.

لتاريخ أبي شامة» وصل به إلى سنة ٧٣٨هـ[١]، وهو الذي يسمى بكتاب «الوفيات»[٢]، قال صلاح الدين الصفدي عند كلامه على تاريخ البرزالي: «وقد هذبه الشيخ شمس الدين الذهبي وزاده أشياء من عنده»[٣]. وقد نقل من «تهذيب» الذهبي هذا، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي «ت ٧٧٢» في كتابه «طبقات الشافعية» فقال في ترجمة عز الدين إسماعيل بن هبة اللّه بن علي بن الضيعة الحميري الإسنائي: «ناب في الحكم... ثم عاد إلى الديار

---

(١) في خزانة كتبي نسخة مصورة تتكون من مجلدين فيهما من سنة ٦٦٥هـ إلى سنة ٧٢٠هـ وهما في (٦٢٩) ورقة. وقد كتبت هذه النسخة سنة ٧٢١هـ وقوبلت على المؤلف وعليها خطه في التاريخ المذكور. ولعل البرزالي زاد هذا التاريخ إلى قبيل وفاته فوصل به إلى سنة ٧٣٨هـ كما ذكر ابن رافع في الوفيات، وكما نقل منه ابن الجزري تصريحًا في تاريخه. ونسختي المذكورة مصورة عن نسخة أحمد الثالث بإستانبول ذات الرقم ٢٩٥١.

(٢) انظر ابن رافع السلامي: الوفيات، مقدمة نسخة دار الكتب (١٢٦م تاريخ) وكتابنا: المنذري، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ وبحثنا: كتب الوفيات، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨. وقد ذيل عليه ابن رافع في كتابه الوفيات ووجد أن البرزالي لم يبيض السنتين الأخيرتين منه فابتدأ وفياته من سنة ٧٣٧هـ، قال في مقدمته: «أما بعد، فإني لما رأيت تاريخ الحافظ أبي محمد القاسم بن محمد البرزالي انتهى فيه إلى آخر سنة ست وثلاثين وسبع مئة مبيضًا أردت أن أذيل عليه. ثم رأيت في المسودات سنتين فكتبت منها ما تيسر مع الذي جمعته، وعلى اللّه التكلان وهو المستعان». (ونشرت الوفيات بتحقيق تلميذي الدكتور صالح مهدي ومراجعتي). وكان تاريخ البرزالي من أعظم مصادر ابن كثير في البداية. وقد سلخ ابن الجزري «ت ٧٣٩هـ» معظم تراجمه ووضعها في كتابه مصرحًا بذلك؛ فكان يقول في وفيات كل سنة «ما أكتبه (وذكر) فيكون من فوائد الحافظ علم الدين البرزالي ـ فسح اللّه في مدته... حتى لا يضيع تعبه» انظر مثلاً الورقة ٦٩، ١٠١ نسخة دار الكتب المصرية. إن عناية البرزالي بالوفيات هي التي جعلت بعض المؤرخين يطلقون عليه اسم الوفيات بحيث توهم بعضهم فظن أن له كتابين أحدهما في التاريخ والآخر في الوفيات كما وقع لصاحب كتاب الأعلام ٦ / ١٧ وغيره. انظر أيضًا: الإعلان، ص ٧٠٢ وعيون التواريخ لابن شاكر، الورقة ٣٨ (كيمبرج ٢٩٢٣).

(٣) الوافي ١ / ٥١.

المصرية عند هجوم غازان ملك التتار إلى أوائل الشام وذلك سنة سبع مئة فمات بها في تلك السنة، قاله البرزالي في وفياته التي هذبها الذهبي»[1]. ونقل منها في غير هذا الموضع[2].

١٧٠ ـ ذكر الجهر بالبسملة مختصرًا:

اختصره من تصنيف في هذا الموضوع للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ[3]. وقفنا على نسخة منه[4].

١٧١ ـ الرخصة في الغناء والطرب بشرطه:

ذكره سبط ابن حجر[5]، وذكر أنه اختصر فيه كتاب «السماع»[6] تأليف كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي المتوفى سنة ٧٤٨هـ[7]. وذكر ابن تغري بردي[8] وابن العماد[9] أن الذهبي اختصر كتاب «جواز السماع» للأدفوي ولم يذكرا العنوان، وهو هذا بلا ريب.

---

(١) الورقة ٣٠ (الظاهرية ٥٦ تاريخ) ونقل نصًا آخر في الورقة نفسها.

(٢) انظر مثلاً، الورقة ٥٠، ٩٦ من النسخة أعلاه.

(٣) سمعت المحدثة ست الكتبة نعمة بنت علي بن يحيى ابن الطراح المدير المتوفاة سنة ٦٠٤هـ كتاب الجهر بالبسملة للخطيب عن جدها عن الخطيب، وقد شاهده القوصي مع جملة من مصنفات الخطيب في ثبتها (الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٤٢ أياصوفيا ٣٠١١).

(٤) بدار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ٥٥.

(٥) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٦) هو الكتاب المعروف بـ «الإمتاع بأحكام السماع» وقفت على نسخة منه في خزانة المكتبة الأزهرية بمصر برقم (٤٦٢) ٧٠٥٨ أدب أباظة في ١٢٦ ورقة كتبت سنة ١٠٨٢هـ.

(٧) انظر ترجمته في: السبكي: طبقات، ٩ / ٤٠٧، الإسنوي: طبقات، ١ / ١٧٠، ابن حجر: الدرر ٢ / ٧٢ ـ ٧٣، ابن العماد: شذرات، ٦ / ١٥٣ والمقدمة التي كتبها الأستاذ سعد محمد حسن لكتابه النفيس الطالع السعيد في طبعته الجديدة.

(٨) المنهل الصافي، الورقة ٧١.

(٩) شذرات، ٦ / ١٥٦.

وكان كتاب الأدفوي من الكتب المهمة في موضوعه[1] لذلك قام الذهبي باختصاره، وقد تكلم على بعض أحاديث الكتاب كما ظهر من النسخة التي وقفنا عليها منه[2].

١٧٢ ـ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة:

قال الذهبي في مقدمته: «هذا مختصر نافع في رجال الكتب الستة: الصحيحين والسنن الأربعة[3]، مقتضب من «تهذيب الكمال» لشيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي، اقتصرت فيه على ذكر من له رواية في الكتب، دون باقي تلك التواليف التي في التهذيب[4]، ودون من ذكر للتمييز أو كرر للتنبيه»[5]. وجاء في آخر نسخة الخزانة التيمورية (رقم ١٩٣٥ تاريخ) وهي بخط الذهبي، أنه فرغ من اختصاره بعد العصر من يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٧٢٠هـ[6].

ذكره الصفدي[7] والسبكي[8] والزركشي[9] والعيني[10] وسبط ابن

---

(١) دفعت هذه الأهمية أبا حامد محمد بن يوسف المقدسي المتوفى سنة ٨٨٨هـ (السخاوي: الضوء اللامع، ٧ / ٢٣٤، ابن إياس: بدائع، ٢ / ٢١٧) إلى تلخيص هذا الكتاب بكتابه تشنيف الأسماع بأحكام السماع منه نسخة في مكتبة البلدية بالإسكندرية (برقم ٢٠٥٥ / ٢د) في ١٩ ورقة.

(٢) الظاهرية رقم ٧١٥٩ وهي في (٥٤) ورقة.

(٣) يعني صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٤) انظر عن هذه التواليف مقدمة تهذيب الكمال م١ / الورقة ٣ ـ ٤ (دار الكتب ٢٥ مصطلح).

(٥) انظر مقدمة كتاب الكاشف (١ / ٤٩ ط. القاهرة ١٩٧٢م).

(٦) وكتب الذهبي هذه النسخة بخطه سنة ٧٢٩هـ كما جاء في آخرها.

(٧) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان ص ٢٤٣.

(٨) الطبقات، ٩ / ١٠٤.

(٩) عقود الجمان، الورقة ٧٩.

(١٠) عقد الجمان، الورقة ٣٧ (أحمد الثالث ٢٩١١).

حجر[1] والسخاوي[2]. وقد مر بنا أن الإمام الذهبي اختصر «تهذيب الكمال» لأبي الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ في كتاب «تذهيب تهذيب الكمال» وذكر الصفدي[3] والسبكي[4] وابن تغري بردي[5] وابن العماد[6] أن الذهبي اختصر كتاب «الكاشف» من التذهيب، وهو وهم منهم، حيث صرح الذهبي في مقدمته أنه اختصره من الأصل، أعني من «تهذيب الكمال».

احتل كتاب «الكاشف» للذهبي مكانًا مرموقًا بين كتبه على الرغم من أنه جاء في عُشر الكتاب الأصلي[7]، بحيث قال فيه التاج السبكي: إنه «مجلد نفيس»[8]. ولا ريب أن هذه النفاسة التي ذكرها السبكي لم تجئ من عمل الذهبي كمختصِر لكتاب «التهذيب» فحسب؛ فإنه على الرغم من محافظته على روح النص الأصلي قد بث فيه من روحه ونشر فيه من علمه ما جعله يكاد يكون مؤلفًا من تآليفه، مخالفًا للأصل المختصر منه في كثير من الأمور، فمن ذلك: أنه علق على آراء بعض أئمة الجرح والتعديل فيه، تعديلاً أو إبطالاً، كما حقق كثيرًا من التراجم وزادها تدقيقًا لا نجده عند المزي، فضلاً عن بيان رأيه في بعض الرواة على أساس من دراساته الواسعة وخبرته العميقة بعلم الحديث النبوي. على أنه يتعين الانتباه إلى أن الكتاب مختصر من كتاب تهذيب الكمال، والذهبي يحافظ على ذاتية أصحاب الكتب الأصلية، ولذلك يتعين التحرز من اعتماد أحكام الذهبي في الكاشف إذا ما خالفت كتبه الأخرى.

---

(١) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٢) الإعلان، ص ٦٠٠. وقد طبع في القاهرة سنة ١٩٧٢م في ثلاثة مجلدات، ثم أعاد تحقيقه الشيخ محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب، وطبع بجدة سنة ١٩٩٢م.

(٣) الوافي، ٢ / ١٦٤.

(٤) طبقات، ٩ / ١٠٤.

(٥) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٦) شذرات، ٦ / ١٥٥.

(٧) انظر آخر نسخة التيمورية (١٩٣٥ تاريخ).

(٨) طبقات، ٩ / ١٠٤.

ونتيجة لأهمية كتاب «الكاشف» أيضًا ذيل عليه واحد من كبار العلماء هو أبو زُرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي المتوفى سنة ٨٢٦هـ. وقد ذكر تقي الدين ابن فهد هذا «الذيل»[١]. ورأيت نسخة منه[٢] (وطبع بتحقيق بوران الضناوي في دار الباز بمكة المكرمة سنة ١٤٠٦هـ).

كما أن لإبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي ثم الحلبي المعروف بسبط العجمي المتوفى سنة ٨٤١هـ حواشي عليه[٣]. واعتمد على «الكاشف» كثيرًا شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد اللّه الطيبي المتوفى سنة ٧٤٣هـ حينما ألف كتابه في «أسماء الرجال»[٤]. وذكر ابن حجر في مقدمة «تهذيب التهذيب» أن الهمم قصرت عن تحصيل الأصل «فاقتصر بعض الناس على الكشف من الكاشف الذي اختصره منه الحافظ أبو عبد اللّه الذهبي»[٥]، مما يدل على أهميته البالغة.

---

(١) لحظ الألحاظ، ص ٢٨٧، وانظر أيضًا: حاجي خليفة: كشف، م٢ / عمود ١٥١١، ١٣٦٨.

(٢) مصورة في خزانة كتب شيخنا الحاج صبحي السامرائي عن مكتبة فيض اللّه بإستانبول (رقم ١٤٥٤) وهي في (١٤٢) ورقة. وقد زاد العراقي في هذا الذيل بقية التراجم التي ذكرها المزي في التهذيب، والتي لم يذكرها الذهبي لأنه اقتصر على رجال الكتب الستة، كما زاد رجال مسند الإمام أحمد وزيادات ولده عبد اللّه عليه. وهذا في رأينا تجوز من العراقيرحمه اللّه، لأن الذهبي اقتصر على ذكر من له رواية في الكتب الستة فقط وأسقط متعمدًا تراجم الذين لهم رواية في تواليف أصحاب الكتب الستة الأخرى ممن ذكرهم المزي في التهذيب وإلا فإنه ذكر الجميع في كتابه تذهيب التهذيب فما الفرق بينه وبين الكاشف عندئذ؟ تأمل ذلك!

(٣) ابن فهد: لحظ الألحاظ، ص ٣١٤.

(٤) الطيبي: أسماء الرجال، الورقة ٤٧ (ظاهرية ٦١٦٤).

(٥) ١ / ٣.

١٧٣ ـ المجرد من تهذيب الكمال:

ذكره السبكي[١] وسبط ابن حجر[٢] وحاجي خليفة[٣] والبغدادي[٤]. وقد جرده من كتاب «تهذيب الكمال» لكنه اقتصر على رجال الكتب الستة: الصحيحين والسنن الأربع، ورتبه على عشر طبقات أولاً ثم رتب رجال كل طبقة على حروف المعجم ثانيًا[٥].

١٧٤ ـ مختصر إنباه الرواة على أنباه النحاة لابن القفطي:

ذكره شمس الدين السخاوي عند كلامه على كتاب «إنباه الرواة»[٦]. للصاحب جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني المعروف بابن القفطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ[٧]، فقال: «واختصره

---

(١) الطبقات، ٩ / ١٠٥ وسماه المجرد في أسماء رجال الكتب الستة.

(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٣) كشف الظنون، م٢ / عمود ١٥٩٣.

(٤) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤.

(٥) من الكتاب نسخة بخزانة كتب الفاتيكان (برقم ١٠٣٢)، وكانت منه نسخة ببرلين تحمل الرقم (٩٩٣٨). وعثرت على نسخة أخرى منه في مكتبة شهيد علي باشا بإستانبول برقم (٥٢٣) في (١٠٢) ورقة ينقص من أولها بعض الأوراق، وأول ما فيها: أبو معقل الأنصاري الأسدي، وآخره آخر طبقة البخاري وباقي شيوخ الأمة. وقد كتبت هذه النسخة سنة ٧١٧هـ، وفي حواشيها تعليقات واستدراكات كثيرة، وقوبلت على نسخة الإمام الذهبي في التاريخ المذكور، وصوّر معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية هذه النسخة وضمها إلى خزانته برقم (٥٧٦ تاريخ) لكنهم لم يعرفوا اسم الكتاب فذكروا أنه في أسماء رجال تهذيب الكمال للمزي ولا عرفوا مؤلفه لذهاب الورقات الأولى منه، فاقتضى لذلك التنبيه (انظر فؤاد سيد: فهرس المخطوطات المصورة، ٢ / قسم٢ / ١٠).

(٦) نشرته دار الكتب المصرية في أربعة أجزاء بتحقيق أبي الفضل إبراهيم ابتداء من سنة ١٩٥٠م.

(٧) انظر ترجمته في: ياقوت: إرشاد، ٥ / ٤٧٧ ـ ٤٩٤، ابن العبري: تاريخ، ص ٤٧٦، الحسيني: صلة التكملة (وفيات ٦٤٦ كوبرلي ١١٠١)، الذهبي: العبر، ٥ / ١٩١، الأدفوي: الطالع السعيد، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨، اليافعي: مرآة الجنان، ٤ / ١١٦، ابن العماد: شذرات، ٥ / ٢٣٦.

الذهبي»[١].

وذكر بروكلمان من مختصر الذهبي نسخة في ليدن[٢]، لم أستطع الوقوف عليها.

١٧٥ ـ مختصر الأنساب لأبي سعد السمعاني:

ذكره الذهبي في مقدمته «لتاريخ الإسلام»[٣] وأشار إليه سبط ابن حجر في «رونق الألفاظ»[٤]. ولا نعرف اليوم له نسخة.

وكتاب «الأنساب»[٥] لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ من أنفس الكتب المؤلفة في بابه، لذلك اعتنى به العلماء الذين جاءوا بعده تلخيصًا واستدراكًا ونقلاً منه[٦].

١٧٦ ـ مختصر كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية:

قال الذهبي في ترجمة الإمام إسحاق بن راهوية من السير: «إن النفاق

---

(١) الإعلان ص ٥٦٦.

(٢) تاريخ التراث العربي، الملحق، ١ / ٣٩٧ (بالألمانية). ومما تجدر الإشارة إليه أن أحمد بن مكتوم القيسي المتوفى سنة ٧٤٩هـ قام بتلخيص كتاب ابن القفطي هذا أيضًا في كتاب تلخيص أخبار النحويين المذكورين في كتاب الإنباه، منه نسخة بخطه محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٢٠٦٩ تاريخ تيمور) بها نقص يسير من آخرها وبأثنائها خروم.

(٣) ١ / ١٦ (مطبوعة).

(٤) الورقة ١٨٠.

(٥) من الكتاب نسخ عديدة، وقد لفق المستشرق داود مرغليوث نسخة نشرها بطبعة حجرية في سلسلة تذكار جب سنة ١٩١٢م. ثم باشرت دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد نشره بتحقيق العلامة الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني المكي فأخرج منه ستة أجزاء، وتوفي ـ رحمه الله ـ قبل إتمامه، ثم أكمل. وطبع ببيروت أيضًا.

(٦) انظر مقدمة الشيخ عبد الرحمن المعلمي لكتاب الأنساب. ومن أشهر هذه المختصرات المستدرِكات: كتاب اللباب في تهذيب الأنساب لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ، وقد نشره حسام الدين القدسي سنة ١٣٥٧ ـ ١٣٦٩هـ في ثلاثة أجزاء.

يتبعض ويتشعب، كما أن الإيمان ذو شعب يزيد وينقص، فالكامل الإيمان من اتصف بفعل الخيرات وترك المنكرات وله قُرب ماحية لذنوبه... أما من كان في قلبه شك من الإيمان باللّه ورسوله فهذا ليس بمسلم... وهذه مسألة كبيرة جليلة قد صنف فيها العلماء كتبًا، وجمع فيها الإمام أبو العباس شيخنا مجلدًا حافلاً قد اختصرته»[١]. وعند صديقنا العلامة الشيخ علي الحلبي نسخة من هذا الاختصار فيما أخبرني تلميذي الشيخ أحمد دودين عنه.

١٧٧ ـ مختصر كتاب البعث والنشور للبيهقي[٢]:

ذكره ابن تغري بردي[٣] وسبط ابن حجر[٤] وابن العماد[٥]. ولم أقف على نسخة منه.

١٧٨ ـ مختصر تاريخ مدينة السلام[٦] للخطيب البغدادي[٧]:

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٦٣ ـ ٣٦٤.

(٢) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري المتوفى سنة ٤٥٨هـ وصاحب التواليف الكثيرة (السمعاني: الأنساب، الورقة ١٠١، ابن الجوزي: المنتظم ٨ / ٢٤٢، ابن عساكر: تبيين كذب المفتري ص ٢٦٥، ابن الأثير: اللباب ١ / ١٦٥، الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ١٩٠ (أحمد الثالث ١١ / ٢٩١٧) والعبر، ٣ / ٣٤٢، ابن كثير: البداية ١٢ / ٩٤، ابن العماد: شذرات ٣ / ٣٠٤ وغيرها). وكتاب البعث والنشور للبيهقي مطبوع منتشر مشهور، ومنه طبعة بيروت سنة ١٩٨٦م.

(٣) المنهل الصافي، الورقة ٧١.

(٤) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٥) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٦) طبع بمصر سنة ١٩٣١م في ١٤ مجلدًا، تناول في قسم من المجلد الأول خطط مدينة بغداد، ثم ترجم بعد ذلك لأهلها مرتبًا تراجمه بحسب حروف المعجم ومخصصًا للنساء القسم الأخير من كتابه. وأورد فيه كل من عاش ببغداد أو وردها من البارزين في ناحية من نواحي الحياة إلى قريب وفاته، وهي طبعة رديئة مليئة بالتصحيف والتحريف والسقط، وقد وفقنا اللّه لإعادة تحقيقه، ونشرته دار الغرب الإسلامي في (١٧) مجلدًا.

(٧) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ. انظر كتابنا: تواريخ بغداد، ص ٦ فما بعد.

ذكره الصفدي[١] وابن شاكر الكتبي[٢] وذكرا أنه في مجلدين، وأشار إليه السخاوي عند كلامه على تواريخ بغداد[٣]. كما ذكر ابن تغري بردي[٤] وابن العماد[٥] أن الذهبي اختصر تاريخ الخطيب.

١٧٩ ـ مختصر تاريخ دمشق[٦] لابن عساكر[٧]:

ذكره الصفدي[٨] وابن شاكر الكتبي[٩] وابن تغري بردي[١٠] والسخاوي[١١] وابن العماد[١٢] وذكروا أنه في عشرة مجلدات، وقد رآه السخاوي بخط الذهبي.

١٨٠ ـ مختصر تاريخ مصر لابن يونس:

ألف أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي المتوفى سنة

---

(١) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان ٢٤٣.

(٢) عيون التواريخ، الورقة ٨٦.

(٣) الإعلان، ص ٦٢٣.

(٤) المنهل الصافي، الورقة ٧١.

(٥) شذرات ٦ / ١٥٦.

(٦) شهرة الكتاب أعظم من أن تذكر، وقد رأيت منه نسختين بدار الكتب الظاهرية بدمشق تكاد إحداهما تكون كاملة، ونقلنا منها فوائد جمة، وقد وصفهما المرحوم الدكتور يوسف العش في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، التاريخ وملحقاته ص ١٠٩ فما بعد، واعتنى المجمع الدمشقي بنشره فنشر منه مجلدات نفيسة لا سيما تلك التي حققتها زميلتنا الفاضلة الأستاذة سكينة الشهابي، ثم طبع طبعة رديئة ببيروت سنة ١٩٩٧م.

(٧) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة اللّه الشافعي المتوفى سنة ٥٧١هـ. انظر: ابن الجوزي: المنتظم، ١٠ / ٢٦١، وسبط ابن الجوزي: مرآة، مختصر ٨ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧، الذهبي: العبر، ٤ / ٢١٢ ـ ٢١٣، ابن كثير: البداية ١٢ / ٢٩٤، العيني: عقد الجمان، ١٦ / الورقة ٥٨٨ ـ ٥٩٠ (مصورة دار الكتب ١٥٨٤ تاريخ) وغيرها.

(٨) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٣.

(٩) عيون التواريخ، الورقة ٨٦.

(١٠) المنهل الصافي، الورقة ٧١.

(١١) الإعلان، ص ٦٣١.

(١٢) شذرات، ٦ / ١٥٦.

٣٤٧هـ[١] تاريخين: أحدهما كبير في «أخبار مصر ورجالها»[٢]، والثاني صغير في «ذكر الغرباء الواردين على مصر»[٣].

ويبدو أن تاريخ ابن يونس الكبير هو الأكثر شهرة، وهو الذي يشير إليه كثير من المؤرخين في ترجمته. وذكر الذهبي في مقدمته لتاريخ الإسلام أنه اختصر «تاريخ مصر» لابن يونس[٤]. وقال في ترجمة ابن يونس من «تذكرة الحفاظ»: «أبو سعيد ابن يونس... صاحب تاريخ مصر... اختصرت تاريخه وعلقت منه أحاديث»[٥].

١٨١ ـ مختصر تاريخ نيسابور[٦] لأبي عبد الله الحاكم[٧]:

---

(١) انظر ترجمته وأخباره في: ابن خلكان: وفيات، ٣ / ١٣٧ ـ ١٣٨، والذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٢٣٧ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) وتذكرة، ٣ / ٨٩٨، والعبر، ٢ / ٢٧٦، ابن شاكر: فوات، ١ / ٥٢٦، السخاوي: الإعلان، ص ٥٩٢، ٦٤٥، وراجع الهامش رقم ٨٠ من الصفحة المذكورة، السيوطي: حسن المحاضرة، ١ / ١٤٧.

(٢) ويعرف بـ تاريخ مصر، أو تاريخ المصريين، وهو من مصادر الذهبي الكبيرة في تاريخ الإسلام، وقد جمّع الدكتور عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح نصوصه من المصادر الناقلة عنه وطبعه مع دراسة في مجلدين، وهو عمل جيد ومستوعب (بيروت ٢٠٠٠م)، وقد ذيله أبو القاسم يحيى بن علي الحضرمي المعروف بابن الطحان المتوفى سنة ٤١٦هـ بكتابه الذيل على تاريخ مصر من الجزء الأول منه نسخة بدار الكتب الظاهرية بدمشق (ضمن مجموع برقم ١١٦) وعند شيخنا العالم الحاج صبحي السامرائي نسخة مصورة منه.

(٣) ويعرف بـ تاريخ الغرباء أو التاريخ الصغير.

(٤) ١ / ١٦ (مطبوعة).

(٥) تذكرة، ٣ / ٨٩٨.

(٦) فقد هذا الكتاب الجليل مع أن حاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧هـ قد اطلع عليه كما يبدو (كشف ١ / عمود ٣٠٨)، وقال السبكي في ترجمة الحاكم من الطبقات: «وهو عندي أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة، ومن نظره عرف تفنن الرجل في العلوم جميعها» ٤ / ١٥٥.

(٧) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع المتوفى سنة ٤٠٥هـ=

ذكره الصفدي[١] وابن شاكر الكتبي[٢] والسبكي[٣] والزركشي[٤] وابن تغري بردي[٥] وسبط ابن حجر[٦] وابن العماد[٧] وحاجي خليفة[٨] ولم نقف على نسخة منه. ونحن نعرف من أحد مختصرات تاريخ نيسابور للحاكم[٩] أنه ابتدأ بذكر خراسان وما ورد من أحاديث وأخبار في مدحها، ثم ذكر من نزلها من الصحابة ثم التابعين. . . إلخ فجعله على ست طبقات. وقد ذكر الصفدي والزركشي أن مختصر الذهبي في مجلد.

١٨٢ ـ مختصر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف لأبي الحجاج المزي:

ذكره الصفدي[١٠] وابن شاكر الكتبي[١١] والسبكي[١٢] والزركشي[١٣] وابن

= وهو مشهور جدًا.

(١) نكت الهميان، ص ١٤٣، والوافي، ٢ / ١٦٤.
(٢) عيون التواريخ، الورقة ٨٦.
(٣) الطبقات، ٩ / ١٠٧.
(٤) عقود الجمان، الورقة ٧٩.
(٥) المنهل الصافي، الورقة ٧١.
(٦) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.
(٧) شذرات، ٦ / ١٥٦.
(٨) كشف، ١ / عمود ٣٠٨.
(٩) مختصر تاريخ نيسابور لأحمد بن محمد بن الحسن المعروف بالخليفة النيسابوري. وقد نشره الدكتور بهمن كريمي في طهران (سنة ١٣٣٩ هجرية شمسية) وهي نشرة رديئة جدًا. وفي خزانة كتبي نسخة مصورة من هذا المختصر، صورتها من مكتبة بروسة بتركيا وهي أحسن من المطبوعة. وقد أعاد نشر المخطوطة الأستاذ ريجارد فراي الأمريكي بالتصوير مع مختصرات من السياق لعبد الغافر الفارسي.
(١٠) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ٣٤٣.
(١١) عيون التواريخ، الورقة ٨٦.
(١٢) الطبقات، ٩ / ١٠٥.
(١٣) عقود الجمان، الورقة ٧٩.

تغري بردي[1] وسبط ابن حجر[2] وابن العماد[3] وحاجي خليفة[4].

و«تحفة الأشراف» من كتب المزي النفيسة. قضى فيه مؤلفه ستًا وعشرين سنة في عمل متواصل[5]، وهو في أطراف[6] أحاديث الكتب الستة مضافًا إليها تآليف أصحاب الكتب الستة الأخرى. ويبلغ مجموع أحاديثه (١٩٦٢٦) حديثًا مقسمة على نحو من ألف وخمس مئة مُسْنَد وثمانية آلاف ترجمة[7]. وذكر الزركشي أن الذهبي اختصره في مجلدين[8]، ولم يصل إلينا فيما أعلم.

١٨٣ ـ مختصر تقويم البلدان[9] لأبي الفدا[10]:

---

(١) المنهل الصافي، الورقة ٧١.

(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٣) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٤) كشف، ١ / عمود ١١٧.

(٥) ابتدأ المزي بتأليفه سنة ٦٩٦هـ وانتهى منه سنة ٧٢٠هـ، ثم كتب المبيضة في سنتين ٧٢٠ ـ ٧٢٢هـ (التحفة ١ / ١٠ بتحقيقنا).

(٦) الأطراف: هي ذكر حديث الصحابي مفردًا مثل أهل المسانيد، إلا أن مؤلفي الأطراف يذكرون طرفًا من الحديث في الغالب، خلافًا لأصحاب المسانيد فإنهم يذكرون الحديث بتمامه. وتذكر كتب الأطراف جميع طرق الحديث في الكتب التي وضعت لها فيسهل بذلك معرفة الحديث والبحث عن أسانيده، ولذلك فهي تعوض عن جميع الكتب التي وضعت من أجلها.

(٧) طبع تحفة الأشراف بتحقيق عبد الصمد شرف الدين ثم وفقنا اللّه لتحقيقه على (٣٧) جزءًا بخط المؤلف وعلى نسخ لرفاقه وتلامذته كتبت في حياته ونسخت من نسخته وقوبلت عليها. فضلاً عن عزو جميع الأحاديث إلى مواردها وربط كل حديث بالمسند الأحمدي والمسند الجامع، مع فوائد كثيرة.

(٨) عقود الجمان، الورقة ٧٩.

(٩) طبع في باريس سنة ١٨٤٠م وترجمه المستشرق الفرنسي «رينو» إلى الفرنسية.

(١٠) أبو الفدا إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد صاحب حماة المتوفى سنة ٧٣٢هـ (السبكي: طبقات، ٩ / ٤٠٣ ـ ٤٠٧، ابن الوردي: تتمة: ٢ / ٢٩٧، الإسنوي: طبقات، ١ / ٤٥٥ ـ ٤٥٦، الدواداري: كنز الدرر،=

ذكره الصفدي[1] وابن شاكر الكتبي[2]، وذكر كل من ابن تغري بردي[3] وسبط ابن حجر[4] وابن العماد[5] والبغدادي[6] «كتاب تقويم البلدان» من بين تآليف الذهبي، وما أظنهم قصدوا غير هذا المختصر.

١٨٤ ـ مختصر التكملة لكتاب الصلة[7] لابن الأبار[8] واسمه «المستملح من كتاب التكملة»:

ذكره الذهبي[9] في ترجمته فقال: «كمَّل الصلة البشكوالية بكتاب في ثلاثة أسفار اختصرته في مجلد». وعلى هذا المختصر اعتمد الفاسي في العقد الثمين ٣ / ٢٢ ووقف عليه بخطه. ثم وقفت على النسخة التي بخطه في الجزائر، فحققته ونشرته دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة ٢٠٠٨م.

= ٩ / ٣٦٤ (القاهرة ١٩٦٠م)، ابن كثير: البداية، ١٤ / ١٥٨، ابن حجر: الدرر، ١ / ٣٩٦) وغيرها.

(١) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٣.

(٢) عيون التواريخ، الورقة ٨٧.

(٣) المنهل الصافي، الورقة ٧١.

(٤) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٥) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٦) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤.

(٧) طبع الجزءان الأول والثاني في مدريد سنة ١٨٨٦م، وطبع الثالث في الجزائر سنة ١٩١٩م بعنوان تكملة الصلة ثم طبع بالقاهرة (١٩٥٥ ـ ١٩٥٦م) وقد ذيل به مؤلفه على كتاب الصلة لأبي القاسم ابن بشكوال المتوفى سنة ٥٧٨هـ الذي كان قد ذيل به على كتاب تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد ابن الفرضي المتوفى سنة ٤٠٣هـ، ويصدر قريبًا بتحقيقنا في ضمن سلسلة التراجم الأندلسية.

(٨) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي المتوفى سنة ٦٥٨هـ (انظر مقدمة كتابه: إعتاب الكتاب، تحقيق الأستاذ صالح الأشتر، دمشق ١٩٦١م).

(٩) تاريخ الإسلام، الورقة ١٨٥ (أياصوفيا ٣٠١٣).

١٨٥ ـ مختصر التكملة لوفيات النقلة[١] للمنذري[٢]:

ذكره ابن تغري بردي[٣] وسبط ابن حجر[٤] وابن العماد[٥]. ويبدو لي أن الذهبي اختصر كتاب «التكملة»، من نسخة محيي الدين ابن سراقة الشاطبي المتوفى سنة ٦٦٢هـ؛ فقد وجدت خط الذهبي على المجلدة الثانية من كتاب التكملة المحفوظ في مكتبة البلدية بالإسكندرية (رقم ١٩٨٢د) ونصه: «نظره وعلق منه العبد محمد بن أحمد ابن الذهبي»[٦].

١٨٦ ـ مختصر كتاب جامع بيان العلم وفضله[٧] لابن عبد البر[٨]:

ذكره ابن تغري بردي[٩] وسبط ابن حجر[١٠] وابن العماد[١١]. ولا أعلم

---

(١) حققته سنة ١٩٦٧م في سبعة مجلدات، وطبع في النجف والقاهرة. ثم نشرته مؤسسة الرسالة في بيروت سنة ١٩٨٢م وطبع ست طبعات.

(٢) زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري المصري المتوفى سنة ٦٥٦هـ (انظر كتابنا: المنذري وكتابه التكملة ـ النجف ١٩٦٨م).

(٣) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٤) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٥) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٦) راجع التفاصيل في كتابنا: المنذري ص ٢٩١ ومقدمتنا لكتاب التكملة ١ / ٣٢ (النجف ١٩٦٩م).

(٧) طبع، ومنه طبعة في جزءين نشرتها المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (دون تاريخ). وطبع بتحقيق أبي الأشبال الزهيري (دار ابن الجوزي، الدمام ١٩٩٦م).

(٨) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي المتوفى سنة ٤٦٣هـ (الضبي: بغية، ص ٤٧٤، ابن سعيد: المغرب، ٢ / ٤٠٧، ابن فرحون: الديباج، ص ٣٥٧، ابن خلكان: وفيات، ٨ / ٦٦ ـ ٧٢، الذهبي: تذكرة، ٣ / ١١٢٨، والعبر، ٣ / ٢٥٥، ابن خاقان: مطمح، ص ٦١).

(٩) المنهل الصافي، الورقة ٧١.

(١٠) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(١١) شذرات، ٦ / ١٥٦.

بوجود نسخة منه.

١٨٧ ـ مختصر كتاب الجهاد[١] لبهاء الدين ابن عساكر[٢]:

ذكره الصفدي[٣] وابن شاكر الكتبي[٤]. ولم نقف على نسخة منه.

١٨٨ ـ مختصر كتاب الجهر بالبسملة لأبي شامة:

منه نسخة خطية في ضمن مجموع رقمه (٥٥) بظاهرية دمشق، وهو المجموع الذي فيه مختصره الآخر لكتاب الخطيب البغدادي الذي ذكرناه. وطبعه الأستاذ جاسم سليمان الدوسري مع رسائل للذهبي.

١٨٩ ـ مختصر الذهبية:

منه نسخة خطية بدار الكتب الظاهرية بدمشق في ضمن مجموع برقم (٧٤).

١٩٠ ـ مختصر ذيل تاريخ مدينة السلام لابن السمعاني:

ألف أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ ذيلاً[٥]

---

(١) ذكر الذهبي أن بهاء الدين ابن عساكر ألف كتابًا في الجهاد وسمعه منه السلطان صلاح الدين الأيوبي (تذكرة، ٤ / ١٣٦٨) وأظنه في عداد المفقودات.

(٢) الحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم ابن الحافظ علي بن الحسن بن هبة اللّٰه الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٦٠٠هـ (ابن أبي الدم: التاريخ المظفري، الورقة ٢٣٠، المنذري: التكملة، م٣ / ٦، أبو شامة: ذيل الروضتين، ص ٤٧، ابن الساعي: الجامع ٩ / ١٢٨، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٣ / الورقة ٩٣ ـ ٩٤، وتذكرة، ٤ / ١٣٦٨، والعبر، ٤ / ٣١٤، ودول الإسلام، ٤ / ٨٠، والسبكي: طبقات، ٥ / ١٤٨ (القاهرة ١٣٢٤هـ)، ابن كثير: البداية ١٣ / ٣٨، ابن الملقن: العقد المذهب، الورقة ١٦٣، الفاسي: ذيل التقييد، الورقة ٢٥٠).

(٣) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٣.

(٤) عيون التواريخ، الورقة ٨٧.

(٥) لا نعرف اليوم عن هذا التاريخ شيئًا سوى ما اختاره البنداري المتوفى سنة ٦٤٣هـ منه في «تاريخ بغداد» (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس رقم ٦١٥٢ عربيات)، وابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ (منه نسخة مصورة في خزانة كتب المجمع العلمي العراقي وأخرى في خزانة=

على تاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ.

ويبدو أنه كان بحجم تاريخ الخطيب أو أقل قليلاً[١]. وذكر سبط ابن حجر أن الذهبي اختصره[٢] وأشار هو إليه في مقدمة تاريخ الإسلام[٣]. وقد تقدم أن الذهبي اختصر كتاب الخطيب، وسيأتي ذكر المختصر الذي عمله الذهبي على ذيل ذيل ابن السمعاني لابن الدبيثي، وهو المعروف بالمختصر المحتاج إليه.

١٩١ ـ مختصر ذيل مرآة الزمان لليونيني:

ذكره الذهبي في مقدمة تاريخ الإسلام[٤].

١٩٢ ـ مختصر الرد على ابن طاهر لابن المجد:

هكذا ذكره سبط ابن حجر[٥]. وقد تبين لنا بعد البحث والتتبع أن أبا الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي المعروف بابن القيسراني المتوفى سنة ٥٠٧هـ[٦] قد ألف كتابًا في «السماع» حاول فيه تبيان جواز السماع بكافة أنواعه، واستدل على ذلك بالأدلة العقلية والنقلية[٧]، وهي مسألة ناقشها العلماء

= كتبي، وهو ليس كاختيار البنداري، بل هو اختيار واختصار)، وكان عند تاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ من هذا الذيل نسختان (انظر الطبقات، ٦ / ١٢٩).

(١) انظر كتابنا: تواريخ بغداد، ص ٨ (بغداد ١٩٧٤م)، وقد وصف السخاوي كتاب الخطيب بأنه في «عشرة مجلدات» ثم وصف كتاب السمعاني بأنه في «عشرة مجلدات فأقل» (الإعلان، ص ٦٢٢).

(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٣) ١ / ١٦ (مطبوعة).

(٤) تاريخ الإسلام ١ / ٩ (بتحقيقنا).

(٥) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم، ٩ / ١٧٧، ابن خلكان: وفيات، ٤ / ٢٨٧، الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٧٢ (أياصوفيا ٣٠١٠)، وتذكرة، ٤ / ١٢٤٢، وميزان، ٣ / ٥٨٧، والعبر، ٤ / ١٤، الصفدي: الوافي، ٣ / ١٦٦، ابن العماد: شذرات، ٤ / ١٨، العيني: عقود الجمان، ١٥ / الورقة ٦٨٤ ـ ٦٨٦ (مصورة القاهرة ١٥٨٤ تاريخ).

(٧) ابن القيسراني: كتاب السماع. تحقيق أبي الوفا المراغي (القاهرة ١٩٧٠م).

المسلمون على مدى عصورهم[١]. فألف سيف الدين أبو العباس أحمد ابن المجد عيسى بن عبد اللّه المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣هـ[٢] كتابًا في الرد على أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، قال الذهبي في ترجمة ابن المجد من «تذكرة الحفاظ»: «ألف السيف رحمه اللّه تعالى مجلدًا كبيرًا في الرد على الحافظ محمد ابن طاهر المقدسي لإباحته للسماع وفي أماكن من كتاب ابن طاهر في «صفة أهل التصوف» وقد اختصرت هذا الكتاب على مقدار الربع، وانتفعت كثيرًا بتعاليق الحافظ سيف الدين»[٣]. ونقل زين الدين ابن رجب قول الذهبي هذا[٤].

١٩٣ ـ مختصر كتاب الروضتين وذيله لأبي شامة:

ذكر الذهبي في مقدمته لتاريخ الإسلام هذا الكلام على موارده أنه اختصر «تاريخ» أبي شامة[٥]. وقال سبط ابن حجر: «واختصر تاريخ أبي شامة»[٦]. ونحن نعلم أن شهاب الدين أبا القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ[٧] قد ألف كتابين في التاريخ

---

(١) انظر: الغزالي: إحياء علوم الدين، ٢ / ٢٦٧، القرطبي: تفسير، ١٤ / ٥٤ فما بعد.

(٢) الحسيني: صلة التكملة، وفيات ٦٤٣ (كوبرلي ١١٠١)، الذهبي: تذكرة، ٤ / ١٤٤٦، والعبر، ٥ / ١٧٤، ابن رجب: الذيل، ٢ / ٢٤١، ابن ناصر الدين: التبيان، الورقة ١٥٥، ابن العماد: شذرات، ٥ / ٢١٧.

(٣) تذكرة الحفاظ، ٤ / ١٤٤٧.

(٤) الذيل، ٢ / ٢٤١ قلت: ومن «تعليق سيف الدين ابن قدامة» قطع في المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ١٠٤ (في الورقة ١ ـ ٥٦) إلا أن هذه التعاليق لا علاقة لها بموضوع جواز السماع، فهي ملتقطات في بعض تراجم المقادسة ونتف من الأخبار والأحاديث.

(٥) ١ / ١٦ (مطبوعة).

(٦) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٧) الذهبي: تاريخ الإسلام، (وفيات ٦٦٥ أياصوفيا ٣٠١٣)، وتذكرة، ٤ / ١٤٦٠، والعبر، ٥ / ٢٨٠، ابن كثير: البداية، ١٣ / ٢٥٠، ابن الجزري: غاية، ١ / ٣٦٥، النعيمي: =

هما: «كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية»[1] و«كتاب ذيل الروضتين»[2] ولا ندري فيما إذا كان الذهبي قد اختصر الكتابين، أم أنه اقتصر على الأصل؟ وإن كنا نرجح الأول لاشتهار تاريخ أبي شامة وشمول الكتابين، أعني الأصل والذيل، ولإكثار الذهبي من النقل عن الاثنين من غير تمييز بحيث كان يطلق على نقوله عن أبي شامة لفظ «تاريخ».

١٩٤ ـ مختصر كتاب الزهد للبيهقي[3]:

ذكره ابن تغري بردي[4] وسبط ابن حجر[5] وابن العماد[6]. ولم نقف على مختصر الذهبي. ويعرف كتاب البيهقي بكتاب «الزهد الكبير».

وقد ذكر بروكلمان أنه توجد نسخة منه في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة[7]. ووقفنا بأخرة على نسخة مصورة منه[8].

= تنبيه، ١ / ٢٣، السبكي: الطبقات، ٨ / ١٦٥، اليونيني: ذيل، ٢ / ٣٦٧، اليافعي، مرآة، ٤ / ١٦٤، ابن شاكر: فوات، ١ / ٥٢٧ ـ ٥٢٩، المقريزي: السلوك، ١ / ٥٦٢، ابن العماد: شذرات، ٥ / ٣١٨.

(١) طبع في القاهرة سنة ١٢٨٧هـ.

(٢) طبع في القاهرة سنة ١٣٦٦هـ، وسماه ناشره تجوزًا «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» مع أن الكتاب في الحوادث والوفيات.

(٣) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري المتوفى سنة ٤٥٨هـ، وقد مر التعريف به. وطبع كتابه بتحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت (١٤٠٨هـ).

(٤) المنهل الصافي، الورقة ٧١.

(٥) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٦) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٧) تاريخ التراث العربي، ١ / ١٦١٩ (بالألمانية). وانظر أيضًا مجلة جمعية المستشرقين الألمان، م٩٠ / ١١٣.

(٨) في خزانة الحاج صبحي السامرائي، صورت عن مكتبة عارف حكمت، وكان معهد المخطوطات قد صور نسخة منها لكنها لم تظهر في فهارسه.

١٩٥ ـ مختصر كتاب سلاح المؤمن لابن الإمام:

ذكره ابن حجر[١] وسبطه[٢] وابن تغري بردي[٣] وابن العماد[٤] وحاجي خليفة[٥] والبغدادي[٦]. وكتاب «سلاح المؤمن في الأدعية المأثورة» لتقي الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن علي بن همام المصري الشافعي المعروف بابن الإمام المتوفى سنة ٧٤٥هـ[٧] قال فيه ابن الجزري: إنه «لم يؤلف مثله»[٨]، وقد بوبه مؤلفه على واحد وعشرين بابًا[٩]، وقال ابن حجر: «اشتهر سلاح المؤمن في حياة مصنفه، ورأيت الذهبي قد ظفر به واختصره بخطه في سنة نيف وثلاثين»[١٠]. واختصره غير الذهبي أيضًا[١١]. وطبع مختصر الذهبي في بيروت سنة ٢٠٠١م بتحقيق السيد يوسف أحمد.

١٩٦ ـ مختصر صلة التكملة لوفيات النقلة للحسيني:

ذكر ابن تغري بردي وسبط ابن حجر وابن العماد أن الذهبي اختصر:

---

(١) الدرر الكامنة، ٤ / ٣٢٤.

(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٣) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٤) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٥) كشف، ٢ / عمود ٩٩٥.

(٦) هدية العارفين، ٢ / عمود ١٥٤.

(٧) الإسنوي: طبقات، ٢ / ١٤٦، ابن الجزري: غاية، ٢ / ٢٤٥، ابن حجر: الدرر، ٤ / ٣٢٣ ـ ٣٢٤، ابن تغري بردي: النجوم، ١٠ / ١٤٦، ابن العماد: شذرات، ٦ / ١٤٤.

(٨) غاية النهاية، ٢ / ٢٤٥.

(٩) نسخة السليمانية بإستانبول (رقم ٢١٩).

(١٠) الدرر، ٤ / ٣٢٤.

(١١) منهم شهاب الدين العرياني. ابن حجر: الدرر، ٤ / ٣٢٤، قال: (ورأيته بخطه، وهو اختصار معتبر مستوف لمقاصده)، وكمال الدين أحمد بن عمر بن أحمد النشائي المتوفى سنة ٧٥٨هـ (السبكي: الطبقات، ٩ / ١٩).

«وفيات الشريف النسابة»[1]. وأخطأ أستاذنا العلامة الدكتور مصطفى جواد يرحمه اللّه حينما ظن أن أصل الكتاب، أعني الوفيات، لمحمد بن أسعد الجواني الشريف العلوي النسابة المشهور المتوفى سنة ٥٨٨هـ[2]، فالذي حفظناه عن أهل التواريخ أن الجواني لم يؤلف كتابًا في «الوفيات» ولا عرف له اشتغال واسع بهذا الفن[3]. والذي نعرفه أن هذا الكتاب لشريف آخر هو: عز الدين أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن الحسيني الحلبي ثم المصري المتوفى سنة ٦٩٥هـ[4]، وقد ذيل به على كتاب «التكملة لوفيات النقلة» لشيخه أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ وسماه «صلة التكملة لوفيات النقلة» ابتدأه من سنة ٦٤١هـ[5] ووقف به عند سنة ٦٧٥هـ. وقال الذهبي في ترجمته من تاريخ الإسلام في وفيات سنة ٦٩٥هـ: «وله وفيات ذيل بها على شيخه المنذري إلى سنة أربع وسبعين وست مئة، هذا الذي اتصل بنا، ولعله ذيّل إلى حين وفاته ولم نره»[6].

---

(١) المنهل الصافي، الورقة ٧٠، سبط ابن حجر: رونق الألفاظ، الورقة ١٨١، وشذرات، ٦ / ١٥٦.

(٢) انظر مقدمة المختصر المحتاج إليه، ١ / ١٥.

(٣) انظر تآليف الجواني وأخباره في: العماد الأصبهاني: خريدة، القسم المصري ١ / ١١٧، ياقوت: معجم البلدان، ٢ / ١٣٧، القفطي: المحمدون، الورقة ٥١، المنذري: التكملة، م١ / ٣٢٥، ابن الصابوني: تكملة، ص ١٠٠، العسجد المسبوك المنسوب للخزرجي، الورقة ٩٧، ابن حجر: لسان، ٥ / ٧٤، ابن تغري بردي: النجوم، ٦ / ١١٩، الزبيدي: التاج، ٩ / ١٦٩.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٢٤٣ (أياصوفيا ٣٠١٤)، ابن الجزري: التاريخ، م٢ / الورقة ٤٧.

(٥) مع أن كتاب التكملة لا يقف إلا في أثناء سنة ٦٤٢هـ (انظر المجلد الثامن من الطبعة الماجستيرية بتحقيقنا).

(٦) الورقة ٢٤٣ (أياصوفيا ٣٠١٤). وفي خزانة كتبي نسخة مصورة عن النسخة الفريدة المحفوظة في مكتبة كوبرلي بإستانبول (رقم ١١٠١) وهي مسودة المؤلف التي بخطه وعليها=

١٩٧ ـ مختصر الضعفاء لابن الجوزي:

قال الذهبي في مقدمة كتابه «ميزان الاعتدال» عند الكلام على الكتب المؤلفة في الضعفاء: «وصنف أبو الفرج ابن الجوزي كتابًا كبيرًا في ذلك كنت اختصرته أولاً»[١]. وقال السخاوي في الكتب المؤلفة في الضعفاء: «وابن الجوزي، واختصره الذهبي»[٢].

١٩٨ ـ مختصر كتاب الفاروق في الصفات لشيخ الإسلام الأنصاري[٣]:

ذكره ابن تغري بردي[٤] وسبط ابن حجر[٥] وابن العماد[٦]، وذكروا أنه هذبه. ولم نقف على نسخة من الأصل ولا المختصر.

= طبقة سماع على المؤلف مؤرخة في سنة ٦٨٥هـ. وتوهم الدكتور لطفي عبد البديع حينما ظن أن النسخة ناقصة تقف عند سنة ٦٦٠هـ لاضطراب أوراقها، فهي كاملة إلى سنة ٦٧٥هـ (فهرس المخطوطات، ٢ / قسم١ / ١٦٣)، ثم حققتها ونشرتها دار الغرب في مجلدين سنة ٢٠٠٧م.

(١) ميزان الاعتدال، ١ / ٢.

(٢) الإعلان، ص ٥٨٧. وقد أطلعني العالم الفاضل الحاج صبحي السامرائي على ثلاث نسخ مصورة من كتاب «الضعفاء» لابن الجوزي في خزانة كتبه، عن المكتبة السعيدية في الهند، ومكتبة أحمد الثالث بإستانبول، ودار الكتب الظاهرية بدمشق. وطبع بعد بتحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي (بيروت ١٩٨٦م).

(٣) هو شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي المتوفى سنة ٤٨١هـ. كان من كبار علماء الحنابلة بخراسان في عصره، وقد كتب محمد سعيد عبد المجيد الأفغاني رسالة دكتوراه عن «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي» لم يوفه حقه فيها (القاهرة، دون تاريخ). وكتابه الفاروق في الصفات ذكره الذهبي (تذكرة، ٣ / ١١٨٤) وابن رجب (الذيل، ١ / ٥١) وابن ناصر الدين (التبيان، الورقة ١٣٢)، وغيرهم، ولعله شرح لكتابه الأربعون في دلائل التوحيد الذي رأينا نسخة مصورة صغيرة منه في معهد إحياء المخطوطات (رقم ٤٣ حديث).

(٤) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٥) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٦) شذرات، ٦ / ١٥٦.

١٩٩ ـ مختصر كتاب القدر للبيهقي[١]:

ذكره الصفدي[٢] وابن تغري بردي[٣] وسبط ابن حجر[٤] وابن العماد[٥]، وذكروا أنه في ثلاثة أجزاء، وقال ابن شاكر الكتبي: إنه في مجلد[٦]. ولا نعرف اليوم نسخة منه. طبع بتحقيق محمد عبد اللّٰه آل عامر، مكتبة العبيكان ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٠٠ ـ مختصر مجلس الهروي:

منه نسخة خطية بالمكتبة الظاهرية ٥٥ / ١١، ومصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢٠١ ـ المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد اللّٰه محمد بن سعيد ابن محمد ابن الدُّبيثي:

ذيّل ابن الدبيثي[٧] في تاريخه على «ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد» لأبي سعد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ. وعلى هذا الأساس كان يجب أن يكون عنوان الكتاب حتى ينطبق على نطاقه وفحواه «ذيل ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد». على أن الذي جاء في أقدم النسخ الخطية التي كتبت في حياة المؤلف هو «ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد»، ويصح هذا العنوان تجوزًا، وهو الذي اشتهر عند المؤرخين من بعده. وقد سار ابن الدبيثي على خطة أبي سعد السمعاني ومن

---

(١) توفي سنة ٤٥٨هـ وقد مر ذكره. أما كتاب القدر فطبع سنة ٢٠٠٠م بتحقيق محمد عبد اللّٰه آل عامر (منشورات مكتبة العبيكان).

(٢) الوافي، ٢ / ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٣.

(٣) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٤) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٥) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٦) عيون التواريخ، الورقة ٨٧.

(٧) توفي سنة ٦٣٧هـ. انظر تفاصيل سيرته في بحثنا: ابن الدبيثي، المجلة التاريخية العدد ٣ بغداد ١٩٧٤م، ص ١١ ـ ٢٥.

قبله الخطيب البغدادي في نطاق التراجم ونوعيتها ووصل به إلى زمانه لكن نشرتَه الأخيرة تقف عند سنة ٦٢١هـ[١].

وقد أخذ شمس الدين الذهبي تاريخ ابن الدبيثي ولخصه في نصفه تقريبًا وذلك سنة ٧٠٤هـ[٢]. وبقيت النسخة التي بخط الذهبي إلى يومنا هذا، وهي محفوظة بدار الكتب المصرية[٣].

وقد حافظ الذهبي في اختصاره على شخصية المؤلف الأصلي لكنه لم يذكر جميع التراجم بل انتقى منها ما تهوى إليه نفسه، ولا سيما المحدثين، فهو قد يترك شاعرًا مشهورًا أو كاتبًا قديرًا ولا يترك محدثًا مغمورًا[٤]. على أنه خرّج كثيرًا من تراجمه وزاد عليها لا سيما تلاميذ المترجَم، وقد أشار إلى ذلك بخطه على طرة المختصر، فقال بعد ذكر عنوان الكتاب: «وفيه زيادة فوائد في التراجم له ولشيوخ آخرين»[٥]. وكتب الذهبي أغلب هذه التخريجات في هامش النسخة، وقد أدخلها المحقق في صلب الكتاب عند طبعه[٦].

---

(١) انظر التفاصيل في كتابنا: تاريخ بغداد لابن الدبيثي، منهجه، موارده، أهميته. (بغداد ١٩٧٤م). وقد حققناه وعلقنا عليه وتبنت وزارة الإعلام العراقية نشره بنفقاتها فظهر المجلد الأول منه سنة ١٩٧٤م في سلسلة إحياء التراث (رقم ٣٦). ثم أتممنا تحقيقه بدار هجرتنا عمان البلقاء ونشرته دار الغرب الإسلامي في خمسة مجلدات سنة ٢٠٠٧م.

(٢) انظر الذهبي: المختصر المحتاج إليه، الورقة ١٣٢ (نسخة دار الكتب المصرية رقم ٣٢٤ تاريخ).

(٣) رقم ٣٢٤ تاريخ وهي في ١٣٢ ورقة. وقد صور المجمع العلمي العراقي نسخة مكبرة منه وضمها إلى خزانة كتبه، وعلى هذه النسخة المكبرة حقق شيخنا الدكتور مصطفى جواد يرحمه اللّه الكتاب فظهر الجزء الأول سنة ١٩٥١م، ثم الجزء الثاني سنة ١٩٦٣م، وما زال الجزء الثالث وهو الأخير لم يطبع بعد مع أن محققه قد أتمه قبل وفاته. وقد عهد المجمع أخيرًا إلى عضوه العامل الدكتور ناجي معروف بالإشراف على طبعه لنشره، فقام بذلك وظهر المجلد الثالث.

(٤) انظر مقدمتنا لتاريخ ابن الدبيثي (م١ / ٥٥ من المقدمة).

(٥) نسخة دار الكتب المصرية، رقم ٣٢٤ تاريخ.

(٦) انظر مثلاً، ١ / ٨، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٥، ٤٠، ٤٢، ٤٤، ٤٦، =

٢٠٢ ـ مختصر المدخل إلى كتاب السنن للبيهقي[١]:

ذكره سبط ابن حجر[٢]، ولا نعرف شيئًا عن مختصر الذهبي[٣].

٢٠٣ ـ مختصر كتاب المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم:

ذكره الصفدي[٤] والسبكي[٥] والزركشي[٦] والعيني[٧] وحاجي خليفة[٨].

وقد حاول الحاكم في مستدركه هذا أن يورد أحاديث على شرط البخاري ومسلم مما لم يذكراه في صحيحيهما، وأثار كتابه هذا نقاشًا طويلاً بين المحدثين امتد فترات طويلة تناولت صحة الأحاديث الواردة فيه، لوجود عدد كبير منها ليست على شرط الصحة، بل فيه أحاديث موضوعة[٩]، حتى قال الذهبي: «وليته لم يصنف المستدرك، فإنه غض من فضائله بسوء تصرفه»[١٠].

وطبع كتاب «المستدرك» وبهامشه مختصر الذهبي[١١]. والكتاب مليء

= ٤٧ . . . إلخ.

(١) أبو بكر أحمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٥٨هـ وقد مر.

(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٣) أما كتاب «المدخل إلى كتاب السنن» للبيهقي فقد أخبرني شيخنا الحاج صبحي السامرائي فيما كتب إليّ أن معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية قد صور نسخة منه عن نسخة مخزونة في مكتبة الجمعية الآسيوية في كلكتا، وطبع بعد بتحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ونشرته مكتبة أضواء السلف سنة ١٤٠٤هـ.

(٤) الوافي، ٢ / ١٦٤.

(٥) الطبقات، ٩ / ١٠٥، ونقل منه في ٤ / ١٦٧.

(٦) عقود الجمان، الورقة ٧٩.

(٧) عقد الجمان، الورقة ٣٧ (أحمد الثالث ٢٩١١).

(٨) كشف الظنون، ٢ / عمود ١٦٧٢.

(٩) انظر تفاصيل ذلك في ترجمة الحاكم من طبقات السبكي، ٤ / ١٦١ ـ ١٧١، وتذكرة الحفاظ، ٣ / ١٠٤٢ فما بعد وغيرهما.

(١٠) تذكرة الحفاظ، ٣ / ١٠٤٢.

(١١) طبع في حيدرآباد سنة ١٣٣٥هـ.

بالأحاديث الموضوعة والتالفة والضعيفة، والذهبي الذي خبر الكتاب يذكر في السير أن قطعة من الكتاب فقط هي نحو ربعه إسنادها صالح وحسن وجيد، وباقي الكتاب مناكير وعجائب، وفي غضون ذلك أحاديث نحو المئة يشهد القلب ببطلانها «كنتُ قد أفردت منها جزءًا»[1]. والملاحظ أن الذهبي قد تكلّم على بعض الأحاديث ولكن لم يكن من وكده تتبعها، وما يذكره من تصحيح أو على شرط الشيخين أو أحدهما إنما يذكره على لسان الحاكم، وليس من كلامه، كما أثبتت الدراسة التي قام بها تلميذي الشهيد النجيب الدكتور عبد العزيز الداني النعيمي في دراسة مستوعبة له.

٢٠٤ ـ مختصر المستدرك للهروي:

ذكره الذهبي في ترجمة أبي ذر الهروي من السير فقال: «له مستدرك لطيف في مجلد على الصحيحين علقتُ منه يدل على معرفته»[2].

٢٠٥ ـ مختصر مسند عمر للإسماعيلي:

ذكره الذهبي في ترجمة الإمام أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن العباس الإسماعيلي الجرجاني المتوفى سنة ٣٧١هـ من «تذكرة الحفاظ» فقال: «صنف الصحيح وأشياء كثيرة من جملتها مسند عمر رضي اللّه عنه، هذبه في مجلدين، طالعته وعلقت منه . . .»[3].

٢٠٦ ـ مختصر كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب[4] للمراكشي[5]:

ذكره الذهبي في ترجمة ابن تومرت المتوفى سنة ٥٢٤هـ من «تاريخ

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٧٥، وقد جمع الذهبي هذه الموضوعات في تصنيف مستقل كما ذكرنا.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٥٩ ـ ٥٦٠، وتذكرة الحفاظ ٣ / ١١٠٦.

(٣) تذكرة الحفاظ ٤ / ٩٤٨.

(٤) طبع، ومنها طبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٤٩م، وطبعة العريان سنة ١٩٦٣م.

(٥) محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي المتوفى سنة ٦٤٧هـ (انظر مقدمة كتاب المغرب، والزركلي: الأعلام، ٤ / ٢٣٦).

الإسلام» فقال: «ونقل عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي في كتاب المعجب الذي اختصرته أن ابن تومرت رحل إلى بغداد. . .»[1].

٢٠٧ ـ مختصر كتاب معرفة المجروحين والضعفاء من المحدثين:

منه نسخة في خزانة كتب الإسكوريال ٢ / ٢٠٩، ذكرها الأستاذ سزكين ١ / ١٩٠.

٢٠٨ ـ مختصر مناقب سفيان الثوري لابن الجوزي:

ذكره الذهبي في ترجمة أبي عبد اللّه سفيان الثوري من «تذكرة الحفاظ» فقال: «قلت: مناقب هذا الإمام في مجلد لابن الجوزي وقد اختصرته»[2].

وطبع في طنطا سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م باسم: مناقب الإمام الأعظم سفيان الثوري.

٢٠٩ ـ مختصر وفيات الأعيان[3] لابن خلكان[4]:

ذكره الذهبي في مقدمة تاريخ الإسلام[5].

٢١٠ ـ مختصر كتاب الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام لابن القطان[6]:

طبع بتحقيق الدكتور فاروق حمادة في دار الثقافة بالمغرب سنة ١٩٨٨م.

---

(١) الورقة ١٦٢ (أياصوفيا ٣٠١٠) وقارن الورقة ٢٦١ من نسخة حلب ٢ / ١٢٢٠.

(٢) تذكرة، ١ / ٢٠٦.

(٣) عنوان الكتاب الكامل هو: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان، وقد طبع مرات عديدة في إيران وأوروبا ومصر وبيروت، وترجم إلى اللغة الإنكليزية، وآخر طبعاته وأدقها هي طبعة المحقق الدكتور إحسان عباس يرحمه اللّه.

(٤) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨٠هـ. انظر المقدمة التي كتبها له الدكتور إحسان عباس في الجزء السابع من طبعته.

(٥) ١ / ١٦ (مطبوعة).

(٦) انظر أعلاه كلامنا على كتاب «الرد على ابن القطان».

٢١١ ـ المستحلَى في اختصار المحلَّى لابن حزم:

كتاب «المحلى»[١] في الفقه لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦هـ، عالم الأندلس في عصره وأحد أئمة الإسلام المشهورين[٢]. وذكر الصفدي[٣] وابن شاكر[٤] والسبكي[٥] والزركشي[٦] وابن تغري بردي[٧] وسبط ابن حجر[٨] وابن العماد[٩] وحاجي خليفة[١٠] والبغدادي[١١] أن الذهبي اختصره في كتاب من ثلاثة أسفار سماه «المستحلى». ونظرًا لأهمية الكتاب فقد عني به عدد من العلماء فاختصروه أيضًا[١٢]. ولا نعرف منه اليوم نسخة.

---

(١) طبع كتاب المحلى في أحد عشر مجلدًا، بتحقيق الشيخ أحمد شاكر.

(٢) انظر ياقوت: إرشاد، ٥ / ٨٦، ابن حجر: لسان، ٤ / ١٩٨ وللذهبي رسالة في سيرته نشرها الأستاذ سعيد الأفغاني في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (م١٦ / ٩ / ١٠).

(٣) نكت الهميان، ص ٢٤٣، والوافي، ٢ / ١٦٤.

(٤) عيون التواريخ، الورقة ٨٦.

(٥) الطبقات، ٩ / ١٠٥.

(٦) عقود الجمان، الورقة ٧٩.

(٧) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٨) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٩) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(١٠) كشف، ٢ / عمود ١٦١٧.

(١١) هدية العارفين، ٢ / ١٥٥.

(١٢) منهم محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن العربي المتوفى سنة ٦٣٨هـ وسماه «المعلى في مختصر المحلى»، وأبو حيان محمد بن محمد الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ وسماه: «الأنور الأجلى في اختصار المحلى». (انظر الصفدي: نكت، ٢٨٣، ابن شاكر: فوات، ٢ / ٥٦١، أبا حيان: البحر المحيط، ٢ / ٣٤ والدكتورة الحديثي: أبو حيان، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١).

٢١٢ ـ معرفة التابعين من الثقات لابن حبان:

يعد كتاب «الثقات»[١] لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ[٢] من أبرز الكتب المؤلفة في «الثقات». وقد رتبه مؤلفه على الطبقات وتناول فيه الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ورتب كل طبقة على حروف المعجم، فقام الذهبي بتلخيص التابعين من كتابه، وقد وقفت على نسخة كاملة منه بخط المؤلف[٣]، قال في أولها: «معرفة التابعين من الثقات لابن حبان، وهو تلخيص من المجلد الثالث[٤] من تاريخه، فإذا كان الرجل معروفًا كتبت اسمه مجردًا، وإذا كان ليس بالمشهور علقت قول المؤلف فيه». وقد حافظ الذهبي على ترتيب المؤلف وكتب تواريخ الوفيات بالأرقام وعلق على بعض التراجم. وقد عَدَّ الذهبي ابن حبان من المتساهلين في الجرح والتعديل[٥]، فابن حبان يعد جميع التابعين المذكورين في كتابه صدوقين يحتج بهم، فإذا وُجِدَ خبر منكر عن أحد الشيوخ من الذين ذكرهم فإن ذلك لا يتعدى خمسة أسباب هي:

١ ـ أن يكون فوق الشيخ المذكور في هذا الكتاب شيخ ضعيف سوى الصحابة.

---

(١) رأيت منه مجلدًا في مكتبة أحمد الثالث رقم (٢٩٩٥) وهو قسم من المجلد الأول. وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق المجلدان الثاني والثالث (رقم ٧١٠، ٧١١ تاريخ) والمجلد الثاني ينقص من أوله شيئًا يسيرًا حيث يبدأ بحرف الباء، أما الثالث فكامل. وقد طبع الجزء الأول منه بحيدرآباد. وقد اعتمد الذهبي على كتاب ابن حبان اعتمادًا عظيمًا في كتابه: تاريخ الإسلام. (ثم طبع الكتاب كاملاً بحيدرآباد ١٩٧٣ ـ ١٩٨٣م).

(٢) انظر الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ١٦ ـ ١٧ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧). ابن حجر: لسان، ٥ / ١١٢ ـ ١١٥ وغيرها.

(٣) لعل الذهبي استعمل نسخة تتكون من أكثر من ثلاثة مجلدات، وإلا فإن المجلد الثاني من نسخة الظاهرية هو الذي تضمن التابعين.

(٤) في خزانة كتبي، وهي مصورة عن نسخة الإسكوريال (رقم ١٦٨٩) وهي في ٤٩ ورقة.

(٥) ذكر ذلك في رسالته «من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» وكما جاء في فتح المغيث للسخاوي، ص ٤٨٢ (ط. الهند).

٢ ـ أن يكون دونه شيخ واه.

٣ ـ أن يكون الخبر مرسلاً لا تلزمنا به الحجة.

٤ ـ أو يكون منقطعًا لا تقوم بمثله الحجة.

٥ ـ أو يكون في الإسناد شيخ مدلس[١].

وقد أخذ الذهبي عليه بعد تلخيص كتابه أمرين، هما:

١ ـ عدم الاستيعاب، فقد فاته خلق من التابعين، وذكر الذهبي أنهم مذكورون في تهذيب الكمال لشيخه المزي.

٢ ـ أنه ذكر في كتابه جماعة ذكرهم ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل لم يمسوا بجرح، ثم قال: «نَعم، الذين ذكرهم كثير منهم لم يوثقوا أو كثير منهم لم يرو عن الواحد منهم غير واحد، وهم على قسمين[٢]: قسم روى عنه ثقة معروف بالتحري في الأخذ، وقسم منهم دون ذلك يروون عن كل ضرب. وقسم منهم ثالث ضعفاء لا يُعرف ذلك التابعي إلا من جهتهم، فالتابعي مجهول والراوي عنه واه فأنى يكون ذلك صدوقًا أو مقبول الرواية!؟»[٣]. وقد طبع الكتاب بأخرة، حققه الشيخ عطا اللّه بن عبد الغفار السندي، ونشر بالرياض سنة ٢٠٠٢م.

٢١٣ ـ المقتضب من تهذيب الكمال للمزي:

قال شمس الدين السخاوي: «وللذهبي أسماء من أخرج لهم أصحاب الكتب الستة في تواليفهم سواها ممن لم يذكرهم في الكاشف»[٤]. وقال البغدادي: «المقتضب من تهذيب الكمال للمزي»[٥]. فالذي يفهم من نص السخاوي أن الذهبي اختصر كتابًا آخر من «تهذيب الكمال» للمزي، خاصًا بأسماء رجال مؤلفات أصحاب الكتب الستة الأخرى. ومعنى هذا أيضًا أنه لم

---

(١) انظر الورقة ٢٧٦ (ظاهرية ٧١٠ تاريخ).

(٢) كان عليه أن يقول: ثلاثة أقسام.

(٣) راجع الورقة ٤٩ (نسختي المصورة).

(٤) الإعلان، ص ٦٠١.

(٥) هدية العارفين، ٢ / ١٥٤.

يتناول رجال الكتب الستة، لذلك فهو لا علاقة له بكتابي «الكاشف» و«المجرد من تهذيب الكمال» اللذين مر ذكرهما.

٢١٤ ـ المقتنى في سرد الكنى:

ذكره الصفدي وسماه في نكت الهميان «المقتنى في الكنى»[(١)]، وفي الوافي «المقتنى من الكنى»[(٢)]، وسماه سبط ابن حجر «المقتنى في سرد الكنى»[(٣)]. اختصره الذهبي من كتاب «الكنى» لأبي أحمد محمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الكرابيسي المعروف بالحاكم الكبير المتوفى سنة ٣٧٨هـ[(٤)]. وكتاب «الكنى» لأبي أحمد الحاكم في أربعة عشر سفرًا[(٥)]، لكنه يصعب الكشف منه لعدم مراعاته ترتيب الكنى على المعجم، لذلك قام الذهبي بعد اختصاره بترتيبه وزاده أشياء أخرى مما ليس فيه[(٦)]، وفرغ من ذلك سنة ٧٣٧هـ[(٧)].

وطبع الكتاب بتحقيق الشيخ محمد صالح عبد العزيز المراد، ونشرته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٨هـ.

---

(١) ص ٢٤٣.

(٢) ٢ / ١٦٤.

(٣) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٤) الذهبي: تذكرة، ٣ / ٩٧٦ ـ ٩٧٨، الصفدي: نكت، ص ٢٧٠، والوافي: ١ / ١١٥، ابن العماد: شذرات، ٣ / ٩٣.

(٥) رأينا منه نسخة خطية ناقصة في خزانة كتب الأزهر وعند الحاج صبحي السامرائي مصورة منه، وقد وصفه في كتابه: الكمال في تاريخ علم الرجال (مخطوط).

(٦) انظر مقدمة نسخة فيض الله رقم ١٥٣١. ومما تجدر الإشارة إليه أنه زاد عليه في آخره جزءًا في كنى النساء.

(٧) رأينا من كتاب المقتنى للذهبي نسخة في المكتبة الأحمدية بحلب (برقم ٣٢٨) وأخرى في مكتبة فيض الله باستانبول (رقم ١٥٣١) وثالثة في مكتبة الأوقاف ببغداد (برقم ١ / ٩٧٢ مجاميع). (وانظر حاجي خليفة: كشف، ٢ / عمود ١٤٥٣).

٢١٥ ـ المنتخب من تاريخ ابن النجار:

قال سبط ابن حجر: «وانتخب كثيرًا من تاريخ ابن النجار في مجلد»[١] وتاريخ محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار، البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣هـ هو «التاريخ المجدَّد لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من علماء الأنام»، وهو تاريخ حافل يقع في ثلاث مئة جزء حديثي ذيل به على تاريخ الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ ووصل به إلى زمانه[٢].

٢١٦ ـ (فوائد) من تاريخ الظهير الكازروني:

هو ظهير الدين علي بن محمد بن محمود الكازروني المؤرخ المشهور المتوفى سنة ٦٩٧هـ، قال الذهبي في المعجم المختص: «علقتُ فوائد من تاريخه»[٣]. وقد وجدت الكثير من هذه الفوائد ملحقة بخطه في حواشي نسخته من تاريخ الإسلام، لا سيما في القسم الأخير منه.

٢١٧ ـ منتخب من حديث يحيى بن إسحاق بن خليل الشيباني المقدسي[٤]:

ذكره في معجم شيوخه الكبير فقال: «أخبرنا يحيى بن إسحاق الفقيه

---

(١) ابن حجر: رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٢) انظر التفاصيل في كتابنا: تواريخ بغداد، ص ١٢ فما بعد. وقد أتى الزمان على هذا السفر النفيس فلم يصل إلينا اليوم منه غير مجلدين: المجلد العاشر في دار الكتب الظاهرية بدمشق، والحادي عشر بدار الكتب الوطنية في باريس، وهما من أصل نسخة أظنها تتكون من خمسة عشر مجلدًا، وفي خزانة كتبي نسختان مصورتان لهذين الجزءين. وبقي من هذا الكتاب أيضًا مجيليد انتقاه شهاب الدين الدمياطي المتوفى سنة ٧٤٩هـ سماه المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، منه نسخة بخطه. وقد طبع المجلدان المذكوران بالهند طبعة سقيمة جدًا. أما المستفاد فحققه تلميذي الأستاذ محمد مولود خلف بإشرافي، ونشرته مؤسسة الرسالة في بيروت سنة ١٩٨٦م.

(٣) المعجم المختص، ص ١٧٢.

(٤) توفي سنة ٧٢٤هـ.

بانتخابي له سنة أربع عشرة وسبع مئة»[1].

٢١٨ ـ المنتخب من الرد على الجهمية لابن أبي حاتم الرازي:

ذكره الذهبي في ترجمة ابن أبي حاتم الرازي من السير فقال: «له كتاب نفيس في الجرح والتعديل أربع مجلدات، وكتاب الرد على الجهمية مجلد ضخم انتخبتُ منه»[2].

٢١٩ ـ المنتقى من الأحاديث المختارة للضياء المقدسي[3]:

ذكره ابن حجر في المعجم المفهرس، فقال: «وأخبرنا بمنتقى الذهبي من المختارة أبو العباس... إلخ»[4].

٢٢٠ ـ منتقى من الاستيعاب في معرفة الأصحاب[5] لابن عبد البر:

ذكره الذهبي في أثناء ترجمة أبي رفاعة العدوي من الطبقة الرابعة من «تاريخ الإسلام»، فقال: «أخباره في الطبقات[6]، علقتها في منتقى الاستيعاب»[7].

٢٢١ ـ المنتقى من أسماء الرجال للسليماني[8]:

ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ، فقال في ترجمته: «وقفت له على تأليف في أسماء الرجال وعلقت منه»[9].

---

(١) معجم الشيوخ، ٢ / ٣٦٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٦٤.

(٣) توفي سنة ٦٤٣هـ.

(٤) المعجم المفهرس، ص ١٤٢.

(٥) كتاب الاستيعاب من المصنفات الجليلة في الصحابة، وقد طبع، ومنها طبعة البجاوي في أربعة مجلدات بالقاهرة (دون تاريخ).

(٦) لعله يريد طبقات ابن سعد (٧ / ٤٨ ـ ٤٩ ط. ليدن).

(٧) ٢ / ٢٥٤ (مطبوعة).

(٨) هو أبو الفضل أحمد بن علي بن عمرو البيكندي المتوفى سنة ٤٠٤هـ.

(٩) تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٣٦.

٢٢٢ ـ المنتقى من تاريخ أبي الفدا[١]:

قال السخاوي: «للمؤيد صاحب حماة تاريخ انتقى منه الذهبي»[٢] قلت: وتاريخ أبي الفدا يعرف بـ«المختصر في أخبار البشر»[٣] أورد فيه شيئًا من التواريخ القديمة، ثم تناول التاريخ الإسلامي بحسب السنين معتمدًا ابن الأثير حتى سنة ٦٢٨هـ، وانتهى فيه إلى سنة ٧٢١هـ. والأقسام الأخيرة منه هي الأكثر أهمية، ولم يصل إلينا انتقاء الذهبي.

٢٢٣ ـ المنتقى من تاريخ خوارزم لابن أرسلان الخوارزمي[٤]:

نقل منه تقي الدين الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢هـ في «العِقد الثمين» فقال في ترجمة محمد بن أحمد بن أبي سعيد المكي المتوفى سنة ٥٥٣هـ: «نقلت هذه الترجمة هكذا من خط الحافظ الذهبي، فيما انتقاه المجلد الأول من تاريخ خوارزم للحافظ الرحّال محمود بن محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمي، وذكر (الذهبي) أنه نحو من ثماني مجلدات كبار»[٥]، وذكره السخاوي عند كلامه على التواريخ المحلية فقال: «خوارزم ـ للإمام الحافظ أبي محمد محمود بن محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمي صاحب كتاب «الكافي» في الفقه عصري أبي القاسم ابن عساكر وهو نحو ثماني مجلدات، انتقى منه الحافظ الذهبي»[٦] وذكر حاجي خليفة أن الذهبي اختصره[٧]. وعبارة حاجي خليفة تفيد اختصاره لجميع الكتاب، ولا يصح ذلك، فالصواب ما ذكره التقي الفاسي.

---

(١) الملك المؤيد أبو الفدا إسماعيل بن علي الأيوبي صاحب حماة المتوفى سنة ٧٣٢هـ، وقد مر ذكره.

(٢) الإعلان، ص ٦٧٤.

(٣) طبع أكثر من مرة منها طبعة إستانبول سنة ١٢٨٦هـ.

(٤) توفي سنة ٥٦٨هـ (انظر هامش الإعلان، ص ٦٣٠).

(٥) العقد الثمين، ١ / ٢٩٢.

(٦) الإعلان، ص ٦٣٠.

(٧) كشف الظنون، ١ / عمود ٢٩٣.

٢٢٤ ـ المنتقى من الجرح والتعديل للعجلي[(١)]:

قال الذهبي في ترجمة العجلي من السير: «وله مصنف مفيد في الجرح والتعديل طالعته، وعلقتُ منه فوائد تدل على تبحره بالصنعة وسعة حفظه»[(٢)].

٢٢٥ ـ المنتقى من جزء الأبرقوهي[(٣)]:

ذكره الروداني في صلة الخلف فقال: «مجلس من حديث أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي انتقاء الذهبي به»[(٤)].

٢٢٦ ـ المنتقى من جزء أبي الجهم[(٥)]:

ذكره الروداني في صلة الخلف فقال عند ذكره للكتاب: «منتقى الحافظ الذهبي منه»[(٦)].

٢٢٧ ـ المنتقى من حديث ابن الفرات[(٧)]:

منه نسخة خطية في الظاهرية رقم ٨٩ (مجموع ٥١) ونسخة مصورة في مركز الملك فيصل بالرياض رقم (٦٦٦٥٦).

٢٢٨ ـ المنتقى من حديث القاسم بن يوسف التجيبي السبتي[(٨)]:

قال الذهبي في ترجمته من المعجم المختص: «انتقيت له مئة حديث عن

---

(١) أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي نزيل مدينة أطرابلس المغرب المتوفى سنة ٢٦١هـ.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٥٠٦.

(٣) شهاب الدين أبو المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي نزيل مصر، كان أبوه قاضي أبرقوه من عمل شيراز، توفي سنة ٧٠١هـ (ابن حجر: الدرر الكامنة ١ / ١٠٩).

(٤) صلة الخلف، ص ٣٩٧.

(٥) أبو الجهم هو العلاء بن موسى بن عطية البغدادي المتوفى سنة ٢٢٨هـ (الخطيب: تاريخ ١٤ / ١٦١ بتحقيقنا، الذهبي: تاريخ الإسلام ٥ / ٦٥٠ بتحقيقنا). وجزء أبي الجهم حققه الدكتور عبد الرحيم القشقري، وصدر عن مكتبة الرشد بالرياض سنة ١٤٢٠هـ.

(٦) صلة الخلف، ص ٤٠٠.

(٧) أبو مسعود بن الفرات الرازي.

(٨) توفي في حدود سنة ٧٣٠هـ.

مئة شيخ»[1].

٢٢٩ ـ المنتقى من الرد على الجهمية للدارمي:

منه نسخة خطية في مكتبة جامعة برنستن وعنها صورة في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، رقم (٣ / ١٨٥). وذكر الذهبي في السير أنه روى أصل الكتاب[2].

٢٣٠ ـ المنتقى من عوالي القونوي[3]:

ذكره نجم الدين عمر بن فهد في معجم الشيوخ[4].

٢٣١ ـ المنتقى من كتاب الأموال لأبي عُبيد[5]:

ذكره الروداني في صلة الخلف[6].

٢٣٢ ـ المنتقى من المجالسة للدينوري:

منه نسخة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ٢ / ١٢٩.

٢٣٣ ـ المنتقى من مسند[7] أبي عوانة[8]:

سمعه ابن حجر على تقي الدين الصالحي المتوفى سنة ٨٠٣هـ، وقال:

---

(١) المعجم المختص، ص ١٩٤، ونقله عنه ابن حجر في الدرر.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣٢٠.

(٣) علاء الدين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي المتوفى بدمشق سنة ٧٢٩هـ (السبكي: طبقات ١٠ / ١٣٢ وفيه مصادر كثيرة).

(٤) معجم الشيوخ، ص ٣٤٨.

(٥) القاسم بن سلام، المشهور، وكتابه الأموال بين أيدي الناس.

(٦) صلة الخلف، ص ٣٩٩.

(٧) هو المسند المخرج على صحيح مسلم وملحق به زيادات، وقد طبع في حيدرآباد سنة ١٩٤٣م باسم «مسند أبي عوانة». وطبع القسم المفقود بتحقيق أيمن عارف الدمشقي (مكتبة السنة بالقاهرة سنة ١٤١٦هـ).

(٨) أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري ثم الإسفراييني الشافعي المتوفى سنة ٣١٦هـ (الذهبي: تذكرة، ٣ / ٧٧٩ ـ ٧٨٠).

«وهو جزء كبير يشتمل على مئتين وثلاثين حديثًا»[1].

٢٣٤ ـ المنتقى من مسند[2] عبد بن حُميد[3]:

سمعه ابن حجر على أبي بكر بن إبراهيم ابن العز محمد بن قدامة المقدسي المعروف بالفرائضي المتوفى سنة ٨٠٣هـ فقال: «جزء فيه منتقى من مسند عبد ابن حميد، انتقاء الذهبي بسماعه على الحجّار»[4].

٢٣٥ ـ المنتقى من مشيخة ابن عبد الدائم المقدسي[5]:

ذكره الوادي آشي في برنامجه فقال: «مشيخة زين الدين أبي العباس أحمد ابن عبد الدائم... سمعت منها قطعة على الشيخ علاء الدين أبي الحسن بن غانم كان انتقاها الشيخ شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن عثمان الذهبي»[6].

٢٣٦ ـ المنتقى من معجم شيوخ ابن مُسْدي[7]:

ذكره الذهبي في ترجمة ابن مسدي من «تذكرة الحفاظ» فقال: «عمل

---

(١) المجمع المؤسس، الورقة ٧٥ (نسختي).

(٢) لم يصل إلينا «مسند» عبد بن حميد، لكنني رأيت انتخابات منه لأبي طاهر السلفي مصورة في خزانة كتب الحاج صبحي السامرائي. وذكر سزكين مجموعة من المختارات منه (تاريخ التراث العربي، ١ / ٣٠٣ ـ ٣٠٤). ثم حققه الحاج صبحي بمشاركة محمود الصعيدي وطبع بالقاهرة سنة ١٩٨٨م.

(٣) أبو محمد عبد بن حميد الكسي المتوفى سنة ٢٤٩ (الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٣٤، ابن حجر: تهذيب، ٦ / ٤٥٥ ـ ٤٥٧ وغيرها).

(٤) المجمع المؤسس، الورقة ٤٩ (نسختي). والحجار شيخ الذهبي، هو أحمد بن أبي طالب الديرمقرني الصالحي شيخ الرواة ومسند عصره وأعظم رواة الجامع الصحيح للبخاري في عصره على الإطلاق، وكان من المعمرين، ولد في حدود سنة ٦٢٤هـ وتوفي سنة ٧٣٠هـ (الذهبي: أهل المئة، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ وتعليقنا عليه).

(٥) أحمد بن عبد الدائم، وعندي نسخة مصورة من مشيخة ابن عبد الدائم، وهي من تخريج جمال الدين ابن الظاهري.

(٦) البرنامج، ص ٣٢٢.

(٧) جمال الدين محمد بن يوسف المعروف بابن مُسْدي الأندلسي الغرناطي نزيل مكة المكرمة والمتوفى بها سنة ٦٦٣هـ (الحسيني: صلة التكملة، الترجمة ٩٦٧ وتعليقنا عليها).

معجمًا في ثلاث مجلدات كبار رأيته وطالعته وعلقتُ منه كراريس»[١].

٢٣٧ ـ المنتقى من معجم شيوخ المنذري[٢]:

ذكر الكتاني في فهرس الفهارس أن الذهبي انتقى منه جزءًا[٣].

٢٣٨ ـ المنتقى من معجم شيوخ يوسف بن خليل الدمشقي[٤]:

جمع ابن خليل لنفسه معجمًا عن أزيد من خمس مئة شيخ، قال الذهبي: «سمعته من ابن الظاهري»[٥]، ونقل عنه كثيرًا من تراجم أهل بغداد[٦] والموصل[٧] وأصبهان[٨] ودمشق[٩] ومصر[١٠]، وانتقى منه جزءًا سمعه الحافظ ابن حجر العسقلاني «ت ٨٥٢هـ» على حفيد الذهبي، محمد بن عبد الرحمن بن

---

(١) تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٤٩. وقد أفاد من هذه التعاليق في تاريخ الإسلام وفيما زاده على التراجم عند اختصاره لكتاب التكملة لابن الأبار (تنظر مقدمتنا للمستملح).

(٢) زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ، ولنا كتاب مطبوع عنه بعنوان (المنذري وكتابه التكملة، النجف ١٩٦٨م).

(٣) فهرس الفهارس ٢ / ٥٦٣.

(٤) الحافظ شمس الدين أبو الحجاج يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله الدمشقي نزيل حلب المتوفى سنة ٦٤٨هـ، كان أحد كبار المحدثين الحنابلة. وقد اشتهر برحلاته إلى بغداد ومصر وأصبهان، وتفرد بأشياء كثيرة. (الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٩١ ـ ٩٢ أياصوفيا ٣٠١٣، ابن رجب: الذيل، ٢ / ٢٤٤ ـ ٢٤٥، وابن العماد: شذرات ٥ / ٢٤٣).

(٥) تاريخ الإسلام، الورقة ٩١ (أياصوفيا ٣٠١٣).

(٦) انظر مثلاً تاريخ الإسلام، الورقة ٤، ١٢، ١٧، ٢٨، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٥٨، ٧٩، ١٠٤، ١١٣، ١٥٣... إلخ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٧) المصدر نفسه، الورقة ١٠، ١٨.

(٨) المصدر نفسه، الورقة ١٢، ١٣، ١٧، ٤٣، ٤٧، ٩٠، ١٠٥.

(٩) المصدر نفسه، الورقة ٥، ٧، ٨، ٩، ١٤، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٧٥، ٨٧، ١٢٢، ١٣٠... إلخ.

(١٠) المصدر نفسه، الورقة ٨، ١١، ٦٩، ١٢٨.

محمد بن أحمد بن عثمان (٧٣٢ ـ ٨٠٣هـ)[(١)] وعلى سبطه عبد القادر بن محمد ابن علي بن عمر بن نصر الله بن عبد الله الدمشقي (٧٢٩ ـ ٨٠٣هـ)، فقال ذاكرًا مسموعاته: «وجزءًا فيه منتقى من معجم يوسف بن خليل انتقاء الذهبي بسماعه على جده الذهبي المنتقي المذكور، قال: أخبرنا أبو العباس ابن الظاهري، قال: أخبرنا ابن خليل»[(٢)].

٢٣٩ ـ المنتقى من معجمي[(٣)] الطبراني الأوسط[(٤)] والكبير[(٥)] ومن مسند المقلِّين لدَعْلج[(٦)]:

رأيت قطعة منه في الظاهرية[(٧)]، وهي مجموعة أحاديث انتقاها الذهبي من هذه الكتب الثلاثة وتكلم عليها وعلى رواتها.

٢٤٠ ـ المنتقى من معرفة الصحابة لابن مندة:

عني أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن مندة العبدي الأصبهاني المتوفى

---

(١) المجمع المؤسس، الورقة ١٥٥ (نسختي).

(٢) المصدر نفسه، الورقة ٩٩ (نسختي).

(٣) فهرس الألباني: معجم، ولا يستقيم المعنى بها. (ص ٢٨٤).

(٤) تناول الطبراني في معجمه الأوسط غرائب شيوخه. وقد رأيت القسم الأخير منه في كوبرلي (رقم ٤٥٤)، وقد صوره معهد إحياء المخطوطات، ويقع في ٣٣٣ ورقة، وفي خزانة الحاج صبحي السامرائي نسخة منه. ثم نشره الطحان في أحد عشر مجلدًا.

(٥) وهو معجم خاص بأسماء الصحابة، ونسخه كثيرة، رأينا منه نسخة أحمد الثالث (رقم ٤٦٥). ثم حققه صديقنا وشيخنا الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي الأنكصوري، ونشرته وزارة الأوقاف العراقية بطبعتين.

(٦) دعلج بن أحمد بن دعلج، أبو محمد السجزي الأصل البغدادي المتوفى سنة ٣٥١هـ. انظر: الخطيب: تاريخ بغداد، ٨ / ٣٨٧ ـ ٣٩٢، ابن الجوزي: المنتظم، ٧ / ١٠ ـ ١٤، الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٢ ـ ٣ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧).

(٧) وهي قطعة صغيرة في سبع أوراق (تقع في ضمن مجموع برقم ٧١). وفي خزانة الحاج صبحي السامرائي نسخة مصورة منها، أما عن صحة نسبة هذا المنتقى فراجع الألباني: فهرس، ص ٢٨٤ هامش ١.

سنة ٣٩٥هـ[١] بالصحابة فألف: «معرفة الصحابة»[٢] و«جزء فيمن عاش من الصحابة مئة وعشرين»[٣]. وقد انتقى الذهبي من كتاب «معرفة الصحابة» مجيليدًا في جزءين، سمعه الحافظ ابن حجر على ابنه أبي هريرة عبد الرحمن ابن الذهبي، فقال ذاكرًا مسموعاته على أبي هريرة: «ومنتقى الذهبي من معرفة الصحابة، في جزءين، سمعها على أبي القاسم ابن عساكر بإجازته من محمود بن إبراهيم بن مندة، قال: «أخبرنا أبو الخير الباغبان، قال: أخبرنا عبد الوهاب بن أبي عبد اللّه بن مندة، قال: أخبرنا أبي»[٤].

٢٤١ ـ المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال:

انتقاه الذهبي من كتاب «منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال»[٥] لشيخه شيخ الإسلام الإمام أبي العباس أحمد ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ. وقد ألف ابن تيمية كتابه هذا ردًا على كتاب «منهاج الكرامة في

---

(١) أبو نعيم: أخبار أصبهان، ٢ / ٣٠٦، الذهبي: ميزان الاعتدال، ٣ / ٤٧٩ ـ ٤٨٠ وغيرهما.

(٢) رأيت عند الحاج صبحي السامرائي قطعة من هذا الكتاب مصورة عن الظاهرية (رقم ٣٤٤ حديث) ويبدو من هذه الأقسام الباقية أنه رتبه على حروف المعجم، وأفرد الكنى ثم النساء في آخره. (ثم حققه صديقنا الفاضل الدكتور عامر حسن صبري ونشرته جامعة الإمارات سنة ١٤٢٦هـ).

(٣) رأيت نسخة مصورة منه في خزانة الحاج صبحي السامرائي عن نسخة أحمد الثالث (في ضمن مجموع برقم ٦٢٤) وكنت نقلت فوائد من رسالة للسيوطي اسمها «ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مئة وعشرين» ضمن مجموع بدار الكتب المصرية (رقم ٥٢١ مجاميع) فتبين أنه سلخ كتاب ابن مندة فيها، على عادته في سلخ كثير من الكتب ونسبتها إلى نفسه رحمه اللّه.

(٤) المجمع المؤسس، الورقة ٨٨.

(٥) طبع في سنة ١٣٢١هـ بالمطبعة الأميرية الكبرى ببولاق مصر في أربعة أجزاء بعنوان: «منهاج السنة النبوية، في نقض كلام الشيعة والقدرية». ثم حققه محمد رشاد سالم، ونشرته جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض سنة ١٤٠٦هـ.

معرفة الإمامة» تأليف الحسن بن يوسف بن علي المعروف بابن المطهر الحلي المتوفى سنة ٧٢٦هـ الذي صنفه للسلطان ألجياتو بن أرغون المعروف بخُدا بَنْدَة «٦٨٠ ـ ٧١٦هـ». وقال ابن تغري بردي[١] وسبط ابن حجر[٢] وابن العماد[٣]: «واختصر الرد على الرافضي لابن تيمية في مجلد»[٤].

٢٤٢ ـ مهذب السنن الكبرى للبيهقي:

ذكره الصفدي[٥] وابن شاكر الكتبي[٦] والسبكي[٧] والزركشي[٨] والعيني[٩] وابن حجر[١٠] وسبطه[١١] وابن تغري بردي[١٢] والسيوطي[١٣] وابن العماد[١٤] وحاجي خليفة[١٥]. هذبه من كتاب «السنن الكبرى»[١٦] لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ الذي يعد من كتب الحديث النفيسة المرتبة

---

(١) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٣) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(٤) حققه ونشره محب الدين الخطيب، وطبع بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٧٤هـ في ٥٩٢.

(٥) نكت الهميان، ص ٢٤٣، والوافي، ٢ / ١٦٤.

(٦) عيون التواريخ، الورقة ٨٦.

(٧) الطبقات، ٩ / ١٠٤.

(٨) عقود الجمان، الورقة ٧٩.

(٩) عقود الجمان، الورقة ٣٧ (أحمد الثالث ٢٩١١).

(١٠) الدرر الكامنة، ٣ / ٤٢٦.

(١١) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(١٢) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(١٣) طبقات الحفاظ، الورقة ٨٥ (نسخة البلدية بالإسكندرية ٨٢٢ب).

(١٤) شذرات، ٦ / ١٥٦.

(١٥) كشف الظنون، ٢ / عمود ١٠٠٧.

(١٦) طبع في عشرة مجلدات بالهند (١٣٥٣ ـ ١٣٥٥هـ). وأعيد نشره في بيروت بطريقة الأوفست.

ترتيبًا فقهيًا[1]. وقد جاء اختصار الذهبي على قدر نصف الكتاب الأصلي علمًا أنه لم يختصر من أحاديث الكتاب شيئًا، لكنه اختصر الأسانيد وأبقى من السند ما يُعرف به مَخْرجُ الحديث. أما المتون فلم يحذف منها إلا قليلاً من المكررات التي تكون في أبواب قريبة من بعضها. وتكلم الذهبي على أسانيد الكتاب بنفائس تدل على تبحره بهذا الفن. ووضع رموزًا على الحديث لمن خرّجه من أصحاب الصحيحين والسنن الأربع، أما ما لم يرد في هذه الكتب الستة فقد بين إسناده ومخرجه، وطالب القارئ أن يرجع فيه إلى كتب الجرح والتعديل[2].

٢٤٣ ـ نبذة من فوائد تاريخ ابن الجزري[3]:

يعرف تاريخ ابن الجزري بـ «حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر

---

(١) قال تاج الدين السبكي: «أما السنن الكبير فما صنف في علم الحديث مثله، تهذيبًا، وترتيبًا وجودة». الطبقات، ٤ / ٩.

(٢) في خزانة كتبي نسخة نفيسة مصورة عن نسخة مكتبة مدينة الملحقة بطوبقبو سراي بإستانبول ذات الأرقام ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠ لثلاثة أجزاء هي: الأول والثاني والخامس، كتبت سنة ٧٤٠هـ نقلاً عن خط الذهبي. ومجموع أوراق الأجزاء الثلاثة ٨٣٤ ورقة. وقد طبع الكتاب باسم المهذب في اختصار السنن الكبير بالقاهرة بعناية حامد إبراهيم أحمد ومحمد حسين العقبي (دون تاريخ) طبعة رديئة على نسخة بدار الكتب المصرية (رقم ٤٦٧ حديث). ولا أساس للعنوان الذي وضعاه للكتاب، فعنوان نسخة دار الكتب المصرية المذكورة: المهذب مختصر أسانيد السنن الكبرى، وهو عنوان لا يدل على فحوى الكتاب أيضًا. والعنوان الذي ذكرناه أولاً أصح عندنا لانطباقه على عمل الذهبي في الكتاب من جهة ولوروده في نسخة مكتبة مدينة المنقولة عن نسخة بخط المؤلف من جهة أخرى. (ثم طبع بالرياض سنة ٢٠٠١م).

(٣) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري الدمشقي المتوفى سنة ٧٣٩هـ (ابن حجر: الدرر، ٣ / ٣٨٨، الحسيني: ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٢٢، ابن كثير: البداية، ١٤ / ١٨٦، المقريزي: السلوك، ٢ / ٤٧١).

والأعيان من أبنائه»[1] تناول فيه الحوادث والوفيات، وهو من التواريخ الحافلة الغنية بالمعلومات المفصلة[2]. وقال الذهبي في ترجمة حياة بن قيس الحراني الزاهد المشهور المتوفى سنة ٥٨١هـ: «نقلت كثيرًا من ترجمته من تاريخ صاحبنا العدل الجليل شمس الدين أبي المجد محمد بن إبراهيم ابن الجزري، وهو تاريخ مفيد استفدت منه أشياء مطبوعة لا تكاد توجد إلا فيه. وقد كنت انتخبت منه مجلدًا هو الآن ملك الفقيه المحدث الأوحد صاحبنا صلاح الدين خليل بن كيكلدي الشافعي المذهب»[3]. وقد وصل إلينا هذا المجلد الذي انتخبه الذهبي بخطه، ويظهر منه أنه علق على بعض تراجمه وتعجب لبعض الأخبار وعدها من الغرائب والعجائب مستعملاً عبارات التمريض[4]. وحققه السيد خضير عباس المنشداوي ونشرته دار الكتاب العربي في بيروت سنة ١٩٨٨م بعنوان «المختار من تاريخ ابن الجزري».

---

(١) وقفت على قطعتين منه: القطعة الأولى فيها وفيات سنة ٦٨٩ ـ ٦٩٨هـ في المكتبة الوطنية بباريس برقم ٦٧٣٩ عربيات في ٢٩٧ ورقة وتراجمها حافلة، وقد لخصتها بخطي سنة ١٩٦٥م. وقطعة أخرى، وهو الجزء الأخير من تاريخه فيه الحوادث والوفيات من سنة ٧٢٦هـ وينتهي في سنة ٧٣٨هـ وهي في مكتبة كوبرلي بإستانبول برقم ١٠٤٧ في ٦٩٤ صفحة، وقد اقتنيت نسخة مصورة منها. وتوهم الدكتور لطفي عبد البديع حينما قال: إن تاريخ ابن الجزري هو ذيل على تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للذهبي (فهرس المخطوطات المصورة، ٢ / قسم ١ / ٥٨).

(٢) أخذ ابن الجزري كثيرًا من التراجم من تاريخ البرزالي ولا سيما في القسم الأخير منه. وقد أخذ كثيرًا من أخبار الحوادث عن التجار وأرباب الولايات والمتصلين بالدولة. وقد استفاد منه كثيرًا قطب الدين اليونيني في الذيل الذي عمله على مرآة الزمان.

(٣) تاريخ الإسلام، الورقة ٩١ (أحمد الثالث ١٤ / ٢٩١٧) وقارن، الورقة ٢ من نسخة رضا رامبور بالهند (رقم ٣٥٣٣). وتوفي صلاح الدين خليل بن كيكلدي سنة ٧٦١هـ كما هو معروف.

(٤) نسختي المصورة عن نسخة كوبرلي (ذات الرقم ١١٤٧).

٢٤٤ ـ النبلاء في شيوخ السنة:

ذكره سبط ابن حجر[١] وابن تغري بردي[٢] وابن العماد[٣] وقالوا: «أخذه من كتاب ابن عساكر وزاده فوائد ومحاسن»، وذكروا أنه في مجلد. قلت: وكتاب أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ هو «المعجم المشتمل على أسماء الشيوخ النبل»[٤] ذكر فيه باختصار أسماء رجال الكتب الستة ورتبه على حروف المعجم وذكر وفاة من وقع إليه، فأراده أن يكون كالمدخل إلى كتابه «الأطراف». وتوهم أستاذنا الدكتور مصطفى جواد والأستاذ فرانتس روزنتال حينما خلطا بين هذا الكتاب وكتاب «سير أعلام النبلاء» للذهبي[٥].

اثنا عشر: التخاريج:

قام الذهبي بتخريج عدد كبير من معجمات الشيوخ والمشيخات والأربعينات والأجزاء الحديثية الكبيرة والصغيرة، فكان يجمع الشيوخ أو ما حدثوا به من سماعات الشيخ المخرَّج له أو مقروءاته أو مُجازاته في مكان واحد، ويبين طرقها وأسانيدها ويتكلم على رواتها على لسان المخرج له، وهو ما يعرف

---

(١) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٢) المنهل الصافي، الورقة ٧٠.

(٣) شذرات، ٦ / ١٥٥.

(٤) في خزانة كتبي نسخة نفيسة مصورة عن نسخة الخزانة التيمورية رقم ١٧٤٩ كتبت سنة ٦٣٥هـ، وفي خزانة كتب الأوقاف ببغداد نسخة متقنة كتبت سنة ٦٩٧هـ وعليها خطوط جماعة من الفضلاء (رقم ٩٦٣). ومنه أيضًا نسخة كاملة بدار الكتب الظاهرية رقم ٣٨٨ (٣١) حديث كتبت سنة ٧٠٤هـ، وأخرى في حيدرآباد بالآصفية رقم ١٧٢ رجال، ونسخة ناقصة الآخر بدار الكتب المصرية رقم ٣٣٧ مصطلح. وقد حققته الأستاذة الفاضلة سكينة الشهابي ونشر سنة ١٤٠٠هـ بدمشق.

(٥) راجع مقدمة المختصر المحتاج إليه للدكتور مصطفى جواد، ١ / ١٣. وذكر روزنتال مخطوطة سير أعلام النبلاء التي في صنعاء باعتبارها هذا الكتاب (الإعلان، ص ٦٠١ هامش ٦٧).

بالتخريج[١]، فمن ذلك:

أ ـ معجمات الشيوخ[٢]:

٢٤٥ ـ معجم شيوخ ابن البالسي:

هو العالم العدل المسنِد عماد الدين أبو المعالي محمد بن علي بن محمد ابن البالسي الدمشقي الشروطي، ولد سنة ٦٣٨هـ، وتوفي سنة ٧١١هـ. قال الذهبي في معجم الشيوخ: «وجمعت له معجمًا نفيسًا سمعه منه جماعة»[٣]، وقال ابن حجر: «وخرج له الذهبي معجمًا حدث به»[٤]، وذكر سبط ابن حجر مثل هذا في ترجمة الذهبي[٥].

٢٤٦ ـ معجم شيوخ ابن حبيب:

قال الذهبي في معجم شيوخه الكبير: «عمر بن حسن بن عمر بن حبيب، المحدث العالم الأجَلّ زين الدين أبو حفص الدمشقي، ولد تقريبًا سنة ٦٦٣ . . . وقد خرجت له معجمًا كبيرًا مليحًا فيه عن أزيدَ من خمس مئة شيخ. بلغنا موته بمراغة سنة ٧٢٦»[٦]، وذكر سبط ابن حجر أن الذهبي «خرّج معجمًا لابن حبيب»[٧]. وقد رأى شمس الدين السخاوي معجمًا لشيوخ ابن حبيب في المدرسة المؤيدية بالقاهرة[٨] بخط

---

(١) انظر مقدمة كتاب مشيخة النعال البغدادي بتحقيقنا ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد ١٩٧٥م)، ص ٢٢ فما بعد. ومقدمتنا لمعجم شيوخ تاج الدين السبكي.

(٢) تختلف معجمات الشيوخ عن المشيخات بكون الأولى مرتبة على وفق حروف المعجم بينما تتخذ المشيخات أشكالاً أخرى. (انظر الهامش السابق).

(٣) معجم الشيوخ م٢ / الورقة ٥٤.

(٤) الدرر الكامنة، ٤ / ٢٠١.

(٥) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٦) معجم الشيوخ ٢ / ٧١.

(٧) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٨) بنيت هذه المدرسة سنة ٨١٩هـ وهي من آثار القاهرة المشهورة (انظر السيوطي: حسن المحاضرة، ٢ / ١٩٤).

الذهبي[1]، فلعله هو هذا الذي خرجه الذهبي له؟

٢٤٧ ـ معجم شيوخ علاء الدين ابن العطار:

هو المحدث المفتي الصالح علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان الدمشقي الشافعي، ولد سنة ٦٥٤هـ، وتوفي بدمشق سنة ٧٢٤هـ، وهو أخو الذهبي لأمه من الرضاعة، وهو الذي استجاز للذهبي سنة مولده فانتفع الذهبي بعد ذلك بتلك الإجازة انتفاعًا شديدًا، قال الذهبي: «خرّجت له معجمًا»[2]، وقال ابن حجر: «وخرّج له أخوه لأمه من الرضاعة الشيخ شمس الدين الذهبي معجمًا»[3]. وذكر مثل هذا سبط ابن حجر في ترجمة الذهبي من رونق الألفاظ[4].

٢٤٨ ـ المعجم العلي للقاضي الحنبلي:

وهو معجم خرجه الذهبي لقاضي القضاة أبي الفضل سليمان بن حمزة المقدسي الحنبلي المتوفى سنة ٧١٥هـ[5]. سمعه الحافظ ابن حجر على فاطمة بنت محمد بن أحمد أم الحسن الدمشقية التنوخية (٧١٢ ـ ٨٠٣هـ) وذكر أنه في جزءين[6].

ب ـ المشيخات:

٢٤٩ ـ مشيخة التَّلِّي:

ذكرها الذهبي في معجم شيوخه، فقال: «محمد بن أحمد بن تمام بن حسان، الشيخ العالم المقرئ الصالح القدوة الزاهد بركة الوقت، أبو عبد الله

---

(١) الإعلان، ص ٦٠٦.

(٢) معجم الشيوخ، م٢ / ورقة ١، وانظر ذيل العبر، ص ١٣٦.

(٣) الدرر، ٣ / ٧٣.

(٤) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٥) الذهبي: ذيل العبر، ص ٨٥، ابن رجب: الذيل، ٢ / ٣٦٤ ـ ٣٦٦، ابن حجر: الدرر، ٢ / ٢٤١ ـ ٢٤٣.

(٦) المجمع المؤسس، الورقة ١٣٦ ـ ١٣٧ (نسختين).

التلِّي الصالحـي الخياط الحنبلي، ولد سنة إحدى وخمسين وست مئة... ثم انتقيت له مشيخـة فسمعهـا خلـق»[1]. وذكر ابن حجر أن الذهبـي خرّج له جزءًا كبيرًا، وأنه توفـي سنـة ٧٤١هـ[2]، وقال الحسيني: «استوعب الذهبي شيوخه في جزء»[3].

٢٥٠ ـ مشيخة الجعبري:

هو صالح بن تامر بن حامد، القاضي تاج الدين أبو محمد الجعبري الشافعي الفرضي، ولد في حدود سنة ٦٣٠هـ، وتوفي سنة ٧٠٦هـ[4]، ذكر الذهبي أنه خرج له مشيخة[5].

٢٥١ ـ مشيخة ابن الزراد الحريري:

ولد المسند شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي الهيجاء ابن الزراد الحريري الصالحي سنة ٦٤٦هـ، وتوفي سنة ٧٢٦هـ[6]. وذكر الذهبي في ذيل العبر أنه خرّج له مشيخة[7]، وقال الصفدي: «خرج له الشيخ شمس الدين مشيخة»[8]. وذكر الذهبي في معجم شيوخه أن هذه المشيخة تقع في جزء ضخم وهي عن مئة شيخ، وأن ابن الزراد رواها مرات[9].

٢٥٢ ـ مشيخة ابن سعد:

هو أبو زكريا يحيى بن محمد بن سعد بن عبد الّله بن سعد بن مفلح

---

(١) معجم الشيوخ، م٢ / الورقة ٣١.
(٢) الدرر، ٣ / ٤٠١، انظر ابن رجب: الذيل، ٢ / ٤٣٣.
(٣) الذيل على ذيل العبر، ص ٢٢٠.
(٤) ابن حجر: الدرر، ٢ / ٢٩٨.
(٥) معجم الشيوخ، م١ / الورقة ٦١.
(٦) ابن حجر: الدرر، ٣ / ٤٦٦، ابن العماد: شذرات، ٦ / ٧٢.
(٧) ذيل العبر، ص ١٤٨.
(٨) الوافي، ٢ / ١٤٧، وأعيان العصر، الورقة ١٣٧.
(٩) معجم الشيوخ، م٢ / الورقة ٣٧.

الأنصاري المقدسي المتوفى سنة ٧٢١هـ[١]. ذكر الكتاني أن الذهبي خرّج له مشيخة[٢].

٢٥٣ ـ مشيخة سنقر القضائي:

هو سنقر بن عبد الله الزيني، علاء الدين أبو سعيد الأرمني القضائي الحلبي المتوفى سنة ٧٠٦هـ. قال الحافظ ابن حجر في ترجمته من الدرر: «قال الذهبي: كان طويل الروح فيه سكون وحياء ومروءة... وخرجتُ له مشيخة»[٣]، وذكرها الكتاني أيضًا[٤].

٢٥٤ ـ مشيخة عبادة بن عبد الغني الحراني ثم الدمشقي[٥]:

ذكر الذهبي في ترجمته من ذيل سير أعلام النبلاء أنّه خرج له مشيخة[٦].

٢٥٥ ـ مشيخة عز الدين المقدسي:

هو عز الدين[٧] أبو العباس أحمد ابن العماد عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسي الصالحي الحنبلي، المولود سنة ٦١٢هـ، والمتوفى في محرم سنة ٧٠٠هـ. قال الذهبي في معجمه: «وخرّجت له مشيخة في ثلاثة أجزاء عُدم بعضها في أيام قازان»[٨]، وذكر في تاريخ الإسلام أن الذي عدم منها جزءان[٩]، وذكرها سبط ابن حجر في ترجمته للذهبي[١٠].

---

(١) ابن حجر: الدرر، ٥ / ٢٠١.

(٢) فهرس الفهارس، ٢ / ٦٤٤ (ط. دار الغرب).

(٣) الدرر الكامنة ٢ / ٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٤) فهرس الفهارس، ٢ / ٦٤٩.

(٥) توفي سنة ٧٣٩ (ابن حجر: الدرر ٢ / ٣٤٢، ابن رافع: الوفيات ١ / ٢٨١).

(٦) ينظر الكتاب الذي طبعه الدكتور عمر عبد السلام تدمري باسم ذيل تاريخ الإسلام، وهو ذيل السير، ص ٣٦٣.

(٧) ذكره ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب ٤ / قسم ١ / ٥.

(٨) معجم الشيوخ، م١ / الورقة ٩.

(٩) تاريخ الإسلام، الورقة ٣١٠ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(١٠) رونق الألفاظ، ورقة ١٨١.

٢٥٦ ـ مشيخة ابن عطاف:

منها نسخة خطية مصورة في مركز الملك فيصل بالرياض رقم (٤١٣٥١).

٢٥٧ ـ مشيخة علاء الدين القونوي:

هو علاء الدين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي، المتوفى بدمشق سنة ٧٢٩هـ. قال الذهبي في المعجم المختص: «خرجتُ له مشيخة»[١].

٢٥٨ ـ مشيخة ابن القواس:

وخرج الذهبي مشيخة لشيخه المشهور ناصر الدين أبي القاسم وأبي حفص عمر بن عبد المنعم بن عمر الطائي الدمشقي المعروف بابن القواس، المولود سنة ٦٠٥هـ والمتوفى سنة ٦٩٨هـ[٢]. وذكر في تاريخ الإسلام أنها مشيخة صغيرة[٣].

٢٥٩ ـ مشيخة الكحال:

وخرج مشيخة لزين الدين أيوب بن نعمة بن محمد النابلسي الدمشقي المعروف بالكحال، المولود سنة ٦٤٠هـ والمتوفى سنة ٧٣٠هـ[٤].

٢٦٠ ـ مشيخة محمد بن يوسف الإربلي[٥]:

قال الذهبي في ترجمته من «ذيل العبر»: «خرجت له مشيخة»[٦]، وقال في «ذيل سير أعلام النبلاء»: «خرجت له مشيخة ثم ذيلت عليها»[٧]، وقال

---

(١) المعجم المختص، ص ١٧٦ وضبط المحقق «خرجت» على البناء للمجهول، وهو وهم.
(٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ / الورقة ١٦، والعبر، ٥ / ٣٨٨.
(٣) تاريخ الإسلام، الورقة ٢٧٧ (أياصوفيا ٣٠١٤).
(٤) ابن حجر: الدرر، ١ / ٤٦٤.
(٥) توفي سنة ٧٠٤هـ.
(٦) ذيل العبر، ص ١٠.
(٧) ذيل السير (المطبوع باسم ذيل تاريخ الإسلام) ص ٧٠.

علم الدين البرزالي في «المقتفي»: «خرّج له الشيخ شمس الدين مشيخة سمعناها عليه»[١].

٢٦١ ـ ذيل مشيخة محمد بن يوسف الإربلي:

تقدم أن الذهبي قال في «ذيل السير»: «خرجت له مشيخة ثم ذيّلت عليها».

٢٦٢ ـ مشيخة المُطَعِّم الدلال:

هو أبو محمد عيسى بن عبد الرحمن المُطَعِّم ـ كان يطعِّم الأشجار ـ الدلال المتوفى سنة ٧١٩هـ[٢].

ذكرها ابن فهد في معجم شيوخه[٣]، وابن طولون[٤] والكتاني[٥]. وعندي نسخة مصورة في خزانة كتبي التي تركتها بمدينة السلام، يتعذر عليّ الوصول إليها بعد استيلاء العدو المخذول عليها.

٢٦٣ ـ مشيخة ابن المنادي:

هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن عمرو، المتوفى سنة ٧٠٠هـ. قال الذهبي في ترجمته من تاريخ الإسلام: «وخرجت له مشيخة من جزء واحد»[٦].

جـ ـ الأربعينات[٧]:

٢٦٤ ـ أربعون حديثًا بلدانية[٨] من المعجم الصغير للطبراني:

رتب أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني المتوفى سنة

---

(١) المقتفي لتاريخ أبي شامة ٢ / الورقة ٨٩.

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، ٣ / ٢٨٢.

(٣) معجم الشيوخ، ص ١٨٧.

(٤) القلائد الجوهرية، ٢ / ٤٠٨.

(٥) فهرس الفهارس، ٢ / ٦٤٣.

(٦) تاريخ الإسلام، ١٥ / ٩٤٨ بتحقيقنا.

(٧) راجع عن كتب الأربعينات كتابنا: المنذري وكتابه التكملة، ص ١٧٦ فما بعد.

(٨) ويقال فيها: الأربعين البلدية، ويراد بها أن يجمع المحدث أربعين حديثًا عن أربعين شيخًا في أربعين مدينة.

٣٦٠هـ معجمه الصغير[١] على حروف المعجم في أسماء مشايخه. وقد خرج الذهبي منه أربعين حديثًا بلدانية تكلم على أسانيدها ومتونها. اقتنينا نسخة مصورة منها عن نسخة الخزانة التيمورية ذات الرقم ٤٣٨ حديث في ٣٠ صفحة[٢]. جاء في مقدمتها بعد ذكر قراءته لمجموعة كبيرة من كتب الأربعينات لغيره من كبار العلماء: «وعنَّ لي الساعة تخريج أربعين بلدية من المعجم الصغير لأبي القاسم الطبراني، فإنه أقدم الجماعة وأسندهم وأوسعهم رحلة وأسعدهم[٣]. . .».

٢٦٥ ـ أربعون حديثًا بلدانية من معجم ابن جميع الصيداوي[٤]:

ومعجم ابن جميع الصيداوي ما زال باقيًا[٥]. وقد ذكر الذهبي هذه الأربعين في مقدمته للأربعين البلدانية التي خرجها من المعجم الصغير لأبي القاسم الطبراني[٦].

٢٦٦ ـ أربعون حديثًا بلدانية من معجم شيوخ أبي بكر المقدسي[٧]:

ذكرها الذهبي في مقدمة الأربعين البلدانية التي خرّجها من المعجم الصغير

---

(١) طبع المعجم الصغير للطبراني ووقفنا على نسخة خطية أنفس من المطبوعة كتبت في القرن السادس الهجري بخط نسخي مجود للغاية عليها سماعات مؤرخة في سنة ٥٨٥هـ، وهي من مقتنيات مكتبة أحمد الثالث بإستانبول رقم ٤٦٤.

(٢) وهذه النسخة عليها خط السيد الزبيدي صاحب تاج العروس يذكر فيها بعض الأسانيد في رواية هذه الأربعين. وفي آخرها قراءة لمجموعة من الفضلاء لها على الزبيدي سنة ١١٨٩هـ بمنزله. كما أن في آخرها خط العلامة يوسف بن شاهين الكركي المعروف بسبط ابن حجر والمتوفى سنة ٨٩٩هـ.

(٣) الورقة ١.

(٤) هو أبو الحسين محمد بن أحمد الغساني الصيداوي، ولد سنة ٣٠٥هـ وتوفي سنة ٤٠٢هـ (انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبقة ٢٢، والعبر، ٣ / ٨٠).

(٥) منه نسخة خطية في المكتبة الأزهرية برقم ٣٢٦ مجاميع اقتنيت نسخة مصورة منها. وطبع بتحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري (الرسالة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

(٦) الورقة ١ (نسخة التيمورية ٤٣٨ حديث).

(٧) هو أبو بكر بن أحمد بن عبد الدائم النابلسي المقدسي المتوفى سنة ٧١٨هـ (ابن حجر: الدرر، ١ / ٤٦٨).

لأبي القاسم الطبراني، فقال: «وكنت من نحو ثلاثين سنة تأملت معجم أبي بكر المقدسي فخرجت له من الكتاب أربعين حديثًا في أربعين مدينة»[1].

٢٦٧ ـ أربعون حديثًا بلدانية من معجم شيوخ[2] ابن المقرئ[3]:

ذكرها الذهبي في ترجمة ابن المقرئ من «تذكرة الحفاظ»، فقال: «وقد انتقيت من معجمه أربعين حديثًا بلدية له»[4]، وقال في «تاريخ الإسلام»: «وقد خرجت من معجمه أربعين حديثًا عن أربعين شيخًا في أربعين مدينة سميتها: أربعي البلدان لأبي بكر ابن المقرئ»[5].

٢٦٨ ـ أربعون حديثًا للأبرقوهي[6]:

ذكر سبط ابن حجر أن الذهبي خرج أربعين حديثًا للأبرقوهي[7].

٢٦٩ ـ أربعون حديثًا لابن تيمية:

طبع بتحقيق أحمد إبراهيم الحاج، ونشرته مؤسسة الريان ببيروت سنة ١٤١٨هـ.

---

(١) الورقة ١ (نسخة التيمورية ٤٣٨ حديث).

(٢) ويعرف بالمعجم الكبير، وقفنا على نسخة منه بدار الكتب المصرية تحمل الرقم ٢٧م وهي ثمانية أجزاء في مجلد واحد.

(٣) هو محدث أصبهان وإمامها أبو بكر محمد بن إبراهيم بن زاذان المعروف بابن المقرئ المتوفى سنة ٣٨١هـ (الذهبي: تذكرة، ٣ / ٩٧٥، والعبر، ٣ / ١٨ ـ ١٩، ابن العماد: شذرات، ٣ / ١٠١).

(٤) ٣ / ٩٧٥.

(٥) تاريخ الإسلام، الورقة ١٦٢ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٦) مسند الوقت أبو المعالي أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد الأبرقوهي. ولد سنة ٦١٥هـ وتوفي سنة ٧٠١هـ (الذهبي: معجم الشيوخ، م١ / الورقة ٥، ابن حجر: الدرر، ١ / ١١٠، الفاسي: العقد الثمين، ٣ / ١٥).

(٧) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

٢٧٠ ـ أربعون حديثًا لابنه أبي هريرة عبد الرحمن:

ذكرها ابن حجر[١]. ومنها نسخة خطية مصورة في مركز الملك فيصل بالرياض رقم (١٠٥٥٥٩).

٢٧١ ـ الأربعون الموافقات:

ذكرها ابن فهد في معجم شيوخه فقال في ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن زيد الموصلي الأصل الدمشقي الحنبلي: «وله الأربعون الموافقات تخريج الذهبي»[٢].

د ـ كتب الثلاثينات[٣]:

٢٧٢ ـ ثلاثون حديثًا من المعجم الصغير للطبراني:

قد ذكرنا أن الذهبي خرج أربعين حديثًا بلدانية من المعجم الصغير للطبراني، وقد خرج هذه الثلاثين منه أيضًا وتكلم على رجال أسانيدها وعلى متونها. وقفنا على نسخة منها[٤].

هـ ـ الأحاديث العوالي[٥]:

٢٧٣ ـ الأحاديث العوالي من جزء ابن عرفة العبدي:

طبع بتحقيق الدكتور عبد الرحمن عبد الجبار الفريواني، ونشرته دار الجيل ببيروت سنة ١٩٩١م.

---

(١) الدرر، ٢ / ٤٤٩.

(٢) معجم الشيوخ، ص ٨١.

(٣) نسبة إلى جمع أو تخريج ثلاثين حديثًا.

(٤) في مكتبة شهيد علي باشا بإستانبول (رقم ١٧ / ٥٤٦) واقتنيت نسخة منها عن النسخة المصورة في معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم ١٨٧ حديث ومصطلح).

(٥) العلو في الحديث: ذكر منه ابن الصلاح خمسة أنواع أجلها القرب من رسول الله ﷺ بإسناد نظيف غير ضعيف (علوم الحديث، ص ٢٣١ طبعة حلب ١٩٦٦م) وراجع ابن جماعة: المنهل الروي، الورقة ١٧.

٢٧٤ ـ عوالي حماد بن زيد:

قال الذهبي في «السير»: «ومن عوالي حماد، وقد أفردتها»[(١)].

٢٧٥ ـ عوالي حماد بن سلمة:

قال الذهبي في ترجمته من «السير»: «وقد وقع لي من أعلى رواياته بضعة عشر حديثًا، أفردتها قديمًا في سنة بضع وتسعين وست مئة»[(٢)].

٢٧٦ ـ عوالي زينب بنت الكمال:

ذكرها السخاوي في ترجمة عبد القادر بن محمد بن علي الدمشقي من الضوء اللامع فقال: «سمع من زينب ابنة الكمال... وعواليها تخريج الذهبي»[(٣)].

٢٧٧ ـ عوالي الشمس ابن الواسطي:

ذكر الذهبي في معجم شيوخه الكبير أنه خرّج عوالي لشيخه المسند شمس الدين أبي عبد اللّه محمد بن علي بن أحمد ابن الواسطي الصالحي الحنبلي المولود سنة ٦١٥هـ، والمتوفى سنة ٦٩٩هـ[(٤)]. وقال في ترجمته من تاريخ الإسلام: «خرجت له عوالي في جزء ضخم، وخرج له ابن النابلسي مشيخة في جزءين»[(٥)]. وقال سبط ابن حجر: «وخرج عوالي الشمس ابن الواسطي»[(٦)].

٢٧٨ ـ عوالي الطاووسي:

هو أحمد بن عبد المنعم بن أبي الغنائم بن أحمد بن محمد الطاووسي نزيل دمشق، ولد سنة ٦٠١هـ، وتوفي سنة ٧٠٤هـ. قال الذهبي: «وسمع بحلب من ابن خليل وخرجت له عوالي فيها بالإجازة العامة عن الصيدلاني وأسعد بن

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٧ / ٤٦٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٧ / ٤٥٤.

(٣) الضوء اللامع ٢ / ٢٩١.

(٤) معجم الشيوخ، م٢ / الورقة ٥٢.

(٥) الورقة ٣٠٥ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٦) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

سعيد وعفيفة»[1].

٢٧٩ ـ عوالي أبي عبد الله ابن اليونيني:

ذكر الذهبي في معجم شيوخه الكبير أنه انتقى جزءًا للشيخ محيي الدين أبي عبد اللّه عبد القادر بن علي بن محمد اليونيني البَعْلي المتوفى سنة ٧٤٧هـ[2]، وذكر ابن حجر مثل هذا[3]، وقال سبطه: «وخرج عوالي لابن اليونيني»[4]، فيكون الجزء الذي ذكره الذهبي وابن حجر هو من الأحاديث العوالي.

٢٨٠ ـ العوالي من حديث مالك:

ذكره الذهبي في ترجمة مالك بن أنس من «تاريخ الإسلام»، فقال: «... وكذا أفردت ما وقع لي عاليًا من حديثه في جزء»[5].

٢٨١ ـ العوالي المنتقاة من حديث الذهبي:

وقفنا على نسخة من هذه العوالي بدار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ٤٥١٢ عام وفي آخرها خطه.

و ـ الأجزاء[6]:

٢٨٢ ـ الجزء الملقب بالدينار من حديث المشايخ الكبار:

وهو من تأليف المسند الرحلة أبي بكر بن أحمد بن عبد الدائم النابلسي المتوفى سنة ٧١٨هـ[7]، وأبي محمد عيسى بن عبد الرحمن المطعِّم الدلال

---

(١) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ / الورقة ١٣، أهل المئة فصاعدًا، ص ١٣٧ وتعليقنا عليها، ابن حجر: الدرر، ١ / ٢٠٦.

(٢) معجم الشيوخ، م١ / الورقة ٨٣.

(٣) الدرر، ٣ / ٤.

(٤) رونق الألفاظ، الورقة ١٨١.

(٥) الورقة ٨ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٦) لم أرتبها على حروف المعجم لأن العناوين أكثرها من عندي.

(٧) ابن حجر: الدرر، ١ / ٤٦٨.

المتوفى سنة ٧١٩هـ[١]، وأبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار المتوفى سنة ٧٣٠هـ[٢] وتخريج الذهبي[٣].

٢٨٣ ـ جزء للقَزويني:

قال الذهبي في ترجمة ركن الدين أبي العباس بن عبد المنعم بن أحمد القزويني الصوفي، المولود سنة ٦٠١هـ، والمتوفى سنة ٧٠٤هـ: «انتخبت له جزءًا رواه مرات»[٤].

٢٨٤ ـ جزء لأبي بكر المرسي:

وخرج جزءًا لمجد الدين أبي بكر بن محمد بن قاسم المرسي التونسي المولود سنة ٦٥٦هـ، والمتوفى سنة ٧١٨هـ، وقد حدث به المرسي[٥].

٢٨٥ ـ جزء لابن المحب المقدسي:

وذكر الذهبي في معجم شيوخه أنه انتخب جزءًا حسنًا لأبي العباس أحمد ابن عبد اللّه بن أحمد المقدسي المعروف بابن المحب، المولود سنة ٦٥٣هـ، والمتوفى سنة ٧٣٠هـ[٦]، وذكر مثل هذا في معجمه المختص كما نقل ابن حجر[٧].

٢٨٦ ـ جزء لابن الكُويك:

وخرج جزءًا للإمام سراج الدين أبي الفرج عبد اللطيف بن أحمد بن محمود التكريتي ثم الإسكندراني المعروف بابن الكويك، المولود سنة ٦٩٠هـ

---

(١) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ / الورقة ١٨.

(٢) قد تقدم ذكره بأنه كان أعظم رواة الجامع الصحيح في عصره، وتوفي سنة ٧٣٠هـ.

(٣) في خزانة كتبي نسخة مصورة منه عن نسخة دار الكتب المصرية (رقم ١٥٠٨ حديث)، وحققه السيد مجدي السيد إبراهيم وطبع بالقاهرة سنة ١٤٠٨هـ.

(٤) معجم الشيوخ، م١ / الورقة ١٣. وانظر ابن حجر: الدرر، ١ / ٢٠٦.

(٥) ابن حجر: الدرر، ١ / ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

(٦) معجم الشيوخ، م١ / الورقة ٧.

(٧) ابن حجر: الدرر، ١ / ١٩١ ـ ١٩٢.

والمتوفى سنة ٧٣٤هـ[١].

٢٨٧ ـ جزء لأمين الدين الواني:

قال في ترجمة أمين الدين أبي عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن محمد الواني ثم الدمشقي الحنفي، رفيقه وصاحبه، المولود سنة ٦٨٤هـ، والمتوفى سنة ٧٣٥هـ: «انتقيت له جزءًا حدث به غير مرة»[٢]، ونقل ابن حجر قول الذهبي هذا[٣].

٢٨٨ ـ جزء على ابن جماعة الكناني:

وانتقى الذهبي جزءًا على الإمام عز الدين أبي عمر عبد العزيز بن محمد ابن إبراهيم ابن جماعة الكناني الحموي الشافعي المحدث الكاتب المشهور، المولود سنة ٦٩٤هـ، والمتوفى سنة ٧٦٧هـ[٤].

٢٨٩ ـ أحاديث مختصر[٥] ابن الحاجب[٦]:

ذكره الصفدي[٧] وابن شاكر الكتبي[٨] وابن تغري بردي[٩] وابن العماد[١٠].

---

(١) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ / الورقة ٨٥، وانظر ابن حجر: الدرر، ٣ / ١٨ ـ ١٩.

(٢) معجم الشيوخ، م٢ / الورقة ٣٠.

(٣) ابن حجر: الدرر، ٣ / ٣٨٠.

(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ / الورقة ٨٢ وهذا انتقاء وتخريج في الوقت نفسه.

(٥) مختصر ابن الحاجب من الكتب المشهورة في أصول الفقه وعنوانه منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل وقد طبع.

(٦) أبو عمرو عثمان بن عمر جمال الدين ابن الحاجب الفقيه المالكي النحوي المشهور المتوفى ٦٤٦هـ (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣ / ٢٤٨، الذهبي: العبر، ٥ / ١٨٩، أبو شامة: ذيل الروضتين، ص ١٨٢، الحسيني: صلة التكملة، وفيات ٦٤٦، (كوبرلي ١١٠١)، الأدفوي: الطالع السعيد، ص ١٨٨، ابن الجزري: غاية، ١ / ٥٠٨.

(٧) نكت، ص ٢٤٣ والوافي، ١ / ١٦٤.

(٨) فوات، ٢ / ١٨٣ وعيون التواريخ، الورقة ٨٦ وغيرها.

(٩) المنهل الصافي، الورقة ٦٩.

(١٠) ابن العماد: شذرات، ٦ / ١٥.

٢٩٠ ـ ثلاثيات ابن ماجة:

وهي تخريج للأحاديث المتصلة برسول اللّه ﷺ بثلاثة رواة فقط مما ورد في «سنن» أبي عبد اللّه محمد بن يزيد بن ماجة القزويني المتوفى سنة ٢٧٣هـ، وقفنا على نسخة منها[١].

٢٩١ ـ المنتقى من حديث تقي الدين ابن الشيخ شمس الدين ابن المجد البعلي[٢]:

وهي مجموعة الأحاديث المنتقاة من مرويات البعلي جمعها الذهبي وخرجها له في جزء حدث به المخرَّج له بعد ذلك. ولدينا نسخة[٣] مصورة منها. وطبع بتحقيق زياد عمر تكلة ضمن كتابه «جمهرة الأجزاء الحديثية» والذي احتوى على تسعة عشر جزءًا حديثيًا نادرًا. (دار العبيكان ١٤٢١هـ).

٢٩٢ ـ جزء أبي عبد اللّه محمد بن مسلم الدمشقي الصالحي[٤]:

قال الذهبي في «ذيل السير»: «وخرج له المزي تساعيات، وخرجتُ له أنا جزءًا»[٥].

٢٩٣ ـ جزء أبي عمران موسى بن علي المقرئ الزهراني:

ذكره الذهبي في المعجم المختص[٦].

٢٩٤ ـ أحاديث الزيارة[٧]:

قال الذهبي في ترجمة عبد اللّه بن عمر العمري من تاريخ الإسلام: «وقد

---

(١) بدار الكتب الظاهرية في ضمن مجموع (رقم ٥٩) كتبت في حياة المؤلف سنة ٧٣٤هـ.

(٢) نسبة إلى بعلبك، فيقال البعلبكي والبعلي، ولم أستطع الوقوف على ترجمته في الوقت الحاضر.

(٣) بدار الكتب الظاهرية (في ضمن مجموع برقم ٢٥)، وهي نسخة كتبت عن نسخة المؤلف. ويظهر في آخرها سماع علي البعلي، المخرجة له، بتاريخ سنة ٤٧٣هـ.

(٤) توفي سنة ٧٢٦هـ.

(٥) ذيل سير أعلام النبلاء، ص ٢٤٧ (المطبوع باسم ذيل تاريخ الإسلام).

(٦) المعجم المختص، ص ٢٨٥.

(٧) يعني: زيارة النبي ﷺ.

أفردت أحاديث الزيارة في جزء»[١].

٢٩٥ ـ جزء أحمد بن أيبك الحسامي[٢]:

قال الحسيني في «ذيل تذكرة الحفاظ»: «وانتقى عليه شيخنا الذهبي جزءًا حدث به بدمشق، ثم رجع إلى بلده ومات في طاعون سنة ٧٤٩»[٣].

٢٩٦ ـ جزء العفيف المطري:

هو عبد اللّه بن محمد بن أحمد ابن المطري، عفيف الدين المدني المتوفى سنة ٧٦٥هـ، قال الذهبي في المعجم المختص: «سمعتُ منه وانتقيت له جزءًا»[٤]، وقال التاج السبكي: «وخرّج له شيخنا الذهبي جزءًا قرأته عليه في الروضة الشريفة من المدينة النبوية»[٥].

٢٩٧ ـ الجزء المنتقى من سبعة أجزاء عوالي التي خرجها ابن كيكلدي من مرويات أبي نصر:

منه نسخة مصورة في مركز الملك فيصل بالرياض رقم (١٤٧٥ ـ ٧ف).

٢٩٨ ـ جزء عبد الوهاب بن محمد الإسكندراني القروي[٦]:

قال الحافظ ابن حجر: «وقد خرج له الذهبي جزءًا من حديثه»[٧].

٢٩٩ ـ جزء علاء الدين الخراط:

هو علاء الدين أبو الحسن علي بن عثمان بن حسان الدمشقي الخراط المتوفى سنة ٧٣٩هـ، قال ابن رافع السلامي في ترجمته: «سمع منه الحافظ

---

(١) تاريخ الإسلام ٤ / ٦٦٦.

(٢) توفي سنة ٧٤٩هـ.

(٣) ذيل تذكرة الحفاظ ١ / ٥٤ ـ ٥٥.

(٤) المعجم المختص ١٢٥.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ١٠ / ٣٤.

(٦) توفي سنة ٧٨٨هـ عن ٨٦ سنة (ابن حجر: الدرر، ٣ / ٤٤).

(٧) إنباء الغمر، ٢ / ٢٣٩.

الذهبي وخرّج له جزءًا من حديثه، وحدث به»[1].

٣٠٠ ـ جزء عوالي ابن رافع السلامي[2]:

قال الكتاني: «وخرج له الحافظ الذهبي جزءًا حدث به مرات»[3].

٣٠١ ـ جزء غرائب سنن ابن ماجة:

ذكره نجم الدين عمر بن فهد[4]، وطبع بتحقيق أحمد بن عبد اللّه الباتلي في مجلة عالم المخطوطات والنوادر سنة ١٤٢١هـ.

٣٠٢ ـ جزء في أصحاب ابن عساكر الذين رووا لشيوخ الذهبي:

ذكره الذهبي في السير فقال: «وقد روى لشيوخي نحو من أربعين نفسًا من أصحاب الحافظ أفردتُ لهم جزءًا»[5].

٣٠٣ ـ جزء في تراجم رواة الحديث من الصحابة:

منه نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط رقم [١ (٢٣(ـ ١٠ح].

٣٠٤ ـ جزء فيه المصافحات للتقي سليمان المقدسي:

هو سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر ابن الشيخ أبي عمر المقدسي، تقي الدين المقدسي المتوفى سنة ٧١٥هـ. قال ابن حجر في المعجم المفهرس: «جزء فيه المصافحات للتقي سليمان تخريج الذهبي»[6].

٣٠٥ ـ جزء فيه منتقى من موافقات قتيبة بن سعيد البلخي وغير ذلك:

منه نسخة في الظاهرية ٢٨١ (عام ٤٥٤٥) في ضمن مجموع، ٢٣ ورقة.

---

(١) الوفيات، ١ / ٢٥٦.

(٢) صاحب كتاب الوفيات المتوفى سنة ٧٧٤هـ.

(٣) فهرس الفهارس، ١ / ٤٤٠.

(٤) معجم الشيوخ، ص ١٢٠.

(٥) سير أعلام النبلاء، ٢٠ / ٥٥٧.

(٦) المعجم المفهرس، ص ٣٦٠ وتنتظر ترجمته في الدرر، ٢ / ٢٤١.

٣٠٦ ـ جزء محمد بن عيسى البعلي:

ذكره الذهبي في ترجمة البعلي من المعجم المختص فقال: «خرجتُ له جزءًا»[١].

٣٠٧ ـ جزء موسى بن علي البكري:

ذكر الذهبي في المعجم المختص أنّه انتقى له جزءًا»[٢].

٣٠٨ ـ جزء فيه «صحيفة نظيفة من حديث أبي حنيفة»:

ذكره التقي الفاسي في ذيله على سير أعلام النبلاء، وقال في ترجمة الذهبي عند ذكر مصنفاته: صحيفة نظيفة من حديث أبي حنيفة[٣].

٣٠٩ ـ مجلس من حديث الإمام أبي الحسن علي بن إبراهيم بن داود ابن العطار الشافعي:

منه نسخة خطية في مكتبة ملت (فيض اللّه أفندي) بإستانبول رقم ٥٠٧، وهو في ثلاث ورقات.

* * *

---

(١) المعجم المختص، ص ٢٥٩.

(٢) المعجم المختص، ص ٢٨٥.

(٣) تعريف أهل العلا، الورقة ٣١.

الباب الثاني

منهج الذهبي في كتابة تاريخ الإسلام



الفصل الأول
تنظيم الكتاب وأساليب عرضه

توطئة:

جعل الذهبي كتابه في واحد وعشرين مجلدًا راعى فيها أن تكون متناسقة من حيث عدد أوراقها، ولم يراع فيها أية ناحية تنظيمية، ولذلك لم يلتزم النساخ فيما بعد بتجزئة المؤلف هذه[1].

وتناول في كتابه الحوادث والتراجم ابتداء من السنة الأولى للهجرة حتى سنة ٧٠٠هـ. ووضع خطة عامة للكتاب قسمه بموجبها إلى وحدات زمنية أمدُها عشر سنوات أطلق عليها لفظ «الطبقة». ورتب الحوادث بحسب السنوات، أما التراجم فاتبع فيها تنظيمات مختلفة. ولما كانت «الطبقة» هي الأساس الذي قامت عليه الخطة العامة للكتاب، فقد أصبح لا بد من دراسة تنظيم الكتاب استنادًا إليها وتبيان مفهومها مقارنة بكتبه الأخرى وبمفهومها عند المؤلفين السابقين.

ولما كان الكتاب قد احتوى على الحوادث والتراجم بصورة منفصلة فقد أصبح لزامًا علينا أن ندرس العلاقة التنظيمية بينهما، ومن ثم دراسة تنظيم الحوادث وتنظيم التراجم، كل على حدة، ومحاولة التعرف على الأساليب التي اتبعها الذهبي في عرض كل منهما، ودراسة عناصر أسلوبه اللغوي والأدبي الذي عرض فيه مادته.

أولاً: الخطة العامة للكتاب:

أظهرت الدراسات الحديثة لكتب الطبقات التي سبقت تاريخ الإسلام للذهبي أنها لم تستعمل «الطبقة» كوحدة زمنية ثابتة، بل كانت تعني اللقيا في

---

(١) انظر أعلاه الكلام على نسخ الكتاب.

الأغلب[١]. وقد رتب الذهبي كثيرًا من كتبه الرئيسة على الطبقات، بالرغم مما في هذا النظام من بعض العيوب[٢]. لكن مفهوم الطبقة عند الذهبي يختلف من كتاب إلى آخر، حيث نجد أنه رتب كتابه «تذكرة الحفاظ»[٣] الذي تناول فيه كبار حفاظ الحديث من الصحابة حتى عصره، على إحدى وعشرين طبقة استنادًا إلى اللقيا بين المشايخ، وهو بذلك لم يدخل سِني الوفيات باعتباره، حيث نجدها متداخلة بين طبقة وأخرى، وقد علل الذهبي ذلك بقوله في ترجمة أبي الأحوص سلام بن سليم: «مات سنة تسع وسبعين ومئة مع مالك وحماد، وإنما أخرته لأنه

---

(١) راجع عن مفهوم الطبقة عند المؤلفين السابقين، الدكتور أكرم العمري: مقدمة كتاب الطبقات لخليفة بن خياط، ص ٤٥ فما بعد، وبحثنا: مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ. (مجلة الأقلام، العدد الخامس من السنة الأولى، بغداد ١٩٦٥م).

(٢) لعل من أهم عيوبه الرئيسة هو عدم اتباع المصنفين تقسيمًا واحدًا حيث يتباين عدد الطبقات بين مصنف وآخر، فلم يعد بالإمكان أن نكتفي بالقول: إن فلانًا الفلاني في الطبقة الفلانية لأنه قد يكون في الطبقة السادسة عند مؤلف بينما هو في الطبقة الثامنة عند مؤلف آخر (انظر التفاصيل عند العمري: بحوث ص ١٨٦). وحينما هذب أبو الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ كتاب «الكمال في معرفة الرجال» لعبد الغني المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠هـ أخذ المزي على مؤلف الأصل ذكره للصحابة أولاً، ثم ذكر التراجم الأخرى من غيرهم، لذلك غيّره وجعله على حروف المعجم مبينًا أسباب ذلك، قال: «وقد كان صاحب الكتاب ـ رحمه الله ـ ابتدأ بذكر الصحابة أولاً الرجال منهم والنساء على حدة، ثم ذكر من بعدهم على حدة، فرأينا ذكر الجميع على نسق واحد أولى؛ لأن الصحابي ربما روى عن صحابي آخر عن النبي ﷺ فيظنه من لا خبرة له تابعيًا فيطلبه في أسماء التابعين فلا يجده. وربما روى التابعي حديثًا مرسلاً عن النبي ﷺ فيظنه من لا خبرة له صحابيًا فيطلبه في أسماء الصحابة فلا يجده، وربما تكرر ذكر الصحابي في أسماء الصحابة وفيمن بعدهم، وربما ذكر الصحابي الراوي عن غير النبي ﷺ في غير الصحابة، وربما ذكر التابعي المرسل عن النبي ﷺ في الصحابة، فإذا ذكر الجميع على نسق واحد زال ذلك المحذور، وذكر في ترجمة كل إنسان منهم ما يكشف عن حاله إن كان صحابيًا أو غير صحابي» (المزي: تهذيب الكمال، م١ ورقة ٥ نسخة دار الكتب المصرية).

(٣) انظر أعلاه كلامنا عليه في آثار الذهبي.

أصغر منهما قليلاً، ولا بد في كل طبقة من مجاذبة الطبقتين وإلا فلو بولغ في تقسيم الطبقات لجاءت كل طبقة ثلاث طبقات وأكثر»[١]. أما كتابه الآخر «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار»[٢] فقد جعله في سبع عشرة طبقة فقط بحسب اللقيا في القراءة، مع أنه تناول المدة الزمنية نفسها التي تناولها كتابه «تذكرة الحفاظ»، ومع أنه جعل الصحابة طبقتين. بينما رتب كتابه الثالث «سير أعلام النبلاء»[٣] على أربعينَ طبقة علمًا أن المدة الزمنية التي تناولها هي نفسها التي تناولها في كتابيه السابقين.

ومن هذا الذي قدمنا يتضح لنا أن الذهبي لم يراع الوحدة الزمنية الثابتة في جميع هذه الكتب. أما كتابه «المُعين في طبقات المحدثين» فقد جعل الطبقات الأولى فيه تتخذ أسماء المشهورين فيها، نحو قوله: «طبقة الزهري وقتادة»[٤] و«طبقة الأعمش وأبي حنيفة»[٥] و«طبقة ابن المديني وأحمد»[٦] ونحوها، إلا أنه غيّر هذه الطريقة حينما وصل إلى مطلع القرن الثالث الهجري، حيث أخذ يستعمل السنوات التقريبية في الطبقة نحو قوله: «الطبقة الذين بقوا بعد الثلاث مئة وإلى حدود العشرين والثلاث مئة[٧]» و«طبقة من الثلاثين وإلى ما بعد الخمسين وخمس مئة»[٨] وهلم جرًّا. ويتبين من دراسة هذه الوحدات الزمنية التي ذكرها أن الطبقة قد تكون في حدود عشرين سنة[٩] أو خمس وعشرين[١٠] أو

---

(١) الذهبي: تذكرة ١ / ٢٥٠.

(٢) انظر أعلاه كلامنا عليه في آثار الذهبي.

(٣) انظر أعلاه كلامنا على آثار الذهبي.

(٤) الورقة ٧ من نسختي المصورة.

(٥) الورقة ٨.

(٦) الورقة ١٤.

(٧) الورقة ١٩.

(٨) الورقة ٣٢.

(٩) الورقة ٢١، ٣٢.

(١٠) الورقة ٢٢، ٢٤.

ثلاثين سنة[1]. وبذلك يتحدد مفهوم «الطبقة» عند الذهبي في جميع الكتب المذكورة باللقيا بين المشايخ، والتعاصر بين مجموعة من الناس.

ولكن الذهبي جعل الطبقة عشر سنوات في «تاريخ الإسلام» فتألف كتابه من سبعين طبقة، فهل يعني هذا أنه وضع تحديدًا زمنيًا واضحًا للطبقة مخالفًا طريقته في كتبه الأخرى؟ علمًا أن عمله هذا لم يسبقه فيه أحد فيما نعلم. وقد دفع عملُه هذا الباحثين المعنيين بعلم التاريخ إلى القول بأنه خالف الأقدمين الذين عدُّوا اللقيا أساس التقسيم على الطبقات، بل خالف نهجه هو في «تذكرة الحفاظ» الذي اعتدَّ فيه اللقيا ولم يعتد الوفيات[2].

على أننا لا نعتقد أن الذهبي خالف الأقدمين في مفهوم الطبقة، فقد استعملها بالمفهوم نفسه في جميع كتبه الأخرى كما بينا قبل قليل، بينما استعمل «الطبقة» في «تاريخ الإسلام» لتدل على «العقد» وهو مفهوم يختلف عن المفهوم الذي أراده في كتبه الأخرى والذي جارى فيه الأقدمين. ومن ثم فإننا نعتقد أن ربط الشكل الذي اتبعه الذهبي في «تاريخ الإسلام» بأدب الطبقات أمر يحتاج إلى إعادة نظر، بل يجب أن يربط، فيما نرى، بأدب التنظيم على السنين الذي يخضع لتعاقب السنين المفردة، فتذكر مختلف الحوادث والوفيات في كل سنة منفصلة عن الأخرى. وآيات هذا الذي نقوله ودِلالاته تبينُ في الترتيب الذي اتبعه الذهبي في كتابه؛ فقد رتب الحوادث على السنين مبتدئًا بالسنة الأولى للهجرة ومنتهيًا بسنة ٧٠٠هـ، وجعل حوادث كل سنة منفردة بنفسها، ووضع لها عنوانًا خاصًا. وكان يفصل الحادثة عن الأخرى في السنة الواحدة باستعماله لفظة «وفيها» أو يذكر الشهر الذي وقعت فيه نحو قوله: «وفي المحرم» أو «وفي رمضان» ونحوهما، وربما عيَّن اليوم، ولا سيما في القسم الأخير من كتابه.

وعلى الرغم من أن الذهبي قسم كتابه إلى «عقود»، وهو الذي أطلق عليه لفظة «طبقة» فإنه لم يلتزم بهذا التقسيم في الحوادث إطلاقًا، ولو التزم به لكان

---

(١) الورقة ٢٠، ٢١.

(٢) انظر: روزنتال: علم التاريخ، ص ١٢١، العمري: بحوث، ص ١٩١.

من المفروض أن يذكر حوادث الطبقة مندمجة ببعضها، بل إنه لم يلتزم حتى بذكر حوادث كل طبقة ووفياتها بصورة منتظمة. وقد وصل إلينا، لحسن الحظ، قسم من تاريخه بخطه، ومن دراسة هذا القسم تتبين صحة دعوانا: ففي المجلدين السابع[1] والثامن[2] اللذين أرخ فيهما ما بين سنتي ١٧١ ـ ٢٣٠هـ ذكر حوادث «الطبقة» مرتبة بحسب السنين ثم ذكر وفياتها، ولكن القسم الموجود من المجلد الثاني عشر[3] ليس فيه غير الوفيات من سنة ٣٥١هـ إلى سنة ٤٠٠هـ، وكذلك المجلد الثالث عشر[4]، لم يحتو غير الوفيات من سنة ٤٠١هـ إلى سنة ٤٥٠هـ، أما المجلد الخامس عشر[5] فترد فيه وفيات ٥٠١ ـ ٥٤٦هـ[6] متسلسلة ثم حوادث السنوات ٥٠١ ـ ٥٥٠هـ متسلسلة في مكان واحد أيضًا[7]، والظاهر أنه اتبع هذه الطريقة، أعني: جمع حوادث كل مجلد في مكان واحد، في جميع المجلدات ابتداء من المجلد الحادي عشر الذي يبتدئ من أول سنة ٣٠١هـ إلى نهاية المجلد الخامس عشر. ويبدو أيضًا أن المجلدات الأربعة المبتدئة بالمجلد الحادي عشر والمنتهية بالمجلد الرابع عشر قد احتوى كل مجلد منها أيضًا على حوادث خمسين سنة بصورة متتالية، وهاك دلالات ذلك:

١ ـ على الرغم من عدم وصول المجلد الحادي عشر إلينا، فإننا استطعنا، من إشارة وردت عند السخاوي في كتاب «الإعلان»، أن نعرف أن المجلد العاشر من نسخة الذهبي الموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة قد انتهى بنهاية المتوفين من الطبقة الثلاثين[8] (٢٩١ ـ ٣٠٠هـ). ولما كان المجلد الثاني عشر

---

(١) أياصوفيا ٣٠٠٦.

(٢) أياصوفيا ٣٠٠٧.

(٣) أياصوفيا ٣٠٠٨.

(٤) أياصوفيا ٣٠٠٩.

(٥) أياصوفيا ٣٠١٠.

(٦) الورقة ٢ ـ ٤٦ من النسخة أعلاه.

(٧) الورقة ٤٧ فما بعد من النسخة أعلاه.

(٨) ذكر السخاوي عند الكلام على كتابه الذي جمعه على حروف المعجم وأصّله من «تاريخ =

قد وصل إلينا وهو يتناول المدة من سنة ٣٥٠هـ إلى سنة ٤٠٠هـ[١] فقد أصبح من الواضح أن الذهبي تناول في المجلد الحادي عشر المدة الممتدة من سنة ٣٠١هـ إلى سنة ٣٥٠هـ. ولكن، كيف عرفنا أنه تناول حوادث هذه المدة مجتمعة ولم تصل إلينا أية قطعة من هذا المجلد الذي هو بخطه؟ وجواب ذلك في النسخ التي نسخت عنها وحافظت على ذاتية الذهبي في بعض تنظيمه، فمن ذلك مثلاً: المجلد المحفوظ في مكتبة أحمد الثالث برقم ١٥ / ٢٩١٧ والذي اختص بالحوادث فقط[٢]، حيث نجد حوادث السنين ٣٠١ ـ ٣٥٠هـ قد سارت متناسقة ومتتابعة من غير وجود أي عنوان يدل على أنَّ الذهبي تناول حوادث كل طبقة ـ مثلاً ـ بصورة منفصلة[٣]، بل إن الخط نفسه يتغير في بداية حوادث سنة ٣٥١هـ التي بدأها الناسخ بعنوان جديد وورقة جديدة. وعند تتبعنا لتنظيم هذا المجلد المحفوظ في مكتبة أحمد الثالث، ومقارنته بما تبقى لنا من مجلدات بخط المؤلف، نجده يضع بدايات للحوادث كلما انتقل من مجلد إلى آخر، أو من مجموعة حوادث جمعها الذهبي إلى أخرى، حيث بدأ حوادث سنة ٥٠١هـ بالبسملة وبداية ورقة جديـدة[٤]، واستمر كلامه على حوادث السنيـن متناسقًا حتى سنة ٥٥٠هـ[٥]. وفي مطلع القرن السابع بدأ الحوادث بصفحة جديدة ووضع لها عنوانًا[٦]، ثم

= الإسلام» للذهبي أن هناك نقصًا يسيرًا في نسخة «تاريخ الإسلام» الموقوفة على المدرسة المحمودية، وهي النسخة التي اعتمدها في تجريد التراجم، فقال: «وقد سقط من آخر الطبقة الثلاثين، وهي سنة إحدى وتسعين ومئتين إلى آخر القرن، وهو آخر المجلد العاشر: من ذكر محمود بن أحمد بن الفرج إلى آخر الطبقة ولم يثبته البدر البشتكي في النسخة التي بخطه بالباسطية، فكأنه سقط قبل كتابته، فيراجع من نسخة أخرى» ص ٥٩٧ ـ ٥٩٨.

(١) أياصوفيا ٣٠٠٨، وانظر أعلاه وصفه عند كلامنا على نسختنا الملفقة (رقم ١٠).

(٢) انظر أعلاه كلامنا على نسختنا الملفقة (رقم ١٨).

(٣) الورقة ١ ـ ٥٠ من النسخة أعلاه.

(٤) الورقة ١١٩ وقارن الورقة ١ ـ ٤٥ (أياصوفيا ٣٠١٠).

(٥) الورقة ١٦٧.

(٦) الورقة ٢٥٠.

تناول حوادث عشرين سنة بصورة متتابعة ومتناسقة[1]، وهي الحوادث الموجودة على هذا الشكل في المجلد الثامن عشر الذي وصل إلينا بخط المؤلف[2]. ثم ابتدأ حوادث سنة ٦٢١هـ ببداية جديدة ووضع لها عنوانًا وسار به بصورة رتيبة إلى سنة ٦٥٠هـ[3]، وهو ما فعله الذهبي في المجلد التاسع عشر من نسخته[4]. وقد قال في بداية حوادث ٦٥١هـ: «بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي، ذكر الحوادث الكائنة في هذه السنين العشر»[5] وهذه هي عبارة الذهبي بنصها[6].

٢ ـ وهذا الذي ذكرته من المحافظة على الترتيب في المجلد المحفوظ بمكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ١٥ / ٢٩١٧ قد حافظ عليه أيضًا ناسخ المجلد المحفوظ في المكتبة الأحمدية بحلب رقم ١ / ١٢٢٠ والمتضمن حوادث السنوات (٣٠١ ـ ٥٠٠هـ)[7] وصاحب النسخة المحفوظة في مكتبة أحمد الثالث برقم ٤ / ٢٩١٧ والتي تبين لنا أنها انتقاء من «تاريخ الإسلام»[8].

٣ ـ أما المجلد الثاني عشر فقد وصل إلينا جميع تراجمه مسلسلة، وهي تشمل وفيات السنوات (٣٥١ ـ ٤٠٠هـ)[9]. والظاهر أنه كان يحتوي على حوادث هذه المدة، فزيادة على ما قدمنا ذكره في الفقرتين السابقتين من أدلة

---

(١) الورقة ٢٨٠.

(٢) الورقة ٢١٩ ـ ٢٥١ (أياصوفيا ٣٠١١). وانظر أعلاه وصف هذا المجلد في الكلام على نسختنا الملفقة (رقم ١٩).

(٣) الورقة ٢٨١ فما بعد.

(٤) الورقة ٢٢٧ فما بعد (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٥) الورقة ٣٣٣.

(٦) الورقة ٢٩٥ (أياصوفيا ٣٠١٣).

(٧) انظر وصفه أعلاه في نسختنا الملفقة (رقم ١٤).

(٨) الورقة ٢٢١ ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الانتقاء كان في حياة المؤلف سنة ٧٣٩هـ. وقد تبين لنا نتيجة المقارنة الدقيقة أن المنتقي قد حافظ على ذكر الحوادث ولم يختصر فيها وأن الاختصار وقع في تراجم غير المشهورين.

(٩) أياصوفيا رقم ٣٠٠٨.

تنظيمية[1]، فإن وجود خط الصلاح الصفدي على طرة هذا المجلد بقراءة الحوادث خير دليل على ما نقول، فالذي حفظناه من ترجمة الصفدي لشيخه الذهبي أنه قرأ عليه من «تاريخ الإسلام: المغازي والسيرة النبوية إلى آخر أيام الحسن وجميع الحوادث إلى آخر سنة سبع مئة»[2]، فأين هي الحوادث التي قرأها الصفدي والتي وضع خطه على المجلد من أجلها؟ ثم يتكامل يقيننا بعد ذلك بجمع الذهبي لحوادث هذه الخمسين سنة في مكان واحد حينما ننظر إلى تسلسل الوفيات في هذا المجلد من سنة ٣٥١هـ إلى سنة ٤٠٠هـ، من غير فجوة ولا انقطاع.

٤ ـ وقد وصلت إلينا جميع وفيات المجلد الثالث عشر متتابعة، وهي وفيات السنوات (٤٠١ ـ ٤٥٠هـ) ولم تصل إلينا حوادث هذه المدة، مع عدم توافر احتمال وجودها في المجلدات الأخرى كما سيتضح بعد قليل.

٥ ـ ومما قدمنا من أدلة وتسلسل لمحتويات المجلدات التي كتبها الذهبي بخطه، ووصول المجلد الخامس عشر إلينا، وهو يتضمن وفيات السنوات من ٥٠١هـ إلى أثناء ٥٤٦هـ وحوادث السنوات (٥٠١ ـ ٥٥٠هـ)[3]، يظهر لنا أن المجلد الرابع عشر الذي لم يصل إلينا، كان يتناول حوادث ووفيات السنوات ٤٠١ ـ ٤٥٠هـ.

٦ ـ ثم إن وجود حوادث السنوات (٥٠١ ـ ٥٥٠هـ) في المجلد الخامس عشر من نسخة المؤلف يقطع من غير شك احتمال وجود حوادث السنوات السابقة لهذه المدة في المجلدين: السادس عشر والسابع عشر. ولما كانت المددُ

---

(١) وانظر أيضًا بداية الحوادث في النسخة الحلبية رقم ١ / ١٢٢٠ لسنة ٣٥١هـ (الورقة ٧٥) حيث يبدأ الناسخ بالبسملة والدعاء بالتيسير ثم يذكر حوادث السنوات متتابعة إلى سنة ٤٠٠هـ ويبدأ حوادث سنة ٤٠١هـ بورقة جديدة.

(٢) الصفدي: الوافي، ٢ / ١٦٣ ونكت الهميان ص ٢٤٢. وانظر طرة المجلد الحادي والعشرين من نسخة المؤلف التي بخطه (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٣) انظر أعلاه وصف هذا المجلد في كلامنا على نسختنا الملفقة (رقم ١٥).

الزمانية للمجلدات: من الحادي عشر إلى الرابع عشر متساوية، حيث اشتمل كل مجلد منها على خمسين سنة، فإنه يبدو من غير المحتمل أن يكون أحد المجلدات قد تضمن من الحوادث ما هو زائد على نطاقه الزماني.

أما المجلد الثامن عشر(١) فقد أورد الذهبي فيه وفيات السنوات (٦٠١ - ٦٢٠هـ) مجتمعة، ثم أعقبها بذكر حوادث المدة نفسها(٢)، وقال في نهاية الوفيات: «وقد انقضى ما انتهى إليّ علمه من وفيات هؤلاء الذين انتقلوا إلى اللّه في هذه العشرين سنة، فلنشرع فيما وقع الاختيار عليه من حوادث هذه العشرين سنة إن شاء اللّه»(٣)، بينما تناول المجلد التاسع عشر(٤) وفيات السنوات (٦٢١ - ٦٤٠هـ) ثم أعقبها بحوادث السنوات (٦٢١ - ٦٥٠هـ)(٥) وابتدأها بقوله: «ومن الحوادث»(٦)، ولم نجد - وكما هو في المجلدات الأخرى أيضًا - أي فاصل بين حوادث طبقة وأخرى(٧)، ثم توكيده ذلك بقوله في أول حوادث سنة ٦٤١هـ من المجلد التاسع عشر، وهي بداية الطبقة الخامسة والستين: «بسم اللّه الرحمن الرحيم: ومن حوادث المجلد العشرين عشر سنين»(٨).

ولعل الذي يؤيد رأينا هذا ويزيده قوة هو أن الذهبي لا يقتصر في إطلاق لفظ «الطبقة» على التراجم حسب، بل يطلقه أيضًا على الحوادث وهي متسلسلة وبعيدة تمامًا عن مكانها، فقد قال في نهاية حوادث سنة (٥٥٠هـ) من

---

(١) أياصوفيا ٣٠١١.
(٢) الورقة ٢١٩ - ٢٥١ من المجلد أعلاه.
(٣) الورقة ٢١٧ من المجلد أعلاه.
(٤) أياصوفيا ٣٠١٢.
(٥) الورقة ٢٢٧ - ٢٧٠ منه.
(٦) الورقة ٢٢٧ منه أيضًا.
(٧) انظر الورقة ٢٤٣ من النسخة الأصلية (غير المصورة) حيث تنتهي حوادث سنة ٦٣٠هـ وتبدأ في ظهرها حوادث سنة ٦٣١هـ وهي بداية الطبقة الرابعة والستين.
(٨) الورقة ٢٥٥ (أياصوفيا ٣٠١٢) وقد انتهت حوادث سنة ٦٤٠هـ وابتدأت حوادث سنة ٦٤١هـ في وجه الورقة نفسها.

النسخة التي بخطه: «آخر الطبقة الخامسة والخمسين والحمد للّه»[١]، فإذا كان مفهوم الطبقة يراد به تحديد جماعة من الناس فكيف يصح إطلاقه على الحوادث؟!

قد توصلنا إذن إلى أن مفهوم «الطبقة» في كتاب «تاريخ الإسلام» يعني «العقد». ويحق للقارئ الباحث بعد كل هذا الذي أطلنا القول فيه ودللنا عليه، أن يتساءل عن سبب تنظيم الذهبي كتابه على «عقود». فنقول عندئذ: إن ذلك لم يكن إلا لحاجة تنظيمية استشعرها الذهبي ولا سيما في المدة الأولى من كتابه التي تمتد إلى سنة (٣٠٠هـ) حيث لم تتوافر فيها لديه وفيات عدد كبير من المترجَمين بصورة دقيقة. فلم يكن ليستطيع أن ينظم وفياتهم بحسب السنين، وإذا ما رتبهم كذلك فإنه سوف يضطر لإعادة ذكر الشخص أكثر من مرة استنادًا إلى الاختلاف الحاصل في تاريخ وفاته، وهي الطريقة التي اتبعها حينما نظم الوفيات على السنين ابتداءً من سنة (٣٠١هـ). وقد أشار الذهبي إلى ذلك في مقدمة كتابه حينما قال: «ولم يعتن القدماء بضبط الوفيات كما ينبغي، بل اتكلوا على حفظهم، فذهبت وفيات خلق من الأعيان من الصحابة ومن تبعهم إلى قريب زمان أبي عبد اللّه الشافعي، فكتبنا أسماءهم على الطبقات تقريبًا»[٢].

إن عدم توافر تواريخ وفيات المترجَمين في المدة الأولى من الإسلام بصورة دقيقة من جهة، وقلتهم من جهة أخرى[٣] دفعت الذهبي إلى أن يدمج

---

(١) الورقة ٤٥ (أياصوفيا ٣٠١٠).

(٢) تاريخ الإسلام، ١ / ١٧ (مطبوعة).

(٣) اعتذر الذهبي عن قلة ما هو مذكور من التراجم في السنين الأولى من كتابه فقال في أثناء السنة الأولى للهجرة: «والسبب في قلة من توفي في هذا العام وما بعده من السنين أن المسلمين كانوا قليلين بالنسبة إلى من بعدهم، فإن الإسلام لم يكن إلا ببعض الحجاز أو من هاجر إلى الحبشة. وفي خلافة عمر، بل وقبل، انتشر الإسلام في الأقاليم، فبهذا يظهر لك قلة من توفي في صدر الإسلام وسبب كثرة من توفي في زمن التابعين ومن بعدهم» (الورقة ٧ سعودية) وقال في آخر سنة ٢٨هـ من كتابه: «وقل من مات وضبط موته في هذه السنوات=

الحوادث والتراجم في العقود الأربعة الأولى من «تاريخ الإسلام»، بل لم يظهر لفظ «الطبقة» في العقود الثلاثة الأولى إطلاقًا، فقد انتقل من السنة العاشرة للهجرة إلى الحادية عشرة من غير إشارة إلى بدء طبقة جديدة[1]، وانتقل من سنة عشرين إلى سنة إحدى وعشرين من غير ذكر للطبقة أيضًا[2]. أما الطبقة الرابعة (٣١ ـ ٤٠هـ) فقد ذكر عنوانها ولم نجد فحواها وفائدتها، فقد خلط الذهبي الوفيات بالحوادث في هذا العقد خلط كتب الحوليات[3].

ولننظر الآن إلى تنظيم الوفيات في هذه السنين الأربعين، إذا كان هناك من تنظيم، ففي المدة الواقعة بين (١ ـ ١١هـ) ذكر الذهبي بعض الوفيات القليلة جدًا ضمن الحوادث[4] بحيث لا يشعر الباحث بأهميتها، وترجم للنبي ﷺ ترجمة طويلة بحساب وفاته حادثًا من حوادث سنة ١١هـ[5]. وبعد أن تكلم على خلافة أبي بكر ـ رضي اللّه عنه ـ من ضمن حوادث هذه السنة وقصة الأسود العنسي، وجيش أسامة، وشأن أبي بكر مع فاطمة، وأخبار الردة وما جرى فيها[6]، ذكر وفاة فاطمة وبعض الصحابة[7]، ولم يراع في ذكر هذه الوفيات أي نوع من أنواع التنظيم، لا من حيث قدم الوفاة ولا من حيث الترتيب على حروف المعجم غير ورودها في سنة ١١هـ. أما في سنة ١٢هـ فقد ذكر من توفي في وقعة اليمامة من غير ترتيب[8]، وذكر بعدها بعض الحوادث القصيرة[9]، ثم عاد إلى الوفيات

= كما ترى» ٢ / ٨١.

(١) الورقة ٢٩٣ (سعودية).

(٢) الورقة ١٩٣ (أياصوفيا ٣٠٠٥) وانظر ٢ / ٢٩ (مطبوعة).

(٣) ٢ / ٩٥ ـ ٢٠٧ (مطبوعة).

(٤) انظر مثلاً الورقة ٤١، ٤٢، ٤٧، ٦٤، ٨٣، ٨٥. . . إلخ (سعودية).

(٥) الورقة ١ ـ ١٧٠ (أياصوفيا ٣٠٠٥) = ١ / ١٨ ـ ٣٣٦ (مطبوعة).

(٦) ١ / ٣٣٦ ـ ٣٦٠ (مطبوعة).

(٧) ١ / ٣٦٠ ـ ٣٦٤ (مطبوعة).

(٨) ١ / ٣٦٤ ـ ٣٧٣ (مطبوعة).

(٩) ١ / ٣٧٣ (مطبوعة).

ثانية[١]، ثم ذكر بعض الحوادث، وهكذا نجد تباينًا كبيرًا في التنظيم. وفي السنين التالية نجده يرتب بعض وفيات السنين على حروف المعجم، كما هو في سنة ثلاث عشرة[٢]، وأربع عشرة[٣]، وخمس عشرة[٤]، وثلاثين[٥]، ويدمج بعض الوفيات في سنين أخرى بالحوادث أو يذكرها في آخر الحوادث من غير ترتيب كما في سنة ست عشرة[٦]، وسبع عشرة[٧]، وثماني عشرة[٨]، وتسع عشرة[٩]، وعشرين[١٠]، وإحدى وعشرين[١١]، وثلاث وعشرين[١٢]، وأربع وعشرين[١٣]، والسنوات من إحدى وثلاثين إلى أربعين[١٤]، في حين لم يذكر في بعض السنين أية ترجمة[١٥]. ولكنه ذكر من توفي في خلافة عمر على التقريب في سنة وفاته وهي سنة ٢٣هـ، ورتبهم على حروف المعجم[١٦]، ثم ذكر في نهاية سنة ثلاثين من توفي في خلافة عثمان تقريبًا ونظمهم على حروف

---

(١) ١ / ٣٧٣ ـ ٣٧٥ (مطبوعة).
(٢) ١ / ٣٧٨ وإلى ٢ / ٢ (مطبوعة).
(٣) ٢ / ٦ ـ ٩ (مطبوعة).
(٤) ٢ / ١٣ ـ ١٧ (مطبوعة).
(٥) ٢ / ٧٤ ـ ٨٥ (مطبوعة).
(٦) ٢ / ٢١ (مطبوعة).
(٧) ٢ / ٢١ ـ ٢٢ (مطبوعة).
(٨) ٢ / ٢٢ ـ ٢٦ (مطبوعة).
(٩) ٢ / ٢٧ ـ ٢٩ (مطبوعة).
(١٠) ٢ / ٣١ ـ ٣٩ (مطبوعة).
(١١) ٢ / ٤١ ـ ٤٤ (مطبوعة).
(١٢) ٢ / ٥٠ ـ ٦٥ (مطبوعة).
(١٣) ٢ / ٧٦ (مطبوعة).
(١٤) ٢ / ٩٥ ـ ٢٠٧ (مطبوعة).
(١٥) ٢ / ٧٨، ٧٨ ـ ٨١، ٨١ ـ ٨٣، ٨٤ ـ ٨٥ (مطبوعة).
(١٦) ٢ / ٦٦ ـ ٧٣ (مطبوعة).

المعجم أيضًا[١]، مع أن عثمان قتل سنة ٣٥هـ، كما هو مشهور، وقد ترجم له هناك ترجمة حافلة[٢].

من كل هذا الذي قدمنا يتضح لنا أنه لم يكن هناك تنظيم سار على نسق واحد على الإطلاق، في هذه المدة الممتدة حتى سنة ٤٠هـ، ولم يكن للتراجم أي أثر واضح في الكتاب يميزها عن الحوادث. وهذا هو الذي يفسر لنا سبب قراءة الصفدي لكتاب «تاريخ الإسلام» من أوله إلى آخر أيام الحسن، ثم اقتصاره على الحوادث إلى نهاية الكتاب، مع أن الصفدي لم يكن يريد أن يقرأ من هذا التاريخ على مؤلفه غير الحوادث كما يبدو[٣]، لأن تاريخ الإسلام حتى أيام الحسن لم يكن غير تاريخ حوادث فيه بعض الوفيات، ولم يكن بالإمكان فصل الحوادث عن الوفيات.

وابتداء من سنة ٤١هـ وحتى سنة ٣٠٠هـ اتبع الذهبي تنظيمًا جديدًا مغايرًا لما سار عليه في المدة السابقة، فصار ينظم وفيات كل عشر سنوات على حروف المعجم ومن ثم فإنه لم يعتن بذكر وفيات المترجَمين داخل الطبقة دائمًا، وأغفل وفيات عدد كبير منهم، بسبب عدم معرفته بسنة وفاتهم على وجه الدقة، فلو أخذنا أول طبقة في هذا التنظيم الجديد وهي الطبقة الخامسة (٤١ ـ ٥٠هـ) ـ مثلاً ـ لوجدنا عدد المترجَمين فيها ٧٩ ترجمة[٤]، لم يذكر غير تواريخ وفيات خمسة وعشرين منهم فقط، أما الآخرون فقد تركهم غُفلاً من تاريخ الوفاة، أو حدد عصرهم تقريبًا نحو قوله ـ مثلاً ـ: «وعاش إلى دهر معاوية»[٥]، و«توفي في

---

(١) ٢ / ٨٦ ـ ٩٥ (مطبوعة).

(٢) ٢ / ١٤٠ فما بعد (مطبوعة).

(٣) راجع الصفدي: الوافي، ٢ / ١٦٣، ونكت الهميان، ص ٢٤٢. وانظر أيضًا أدناه كلامنا على وصف نسختنا الملفقة ولا سيما رقم ٢، ١٠، ١٥، ١٩ ـ ٢٢.

(٤) ٢ / ٢١٣ ـ ٢٥٨ (مطبوعة).

(٥) ٢ / ٢١٣، وانظر أيضًا ٢ / ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٥١ (مطبوعة).

إمرة معاوية»[1]، و«مات وسط إمرة معاوية»[2]، و«توفي في أول خلافة معاوية»[3]، و«توفي في صدر خلافة معاوية»[4]، و«توفي في خلافة معاوية»[5]، و«بقي إلى هذا الوقت»[6]. ولو أخذنا الطبقة العاشرة ـ مثلاً ـ (٩١ ـ ١٠٠هـ) لوجدنا أنه أورد فيها ٢٨٤ ترجمة[7]، لكنه لم يذكر سوى تاريخ وفاة ٨٥ ترجمة منها فقط، وكتب الباقي على التقريب، مستعملاً في بعض الأحيان العبارات الدالة على تعيين أوقاتهم التقريبية نحو قوله: «توفي في خلافة الوليد»[8]، و«توفي في آخر خلافة الوليد»[9]، و«توفي في إمرة الحجاج»[10]، و«توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز»[11] ونحو ذلك. وينطبق هذا الذي قلناه من عدم تقييد الوفيات، إلا في القلة، على جميع المدة الواقعة في القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الذهبي ابتداء من سنة ٤١هـ.

ومن ثم نلحظ بعد كل ذلك تباينًا كبيرًا جدًا بين كبار المؤرخين الذين نقل الذهبي عنهم تواريخ الوفيات في ضبطها وتحديدها، ولا سيما في غير المشهورين، فإذا ما قدمنا أمثلة لاختلاف هؤلاء المؤرخين في المشهورين جدًا عرفنا مدى التباين الكبير في غيرهم، فهذا أبو موسى الأشعري وتلك شهرته اختلفت موارد الذهبي اختلافًا بينًا في تاريخ وفاته، فذكر الهيثم بن عدي أنه توفي

---

(١) ٢ / ٢٤١ (مطبوعة).

(٢) ٢ / ٢١٥ (مطبوعة).

(٣) ٢ / ٢٢٣، ٢٥٣ (مطبوعة).

(٤) ٢ / ٢٢٨ (مطبوعة).

(٥) ٢ / ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٤٧، ٢٥١ (مطبوعة).

(٦) ٢ / ٢١٥ (مطبوعة).

(٧) ٣ / ٣٣٤ ـ ٣٧٠، ٤ / ٢ ـ ٨٥ (مطبوعة).

(٨) ٣ / ٣٦٠، ٣٦٤، ٤ / ١٧، ١٩، ٢٥ (مطبوعة).

(٩) ٤ / ٣٠، ٧٦ (مطبوعة).

(١٠) ٤ / ٤٦ (مطبوعة).

(١١) ٣ / ٣٥٩، ٤ / ٥٢، ٦٤، ٧٣، ٧٨ (مطبوعة).

سنة ٤٢هـ، ووافقه ابن مندة، وقال أبو نعيم الأصبهاني ومحمد بن عبد اللّه بن نمير وأبو بكر بن أبي شيبة وقعنب التميمي: توفي سنة ٤٤هـ، أما الواقدي فذكر أن وفاته سنة ٥٢هـ، وجعلها المدائني سنة ٥٣هـ[1]. وهذا سعيد بن المسيب عالم أهل المدينة بلا مدافعة تختلف جل موارد الذهبي في وفاته، فيذكر الهيثم ابن عدي وسعيد بن عفير ومحمد بن عبد اللّه بن نمير أن وفاته سنة ٩٤هـ، ويذكر أبو نعيم الأصبهاني وعلي ابن المديني أنها سنة ٩٣هـ، ويقول يحيى بن القطان: إنها سنة ٩١ أو سنة ٩٢هـ، وينقل الذهبي عن محمد بن سواء عن همام عن قتادة أنه توفي سنة ٨٩هـ، ثم ينقل عن أبي عبد اللّه الحاكم النيسابوري قوله: «فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة خمس ومئة»[2]. وهذا عروة بن الزبير بن العوام الإمام الفقيه المشهور، نقل الذهبي عن أبي نعيم وابن المديني وخليفة: أنه مات سنة ٩٣هـ، ونقل عن الهيثم بن عدي والواقدي وأبي حفص الفلاس: أنه توفي سنة ٩٤هـ، ونقل عن يحيى بن بكير: أنه توفي سنة ٩٥هـ[3]. ومثل هذه الأمثلة كثيرة جدًا، بل هي الصفة الغالبة على «تاريخ الإسلام» في هذه المدة، فكيف يستطيع الذهبي بعد كل هذا أن يرتب التراجم بحسب السنين؟ ولذلك اخترع «العقد» وسماه «طبقة» بحيث تستوعب السنواتُ العشر كثيرًا من مثل هذا الاختلاف. ومن أجل أن يقدم للقارئ تسهيلاً فقد ذكر أسماء بعض الأعلام في أول حوادث السنة التي رجح وفاتهم فيها.

وابتدأ من سنة ٣٠١هـ وإلى نهاية الكتاب غيّر الذهبي تنظيمه مرة أخرى، فصار يذكر وفيات كل سنة بصورة مستقلّة مرتبًا تراجم السنة الواحدة على حروف المعجم، وذاكرًا المتوفَّين على التقريب في نهاية كل «طبقة».

ويحق للباحث الذي قرأ ما حبرناه قبل قليل أن يتساءل: كيف استطاع

---

(١) ٢ / ٢٥٨ (مطبوعة).

(٢) ٤ / ٧ (مطبوعة).

(٣) ٤ / ٣٤ (مطبوعة) وانظر بعض الأمثلة في المدد الزمانية التالية الورقة ١٢١، ١٩٩ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

الذهبي أن ينقل تنظيم كتابه هذه النقلة بين سنة وأخرى؟ وكيف تمكن من حل الإشكالات الكثيرة والمصاعب الجمة التي واجهته في ضبط الوفيات والخُلف الذي بينها؟ فنقول عندئذ:

١ ـ من المعلوم عند أهل العلم بالتاريخ أن التدوين في هذه المدة قد ازداد ازديادًا عظيمًا[١]، ولذلك توافرت مادة جيدة في الوفيات[٢]، وقد أشار الذهبي إلى ذلك في مقدمة كتابه فقال بعد الذي ذكره من عدم اعتناء المتقدمين بضبط الوفيات: «ثم اعتنى المتأخرون بضبط وفيات العلماء وغيرهم، حتى ضبطوا جماعة فيهم جهالة بالنسبة إلى معرفتنا لهم، فلهذا حفظت وفيات خلق من المجهولين»[٣]. وهكذا توافرت للذهبي مادة غنية ودقيقة نسبيًا من تواريخ وفيات المترجَمين وإن ظلت طائفة منهم مجهولة عنده وعند غيره من المؤرخين.

٢ ـ ومن دراسة هذا القسم من الكتاب يتبين لنا أن الذهبي قد تمكن من أن يتبع منهجًا تنظيميًا يخفف فيه كثيرًا من عدد الذين لم يستطع التثبت من تواريخ وفياتهم، ويزيل كثيرًا من الإرباك الذي يتأتى من كثرة المذكورين في آخر الطبقة على التقريب، وذلك بأن ينظم بعضًا من هؤلاء في وفيات السنة التي كان لهم آخر

---

(١) انظر عن انتشار التدوين والصراع الذي جرى قبل هذا بسبب تفضيل الروايات الشفوية والحفظ عليه، والمفاضلة بينه وبين الحفظ: بحث الدكتور صالح العلي «المحاضرات الشفهية» وبحثه الآخر: «مواد الكتابة» وكلاهما مكتوب بالآلة الكاتبة ببغداد سنة ١٩٧٣م، وبحث الأستاذ كولتسيهر عن «الصراع حول مكانة الحديث عند المسلمين».

Goldziher Kampfe um die Stellung des Hadith im Islam (ZDMG Band 61 P. 860).

المنشور في مجلة جمعية المستشرقين الألمان (ZDMG) م ٦١ / ٨٦٠ فما بعد.

(٢) من المناسب أن أشير هنا إلى أنه بجانب كثير من الكتب المؤلفة في علم الرجال نجد القرن الرابع يشهد التأليف بكتب «الوفيات»؛ فقد ألف كل من عبد الباقي بن قانع البغدادي المتوفى سنة ٣٥١هـ ومحمد بن عبد الله بن زبر الدمشقي المتوفى سنة ٣٧٩هـ كتابيهما في «الوفيات»، انظر بحثنا: كتب الوفيات، ص ٢٤٠.

(٣) ١ / ١٧ (مطبوعة).

ذكر فيها، بعد أن صرح في غير موضع من كتابه بأنه لم يعرف وفاتهم يقينًا، وأنه إنما كتبهم في وفيات السنة على التقدير[١]، ونبَّه على ذلك بعبارات دالة نحو قوله: «حدَّث في هذه السنة»[٢]، و«حدث في شوال من هذه السنة»[٣]، و«لم تُضبَط وفاته وإنما حدث في هذه السنة»[٤]، و«حدث في هذا العام ولعله مات فيـه»[٥]، و«حدث في هذه السنـة وتوفي بعدها»[٦]، و«حدث في السنة ولم يذكروا وفاته»[٧]، و«حـدث بنيسابـور في هذه السنة وتوفي بعد ذلك»[٨]، و«حدث في هذا العام ولم تعرف وفاته»[٩]، و«حدث في هذه السنة، وانقطع خبره»[١٠]، و«حدث في أواخر سنة تسع وأظنه توفي سنة عشر»[١١]، و«توفي بعد سنة سبع»[١٢]، و«انقطع خبره من هذا العام»[١٣]، و«توفي في حدود هذه

---

(١) انظر مثلاً الورقة ١١٣ (أياصوفيا ٣٠٠٨) قال: «قلت: هو والذي قبله لا أعرف وفاتهما يقينًا» والورقة ٤٨ (أياصوفيا ٣٠٠٩) قال: «لا أعلم تاريخ موته وإنما كتبته هنا اتفاقًا» والورقة ١٣٣ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٨٤ (أياصوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.

(٢) انظر مثلاً الورقة ٨٧، ١١٣، ١٨٩ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٦، ١٧، ١٨، ٢٢، ١١٥ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٥، ١٢، ٣٣، ٥٥، ٦٨، ٦٩، (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧).

(٣) الورقة ١٦٨ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٤) الورقة ١٣٣ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٤٢ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٨٤ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٥) الورقة ١٢٩ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٦) الورقة ٣٣ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ١٨٠ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٧) الورقة ٩ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٨) الورقة ١١ من النسخة السابقة.

(٩) الورقة ٨٧ من النسخة السابقة، والورقة ١٢٨، ١٢٩ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(١٠) الورقة ١٤٨، ٢١٣، ٢٢٥ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧)، والورقة ٣٣٧ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(١١) الورقة ٤٧ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) وقد ذكره في سنة عشر (يعني ٣١٠هـ).

(١٢) الورقة ٣٣ من النسخة السابقة. علمًا أنه ذكره في سنة ٣٠٧هـ.

(١٣) الورقة ١٨٣، ١٩٣ من النسخة السابقة.

السنة»[١]، و«سمع منه في هذا العام»[٢]، و«سمع منه في هذه السنة ولم تؤرخ وفاته»[٣]، و«أجاز للخولاني في هذه السنة»[٤]، و«كان حيًا في هذه السنة»[٥]، و«بقي إلى بعد هذا العام بيسير»[٦]، و«بقي إلى هذا العام»[٧]، و«كان حيًا في هذا الوقت ولم أر له تاريخ وفاة»[٨] ونحوها.

٣ ـ وقد رأينا الذهبي دائمًا يحاول أن يجد وحدات زمنية يتسع نطاقها لتشمل أولئك المتوفَّين على التقريب، وهنا وجد هذه الوحدة الزمنية أيضًا، فوضع غير المعروفين منهم في نهاية كل عقد وميزهم بعناوين تحمل العبارات الدالة على عدم تمكنه من ضبط تاريخ وفاتهم نحو قوله: «ذكر من لم أعرف تاريخ موته من أهل هذه الطبقة كتبتهم على التقريب»[٩]، أو «من كان حيًا في هذا الوقت، ولم أعرف تاريخ وفاته فكتبتهم تخمينًا لا يقينًا»[١٠]، أو «من لم نحفظ وفاته وله شهرة كتبناه تقريبًا»[١١]، أو «المتوفون في عشر السبعين وثلاث مئة تقريبًا لا يقينًا»[١٢]، أو «ممن كان في هذا الوقت»[١٣]، أو «المتوفون بعد الأربع

---

(١) الورقة ٢٠ من النسخة السابقة.

(٢) الورقة ٨٩ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٣) الورقة ١٣١ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٤) الورقة ٢٣٩ من النسخة السابقة.

(٥) الورقة ١٨، ١٨٢ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٦) الورقة ٦٣ من النسخة السابقة.

(٧) الورقة ٧٢، ٧٦، ١٠٠ من النسخة السابقة، والورقة ١٩٢، ١٩٨ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٨) الورقة ١٨٢ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٩) الورقة ٤٨، ١٠٦ من النسخة السابقة.

(١٠) الورقة ١٦٦ من النسخة السابقة.

(١١) الورقة ٤٥ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧).

(١٢) الورقة ١٠٣ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(١٣) الورقة ٢١٠ من النسخة السابقة.

مئة ظنًا»[١]، أو «المتوفون في هذه الحدود ما بين الستين والسبعين»[٢] ـ يعني وخمس مئة ـ أو «وممن كان في هذا الوقت»[٣]، أو «المتوفَّون على التخمين»[٤] ونحوها من هذه العناوين. وقد رتب الذهبي غير المعروفين هؤلاء على حروف المعجم[٥] أيضًا.

ولما كان الذهبي قد غير التنظيم ابتداء من مطلع القرن الرابع الهجري وجعله على السنين، فكان من الطبيعي أن يكون عدد المترجَمين غير المعروفة وفياتهم في العقود الأولى من هذا التنظيم الجديد أكبر بكثير مما هو عليه في العقود الأخيرة، على الرغم من إيجاد بعض الأساليب المخففة لعددهم مما ذكرنا قبل قليل.. وقد رأينا أو لحظنا نتيجة لما قمنا به من إحصاءات[٦] أن عددهم كان يأخذ بالتناقص كلما اقترب الكتاب من عصر المؤلف، فمن بين عدد تراجم الطبقة الحادية والثلاثين (٣٠١ ـ ٣١٠هـ) البالغ (٦٦٣) ترجمة وجدنا

---

(١) الورقة ١٠٢ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٢) الورقة ٣٧ (أحمد الثالث ١٤ / ٢٩١٧).

(٣) الورقة ١٧٠ من النسخة السابقة.

(٤) الورقة ٨٥ من النسخة السابقة.

(٥) قد نلحظ في آخر تراجم المذكورين على التقريب عدم انتظام في الترتيب المعجمي (انظر مثلاً الورقة ١١٢ ـ ١١٣، ١٧١ ـ ١٧٢، ٢٠٨، ٢٥٧، ٢٥٨، أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) على أن هذا لا علاقة له بالتنظيم، إذ جاء من الزيادات التي زادها الذهبي إلى نسخته فيما بعد ووضع لها إشارات تشير إلى مواضعها وطلب إلى النساخ وضعها في مكانها الصحيح، إلا أن النساخ أبقوا عليها حيث كانت. على أنّ بعض النسّاخ الفُهماء، ومنهم بدر الدين البشتكي، قد أعادوا تنظيم التراجم في كثير من الأحيان، لإدراكهم أنّ المصنّف أراد ذلك، فقد ذكر البشتكي مثلاً، في آخر الطبقة التاسعة والخمسين، أنه فعل ذلك، قال: «وقدّمت من الأسماء وأخرتُ على شرطه ما يجب». وحين قمنا بتحقيق الكتاب ونشره، سرنا على هذه القاعدة في حلّ المواضع.

(٦) قد يكون في مثل هذه الإحصاءات زيادة رقم أو نقصانه يجيء من شطط النظر المتعَب من طول إدمان النظر بصور المخطوطات، وهذا النقص غير ذي أهمية كبيرة لأن الغاية من هذا تبيان التطور حسب.

(١٦٧) ترجمة منها قد ذكرت في نهاية الطبقة على التقريب[١]، لعدم وقوف المؤلف على وفياتهم، في حين بلغ عددهم في الطبقة التي بعدها (٨٤) نفسًا[٢]، وفي الطبقة الثالثة والثلاثين (٧٩) نفسًا[٣]، وفي الطبقة الخامسة والثلاثين (٨٠) نفسًا[٤]، وفي السادسة والثلاثين (٧٣) نفسًا[٥]، وفي الطبقة الثامنة والثلاثين (٦٨) نفسًا[٦]، وفي الطبقة الأربعين (٤٨) نفسًا[٧]، وفي الثانية والأربعين (٥٢) نفسًا[٨]، بينما بلغوا في الطبقة الثالثة والأربعين (٢٦) نفسًا[٩]، وفي الرابعة والأربعين (٢٧) نفسًا[١٠]، وفي الخامسة والأربعين (١١) نفسًا[١١]، فإذا ما انتقلنا إلى القرن السابع وجدنا هذا العدد يتناقص، حيث لم يتجاوز عدد المذكورين على التقريب في نهاية أول عقد منه (٦٠١ ـ ٦١٠هـ) ١٨ ترجمة[١٢]، وفي العقدين الثاني[١٣] والثالث[١٤] أربع تراجم، وفي العقد الرابع ١٧ ترجمة[١٥]، وفي العقد الثامن عشر تراجم[١٦]، أما العقدان الأخيران من الكتاب فلم نجد

---

(١) الورقة ٤٨ ـ ٥٨ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).
(٢) الورقة ١٠٦ ـ ١١٣ من النسخة السابقة.
(٣) الورقة ١٦٦ ـ ١٧٢ من النسخة السابقة.
(٤) الورقة ٢٥١ ـ ٢٥٨ من النسخة السابقة.
(٥) الورقة ٤٥ ـ ٥١ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧).
(٦) الورقة ١٥٣ ـ ١٥٧ (أياصوفيا ٣٠٠٨).
(٧) الورقة ١٠٢ ـ ١٠٩ (أياصوفيا ٣٠٠٨).
(٨) الورقة ٢٠٥ ـ ٢١٣ من النسخة السابقة.
(٩) الورقة ٣١٠ ـ ٣١٣ من النسخة السابقة.
(١٠) الورقة ٣٨٢ ـ ٣٨٧ من النسخة السابقة.
(١١) الورقة ٤٩١ ـ ٤٩٤ من النسخة السابقة.
(١٢) الورقة ٨٥ ـ ٨٧ (أياصوفيا ٣٠١١).
(١٣) الورقة ١٠٣ ـ ١٠٤* (٣٠١١).
(١٤) الورقة ٢١٧ من النسخة السابقة.
(١٥) الورقة ٢٢٦ (أياصوفيا ٣٠١٢).
(١٦) الورقة ٨٢ (أياصوفيا ٣٠١٤).

فيهما ذكرًا للمتوفين على التقريب[1]، مع أن عدد الذين ذكر الذهبي وفاتهم في الطبقة الأخيرة من كتابه قد بلغ (٨٢٥) مترجَمًا[2].

وفي أثناء تبييض الذهبي لكتابه وبعد الانتهاء من كتابته، كان يعثر دائمًا على وفيات بعض من لم يعرف وفاتهم من أولئك الذين كتبهم على التقريب، سواء أكان ذلك في القسم المنظم على «العقود» أم في القسم المنظم على السنين، فكان يضع إشارة لذلك ويطلب من النساخ تحويلهم إلى مواضعهم الأصلية الصحيحة، فقد تبين له فيما بعد مثلاً، أن المنذر بن عبد اللّه بن المنذر القرشي الأسدي الذي ترجم له أولاً في الطبقة الثامنة (١٧١ ـ ١٨٠هـ) قد توفي سنة ١٨١هـ، لذلك طلب تأخيره إلى الطبقة التاسعة عشرة[3]. ومن ذلك أيضًا ما قال في أثناء وفيات سنة ٣٢٤هـ: «محمد بن أحمد بن عمر الداجري يُحَوَّل إلى هنا من تقريب الطبقة الماضية»[4] ومثل هذا كثير في كتابه[5].

إنّ ذكر الحوادث سنة بعد سنة من أول الكتاب إلى آخره ثم تنظيم التراجم ابتداء من سنة ٣٠١هـ على السنين قد جعل الذهبي، فيما نعتقد، يغير رأيه في عنوان الكتاب فيحذف منه لفظ «طبقات» ويضع لفظ «وفيات» بدلاً منه، فيصير عنوان الكتاب «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» بدلاً من «تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام». ودليلنا على ذلك أن العنوان الذي ورد فيه لفظ «طبقات» لم يرد إلا في طرتي المجلدين: الثاني والحادي والعشرين من النسخة التي بخطه، بينما ورد العنوان الذي يحمل لفظ «وفيات» بخطه في المجلدات الثمانية التي وصلت إلينا من هذه النسخة. ويزداد يقيننا، بل يتكامل في هذا الأمر حينما نتذكر أن طرتي المجلدين الثاني والحادي والعشرين هما من

---

(١) انظر آخر وفيات الطبقتين في الورقة ١٩٦ والورقة ٣١٩ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٢) الورقة ٢١٠ ـ ٣١٩ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٣) الورقة ١٨ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٤) الورقة ١٣٣ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) وانظر أيضًا الورقة ١١٨ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٥) انظر أدناه كلامنا على تنظيم التراجم.

الطرر التي كتبها الذهبي عند انتهائه من الكتاب أول مرة، وأن الطرر الثماني الأخرى كانت تمثل الإخراج الأخير لكتابه[١].

ثانيًا: العلاقة بين الحوادث والتراجم:

كانت الكتب التاريخية الأولى المرتبة بحسب السنين تعنى بذكر الحوادث بالدرجة الأولى مثل تاريخ خليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠هـ وتاريخ الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ وغيرهما، وقلما أعطت أهمية كبيرة ومتميزة للتراجم. وقد ظهر تحول واضح منذ القرن السادس الهجري في هذا النمط من الكتب التاريخية ولا سيما عند المؤرخين المحدِّثين، إذْ زاد اهتمامهم بذكر التراجم. ويبدو ذلك واضحًا في كتاب «المنتظم» لأبي الفرج ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، حيث أدخل تقسيمًا واضحًا بين الحوادث والوفيات، فجعل التراجم تعقب حوادث كل سنة ورتبها بحسب حروف المعجم. وقد ظلت هذه الطريقة تؤثر في أُطُر الصور الحولية للمؤلفات التاريخية التي جاءت بعده. ويعزو الأستاذ روزنتال ذلك إلى سيطرة علم الكلام[٢]، في حين نعتقد أن هذا التطور لم يكن إلا بتأثير علم الحديث النبوي، واشتداد العناية برواته[٣].

لقد فصَل الذهبي فصلاً تامًا بين الحوادث والوفيات، ورأينا قبل قليل تذبذبه في السير على خط واضح في ذكر الحوادث وعدم وجود أية علاقة بينة لها بالوفيات. ولعله فكر في بعض الأحيان بتجميع حوادث كل مجلد مع الوفيات الواردة فيه[٤]، فحينما أورد حوادث السنوات ١٤١ ـ ٦٥٠هـ في المجلد التاسع عشر الذي لم يتضمن وفياتها، ذكر أنها من حوادث المجلد العشرين[٥]. وقد طلب الذهبي من الناسخ في نهاية تراجم الطبقة الخامسة والستين من المجلد العشرين أن يرتب تلك الحوادث التي مرت في المجلد

---

(١) انظر أعلاه كلامنا على نسختنا الملفقة في مقدمة هذه الرسالة.

(٢) روزنتال: علم التاريخ، ص ١٩٨، ٢٠٤.

(٣) انظر بحثنا: مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين ص ٣٣ ـ ٣٤.

(٤) انظر أعلاه كلامنا على «الخطة العامة للكتاب».

(٥) الورقة ٢٥٥ (أياصوفيا ٣٠١٢).

الماضي في ذلك الموضع[1].

والعلاقة الوحيدة التي نجدها بين الحوادث والتراجم هي وجود بعض الإحالات من الحوادث إلى الوفيات وبالعكس، ولا سيما في تراجم الشخصيات السياسية التي شاركت في الحوادث، نحو قوله في ترجمة السلطان غياث الدين الغوري في وفيات سنة ٦٠٥هـ: «هو في الحوادث»[2]، وقوله في ترجمة محمد ابن تكش خوارزم شاه: «قد ذكرنا قطعة من أخباره في الحوادث»[3]، مع أنه ترجم له ترجمة حافلة في قرابة خمس ورقات[4]، وقوله في ترجمة ولده جلال الدين: «وفي الحوادث على السنين قطعة من أخباره»[5] وغيرها[6]. ومع كل ذلك فإن هذا الانفصام الذي أشرت إليه بين الحوادث والوفيات قد أدى إلى تكرار بعض المعلومات فيهما، كما في قصة الوحشة التي جرت بين الملك الجواد وعماد الدين عمر ابن شيخ الشيوخ محمد بن حموية الجويني ومقتل عماد الدين سنة ٦٣٦هـ حيث تكررت في الحوادث والوفيات[7].

كان اهتمام الذهبي الرئيس ينصب دائمًا على التراجم، وذلك يعكس مفهومه الأصلي للتاريخ، لذلك احتلت التراجم حيزًا كبيرًا من تاريخه. فإذا استثنينا المدة الأولى من كتابه (١ ـ ٤٠هـ) فإن كمية الحوادث لا يمكن أن تقارن

---

(١) الورقة ١٠٧ (أياصوفيا ٣٠١٣).

(٢) الورقة ٣٤ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٣) الورقة ١٧٢ (أياصوفايا ٣٠١١).

(٤) الورقة ١٧٢ ـ ١٧٧ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٥) الورقة ٧٨ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٦) انظر مثلاً الورقة ١٤٣ (أياصوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٤ (أياصوفيا ٣٠١٤)، ٢ / ٣٦٥، ٣ / ١٢٥، ٥ / ٣٢٤، الورقة ٦٠ (أياصوفيا ٣٠٠٦)، والورقة ٢١١ (أحمد الثالث ٧ / ٢٩١٧) والورقة ٧٨ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٢ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٣٩، ٧٨، ١٧٩، ٢٤٨ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٧) انظر ترجمة عماد الدين ابن شيخ الشيوخ في نسخة أياصوفيا ٣٠١٢، وورقة ٧٨ فما بعد، وقارن حوادث سنة ٦٣٦هـ (ورقة ٢٤٨ من النسخة نفسها).

بكمية التراجم، فإننا إذا أحصينا عدد الأوراق التي سودها الذهبي لتاريخ القرن السابع الهجري من «تاريخ الإسلام» ـ مثلاً ـ وجدناها تبلغ ١١٧٤ ورقة لم تحتل الحوادث منها غير ١٧٠ ورقة فقط[١]، وهذا يعني أنها تكوِّن ١٤,٤٪ من الكتاب، علمًا أنها أقل من ذلك بالنسبة للقرون الأولى حيث بلغت للمدة الواقعة بين سنتي ١٨١ ـ ٢٢٠هـ ١٠٪ فقط[٢]. وقد جاء هذا التقصير النسبي في الحوادث بسبب عدم استقصاء الذهبي لما ذكرته المصادر من حوادث واقتصاره على بعض منها. وقد صرح بذلك في أكثر من موضع، فقال في بداية حوادث الطبقة السادسة والستين: «وهذه نبذة مما جرى في هذه الطبقة من الحوادث»[٣] وقوله في بداية حوادث الطبقة التاسعة والستين: «ذكْر الحوادث الكائنة في هذه السنين العشر على الترتيب مختصرًا»[٤]، وقوله: «سنة إحدى وأربعين وأربع مئة على سبيل الاختصار»[٥]، وهو منهج اختطه الذهبي لنفسه كما سيتضح عند كلامنا على الأسس التي اتبعها في انتقاء مادة الحوادث.

إن اختفاء العلاقة بين الحوادث والتراجم في كتاب «تاريخ الإسلام» هو

---

(١) منها ٣٤ ورقة في المجلد الثامن عشر (أياصوفيا ٣٠١١) و٤٣ ورقة في المجلد التاسع عشر (أياصوفيا ٣٠١٢) و٣٧ ورقة في المجلد العشرين (أياصوفيا ٣٠١٣) و٥٦ ورقة في المجلد الحادي والعشرين (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٢) أجريت هذه الإحصائية على النسخة التي بخط الذهبي، فقد بلغت أوراق الطبقة التاسعة عشرة ١٣٨ ورقة احتلت الحوادث ١٢ ورقة منها، وبلغ عدد أوراق الطبقة العشرين ١٣١ ورقة منها ٢١ ورقة حوادث، وعدد أوراق الطبقة الحادية والعشرين ٨٤ ورقة منها ٨ أوراق حوادث، أما الطبقة الثانية والعشرون فبلغ عدد أوراقها ١٤٧ ورقة احتلت الحوادث ٩ أوراق منها فقط. فيكون مجموع عدد أوراق الطبقات الأربع ٥٠٠ ورقة منها ٥٠ ورقة حوادث. ونرى من المفيد أن نشير هنا إلى أن الذهبي كان يورد أسماء وفيات الكبار ضمن الحوادث، فهي تحتل قسمًا غير قليل منها أيضًا.

(٣) الورقة ٢٠٤ (أياصوفيا ٣٠١٣).

(٤) الورقة ١٩٧ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٥) الورقة ١٧٠ (حلب).

الذي جعل الذهبي فيما نعتقد لا يتبع نمطًا واحدًا في تجميع الحوادث، وجوز لنفسه أن يذكرها متتابعة كل عشر سنوات تارة وكل خمسين سنة تارة أخرى ونحو ذلك مما بيناه سابقًا. ثم إن شعور المؤرخين فيما بعد بعدم وجود هذه العلاقة جعلهم في وضع يبدو أكثر حرية في دراسة أي قسم منهما على انفراد[١]، أو الانتقاء منه[٢]، كما شعر النُّساخ دائمًا بحرية كبيرة في تجميع كل قسم على حدة[٣].

ثالثًا: تنظيم الحوادث وأساليب عرضها:

إن قلة المادة التاريخية التي قدمها الذهبي في الحوادث قياسًا بالمادة الضخمة التي قدمها في التراجم تجعل من العسير علينا أن نميز له منهجًا خاصًا في هذا المجال خالف فيه غيره من كتاب الحوليات الذين سبقوه. وقد لحظنا تذبذبًا في طريقته بين مدة وأخرى في أساليب العرض وفي كمية المعلومات التي يقدمها ونوعيتها.

ففي القسم الخاص بالمغازي (١ ـ ١١هـ) وجدنا نوعًا من التنظيم الذي يمتاز بالوضوح، حيث تناول الحوادث سنة سنة، ورتب السنة الواحدة بحسب

---

(١) لقد استطاع الصلاح الصفدي مثلاً أن يقرأ على الذهبي القسم الخاص بالحوادث من تاريخ الإسلام فقط (انظر الوافي، ٢ / ١٦٣ ونكت الهميان ص ٢٤٢ وارجع إلى كلامنا على وصف نسختنا الملفقة).

(٢) من ذلك مثلاً أن شمس الدين السخاوي تمكن من تجريد تراجم الكتاب وترتيبها على حروف المعجم (انظر الإعلان، ص ٥٨٩) ووجدنا خطه على نسخة المؤلف بالإشارة إلى ذلك (راجع المقدمة عند الكلام على نسختنا الملفقة).

(٣) من ذلك مثلاً أن صاحب النسخة المحفوظة في المكتبة الأحمدية بحلب برقم ١٢٢٠ استطاع أن يجمع الحوادث التي أرخت المدة ٣٠١ ـ ٥٠٠هـ في مجلد واحد (انظر كلامنا على نسختنا الملفقة رقم ١٤) كما استطاع صاحب النسخة المحفوظة في مكتبة أحمد الثالث برقم ١٥ / ٢٩١٧ أن يجمع الحوادث التي أرخت المدة ٣٥١ ـ ٦٧٠هـ في مجلد واحد أيضًا. وقد جربنا وجود الكثير من النسخ التي وصلت إلينا وهي تحتوي على مجلدات كاملة لم تذكر فيها غير التراجم.

تسلسل شهورها ابتداء بالمحرم وانتهاء بذي الحجة منها. ومع أننا نجد محاولة للسير على تسلسل زمني في ذكر الحوادث ضمن السنة الواحدة في القسم الخاص بالخلفاء الراشدين، إلا أن ذلك لم يكن واضحًا كل الوضوح. وفي كثير من أحداث هذه السنين (١ ـ ٤٠هـ) ذكر الذهبي بعض وفيات المشهورين بعدِّها من الأحداث المهمة التي وقعت في تلك السنة، فمنهجه في هذه المدة يشبه منهج خليفة بن خياط «ت ٢٤٠هـ» والطبري «ت ٣١٠هـ»، وابن الأثير «ت ٦٣٠هـ»، في تواريخهم.

أما القسم الخاص بالمدة الواقعة بين سنتي ٤١ ـ ٣٠٠هـ فلم نجد فيه تنظيمًا زمنيًا ضمن السنة الواحدة. ولكننا وجدنا عناية بذكر أسماء المشهورين الذين توفوا فيها في أول حوادث السنة دائمًا، وقد يبلغ الأمر به في بعض الأحيان إلى حد يضع فيه عنوانًا لأسماء المتوفَّين فيها[1]. وفي القسم الذي بيَّضه الذهبي ثانية من كتابه ووصل إلينا بخطه، نلحظ أن المؤلف رتب هذه الأسماء في أول السنة بشكل منسق: كل اسمين متقابلين، حتى لتبدو هذه الأسماء لأول وهلة وكأنها أبيات من الشعر[2]. إن اعتناء الذهبي بذكر أسماء الأعلام ممن توفوا في السنة ضمن الحوادث يبدو أمرًا معقولاً ومنسجمًا مع مزاجه التراجمي، ولا سيما إذا علمنا أنه نظّم التراجم في هذه المدة بحسب العقود.

وأما المدة الممتدة من بداية القرن الرابع حتى منتصف القرن السابع الهجري فمن الصعوبة أن نميز فيها أي وجود لتنظيم الحوادث داخل السنة الواحدة لا من حيث الزمان ولا من حيث الأهمية، ولم نجد أية روابط بين الحوادث المذكورة في مثل هذه السنين سوى وقوعها في سنة واحدة. وقد اتّبع الذهبي طريقة كُتَّاب الحوليات الذين سبقوه في ذكر العبارات التي تربط الحوادث ببعضها في داخل السنة الواحدة والتي توضع في مقدمة الخبر عادة مثل: «وفيها»

---

(١) انظر مثلاً سنة ١٣٣هـ: «ذكر من توفي فيها من الأعيان ٥ / ٢٠٨ (مطبوعة) وانظر أيضًا: ٥ / ١٩٨ «ذكر من توفي فيها مجملاً».

(٢) انظر مثلاً الورقة ١٧١ فما بعد (أياصوفيا ٣٠٠٦).

أو «وفي أولها»، «وفي آخرها» أو «وفي رجب منها» ونحو ذلك.

ثم نعود فنرى تنظيمًا واضحًا في القسم الذي تناول النصف الثاني من القرن السابع الهجري (٦٥١ ـ ٧٠٠هـ) من كتابه، حيث سار الذهبي على نمط واحد في ذكر الشهر الذي وقعت فيه الحادثة ورتب المادة حسب تسلسلها الزمني من السنة، فكان يبدأ السنة بقوله: «في المحرم» أو «في أول المحرم» أو يذكر أي شهر آخر لكنه كان يسلسل الأشهر دائمًا، وربما عيَّن اليوم في بعض الأحيان.

وفي جميع الكتاب لم يوازن الذهبي، ولو بشكل يسير، بين المعلومات المذكورة في كتابه لا من حيث الكمية ولا من حيث النوعية، على عكس طريقته في الموازنة بين عدد التراجم في القسم الخاص بها، كما سنوضحه بعد قليل، ولذلك وجدنا السنين الأربعين الأولى تحتل قرابة ٤٠٪ من جميع حوادث الكتاب مع أنها لا تكوِّن من نطاق الكتاب الزماني إلا أقل من ٦٪ فقط، ووجدناه في الوقت نفسه يقصر في حوادث بعض السنوات بحيث لا تتعدى الأسطر المحدودة، ويطوِّل في أخرى بحيث تبلغ أوراقًا عديدة. والسبب في ذلك فيما نعتقد، متأتٍّ من تقييمه للحوادث وفهمه لها، كما سيظهر لنا فيما بعد عند كلامنا على الأسس التي اتبعها في انتقاء الحوادث.

ولما كان الذهبي ملتزمًا في ذكر الحوادث بالتنظيم على السنين فإنه كان يقطع الخبر ليكمله في سنة أخرى، وهي العادة التي اتبعها معظم مؤلفي الكتب التاريخية المرتبة على السنين، فإذا ما أراد القارئ أن يطلع على حادثة معينة استمرت لعدد من السنين فإن عليه أن يقرأ جميع حوادث هذه السنين، ويمر بأخبار وحوادث لا علاقة لها البتة بموضوعه، فضلاً عما تسببه هذه الطريقة من إرباك في تتبع الخبر التاريخي. ومع ذلك فهو، مثل غيره من كتاب الحوليات، كان يتجاوز مثل هذه الحالة في أحيان قليلة، فكان يذكر بعض الأحداث المهمة متسلسلة لأكثر من سنة مثل خروج المغول وحروبهم مع علاء الدين خوارزم شاه[1]، علمًا

---

(١) انظر الورقة ٢٣٩ ـ ٢٤٧ (أياصوفيا ٣٠١١).

أنه عَدَّ مثل هذا التسلسل خروجًا عن نطاق السنة واستطرادًا، نحو قوله في حوادث سنة ٣٧٦هـ: «وإنما جرى ذلك في سنة تسع وسبعين ولكن سقناه استطرادًا»[(١)].

وإذا آمنا بأن القسم الأخير من كتابه يمثل طريقته الخاصة في تناول الحوادث، فإن ذلك لا يعفيه من عدم تنظيمها في الأقسام الأخرى من كتابه على النسق الذي نظم فيه القسم الأخير منه.

رابعًا: تنظيم التراجم وأساليب عرضها:

قد عرفنا أن الذهبي نظم المترجَمين بين سنتي ٤١ ـ ٣٠٠هـ في وحدات زمنية أمدُها عشر سنوات أطلق عليها لفظ «الطبقة» ثم رتب التراجم على حروف المعجم ضمن هذه الوحدات، ثم عرفنا أيضًا أنه عني بذكر تراجم كل سنة بصفة مستقلة ابتداءً من سنة ٣٠١هـ وحتى نهاية الكتاب، ورتب المترجَمين على حروف المعجم ضمن السنة الواحدة[(٢)].

ومما هو جدير بالذكر أن الذهبي لم يعتبر اسم المترجَم فقط في التنظيم الداخلي للتراجم، بل عدَّ الشهرة واتخذها أساسًا في ذلك سواء أكانت شهرة المترجَم في اسمه أم لقبه أم كنيته. ومن هنا وجدناه يترجم لبعضهم بلقبه؛ من ذلك مثلاً: أنه ترجم للقطامي الشاعر المشهور في حرف القاف[(٣)]، وترجم للمحدثة المشهورة ست الكتبة نعمة بنت علي ابن الطراح في حرف السين[(٤)]. ثم قال في حرف النون من وفيات السنة نفسها: «نعمة بنت الطراح هي ست الكتبة، مر ذكرها»[(٥)]، وترجم ليحيى بن زياد المعروف بالفراء النحوي المشهور بلقبه في حرف الفاء[(٦)]، وترجم لمحمد بن المستنير المعروف بقطرب في حرف

---

(١) انظر الورقة ١٠٤ (حلب).

(٢) انظر أعلاه كلامنا على الخطة العامة للكتاب.

(٣) ٤ / ١٨٥ (مطبوعة).

(٤) الورقة ٢٤ (أياصوفيا ٣٠١١) وفيات سنة ٦٠٤هـ.

(٥) الورقة ٢٧ من النسخة نفسها.

(٦) الورقة ٤٨ (أياصوفيا ٣٠٠٧).

القاف[1]، وترجم لبهاء الدولة البويهي في حرف الباء[2] ونحو ذلك[3].

أما المعروفون بكُناهم فقد عُني الذهبي بإفرادهم في آخر الطبقات حينما نظم أولاً على الطبقات، وفي السنين حينما نظم بعد ذلك على السنين. ولا ريب أن اشتهار عدد كبير من المترجمين بكناهم هو الذي دفعه إلى إفرادهم بالترتيب في آخر الطبقات أولاً وفي آخر السنوات بعد ذلك ليسهل الكشف عنهم، وآية ذلك أن عددًا كبيرًا من المترجَمين لم يعرفوا أصلاً إلا بكناهم، فكانت كناهم هي أسماءَهم، وهذا معروف عند المعنيين بالرجال، فضلاً عن اشتهار عدد كبير منهم بالرغم من وجود أسماء لهم سواء عرفها الذهبي[4]، أم اختلف فيها المؤرخون[5]، أم لم يعرفها، نحو قوله في آخر وفيات سنة ٦٠٩هـ: «أبو منصور ابن الصوفي الكلابي الدمشقي، لم أظفر باسمه، قال المنذري...»[6].

ومن أجل تسهيل الكشف على التراجم والتخلص من الأوهام التي قد تقع من جراء ترجمة شخص ما بكنيته أو لقبه أو نسبته ونحو ذلك كان الذهبي يعمل إحالات للتراجم، فإذا ما ترجم لأحدهم بلقب اشتهر به عمل إحالة باسمه نحو قوله: «أحمد بن فنا خسرو بن مؤيد، السلطان بهاءُ الدولة أبو نصر ابن السلطان عضد الدولة، مذكور بلقبه»[7]، وإذا ترجم لأحدهم بكنية اشتهر بها عمل إحالة باسمه نحو قوله مثلاً: «الجلخ بن عيسى بن محمد، أبو بكر، يأتي بكنيته»[8].

---

(١) الورقة ٤٩ (أياصوفيا ٣٠٠٧).

(٢) الورقة ٢٨ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٣) انظر الورقة ١٤٨ (أياصوفيا ٣٠٠٧).

(٤) انظر مثلاً ٣ / ٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٤... إلخ (مطبوعة).

(٥) انظر مثلاً ٣ / ١٠٢، ٢١٧، ٢٢٤، ٣١٣، ٣١٦، ٣١٨، ٢٣٢... إلخ (مطبوعة).

(٦) الورقة ٧٤ (أياصوفيا ٣٠١١) وقارن المنذري: التكملة م٤ / ٤٥ وانظر أيضًا مثلاً ٣ / ١٠١، ١٠٦، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٣٢١، ٣٢٢... إلخ (مطبوعة).

(٧) الورقة ٢٦ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٨) الورقة ٦٨ (أياصوفيا ٣٠١١) ثم ترم له بعد ذلك في الكنى، الورقة ٧٤ من النسخة نفسها.

وعلى العكس من ذلك فإنه إذا ترجم لأحدهم باسمه وكان يعرف بلقب أو كنية، رتبه في لقبه أو كنيته على شكل إحالة، وترجم له باسمه، نحو قوله في وفيات سنة ٣٥٦هـ: «سيف الدولة ابن حمدان، هو علي بن عبد الله، تقدم»[(١)]، وقوله في وفيات السنة نفسها: «أبو الفرج صاحب الأغاني: هو علي بن الحسين، تقدم»[(٢)]، ونحو قوله في وفيات سنة ٣٢٠هـ: «أبو حامد ابن الشرقي، هو أحمد ابن محمد بن الحسن، تقدم»[(٣)]. وهكذا فإننا نجد الذهبي قد سار على هذه الطريقة في جميع كتابه، فملأه بالإحالات الكثيرة من الأسماء إلى الكنى والألقاب والأنساب، وبالعكس[(٤)].

وقد عُني الذهبي أيضًا بعمل الإحالات لأولئك الذين عرفوا باسمين، فقد ترجم للمحدثة عائشة بنت عبد الجبار بن هبة الله ابن البندار، المدعوة فرحة أيضًا، في وفيات سنة ٦٠١هـ[(٥)]، ثم أعاد ذكرها في حرف الفاء من وفيات السنة نفسها إحالة، فقال: «فرحة بنت عبد الجبار بن هبة الله ابن البندار، أم الحياة، هي عائشة، مرت»[(٦)]. وترجم لأبي موسى النحوي المعروف بالحامض المتوفى سنة ٣٠٥هـ باسم «سليمان بن محمد»[(٧)]، ثم ذكره في حرف الميم من وفيات السنة إحالة، فقال: «محمد بن سليمان، أبو موسى الحامض البغدادي النحوي،

---

(١) الورقة ٢٩ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الورقة ١٣٩ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٤) انظر مثلاً لا حصرًا: ٣ / ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٩، ٣٤٧، ٣٥٩، ٣٧٠، ٤ / ٢٣، ١١٠، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢١، ٥ / ٥٢، ٦٣، ٧٣، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦ (مطبوعة) والورقة ٥٢، ٢٣٣ (أياصوفيا ٣٠٠٦)، والورقة ٨٥ (أياصوفيا ٣٠٠٧) والورقة ١٨٧، ١٩٠ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٢٥٨ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ١٢٠، ١٢٩، ١٣٠ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٥) الورقة ٤ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٦) الورقة ٧ من النسخة السابقة.

(٧) الورقة ٢٢ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

أحد أئمة اللسان وتلميذ ثعلب، وقيل: سليمان بن محمد كما مر آنفًا»[1]، وقال في وفيات سنة ٣١٧هـ: «أحمد بن محمد بن إسحاق ابن أبي خميصة، أبو عبد اللّه المكي نزيل بغداد، هو حرمي ابن أبي العلاء . . . سيأتي في الحاء»[2] ثم ترجم له باسم حرمي «ترجمة مفصلة»[3]، ونحو ذلك من الأمثلة[4].

إن اعتماد اللقب أو الكنية أو نحوهما في التنظيم جعل الذهبي في بعض الأحيان يتوهم فيسبقه قلمه ويترجم الشخص مرتين كما في ترجمة الفراء حيث ترجم له في لقبه أولاً[5]، ثم أعاد ترجمته في حرف الياء باسم «يحيى بن زياد»[6]. ولا ريب أن سعة الكتاب وكثرة التراجم وتشابه الأسماء وتعدد الموارد وتنوعها يولد كثيرًا من المشاكل التنظيمية الداخلية، فيصبح الوقوع في الوهم أمرًا محتملاً مهما بلغت مرتبة المؤلف في الحفظ والتتبع والعلم بهذا الفن.

وتنظيم الذهبي التراجم بحسب السنين جعله يدقق في تواريخ الوفيات ويرجح إحداها على الأخرى عندما يختلف المؤرخون في ضبطها، ولا بد أن يفعل ذلك، وإلا صعب عليه التنظيم وأشكل، أما تلك التراجم التي لم يستطع أن يقطع تواريخ وفياتها برأي نهائي فقد ذكرها منفصلة في وفيات السنة التي رجّحها ضمنيًا وقطعيًا، وعمل لها إحالة في وفيات السنة الأخرى تنبيهًا للقارئ، ومن أمثلة ذلك: ترجمة السلطان عز الدين سنجر شاه بن غازي الأتابكي صاحب جزيرة ابن عمر، فقد ذكره أولاً في وفيات سنة ٦٠٤هـ مختصرًا مقتصرًا على اسمه، وقال: «توفي في هذا العام على قول»[7]، ثم ذكر ترجمته المفصلة في

(١) الورقة ٢٤ من النسخة السابقة.
(٢) الورقة ٨٦ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).
(٣) الورقة ٨٧ من النسخة السابقة.
(٤) انظر مثلاً الورقة ١٦٢، ٢٣٥ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).
(٥) الورقة ٤٨ (أياصوفيا ٣٠٠٧).
(٦) الورقة ٧٩ من النسخة السابقة.
(٧) الورقة ٢٤ (أياصوفيا ٣٠١١).

وفيات سنة ٦٠٥هـ[١]. وقد جاء مثل هذا الاختلاف في هذا الرجل وغيره، على ما نعتقد، بسبب الموارد الأصلية التي اعتمدها الذهبي، ففي ترجمة سنجر شاه هذا اعتمد الذهبي رواية زكي الدين المنذري حيث ذكره في وفيات سنة ٦٠٤هـ من التكملة[٢]، بينما اعتمد في الرواية الثانية وهي المرجحة عنده، على أبي شامة[٣]. ومثل هذا قوله في وفيات سنة ٦١٠هـ: «عيسى الجزولي النحوي، ذكر هنا وفاته ابن خلكان. وقدم في سنة سبع»[٤].

ولم يكن أمام الذهبي غير الاعتماد على الموارد أسلوبًا وطريقًا في تثبيت الوفيات ومن ثم عرضها في السنة المخصصة لها، فكان يرجح ما يراه راجحًا ويترجم له في السنة المرجحة ثم يعمل إحالة في السنة الأخرى[٥]، إلا أنه اضطر، في حالات قليلة جدًا، إلى إعادة الترجمة بسبب عدم إيجاده سببًا للترجيح كما هو في ترجمة أبي بكر يحيى بن هذيل الأديب الأندلسي أحد فقهاء المالكية، فقد ترجم له أولاً في وفيات سنة ٣٧١هـ نقلاً عن القاضي عياض[٦] ثم أعاد ترجمته مع الإشارة إلى الترجمة السابقة في وفيات سنة ٣٨٩هـ نقلاً عن ابن

---

(١) الورقة ٢٥ من النسخة نفسها.

(٢) المنذري: التكملة م٣ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣ وانظر تعليقنا عليها.

(٣) ذيل الروضتين، ص ٦٧. وهي الرواية التي اعتمدها المؤرخون الذين جاءوا فيما بعد مثل أبي الفدا في المختصر ٣ / ١١٧ والصفدي في الوافي م٨ الورقة ١٩١ والعيني في عقد الجمان ١٧ الورقة ٣١٦ ـ ٣١٧ مصورة القاهرة رقم ١٥٨٤ تاريخ وغيرهم.

(٤) الورقة ٨٠ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٥) انظر مثلاً ٢ / ٣٣٠، ٣٣٢، ٣ / ٣٤٥، ٤ / ٤، ٢٠، ٣٠، ٣٤، ٤٠، ٧٣، ١٨٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٤، ٥ / ٩٦ (مطبوعة)، والورقة ٢٦، ٥١، ٨٢، (أياصوفيا ٣٠٠٦) والورقة ١٩، ٦٩، ٧١، ١٠١، ١٢٤، ١٣٤، ١٧٦، ٢١١، ٢١٢، ٢٣٩ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ١٣١، ١٣٤، ١٦٦، ١٧٢، ١٨٧، ١٩٤، ١٩٨، ٢٢٤ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٦، ١٢، ٢٤ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ١٨، ٣٢، ٣٨ (أحمد الثالث ٢٩١٧) والورقة ١٨٩ (أحمد الثالث ١١ / ٢٩١٧).

(٦) الورقة ١١٦ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

الفرضي، وحدد وفاته في الثالث عشر من ذي القعدة من السنة[1]، بل قد يبلغ التغاير حتى في محتويات الترجمة نفسها بالرغم من وجود إشارة إلى الترجمة السابقة، كما في ترجمة ابن الطبري القاضي الحنفي حيث ذكره أولاً في وفيات سنة ٣٧٣هـ ناقلاً عن الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ، وقد ذكر الحاكم أنه كان ببخارى حينما كان ابن الطبري يملي بها[2]، ثم أعاده ثانية في وفيات سنة ٣٧٧هـ ناقلاً عن أبي سعد عبد الرحمن بن محمد الإدريسي المتوفى سنة ٤٠٥هـ أيضًا والذي ذكر أن ابن الطبري كان يتولى قضاء القضاة بخراسان[3] ولم يكن الحاكم قد ذكر له مثل هذه الوظيفة الخطيرة.

وفي مثل هذه التراجم يصعب ترجيح إحدى الروايتين، فإنه اعتمد مؤرخَيْنِ عظيمين أكثر النقل عنهما، ومن ثم فهما متعاصران عرفا بالدقة والضبط وكلاهما ألف عن المشرق وأرّخ لرجاله؛ الأوّلُ في كتابه العظيم «تاريخ نيسابور» الذي اختصره الذهبي[4]، والثاني في «تاريخ سمرقند»[5] و«تاريخ أستراباذ»[6].

إن مثل هذا الاعتماد على بعض ثقات المؤرخين جعله في بعض الأحيان يذهل فيترجم الشخص مرتين من غير أن يشعر، كما فعل في ترجمة الفقيه أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن علي اليمني الشافعي المعروف بابن أبي الصيف، حيث ترجم له أولاً في وفيات سنة ٦٠٩هـ[7]، ثم أعاد ترجمته ـ من غير أن

---

(١) في وريقة طيارة وضعت بين الورقتين ٢٠٧ ـ ٢٠٨ من النسخة السابقة.

(٢) الورقة ١٢١ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٣) الورقة ١٣٧ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٤) انظر أعلاه كلامنا على «المختصرات» من آثار الذهبي، وراجع الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٥٠ ـ ٥٨ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٤٦، السخاوي: الإعلان، ص ٦٣٣.

(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٤٦ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والسخاوي: الإعلان، ص ٦١٥.

(٧) الورقة ٧٢ (أياصوفيا ٣٠١١) وانظر نسخة باريس رقم ١٥٨٢ الورقة ١٧٥.

يشعر - في وفيات سنة ٦١٩هـ[1] متابعًا في ذلك زكي الدين المنذري الذي كان قد ترجمه مرتين من غير أن يشعر أيضًا[2].

ونتيجة لكل هذا فقد كان من الطبيعي أن يظل الذهبي يبحث ويدقق في تواريخ الوفيات في أثناء تأليف الكتاب وبعد الانتهاء منه، فإذا ما وجد وهمًا في ذكر تاريخ وفاة، أو تقديرًا لم يقارب الحقيقة، أو وقف على مورد أثبت وأكثر دقة، اعتنى بهذا الأمر ونبه عليه، وترجم له في موضعه الصحيح بوريقة طيارة أو على هامش النسخة، وأشار في الموضع الأول إلى مثل هذا الأمر وطلب من الناسخ تحويل مثل هذه التراجم إلى مواضعها الصحيحة بكلمة «يُحَوّل»، نحو قوله في وفيات سنة ٣٩٦هـ: «أحمد بن عبيد بن بيري الواسطي. ترجمته في بضع وأربع مئة. قال لنا الخلال: أخبرنا السلفي، قال: سألت خميسًا الحوزي عن ابن بيري، فقال: هو أبو بكر أحمد بن عبيد... قال خميس: قال لي أبو المعالي...: ولدت في السنة التي مات فيها أبو بكر ابن بيري سنة ست وتسعين»[3]. وكان الذهبي مثلاً قد ذكر في وفيات سنة ٤٤٢هـ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الذكواني الأصبهاني المعدل وقال: «وحدث في هذا العام ولا أعلم متى توفي» ثم وجد وفاته وأنها كانت سنة ٤٤٣هـ نقلاً عن كتاب «الوفيات» ليحيى بن مندة المتوفى سنة ٤٧٠هـ، فذكر هذه المعلومات في آخر الترجمة بقَطة قلم تختلف عن الأصل ثم كتب فوق الترجمة بالقطة نفسها: «يؤخرإلى سنة

---

(١) الورقة ١٩٨ من النسخة السابقة، وانظر كذلك الورقة ٢٥٥ من النسخة الباريسية أعلاه.

(٢) ترجم له المنذري أولاً في وفيات سنة ٦٠٩هـ من التكملة ٤ / ٤٦ ـ ٤٧ ثم أعاده في وفيات سنة ٦١٩هـ منها ٥ / ١٣٤ ـ ١٣٥ من طبعة القاهرة بتحقيقنا أيضًا وتابع ابن الملقن شمس الدين الذهبي في غلطه فترجم له في وفيات سنة ٦١٩هـ (العقد المذهب، الورقة ١٧٢) مع أن الصحيح في وفاته سنة ٦٠٩هـ. وانظر: الفاسي: العقد الثمين ١ / الورقة ١٠٩ (التيمورية) والعيني: عقد الجمان ١٧ / الورقة ٢٤٠ (مصورة دار الكتب ١٥٨٤ تاريخ) وابن الأثير: الكامل ١٢ / ١٢٤ وغيرهم.

(٣) وضع الذهبي هذه الترجمة بوريقة طيارة عند الورقة ٢٣٤ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

ثلاث»[1]، وفي موضعه من سنة ثلاث ذكر اسمه واسم أبيه فقط وقال: «يكتب من السنة الماضية، قال يحيى بن مندة: مات في ربيع الآخر»[2]. ومثل هذا تعليقه على ترجمة بشر بن محمد بن ياسين الباهلي، المذكور في وفيات سنة ٣٧٣هـ بقوله: «يؤخر إلى سنة ثمان»[3]. والشواهد في كتاب الذهبي كثيرة على مثل هذا الاستدراك والتصحيح وطلب التحويل[4].

إن عناية الذهبي بتنظيم التراجم بحسب حروف المعجم، وعمل الإحالات

---

(١) الورقة ٤٠٠ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٢) الورقة ٤٠٨ من النسخة السابقة وانظر عن ابن منده وكتابه بحثنا: كتب الوفيات، ص ٢٤٧.

(٣) الورقة ١٢٢ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٤) انظر مثلاً الورقة ٦٤، ٨٣ (أياصوفيا ٣٠٠٦) والورقة ٨٧، ٩٧، ١٩٧، (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٢٤١، ٤١١ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٦٦، ٧٦، ١٠٤، ١١٩ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٨ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) وغيرها. ومن الجدير بالذكر أن النساخ في الأغلب الأعم أبقوا هذه التراجم في أماكنها مع نقلهم أقوال المؤلف بطلب التحويل، ونجد ذلك حتى في المطبوعة (انظر مثلاً: ٥ / ٧٣، وعلى ذلك فقد أصبح من الواجب أن يعيد المحقق النظر في الكتاب ويلبي رغبات المؤلف، قارن مثلاً:

أياصوفيا ٣٠٠٨	أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧
الورقة ٢٣٤	بالورقة ٢١٩
والورقة ٢٤٠	بالورقة ٢٢٥

أما صاحب النسخة الحلبية رقم ١٢٢٠ المختصة بالحوادث فقد لبى طلبات المؤلف فحول كثيرًا من الأخبار إلى مواضعها الأصلية نحو قوله في حوادث سنة ٣٣٢هـ: «هذه تتمة أخبار أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي ذكرها المصنف في غير موضعها وأمر أن تلحق هنا فألحقتها حسب مرسومه» (الورقة ٥٥) ولكنه كان منزعجًا من طريقة المؤلف هذه، فقال في آخر ما نقله: «انتهى ما ألحقه المؤلف بخطه من أخبار أبي طاهر القرمطي في غير موضعه فألحقته هنا، ولا قوة إلا بالله؛ ففي كتابة مثل هذا مضض ونسأل الله العفو والسلامة» (الورقة ٥٨).

قال بشار: ولكن كثرة الإحالات وطلبات المؤلف في التراجم وصعوبة معرفة ما سيأتي تجعل ذلك في غاية الصعوبة ولا سيما على النساخ من غير العلماء المتخصصين.

الكثيرة للأسماء، والكُنى والألقاب والأنساب المشهورة، وللوفيات المختلف فيها ضمن السنة الواحـدة وفي السنوات المختلف فيها، يسهِّل على القارئ كثيرًا من العناء في البحث، ويجنبه الوقوع في متاهات التوهم والزلل، ويرفع عنه كثيرًا من الإرباك الذي يسببه الاختلاف في الأسماء والكنى والألقاب والوفيات ونحوها.

وكان جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي «ت ٥٩٧هـ» أول من فصَل الحوادث عن الوفيات فصلاً كاملاً في كتابه «المنتظم» ورتب التراجم ضمن السنة الواحدة على حروف المعجم، وذكر المشهورين بكناهم في آخر وفيات السنة[١]، فلعل الذهبي أخذ هذه الطريقة عنه. على أن الذهبي كان دقيقًا في تنظيمه المعجمي سواء أكان ذلك في أسماء المترجمين أم أسماء آبائهم، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا في تقديمه من اسمه أحمد في حرف الألف[٢]، في حين لم يلتزم ابن الجوزي بهذا الترتيب التزامًا كاملاً، فإذا أرجعنا تقديم ابن الجوزي لمن اسمه عمر على من اسمه عثمان، وذكره لمن اسمه علي بعد من اسمه عثمان مباشرة إلى احترامه للخلفاء الراشدين[٣]، فإننا لا نستطيع تفسير تقديم من اسمه

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، مثلاً ٧ / ٢٣، ١٠٣، ٢٣٦، ٢٤٨، ٩ / ٥، ٤٣، ١٣٣، ١٠ / ١٤، ٢١٩.

(٢) اعتاد كثير من مؤلفي كتب التراجم المرتبة على حروف المعجم رؤية بعض الأمور في الترتيب، منها مثلاً: تقديم من اسمه محمد على جميع الكتاب، أو حرف الميم منه تيمنًا وتبركًا واحترامًا للنبي ﷺ، وتقديم عمر على عثمان، وذكر علي بعد عثمان مباشرة في حرف العين احترامًا وتقديرًا للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وهي من العادات المعروفة عندهم منذ القديم، حيث قدم البخاري «المحمدين» في كتابه «التاريخ الكبير». وممن اتبع هذه الطريقة ابن الدبيثي في تاريخه والصفدي في الوافي (انظر بحثنا: أصالة الفكر التاريخي ص ٢٩، ومقدمتنا لذيل تاريخ مدينة السلام لابن الدبيثي ص ٣٤). ولا نعتقد أن تقديم الذهبي (الأحمدين) من هذا النمط، فهي عادة متبعة عند معظم واضعي التراجم على حروف المعجم.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، مثلاً ٧ / ٤٠، ٤٤، ٤٥، ١٣٠، ٢١١... إلخ.

علي على من اسمه العباس[١]، وذكر من اسمه عبيد اللّه بعد من اسمه عبد اللّه، ثم ذكر العبادلة الآخرين[٢] مثلاً، إلا بعدم التزامه الكامل بالترتيب المعجمي. ومع أن ابن الجوزي قد ألزم نفسه بترتيب الآباء في الأسماء المتشابهة على حروف المعجم كما يبدو، فإنه لم يضبط ذلك[٣]، علمًا أنه أهمل ترتيب الأسماء بعد الآباء إهمالاً تامًا. ولعل عدم عناية ابن الجوزي بضبط الترتيب يعود إلى قلة عدد المترجَمين في السنة الواحدة، حيث لا يزيد معدل ما يذكر في السنة الواحدة عن عشر تراجم، في حين يبلغ معدل ما يذكره الذهبي قرابة الستين ترجمة.

ولعل من المشاكل الرئيسة التي جابهت مؤلفي كتب التراجم في التنظيم الداخلي لكتبهم، ومنهم الذهبي، هو التشابه بين أسماء المترجَمين ولا سيما إذا كانوا متعاصرين، ولذلك سعى الذهبي دائمًا إلى التنبيه على مثل هذا التشابه خوف الخلط بينهم، نحو قوله في آخر ترجمة علي بن زياد التونسي من أهل الطبقة التاسعة عشرة: «وسنذكر في الطبقة الآتية إن شاء اللّه علي بن زياد الإسكندري»[٤]، وقوله في وفيات سنة ٣٧٤هـ: «محمد بن أحمد بن بالوية، أبو علي النيسابوري العدل. سمع عبد اللّه بن شيروية بنيسابور، وأبا القاسم البغوي وطبقته ببغداد.. أما محمد بن أحمد بن بالوية النيسابوري الذي يروي عنه الكديمي فقديم توفي سنة أربعين وثلاث مئة»[٥]، وقوله في وفيات سنة ٤٢٠هـ: «علي بن محمد بن علي بن حميد، أبو الحسن. وقيل: أبو محمد الإسفراييني المقرئ المجود. أكثر عنه البيهقي... ومثله في الاسم والبلد علي بن محمد بن

---

(١) المصدر السابق، مثلاً ٧ / ٧٢ـ٧٣.

(٢) المصدر السابق، مثلاً ٧ / ١٢٨، ١٣٩، ١٤٣، ١٥٤، ١٩٣، ٢٠٧، ٢٤١... إلخ.

(٣) أمثلة ذلك كثيرة؛ فانظر عن مثل هذه الاختلافات في المنتظم، مثلاً: ٧ / ١٥٠، ٨ / ٤٦، ٩ / ٥٤، ٥٥، ٦٠، ٧٨، ١٠١ـ١٠٢، ١١٨، ١١٩، ١٢٩، ١٧٩، ١٨٢ وغيرها.

(٤) الورقة ١١٦ (أياصوفيا ٣٠٠٦) وقد ذكر الذهبي سميه في الورقة ٢٤٣ من النسخة نفسها.

(٥) الورقة ١٢٧ (أياصوفيا ٣٠٠٨) وذكر الذهبي شيخ الكديمي هذا في الورقة ٢٠٥ من نسخة أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧.

علي أبو الحسن ابن السقاء الإسفراييني من شيوخ البيهقي أيضًا، يروي عن. . . وقد روى البيهقي عنهما معًا حديثًا، قالا: حدثنا الحسن بن محمد. ولكن ابن السقاء أقدم سماعًا ووفاة، روى. . . توفي المقرئ في ذي الحجة سنة عشرين، وتوفي ابن السقاء سنة أربع عشرة»[١]. ونحو ذلك كثير في كتابه[٢].

وقد يضطره اتفاق بعض المترجَمين في الأسماء ونحوها إلى أن يترجم للشخص المتفق بعد المترجم الذي خاف أن يشتبه به مباشرة، مع أن ذلك ليس موضعه كما في ترجمة عدي بن زيد العاملي الشاعر المعروف بابن الرقاع[٣]؛ حيث أورد بعده ترجمة عدي بن زيد ابن الحمار، وقال: «ذكرته هنا تمييزًا له من ابن الرقاع العاملي»[٤].

ومثل هذا الذي ذكرناه قد أدى دائمًا إلى وقوع العلماء في الخلط بين اسمين وعدِّهما شخصًا واحدًا، أو جعل الشخص الواحد اثنين، فكان لا بد للذهبي من العناية بهذا الأمر وهو يترجم لآلاف الناس، وينقل عن مئات المصادر المتنوعة التي لا بد أن تختلف في بعض الأسماء أو نحوها. وما كان هذا بالأمر الميسور، فهو يحتاج إلى معرفة تامة بالتراجم وصلات بعضهم ببعض وسعة معرفة وحفظ. وقد حاول الذهبي جاهدًا ألا يقع في مثل هذا الغلط، فاتبع طريقة التنبيه هذه وبين أوهام بعض الموارد التي ينقل عنها، يساعده في ذلك سعة اطلاعه ومعرفته التامة ودقته وتمحيصه للموارد، ولعل المثال الآتي ـ وهو واحد من أمثلة عديدة في كتابه ـ يوضح مدى عناية الذهبي بهذا الأمر، قال في وفيات

---

(١) الورقة ٢٠٤ (أياصوفيا ٣٠٠٩) وانظر ترجمة ابن السقاء في الورقة ١٥٣ من النسخة نفسها.

(٢) انظر مثلاً ٣ / ٣٣٨، ٤ / ٢٦٩ (مطبوعة) والوقة ١٤٦ (أياصوفيا ٣٠٠٦) والورقة ٢٠٩ (أياصوفيا ٣٠٠٧) والورقة ١٩٨ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٠٢ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٩٩ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ١٧٥ (أحمد الثالث ١١ / ٢٩١٧).

(٣) ٤ / ١٥٠ ـ ١٥١ (مطبوعة).

(٤) ٤ / ١٥١ وترجمته في ص ١٥١ ـ ١٥٣ من الجزء نفسه وانظر أيضًا الورقة ١٢٧ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

سنة ٣٠١هـ: «محمد بن حبان بن الأزهر العبدي أبو بكر القطان البصري. حدث ببغداد عن أبي عاصم النبيل وعمرو بن مرزوق، وعنه أبو طاهر الذهلي وابن عدي وأبو بكر الجعابي والإسماعيلي وعمر بن محمد بن سبنك[١]. ضعفه الحافظ محمد بن علي الصوري، وكان قد نزل ببغداد، قال ابن سبنك: أول ما كتبت سنة ثلاث مئة عن ابن حبان ومات سنة إحدى. قلت: ومن طبقته:

محمد بن حُبان ـ بالضم أيضًا ـ بن بكر بن عمرو الباهلي البصري، نزل بغداد في المخرِّم، وحدث عن أمية بن بسطام وكامل بن طلحة ومحمد بن منهال، روى عنه الطبراني وأبو علي النيسابوري. وهو الأول[٢] بناء على أن «الأزهر» لقب «بكر» أو هو جد أعلى، أو وقع وهم في نسبه. وقد وهم عبد الغني المصري الحافظ وقيده بالفتح[٣] وقال: حدثنا عنه الذهلي، قال: وبضم الحاء محمد بن حبان، حدث عنه أبو قتيبة سلم بن الفضل. قال الصوري: وهما واحد، وهو بالضم. قلت[٤]: ليس عند الطبراني عنه سوى حديث واحد عن كامل بن طلحة أورده عنه في معجميه: الأصغر والأوسط، وهو ضعيف، وقال ابن منده الحافظ: ليس بذاك. وأما ابن ماكولا فقال: محمد بن حَبان بن الأزهر الباهلي ـ بالفتح ـ عن أبي عاصم، وعنه أحمد بن عبيد اللّه النهرديري[٥] ومحمد بن حبان، أبو بكر، عن أبي عاصم ذكره عبد الغني، وهو متقن لا يخفى عليه أمر شيخ شيخه، وكان القاضي أبو طاهر الذهلي من المتثبِّتينَ لا يخفى عليه أمر

---

(١) قيده الذهبي في المشتبه فراجعه هناك (ص ٣٥٢).

(٢) يبدو أن الذهبي استدرك على نفسه فيما بعد وعدهما واحدًا. ولما كان هذا القسم من «تاريخ الإسلام» لم يصل إلينا بخط المؤلف فمن الصعب أن نجزم بذلك وإن كنا نرجحه لقوله أولاً: «قلت: ومن طبقته... إلخ».

(٣) انظر تفاصيل أوسع في توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١ / الورقة ١١٣ ظاهرية.

(٤) الكلام للذهبي.

(٥) منسوب إلى (نهردير) كانت قرية كبيرة عند البصرة كما ذكر السمعاني في «النهرديري» من الأنساب، وتابعه ابن الأثير في اللباب.

شيوخه. وقال الصوري: إنما هو واحد. قال ابن ماكولا: ولم يأت بشيء، فإنهما اثنان، والنسبة تفرق بينهما والله أعلم، وجد أحدهما الأزهر وجد الآخر بكر[1]، قال: فإن كان شيخنا الصوري قد أتقنه بالضم فقد غلط في تصوره أنهما واحد وهما اثنان كل منهما: محمد بن حبان، وإن لم يكن أتقنه[2] فالأول بالفتح وهذا بالضم. قلت[3]: لم يقل الصوري: هما واحد إلا باعتبار الاثنين المسمَّيَيْنِ. أما باعتبار الرجل الآخر الذي ذكره الدارقطني فيكونون ثلاثة؛ فإن الدارقطني قال: محمد بن حبان بن بكر بن عمرو البصري نزل بغداد في المخرِّم وحدث عن أمية بن بسطام ومحمد بن منهال وغيرهما»[4].

خامسًا: عرض المواليد:

كان تاريخ ولادة المترجَم يكوِّن عنصرًا بارزًا من عناصر الترجمة، وقد اعتنى به مؤلفو كتب التراجم منذ مدة مبكرة، وأخذنا نجد اهتمامًا بالمواليد كلما تقدم الزمن، فهو في الكتب المتأخرة أكثر منه في الكتب الأولى، فإن من الطبيعي أن يهتم الذهبي اهتمامًا بالغًا بتدوين تاريخ ولادة المترجم أو عمره

---

(١) قال بشار: قد تقدم قول الذهبي ردًا على ذلك بأن الأزهر هو لقب بكر أو هو جد أعلى وأنه وقع وهم في نسبه.

(٢) يعني أتقن تقييد الحاء من حبان بالضم أو بالفتح.

(٣) القول للذهبي.

(٤) الورقة ٦ ـ ٧ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) وانظر مناقشة ابن ماكولا في الإكمال ٢ / ٣٠٥ فما بعد. وراجع تعليقنا على كتاب الذهبي أهل المئة فصاعدًا ص ١٢٣ هامش ١٦١ تجد فيه تفصيلاً يغني. ومثل هذا المثال الذي ذكرناه كثير الوجود في تاريخ الإسلام للذهبي، فراجع مثلاً: ٤ / ٨١ (مطبوعة) حيث تجد قوله في الكنى من الطبقة العاشرة: «أبو عبد الله الأغر المدني مولى جهينة اسمه سلمان روى عن أبي هريرة و. . . وأما أبو مسلم الأغر (الكوفي) عن أبي هريرة فرجل آخر، وقد جعلهما واحدًا الحافظ عبد الغني المصري وقبله ابن خزيمة فوهما. .». ولا شك أن هذا الارتباك هو أحد الأسباب الرئيسة التي دعت العلماء المسلمين إلى العناية التامة بالمتفق والمشتبه من الأسماء والأنساب والكنى والألقاب فألفوا فيها الكتب الكثيرة المعروفة المشهورة.

التقريبي في تراجم كتابه[١].

وفي سنة ٣٠٢ هـ وجدنا أولَ ذكرٍ للمواليد في نهاية وفيات السنة، لكنه انقطع بعد ذلك إلاّ في حالات نادرة، ولعله بدأ بالعناية بذلك حين وصل إلى أواخر المئة السادسة، فقد ذكر مواليد سنة ٥٧٢هـ[٢]، واستمر على ذلك بصورة منتظمة[٣] إلى نهاية الكتاب. وكان الذهبي يؤكد في العناوين التي يضعها لقوائم الولادات هذه أنها للمشهورين حسب؛ فيقول مثلاً: «وفيها ولد من الكبار»[٤] أو «وفيها ولد من المشاهير»[٥]، ولذلك فإنه لم يستوعب المواليد استيعابه للوفيات.

ولكن، لماذا عُني الذهبي بذكر المواليد في الربع الأخير من القرن السادس ولم يورد قوائم مماثلة قبل هذا التاريخ؟ فإذا كان الجواب على ذلك وقوفه على مواليد الكبار في هذه المدة، أو حصوله على مادة في هذا الموضوع، فإن ذلك مردود بثبوت عدد كبير من المواليد قبل هذا التاريخ، وقد ذكرها هو في أثناء التراجم، وكان يستطيع أن يجمع مواليد المشهورين فيذكرها في آخر كل سنة. ويبقى لدينا بعد ذلك احتمالان:

الأول: أنه عُني بذكر مواليد الكبار من شيوخه وشيوخ شيوخه، ويؤكد هذا

---

(١) انظر أدناه كلامنا على «عناصر الترجمة».

(٢) وجدنا مواليد هذه السنة قد كتبت في أثناء تراجم سنة ٥٧٣هـ من نسخة أحمد الثالث رقم ١٤ / ٢٩١٧ وبعد ترجمة أحمد بن حامد ابن الفرات، فقال: «وفيها ولد الشيخ الفقيه بيونين في رجب والصفي إسماعيل بن إبراهيم ابن الدرجي بدمشق والكمال علي بن شجاع الضرير بمصر في شعبان والشيخ أوحد الدين عمر الدويني» (الورقة ٤٧ من النسخة). والظاهر أن الذهبي كان قد كتبها في إحدى الجزازات وظنها الناسخ الجاهل في هذا الموضع، وإلا فإن الذي حفظناه من ولادة هؤلاء الأعلام هو سنة ٥٧٢هـ وكما ذكر الذهبي نفسه. (انظر العبر ٥ / ٢٤٨، ٢٦٦، ٢٧٧).

(٣) باستثناء بعض السنوات الأولى التي لم ترد فيها قوائم ولادات وهي سنة ٥٧٣هـ (الورقة ٥١) وسنة ٥٧٤هـ (الورقة ٥٤) وسنة ٥٧٩هـ (الورقة ٨١) وسنة ٥٨١هـ (الورقة ١٠٠ من نسخة أحمد الثالث ١٤ / ٢٩١٧).

(٤) الورقة ٥٩ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٥) الورقة ٢٢٦ (أياصوفيا ٣٠١٢).

الاحتمال أن جميع المذكورة مواليدهم من هذه الفئة، وقد تبين لنا ذلك بمقارنتهم بمعجم شيوخه وبشيوخ المذكورين في معجم شيوخه.

الآخر ـ وهو الأرجح عندنا ـ: أنه فكر بمثل هذا العمل بأخرة، وهو في الأقل قد عُني بذكر المواليد عند بداية تأليفه للمجلد الثامن عشر المحتوي على تراجم المدة الواقعة بين سنتي ٦٠١ ـ ٦٢٠هـ[1]، أي: منذ مطلع القرن السابع الهجري، فالولادات هذه مذكورة في أصل النسخة وليس على حواشيها ولا في طيارات لنقول عندئذ: إنه ألحقها فيما بعد.

أما قوائم الولادات المذكورة قبل ذلك فهي إما أن تكون من أصل النسخة أو يكون الذهبي قد ألحقها فيما بعد. والذي يعزز كونها ملحقة غلط الناسخ في ولادات سنة ٥٧٢هـ وإقحامها في أثناء تراجم سنة ٥٧٣هـ، مما يدل على أنها كتبت في طيارة أو على حاشية النسخة، ولكننا في الوقت نفسه لم نقف على ولادات لسنتي ٥٧٣هـ و٥٧٤هـ، فهل ابتدأ الذهبي في ذكر المواليد بصفة منتظمة ابتداءً من سنة ٥٧٥هـ؟ وأن قوائم الولادات قد ابتدأت تظهر في نسخة الذهبي الأصلية ابتداءً من هذا التاريخ؟ هذا هو الذي أعتقده. وهذا التاريخ في اعتقادي أيضًا هو بداية المجلد السابع عشر من نسخة المؤلف التي بخطه[2]. أما الولادات المذكورة قبل هذا التاريخ فهي ملحقة فيما بعد[3].

---

(١) الورقة ٤٧ (أحمد الثالث ١٤ / ٢٩١٧).

(٢) جاء هذا الاعتقاد لعدة أسباب من أهمها: أن المجلد الخامس عشر قد انتهى في أثناء وفيات سنة ٥٤٦هـ وفي آخر حوادث سنة ٥٥٠هـ، وأن المجلد الثامن عشر ابتدأ بسنة ٦٠١هـ، والمدة الباقية بينهما تنتصف في هذه السنة تقريبًا. يزاد على ذلك وجود إشارة في بداية سنة ٥٧٥هـ من الحوادث يبدو منها وكأن مجلدًا جديدًا قد بدأ حيث ابتدأ الذهبي في ذكر سنده إلى «تاريخ» ابن البزوري (انظر الورقة ١٩٨ أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧) وكانت سنة ٥٧٤هـ هي السنة التي انتهى فيها كتاب «المنتظم» لابن الجوزي، وهو من مصادر الذهبي الرئيسة في الحوادث. والمسألة بمجموعها تخمينية.

(٣) زيادة على سنة ٥٧٢هـ المذكورة أعلاه فإننا وجدنا ذكرًا لولادة ثلاثة من المشهورين في سنة ٣٠١هـ وثلاثة آخرين في سنة ٣٠٦هـ. انظر الورقة ٨، ٣٠ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

وكان عدد ما يورده الذهبي من المواليد في النصف الأول من القرن السابع يتراوح بين ١٠ ـ ١٨ اسمًا[١]، وهي أقل من ذلك بقليل في الربع الثالث منه[٢]، لكنها تناقصت تناقصًا كبيرًا في العقد الأخير منه حيث تراوح عددها بين ٢ ـ ٥ فقط[٣] وهو أمر طبيعي، فيما نعتقد، لأن من ولد في هذا العقد كان ما يزال صغيرًا لم يتعين بعد، ولم يعرف الذهبي من هو الذي سوف يتميز منهم، ولذلك جاءت هذه المواليد لبعض أبناء معارفه، ولبعض من تلامذته النجب.

وعلى الرغم من أن كثيرًا من المؤرخين قد عُنوا بذكر مواليد المترجَمين، لكن أحدًا منهم لم يفكر أن يذكر ذلك بصورة منفردة. وإذا استثنينا كتاب «تاريخ موالد العلماء ووفياتهم» لابن زَبْر الرَّبَعِي الدمشقي المتوفى سنة ٣٧٩هـ الذي ذكر فيه مواليد بعض الرواة بصورة غير منتظمة ومرتبكة[٤]، فإن الذهبي يُعد أول من نظم المواليد في كل سنة على حدة، فوصل بفن التراجم إلى المكان الراقي الذي لم يصل إليه أحد من قبل.

سادسًا: أسلوب العرض الأدبي:

قد عرفنا من سيرة الذهبي ومكانته العلمية أنه قد حصل طرفًا صالحًا من العربية في نحوها وصرفها وآدابها، كما أنه عني عناية كبيرة في مطلع حياته بالقراءات التي تقوم في أساسها على علم تام بالعربية، وقد تعاطى الشعر فنظمه وأورد من شعر غيره جملة كبيرة في كتابه «تاريخ الإسلام»، ولذلك أصبحت لغته قوية جدًا يصعب أن نجد في كتابه لحنًا أو غلطًا لغويًا أو استعمالاً عاميًا، فإذا كان

---

(١) انظر مثلاً الورقة ١٠، ٢٨، ٣٨، ٤٨، ٥٥، ٦٢ ـ ٦٣، ٦٩، ٧٤، ٩١، ١٠٣، ١١٧، ١٣٢، ١٤٣، ١٥٨، ١٧١، ١٨٢، ١٩٤، ٢٠٥، ٢١٥، ٢٢٦. (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٢) انظر مثلاً الورقة ٧، ١٦، ٢١، ٢٥، ٣٣، ٤٧، ٥٩، ٦٥، ٦٩، ٨٠. (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٣) انظر مثلاً الورقة ٢١٧، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٥٥، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٨٢، ٣١٠، ٣١٩ من النسخة السابقة.

(٤) نسختي المصورة عن نسخة دار التحف البريطانية الفريدة وهي في ٨٢ ورقة ومن ضمنها بعض الذيول الأخرى.

النادر من ذلك فإنه من سهو القلم والذهول.

وقد نجد في بعض كتاباته ما يغلط فيه الخواص، وليس ذاك بشيء؛ فأهل العربية مستطيعون دائمًا إيجاد أوهام حتى لخواص العلماء[١]. فمن ذلك مثلاً قوله: «توفي في ثالث عشرين صفر» أو «مولده في خامس عشرين محرم» ونحوهما هكذا بإثبات النون. وهذا لم يرض به أهل العربية ومنهم أستاذنا الدكتور مصطفى جواد يرحمه الله، حيث ارتأى أن تحذف النون، وقد غيرها في جميع كتبه التي نشرها فصارت عندئذ «ثالث عشري» و«خامس عشري» ونحو ذلك[٢]، مع أننا نجد هذا الاستعمال في كتابات كثرة من المؤرخين الذين عرفوا بقوة عربيتهم مثل جمال الدين ابن الدبيثي وجمال الدين ابن القفطي في كتابه «إنباه الرواة» وغيرهما[٣]. ومن ذلك قوله في ترجمة الظاهر بيبرس البندقداري المتوفى سنة ٦٧٦هـ: «فإن له أيامًا بيضاء في الإسلام»[٤]، والأصح أن يقول: «أيامًا بيضًا» كما هو معروف عند أهل العربية لأن «أيام» جمع فكان لا بد أن يلحق الصفة وهي مجموعة أيضًا. ومثل هذه المسائل بمجموعها لا تخرج الذهبي عن صحة اللغة والمعرفة التامة بها، وهي ليست من الإهمام بحيث يقال فيها: أخطأ فلان وأصاب فلان.

ولقد اعتنى الذهبي عناية بالغة بضبط الأسماء والأنساب ونحوها تقييدًا بالحروف تارة، وضبطًا بالقلم تارة أخرى، وكان معنيًا أشد العناية حتى بضبط التلفظ بالأسماء، فلما أشكل عليه التلفظ ببعض أسماء أهل الأندلس كتب إلى شيخه العلامة أثير الدين أبي حيان الغرناطي «ت ٧٤٥هـ»[٥]، يسأله عن ذلك،

---

(١) انظر كتاب أبي القاسم الحريري: درة الغواص في أوهام الخواص.

(٢) انظر مثلاً تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ص ٧٥ ـ ٧٧ والذهبي: المختصر المحتاج إليه، ٢ / ٢٥٢، ٢٩٢، ٣٠٢ وابن الساعي: الجامع المختصر ٩ / ١، ٤٦، ١١٨، ١٤٣، ١٤٥.

(٣) انظر مقدمتنا لكتاب «ذيل تاريخ مدينة السلام» لابن الدبيثي ص ٦٢ ـ ٦٣.

(٤) الورقة ٣٥ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٥) انظر عن أبي حيان كتاب الدكتورة خديجة الحديثي: «أبو حيان النحوي» بغداد ١٩٦٦م.

قال الصفدي في ترجمة أبي حيان: «وله اليد الطولى في. . . وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم خصوصًا المغاربة وتقييد أسمائهم على ما يتلفظون به من إمالة وترخيم وترقيق وتفخيم لأنهم مجاورو بلاد الفرنج وأسماؤهم قريبة (من لغاتهم)[1] وألقابهم كذلك، كل ذلك قد جوّده وقيده وحرره، والشيخ شمس الدين الذهبي له سؤالات سأله عنها فيما يتعلق بالمغاربة وأجابه عنها»[2]. وقد كتب أثير الدين إلى الذهبي كتابًا من أجل ذلك سماه: «قطر الحبي في جواب أسئلة الذهبي» ذكره أبو حيان في إجازته لصلاح الدين الصفدي[3]، ونقل منه ابن حجر في ترجمة أبي الحجاج المزي[4].

إن عناية الذهبي بدراسة عدد ضخم من المؤلفات التاريخية والأدبية والحديثية، واشتهاره بقوة الحافظة جعلاه يطلع على أساليب عدد كبير من الكتاب والمؤلفين على مدى عصور طويلة تنوعت أساليب الكتابة فيها، فأكسبه كل ذلك خبرة أدبية قوية.

وقد تميز أسلوب الذهبي بالطراوة والحبك ولم يعن بالصفة البيانية وتزويق الألفاظ كغيره من معاصريه وتلامذته مثل ابن سيد الناس وتاج الدين السبكي والصلاح الصفدي وغيرهم. وهذا أمر طبيعي فيما نرى لأن للكلمة مكانتها عند الذهبي، وهو الناقد الذي يختار العبارة المناسبة للتعبير عما يريد بصورة دقيقة ويصف المترجَم بالعبارة التي تزنه جرحًا أو تعديلاً، فهو أسلوب علمي قبل كل شيء. ومن الواضح أنه لا يمكن عرض الحوادث بصفة دقيقة وأوصاف المترجمين بشكل متقن باتباع مثل تلك الأساليب، لأن أسلوب الصنعة البلاغية يتجلى فيه دائمًا الابتعاد عن الدقة.

---

(١) ما بين العضادتين زيادة من نفح الطيب للمقري ٣ / ٢٩٥.

(٢) الصفدي: الوافي ٥ / ٢٦٧ ـ ٢٦٨ والمقري: نفح الطيب ٣ / ٢٩٥.

(٣) الصفدي: الوافي ٥ / ٢٨١.

(٤) المصدر السابق ٥ / ٢٣٤ وانظر خديجة الحديثي: «أبو حيان النحوي» ص ٢٦١. قلت: والحبي: السحاب الذي بعضه فوق بعض.

وكان الذهبي صاحب منهج تاريخي بدا في غاية الوضوح في التراجم، لذلك فإنه لم يخرج عن موضوع هو بصدد بحثه، فلم نجد في كتابه استطرادًا لا في الحوادث ولا في الوفيات.

وقد عمد الذهبي مثل غيره من المحدثين وعلماء الرجال إلى استعمال المختصرات[1] في أسلوبه الكتابي، وتشمل هذه المختصرات بعض الألفاظ وأسماء الكتب التي يتكرر ذكرها في كتاب ما، ويرمز إليها عادة بحرف واحد أو أكثر أو رقم، وقد ذكر الذهبي بعضها في مقدمة كتابه[2]، وإليك ما وقفنا عليه من المختصرات التي استعملها:

ع = حديث المترجم في الكتب الستة[3].

٤ = حديث المترجم في السنن الأربع.

خ = حديث المترجم في صحيح البخاري.

م = حديث المترجم في صحيح مسلم بن الحجاج.

د = حديث المترجم في سنن أبي داود.

ت = حديث المترجم في جامع الترمذي.

ن = حديث المترجم في سنن النسائي.

ق = حديث المترجم في سنن ابن ماجه القزويني[4].

لقد عني الذهبي بوضع مثل هذه الرموز عند بداية الترجمة ليدلل على ذلك

---

(١) انظر عن المختصرات واستعمالاتها: الصفدي: الوافي، ١ / ٤١ ـ ٤٢، ومقدمتنا لتاريخ ابن الدبيثي م١ / ٦٣ والعلموي: المعيد في أدب المفيد والمستفيد، المسألة العاشرة (ط. دمشق) وروزنتال: مناهج العلماء المسلمين، ص ٩٦ ـ ١٠١ وغيرها.

(٢) ١ / ١٦ (مطبوعة).

(٣) وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن كل من أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

(٤) استعمل حرف «ق» مع أن شهرته بابن ماجه أكثر من شهرته بالقزويني، إلا أنهم خافوا استعمال الجيم من اختلاطها بالخاء وهو الحرف المستعمل للبخاري.

من غير أن يكتبه، ثم استعمل مثل هذه الرموز للدلالة على أصحابها أيضًا وليس لوجود حديث المترجم في كتبهم فقط نحو قوله: «قال خ» أي: قال البخاري، و«قال خ في تاريخه» ويريد: قال البخاري في تاريخه. و«ذكره م» ويريد: ذكره مسلم. وهلم جرًّا.

أما إذا كان حديث المترجم في خمسة من الكتب الستة فقد وضع الذهبي كلمة «سوى» قبل رمز الذي لم يرد حديثه فيه نحو قوله: (سوى خ)، ويريد: حديثه في الكتب الستة فيما عدا البخاري، و«سوى ت» ويريد: حديثه في الكتب الستة فيما عدا سنن جامع الترمذي وهكذا.

أما في الأسانيد فقد استخدم المختصرات الشائعة عند المحدثين وهي:

ثنا: حدثنا.

أنا وأبنا: أخبرنا.

وغالبًا ما تكون جميعها غير منقوطة.

ح: وهو رمز «التحويل» وتستعمل إذا كان للحديث إسنادان أو أكثر لتفصل بينهما ولتدل على تحول القارئ من إسناد إلى آخر.

* * *



الفصل الثاني
محتويات الكتاب وأسس انتقاء مادته

طبيعة الحوادث وأسس انتقائها:

واجه الذهبي مادة كبيرة كان عليه أن ينتقي منها ما يراه مناسبًا لكتابه ولا سيما أنه اختصر في الحوادث كثيرًا قياسًا بالمادة الضخمة من التراجم التي أوردها في كتابه، فهل كانت لديه خطة معينة سار عليها في ذلك؟

الجواب: أنه انتقى ما رآه في نظره مُهِمًّا حريًا بالذكر جديرًا بالتدوين(١). ولكن ما موازينه في ذلك، وميزان أي مؤرخ في وزن الأحداث يتصل اتصالاً وثيقًا بمفاهيمه، وينطلق من بيئته ونوعية ثقافته، وهما اللذان بدورهما يكوِّنان مزاجه الذي يحمله على ذكر حدث تاريخي وإهمال آخر. والإسهاب في جوانب معينة والاختصار في جوانب أخرى؟

لقد عدَّ الذهبي، مثل غيره من المؤرخين المسلمين المتمسكين، أن أساس الدولة الإسلامية ونموذجها الأعلى يتمثل في حكومة الرسول ﷺ في المدينة(٢)، ولذلك أولى المدة المدنية اهتمامًا عظيمًا وفصّل في حوادثها تفصيلاً لا نجده إلا في التواريخ المتخصصة بحيث احتلت السنوات العشر التي قضاها الرسول ﷺ في المدينة مجلدًا كاملاً من تاريخه هو المجلد الأول، وعُني بعد ذلك بذكر أخبار حروب الردة وتكوين الأمة الإسلامية وحركة الفتوح والمشاركين فيها باعتبارهم المثل الأعلى للمجاهدين المسلمين، ولذلك احتلت هذه المدة

---

(١) لقد عدَّ الذهبي التاريخ من العلوم النافعة واستعاذ باللّه من علم لا ينفع، وأكد ضرورة الاطلاع على «المهم» منه، قال في المقدمة واصفًا كتابه: «يعرف به الإنسان مهم ما مضى من التاريخ» ١ / ١٣ (مطبوعة).

(٢) يدخل ضمن ذلك بالطبع أهمية حكومة الرسول ﷺ وأعمالها في دراسة الفقه الإسلامي بحسابها من الأسس التي يقوم عليها الفقه السياسي الإسلامي.

الزمانية القصيرة التي لا تتجاوز ٥٪ من نطاق كتابه الزماني قرابة ثلث الحوادث المذكورة في جميع الكتاب.

ووجدناه بعد ذلك يعنى دائمًا بأخبار الجهاد في سبيل اللّٰه سواء أكان ذلك بالفتح أم برد المعتدين عن ديار الإسلام، فأورد من أخبار الجهاد الكثير وفصل فيه بما سمح له منهجه، فذكر من أخبار فتوحات الأمويين شيئًا كثيرًا بالنسبة لما تضمنه كتابه من حوادث هذه المدة، كما عُني بذكر العلاقات الإسلامية البيزنطية على مدى التاريخ وأولاها اهتمامًا واضحًا[١]، ولعل من أبرز ذلك ذكره لتفاصيل الحروب التي خاضها الحمدانيون مع البيزنطيين[٢]. كما اهتم اهتمامًا كبيرًا بذكر المعارك العديدة التي خاضها المسلمون مع الصليبيين على مدى عصور التاريخ الإسلامي[٣]، وعُني بظهور المغول وتحركاتهم وأخبارهم واستيلائهم على أجزاء

---

(١) انظر مثلاً: الورقة ٢٥، ٣٥، ٥٢، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٧٦ ـ ٧٩، ٨٠ ـ ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩٠ ـ ٩٣، ١١٠، ١٤٦ (حلب).

(٢) نقل الذهبي كثيرًا من التفاصيل عن العلاقات البيزنطية الحمدانية من تاريخ ثابت بن سنان وغيره من المصادر المعروفة. ولكن الذي يبدو أكثر أهمية نقله الكثير من التاريخ الذي ذيل به علي بن محمد الشمشاطي العدوي على تاريخ الطبري وأوصله إلى زمانه (انظر بصفة خاصة الورقة ٧٦ ـ ٧٩ حلب) وكان الشمشاطي على صلة وثيقة بالأسرة الحمدانية؛ إذ عمل مؤدبًا ونديمًا لهم فكان مطلعًا على أخبارهم عارفًا باتصالاتهم. ومع أننا لم نقف على تاريخ وفاته إلا أن ابن النديم كان على صلة به وذكر أنه كان حيًا في عصره سنة ٣٧٧هـ (الفهرست ص ٢٢٠) وانظر ترجمته وأخباره عند النجاشي: الرجال، ص ١٨٦ وياقوت: إرشاد، ٥ / ٢٧٥ ـ ٣٧٧ ومعجم البلدان ٣ / ٣٢٠ وبروكلمان: الملحق، ١ / ٢٥١ (بالألمانية) والزركلي: الأعلام، ٥ / ١٤٣، ١٠ / ١٥٤ وانظر أيضًا تعليق أمدروز على تجارب الأمم لمسكويه، ٢ / ١٩٤ ـ ١٩٦ والسامر: الدولة الحمدانية، ٢ / ١٨٢

(٣) انظر مثلاً الورقة ١٧٧، ١٧٩ (حلب) والورقة ٢ ـ ٤٥ (أياصوفيا ٣٠١٠) والورقة ١٦٨ فما بعد (أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧) والورقة ٢١٨، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٤٩ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٣٤ ـ ٢٣٧، ٢٤٢. ٢٥٥، ٢٦١، ٢٦٤ ـ ٢٦٧ (أياصوفيا ٣٠١٢).

واسعة من العالم الإسلامي، واهتم بذكر علاقاتهم بالشام ومصر[١]. ويظهر تقدير الذهبي لمثل هذه الأحداث في مدحه لأولئك الذين جاهدوا في سبيل اللّه وتحمسه الشديد عند ذكرهم، بل تفصيله في أفضالهم في هذا المجال بالرغم من ذكره الظلم الذي مارسوه، نحو قوله في عهد الوليد بن عبد الملك: «وفتح اللّه على الإسلام فتوحًا عظيمة في دولة الوليد وعاد الجهاد شبيهًا بأيام عمر رضي اللّه عنه»[٢]، وقوله في ترجمته: «وكان الوليد جبارًا ظالمًا لكنه أقام الجهاد في أيامه وفتحت في خلافته فتوحات عظيمة كما ذكرنا»[٣]، وقوله في ترجمة الظاهر بيبرس البندقداري المتوفى سنة ٦٧٦هـ: «ولما سارت الجيوش المنصورة من مصر لحرب التتار كان هو طليعة الإسلام... وكان غازيًا مجاهدًا مرابطًا خليقًا للملك لولا ما كان فيه من الظلم، واللّه يرحمه ويغفر له ويسامحه؛ فإن له أيامًا بيضاء في الإسلام ومواقف مشهودة وفتوحات معدودة»[٤]. وتحمَّس الذهبي للملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ـ رضي اللّه عنه ـ وطوَّل في حروبه للصليبيين بحيث وضع عنوانًا في أثناء حوادث سنة ٥٨٣هـ أطلق فيه على هذه السنة «سنة الفتوحات» وفصّل فيها على غير عادته إلى درجة استغراق هذا العنوان قرابة الثماني ورقات كبيرة[٥]، وقال معلقًا على فتح بيت المقدس: «فالحمد للّه على هذه النعم التي لا تحصى»[٦]، وقال في موضع آخر: «فرزقنا اللّه شكر هذه النعم

---

(١) انظر مثلاً الورقة ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٩، ٢٣٣ ـ ٢٤٤، ٢٥١ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٥٢ ـ ٢٥٤، ٢٥٥ (أياصوفيا ٣٠١٢) وقلما تخلو الحوادث المذكورة في المجلدين الأخيرين من تاريخ الإسلام (أياصوفيا ٣٠١٣، ٣٠١٤) المتضمنة لحوادث ٦٥١ ـ ٧٠٠هـ من ذكر للمغول وعلاقاتهم بمصر والشام.

(٢) ٣ / ٣٢٧ (مطبوعة).

(٣) ٤ / ٦٧ وانظر تقديره لقتيبة بن مسلم الباهلي ٤ / ٤٥ مطبوعة.

(٤) الورقة ٣٤ ـ ٣٥ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٥) الورقة ٢١٠ ـ ٢١٧ (حلب).

(٦) الورقة ٢١٣ (حلب).

ورحم صلاح الدين وأسكنه الجنة»[١]، وقال عن حصار عكا بعد ذلك: «وكان السلطان يكون أول راكب وآخر نازل... ولعله وجبت له الجنة برباطه هذين العامين»[٢]. ثم نتحسس تحمسه من الألفاظ التي يطلقها على أعداء الإسلام نحو قوله: «وتتابعت الأمداد من رومية الكبرى التي هي دار الطاغية الأعظم المعروف بالبابا لعنه اللّه»[٣]، وقوله في أحدهم: «طاغية الروم... وكان هذا الكلب»[٤] و«ملك الفرنج لا رحمه اللّه»[٥] وقد صب اللعنة عليهم وأساء القول فيهم كلما ورد ذكر واحد منهم[٦].

ثم وجدنا الذهبي المسلم المتمسك بدينه يعنى بذكر أخبار الحركات التي كان الهدف منها، في رأيه، تدمير الإسلام الحق مثل البابكية، والزنج، والقرامطة وأمثالهم، يظهر لنا ذلك مما خصص لهم من أخبار في تاريخه ومن تحمسه عليهم، فهو دائم اللعن لصاحب الزنج ويسميه «الخبيث»[٧]. وقد اعتبر الذين قتلهم بابك الخرمي في حروبه شهداء في سبيل اللّه[٨]، وقال عن أبي طاهر القرمطي: «وقد كان هذا الملعون بلاء عظيمًا على الإسلام وأهله»[٩].

وتناول الذهبي السني أخبار الدولة المسماة الفاطمية بشيء من التفصيل،

---

(١) الورقة ٢١٤ (حلب).

(٢) الورقة ٢٢٣ (حلب) وانظر تقويمه لجهاد بعض الأمراء والملوك الورقة ٥، ٤٠ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) والورقة ٩٠ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٣٢٨ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٣) الورقة ٢٣٢ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٤) الورقة ١٧٠ (أياصوفيا ٣٠٠٧).

(٥) الورقة ١٨٩ (حلب).

(٦) انظر مثلاً الورقة ٣٠، ٧٢، ٩٢، ١٧٧، ١٩١، (حلب)، والورقة ١٦٨، ١٧٥، ١٨٩، ٢٢٣ (أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧).

(٧) الورقة ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥ (أحمد الثالث ٧ / ٢٩١٧).

(٨) تذكرة الحفاظ، ٢ / ٤١٥.

(٩) الورقة ٥٧ (حلب) وانظر أيضًا الورقة ١٧٩ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

باعتبارها من أكبر الأخطار التي جابهت أهل السنة، فهم عنده باطنية[1]، أدعياء نسب إلى آل البيت[2]، ولذلك أطلق عليهم «بني عبيد» أو «العبيديين» أو «الرافضة» ونحوها، وقد قال في عبيد اللّه المهدي مؤسس دولتهم: «ويا حبذا لو كان رافضيًا وبس[3] ولكنه زنديق»[4]، وقال: «وكان البلاء عظيمًا ببني عبيد الباطنية»[5]، وذكر في غير موضع من كتابه كيف كانوا يقتلون أهل السنة بعد تعذيبهم ليردوهم عن الترضي عن الصحابة[6].

وقد اعتنى الذهبي في أثناء تناول حوادث السنين بإجمال حال السنة وأهلها لما لذلك من أهمية عنده، نحو ذكره في آخر حوادث سنة ٣٦٣هـ قطع الخطبة في مكة والمدينة وإقامتها للمعز العبيدي «في الحجاز ومصر والشام والمغرب، وكان الرفض قائمًا في هذه الأقاليم وفي العراق[7] والسنة خاملة مغمورة لكنها ظاهرة بخراسان وأصبهان، فالأمر للّه تعالى»[8]. ثم قوله في سنة ٣٦٤هـ: «وفي هذه السنين وبعدها كان الرفض يغلي ويفور بمصر والشام والغرب والشرق لا سيما بالعبيدية الباطنية قاتلهم اللّه»[9] ثم أورد أخبارًا عن

---

(١) الورقة ٩١، ١٢١، ٢٠٩ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٩٦ (حلب) والورقة ١١ (أحمد الثالث ١٤ / ٢٩١٧).

(٢) تكلم الذهبي في نسب الفاطميين في غير موضع من كتابه، وكان يرى بطلانه، انظر مثلاً الورقة ١٨٧ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٢١ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ١٢ (أحمد الثالث ١٤ / ٢٩١٧) والورقة ٦٢ (حلب).

(٣) كلمة فصيحة بمعنى «حسب» كما في معاجيم اللغة.

(٤) الورقة ١٢١ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٥) الورقة ٩١ من النسخة السابقة.

(٦) الورقة ٥٨ ـ ٥٩ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) والورقة ١٢١ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ١١ ـ ١٢ (أحمد الثالث ١٤ / ٢٩١٧).

(٧) يعني بسبب استيلاء البويهيين على العراق.

(٨) الورقة ٩٥ (حلب).

(٩) الورقة ٩٦ (حلب).

ذلك[1]، وقوله في حوادث سنة ٣٧٢هـ: «وفي هذا الزمان كانت الأهواء والبدع فاشية بمثل بغداد ومصر من الرفض والاعتزال والضلال، فإنا للّه وإنا إليه راجعون»[2].

ويتضح لنا من كل هذه الأمثلة أن عقيدته السنية هي التي دفعته إلى العناية بمثل هذه الحوادث.

وقد عرفنا من دراستنا لسيرة الذهبي وعصره ما شهدته دمشق على عهده من صراع عقائدي حاد أثر إلى حد كبير في تكوينه الفكري، لذلك وجدناه، انطلاقًا من بيئته وتكوينه الفكري، يعنى بذكر النزاعات العقائدية على مدى التاريخ حيث أولاها عناية خاصة[3]، وأورد أخبار الفتن التي قامت بسببها[4]. ولعل من أوضح الأمثلة التي تؤيد هذه المقالة، الكمية التي خصصها من الحوادث لذكر مواقف الخلفاء العباسيين من محنة القول بخلق القرآن ابتداء بالمأمون وانتهاء بالمتوكل الذي رفع القول بخلق القرآن. وحسبنا أن نذكر أنه في الوقت الذي كانت الحوادث في هذه السنوات لا تستغرق في العادة أكثر من نصف ورقة فإنه كتب عن امتحان المأمون للعلماء في حوادث سنة ٢١٨هـ قرابة ست أوراق متتالية[5]، ولعل هذا كان من الأسباب الرئيسة التي جعلت العقائد

---

(١) الورقة ٩٦ ـ ٩٧ (حلب).

(٢) الورقة ٢٠١ (حلب) وأورد حكاية لأحد المغاربة القادمين من بغداد تبين كيف كان أهل الكلام من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس يتناقشون من غير اعتماد على كتاب اللّه تعالى.

(٣) انظر مثلاً الورقة ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٣، ١٠٩، ١١٣، ١١٤، ١١٨، ١٤٢، ١٨٦، ١٨٨... إلخ حلب والورقة ٢٠٩ (أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧) والورقة ٢٢٠، ٢٣٠ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٣٨، ٢٦٥ (أياصوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٣٢ (أياصوفيا ٣٠١٤) وغيرها.

(٤) انظر مثلاً الورقة ٨، ٧٢، ١٣١، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٦، ١٦٢، ١٩٥... إلخ (حلب).

(٥) الورقة ٨٨ ـ ٩٣ (أياصوفيا ٣٠٠٧) وراجع الورقة ٣، ٤، ٦، ١١، ١٥، ٢٦ (أحمد الثالث ٧ / ٢٩١٧).

تكون عنصرًا بارزًا من عناصر الترجمة كما سيأتي بيانه.

وعني الذهبي بإبراز أعمال الخلفاء والملوك والأمراء المتصلة بنشر الدين والعناية به، وإبطال الفساد[1]، وبناء المساجد والجوامع[2] وتجديدها[3]، وإبراز الأعمال التي ساروا فيها بموجب الشريعة الإسلامية أو خالفوها مثل فرض المكوس أو إبطالها[4]، كما عني بذكر الولايات الدينية كالقضاء وتعيين القضاة وعزلهم[5]، وإثبات الشهود وعزلهم[6]، وأمراء الحاج[7].

واهتم بالأمور المتعلقة بمصالح المسلمين الدينية، فاعتنى مثلاً بذكر مواسم الحج وما يجري للحجاج في المواسم أو في الطريق من نهب وسلب ونحوهما[8]، واعتنى بمصالحهم الدنيوية وما يصيب الأمة من أوبئة[9] وسنين

---

(١) مثلاً الورقة ٢٣٠ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٤٨ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٢) مثلاً الورقة ٢٤٥ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٣٢٦ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٣) مثلاً الورقة ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٤١ (أياصوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢٥ (أياصوفيا ٣٠١٤) والورقة ٢٢٦ (حلب).

(٤) مثلاً الورقة ٢٣٤ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٤٨ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٥) مثلاً الورقة ٧٨، ٩١، ٩٦، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١١٩، ١٤٨ (حلب) والورقة ١٩٠ (أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧) والورقة ٢٢٠ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٤٧ (أياصوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢٥، ٣٢٦ (أياصوفيا ٣٠١٣).

(٦) مثلاً الورقة ٢٤٧، ٢٥٥ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٧) مثلاً الورقة ٣٥، ٩٠، ٩١، ١٢٠، ١٢٩، ١٤٠ وغيرها (حلب).

(٨) مثلاً الورقة ٩١، ١٠٥، ١١٩، ١٢٧، ١٥٢ (حلب)، والورقة ١٤٧، (أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧) والورقة ٢٣٠، ٢٤٩ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٦٩ (أياصوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٨ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٩) مثلاً الورقة ٩٢ (أياصوفيا ٣٠٠٧) والورقة ٢١١ (أحمد الثالث ٧ / ٢٩١٧) والورقة ٣٢، ٤٧، ١٠٤، ١٠٥، ١٥١، ١٥٣، ١٦٦، ١٨٠ (حلب).

مجدبة[1]، ومجاعات[2] وفيضانات[3]، وعواصف مدمرة[4]، وارتفاع في أسعار الأطعمة أو انخفاض فيها، وقد قدم أمثلة لذلك[5].

ولما كان الذهبي من المهتمين بالعلم ونشره فقد اعتنى بذكر إنشاء دور العلم مثل المدارس[6] ودور الحديث[7] وخزائن الكتب[8] وتعيين المدرسين وعزلهم[9]. ويظهر ذلك أكثر وضوحًا في القسم الأخير من كتابه حيث احتلت مثل هذه الأمور حيزًا ليس بالقليل من مادة الحوادث فصرنا لا نجد حوادث سنة من السنوات خالية من مثل هذه الأمور مما يدل على شدة اهتمامه بها وعنايته بذكرها[10].

واهتم بإيراد كثير من الوثائق والمكاتبات بنصوصها، وهي ظاهرة واضحة في كتابه. وتشتمل هذه الوثائق على ما صدر عن علماء الأمة من المحاضر المتعلقة بالعقائد، والتوقيعات التي أصدرها الخلفاء والملوك. على أنه صب

---

(١) مثلاً الورقة ٨ (أحمد الثالث ٧ / ٢٩١٧) والورقة ٢٣٢ (أياصوفيا ٣١١٢).

(٢) مثلاً الورقة ١٢٥، ١٣٧، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٦، ١٨١ (حلب).

(٣) مثلاً الورقة ٧ (أياصوفيا ٣٠٠٧) والورقة ٦٥، ٩٩، ١٢٤ (حلب) والورقة ٢٣١ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٤) مثلاً الورقة ٦ (أحمد الثالث ٧ / ٢٩١٧) والورقة ١٠٥، ١١٩، ١٢٦، ١٩٣ (حلب).

(٥) مثلاً الورقة ٩٢ (أياصوفيا ٣٠٠٧) والورقة ٨، ٤٤، ٤٧، ٤٩، ٦١، ٩٠، ١٠٥، ١٣٧، ١٨١ (حلب) والورقة ٢٠٢ (أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧) والورقة ٢٣١، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٥٩، ٢٦٣ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٣٢٦ ـ ٣٢٧، ٣٢٨ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٦) انظر الورقة ١٨٢ (أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧) والورقة ٢٣٠ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٤٤ (أياصوفيا ٣٠١٢) والورقة ١٧٥ (حلب).

(٧) الورقة ٢٢٧ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٨) الورقة ١١١ (حلب).

(٩) الورقة ٢٠٧، ٢٤٧ (أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧) والورقة ٢٤٦، ٢٦٥ (أياصوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(١٠) راجع حوادث ٦٧١ ـ ٧٠٠هـ (أياصوفيا ٣٠١٤).

اهتمامه على الكتب التي كان ملوك الدول الإسلامية يبعثون بها إلى الخلافة العباسية يصفون بها فتوحاتهم وحروبهم وردهم لأعداء المسلمين أو أعداء الخلافة[1].

ولما كان الذهبي يولي التراجم عنايته الفائقة أصلاً، فإنه لم يخلص الحوادث منها، فصار يذكر أسماء وفيات المشهورين ضمن الحوادث باعتبار ذلك حدثًا تاريخيًا مهمًا من الواجب ذكره وتعيينه، بل إننا نجد حوادث بعض السنين ما هي إلا اختصار لوفيات كبار المترجمين، ولا سيما في المدة الواقعة بين سنتي ٤١ ـ ٣٠٠هـ، وهي المدة التي نظم التراجم فيها على حروف المعجم ضمن كل عشر سنوات، فأصبح محتاجًا لتقديم وفيات الأعلام ضمن حوادث السنة.

إن مراكز القوى في الدولة الإسلامية هي التي حددت في كثير من الأحيان كمية المعلومات التي يقدمها الذهبي عن بلد ما من البلدان الإسلامية بالرغم من أنه أراد لكتابه الشمول المكاني بحسابه تاريخًا للإسلام أجمع. ولذلك وجدنا الحوادث المذكورة في كتابه تدور على عهد الأمويين في نطاق الشام والعراق بينما ازداد اهتمامه بالعراق حينما أصبح مركزًا للخلافة العباسية حتى كادت الحوادث تقتصر عليه في كثير من الأحيان. وفي بعض سني القرن الرابع الهجري نجد الذهبي يركز على أخبار الحمدانيين بحلب بسبب حروبهم المشهورة التي شنوها على البيزنطيين، ثم يعود إلى العناية التامة بأخبار العراق والعباسيين ويستمر في ذلك حتى منتصف القرن السادس الهجري تقريبًا بحيث يكاد كتابه يقتصر عليهم في كثير من حوادث السنين[2]، إلا أنه يتحول بعيد هذا التاريخ فيعنى بأخبار الزنكيين في الجزيرة وبلاد الشام ومن بعدهم بالأيوبيين ولا سيما

---

(١) انظر مثلاً الورقة ٨٤، ٩٣، ١٠٢، ١٠٧، ١٢٣، ١٢٥، ١٥٧، ١٩٢، (حلب) والورقة ١٨٣، ١٩١، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٤، ٢٣٧ (أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧) وغيرها.

(٢) انظر مثلاً الورقة ٢ ـ ٤٥ (أياصوفيا ٣٠١٠).

في عهد صلاح الدين بسبب من نظرته إلى أهمية الأحداث التي قاموا بها في رد المعتدين عن ديار الإسلام، فتشعر في بعض السنوات وكأنه دون تاريخه لهم وقل اهتمامه بأخبار الخلافة العباسية نسبيًا. وتوجه الذهبي بعد سقوط بغداد بيد هولاكو سنة ٦٥٦هـ إلى العناية التامة بتوريخ حوادث بلاد الشام ومصر حيث احتلت الحيز الأعظم من الحوادث، بل ظلت أخبارها في تزايد مستمر سنة بعد أخرى حتى كادت تقتصر عليها في الربع الأخير من القرن السابع الهجري، فصار «تاريخ الإسلام» في هذه المدة أقرب شبهًا بالتواريخ المحلية.

ومع أن الذهبي اعتمد بعض الموارد أكثر من غيرها في بعض الأحيان إلا أننا وجدناه لا يتابع موردًا معينًا في اختيار الأحداث والتركيز على المهم منها. وقد استطعنا أن نميز له منهجًا خاصًا في هذا الباب يقوم على تقدير المهم وذكره، وإسقاط غير المهم وإهماله، مستندًا إلى مفهومه التاريخي للأحداث، الذي شرحناه قبل قليل. وقد تبين لنا أن الذهبي استطاع، في أكثر الأحايين، أن يوجه الأحداث في تاريخه الوجهة النوعية والمكانية التي اختارها، بفضل قدرته الفائقة على تنويع موارده بين عصر وآخر، وعدم التزامه بخط مؤرخ معين من المؤرخين الذين سبقوه[1].

وعلى الرغم من أن الذهبي قد اختار «المهم» من الأحداث التي شهدها العالم الإسلامي وأعطاها الأولوية في كتابه، فإنه لم يتخلص من طريقة كتاب الحوليات المسلمين الذين سبقوه، فاهتم بذكر بعض الأخبار القصيرة العجيبة التي لا ترتبط ببعضها إلا بوقوعها في السنة التي يتناول أحداثها، وغالبًا ما تأتي هذه النتف في آخر حوادث السنة مثل: الظواهر الطبيعية كالزلازل[2]، وكسوف

---

(١) انظر أدناه كلامنا على الموارد.

(٢) انظر مثلاً الورقة ١٧٣ (أياصوفيا ٣٠٠٧) والورقة ٥، ٩٢، ٩٣، ٢١٥، (أحمد الثالث ٧ / ٢٩١٧) والورقة ٦٨، ٧٠، ٧١، ٩٩، ١٠٤، ١٧٦ (حلب) والورقة ٩ (أياصوفيا ٣٠١٠) والورقة ١٨١، ١٩٤، ٢٤٥، ٢٤٧ (أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧) والورقة ٢٢٢ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٣٢ (أياصوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢٤ (أياصوفيا ٣٠١٤).

الشمس[١]، وخسوف القمر[٢]، والبرد الشديد[٣]. كما عني بالحوادث الغريبة مثل: تحوّل امرأة إلى رجل[٤]، وولادة طفل برأسين وأربعة أرجل[٥]، وقدوم رجل طوله ثلاثة أشبار وثلاث أصابع إلى دار الخلافة[٦]، ونحوها[٧].

طبيعة التراجم وأسس انتقائها:

لقد اتضح لنا من دراستنا لكتاب «تاريخ الإسلام» أن الذهبي اتبع منهجًا واضحًا عند ذكر التراجم فيه مراعيًا أسسًا معينة أبرزها ما يأتي:

١ ـ الشهرة والعلمية:

ذكر المشهورين والأعلام[٨]، ولم يذكر المغمورين والمجهولين، بعرف أهل الفن في كل عصر لا بعرفنا نحن، إذ لا ريب في أن هناك آلافًا من التراجم التي ذكرها لم يسمع بها كثير من المتخصصين في عصرنا. على أن الذهبي كان عارفًا بجميع من ذكرهم في تاريخه مطلعًا على سيرهم وروراياتهم وشيوخهم وأوقاتهم سوى حالات نادرة جدًا ذكر فيها أشخاصًا عرفهم علماء سبقوه ولم يعرفهم[٩] هو فأشار إلى هذا الأمر، نحو قوله في ترجمة أبي عبس خالد بن غسان

---

(١) انظر مثلاً الورقة ٣٢٥ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٢) انظر مثلاً الورقة ٢٣٢ (أياصوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢٥ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٣) الورقة ٣٢١ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٤) الورقة ٢٣٢ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٥) الورقة ٢١٨ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٦) الورقة ٢٦٥ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٧) انظر مثلاً الورقة ٩٢، ١٠٢، ١٠٦، ١٣١ (حلب) والورقة ١١ (أياصوفيا ٣٠١٠) والورقة ١٦٨، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٦ (أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧) وغيرها كثير.

(٨) استعمل الذهبي لفظ «الأعلام» لأولئك المشهورين جدًا، وفي الأغلب ترجم لهم تراجم حافلة وأشار بعد اسم المترجم ونسبه بأنه «أحد الأعلام» انظر مثلاً ٥ / ٤٤، ٦٨، ٦٩، ٨٩، ٩٨، ١١٦، ١٢١، ١٢٨، ١٣٦، ١٥٢، ١٥٥، ١٧٩، ١٨٤، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٥٧... إلخ (مطبوعة).

(٩) الذهبي: تاريخ الإسلام، ١ / ١٤.

السلمي: «ورّخه ابن مندة. لا أعرفه»[1]. وهذا الذي ذكرته عن «الشهرة والعلمية» هو الذي يفسر عنوان الكتاب، فهو كتاب في «المشاهير والأعلام».

على أن مفهوم الشهرة يختلف عند مؤلف وآخر استنادًا إلى عمق ثقافته ونظرته إلى البراعة في علم من العلوم أو فن من الفنون أو عمل من الأعمال أو أي شيء آخر، لذلك وجدنا تباينًا كبيرًا بين عدد المشهورين المذكورين في السنة الواحدة عند كتاب الحوليات، ففي الوقت الذي اقتصر فيه كثير من الكتب على إيراد ٥ ـ ١٥ ترجمة في السنة الواحدة مثل «المنتظم» لابن الجوزي «ت ٥٩٧هـ» و«مرآة الزمان» لسبطه «ت ٦٥٤هـ» و«الذيل على مرآة الزمان» لقطب الدين اليونيني «ت ٧٢٦هـ» و«البداية» لابن كثير «ت ٧٧٤هـ» و«عقد الجمان» لبدر الدين العيني «ت ٨٥٥هـ» أورد الذهبي ستين ترجمة في المعدل تقريبًا، وزاد عددها في بعض السنين على المئة[2].

٢ ـ الشمول النوعي:

لم يقتصر الذهبي على نوع معين من المشهورين والأعلام، بل تنوعت تراجمه فشملت كل فئات الناس من الخلفاء، والملوك، والأمراء، والسلاطين والوزراء والسياسيين، والنقباء والقضاة، والمحامين، والشهود العدول، والقراء والمحدثين، والفقهاء، والأدباء، واللغويين، والنحاة، والشعراء، والأطباء، والصيادلة، والتجار، والزهاد، والصوفية، وأرباب الملل والنحل والمتكلمين، والفلاسفة، وكل من اشتهر بشيء من الأشياء سواء أكان الظن به حسَنًا أم سيئًا، ثقة أم كذابًا. ولم يكن ليمنعه من ذكر شخص ما أن يكون مختلفًا معه في العقيدة

(١) الورقة ٤ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) وانظر أيضًا، ٢ / ٢٤٦ (مطبوعة) والورقة ١٣٢ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٢) بلغ عدد التراجم في سنة ٦٩٥هـ مئة وخمس تراجم (الورقة ٢٤١ ـ ٢٥٥ أياصوفيا ٣٠١٤) وبلغ عددها في سنة ٦٩٩هـ مئة وثلاثًا وتسعين ترجمة (الورقة ٢٨٤ ـ ٣١٠ من النسخة السابقة).

كأن يكون معتزليًا[١] أو رافضيًا[٢]، أو من غير الملتزمين بالدين كالمغنين والمجان والمتهتكين[٣]، أو أن يكون مختلفًا معه في الدين كأن يكون مشركًا[٤] أو يهوديًا[٥] أو نصرانيًا[٦] أو زنديقًا[٧]، ما داموا في نطاق دولة الإسلام.

ومع أن المؤلف قصد أن يكون تاريخه شاملاً جميع الناس من المشاهير والأعلام والأعيان، إلا أنه كان يؤثر المحدثين بكثرة ترجمته لهم على غيرهم، وفي القسم الأخير من كتابه آثر الدماشقة على من سواهم، لذلك جاءت الغالبية العظمى من المترجمين من أهل العناية بالحديث النبوي الشريف. وهذه ظاهرة طبيعية فيما رأى، لما عرفنا من تربية الذهبي ونشأته الحديثية وحبه لرواية الحديث وشغفه به ذلك الشغف العظيم الذي ملك عليه قلبه فهو من صنفهم واسع المعرفة بهم، ولأن المحدثين من أكثر الفئات التي عنيت بالرواية نظرًا للأهمية البالغة التي يحتلها الحديث النبوي في الحياة الإسلامية[٨] ولا سيما في

---

(١) انظر مثلاً الورقة ٩١ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٣٩ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٢٤، ٣٤ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧).

(٢) مثلاً الورقة ١٣٤، ١٤٨ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ١٨، ١٢٣، ١٤٠ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٢ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧).

(٣) مثلاً الورقة ١٠، ١٢٩، ٢٢٠ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٥٢ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧).

(٤) مثلاً الورقة ١٧١ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٧١ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٥) مثلاً الورقة ١٥٣ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٨٥ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٨٩ (أحمد الثالث ١٤ / ٢٩١٧) والورقة ٢٢٦ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٦) مثلاً ٣ / ٣٣٧، ٤ / ١٥١ (مطبوعة)، والورقة ١٢١ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٧) الورقة ١٢٣ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧).

(٨) انظر عن مكانة الحديث وأهميته في التشريع كتاب مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (القاهرة ١٩٦٦م)، ومحمد أبو زهو: الحديث والمحدثون، ص ٢٠ فما بعد (القاهرة ١٩٥٨م).

Robson: Hadith in Ency of Islam (New ed.).

وتنظر مقالتي عن الإمام أحمد في «موسوعة الحضارة الإسلامية» الصادرة عن =

تلك الأعصر التي امتازت عن غيرها بغلبة الطابع الديني عليها.

٣ ـ الشمول المكاني:

عمل الذهبي على أن يكون كتابه شاملاً لتراجم المشهورين من كافة أنحاء العالم الإسلامي كافة من الأندلس غربًا إلى أقصى المشرق.

إلا أن توافر المصادر عنده عن منطقة معينة أو عدم توافرها في مدة ما من تاريخه هو الذي كان يحدد في كثير من الأحيان كمية المعلومات التي يتناولها في كتابه عنها في عصر معين، وقد قال في مقدمة كتابه: «وأيضًا فإن عدة بلدان لم يقع إلينا أخبارها إما لكونها لم يؤرِّخ علماءها أحدٌ من الحفاظ، أو جُمع لها تاريخ ولم يقع إلينا»[1]. ولنضرب لذلك مثلاً بغداد، فإن وقوع معظم تواريخها التراجمية الرئيسة إليه جعل معلوماته عنها واسعة جدًا في المدة التي تناولتها تلك التواريخ مثل تواريخ: الخطيب البغدادي «ت ٤٦٣هـ»، وابن السمعاني «ت ٥٦٢هـ»، وابن الدبيثي «ت ٦٣٧هـ»، وابن القطيعي «ت ٦٣٤هـ»، وابن النجار «ت ٦٤٣هـ»، وابن الساعي «ت ٦٧٤هـ»[2]. فضلاً عما اطلع عليه من الموارد الأخرى التي تناولت تراجم أهلها وإن لم تكن من تواريخها المحلية الخاصة، ومن معاجيم الشيوخ والمشيخات والكتابات المتنوعة الأخرى. ولذلك احتفظت بغداد منذ تأسيسها بالمقدار الكبير من التراجم التي ذكرها، إلا أننا نلحظ أن عددهم يأخذ بالتناقص الشديد في النصف الثاني من القرن السابع الهجري حتى لم يعد البغاددة يزيدون عن ٥٪ في العقد الأخير من الكتاب (٦٩١ ـ ٧٠٠هـ) وذلك بسبب افتقاره إلى الموارد التي تعنى بتوريخ البغداديين، فضلاً عن صعوبة وصول المعلومات إليه بسبب ما عرف من القطيعة التي أصابت العلاقات بين العراق والشام في النصف الثاني من القرن السابع الهجري نتيجة النزاع الحاد بين

= مؤسسة آل البيت.

(١) ١ / ١٧ (مطبوعة).

(٢) لقد اختصر الذهبي ثلاثة من أبرز هذه الكتب وهي تواريخ الخطيب وابن السمعاني وابن النجار (انظر أعلاه الفصل الخاص بآثار الذهبي).

المغول والمماليك. وأكثر هذه التراجم اقتبسها من كتابين وقعا له بعد انتهائه من كتابة تاريخه، فألحقها بالحاشية، وهما: تاريخ ظهير الدين الكازروني المتوفى سنة ٦٩٧ هـ، وكتاب «تلخيص مجمع الآداب» لكمال الدين عبد الرزاق ابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣هـ. ويصح هذا الذي قلناه في عدد تراجم أهل الأقاليم الشرقية من المشرق الإسلامي، فبعد أن كانت تراجمهم تحتل حيزًا كبيرًا من «تاريخ الإسلام» قبل استيلاء المغول على تلك البلاد في الربع الأول من القرن السابع الهجري، نجدها تتناقص بشكل مفاجئ بعد سنة ٦١٧هـ وتكاد تختفي من الكتاب بعيد هذا التاريخ بسنوات قلائل بسبب انقطاع أخبارهم. ويقال مثل هذا عن الأندلس والمغرب، فمع أنه لم يفصِّل فيهم ويستوعبهم مثل أي مؤرخ مشرقي لكنه ذكر جملة كبيرة منهم تزيد بكثير عما اعتاد المشارقة ذكره عنهم، بسبب اعتماده على جملة من تواريخ المغرب والأندلس المحلية المعنية بتراجم رجالها مثل تواريخ: ابن الفرضي «ت ٤٠٣هـ» وابن بشكوال «ت ٥٧٨هـ» وابن الأبار «ت ٦٥٨هـ» وغيرهم، إلا أننا نجد تراجمهم تتناقص أيضًا ولا سيما في النصف الثاني من القرن السابع الهجري بسبب بعد تلك البلاد وانقطاع أخبارها عن مشرق العالم الإسلامي بحيث قال الذهبي في نهاية الطبقة السادسة والستين (٦٥١ ـ ٦٦٠هـ): «وقد انقرض في هذه الطبقة السادسة والستين خلق من العلماء والأعيان ورواة الآثار، منهم طائفة بالأندلس والمغرب لم تبلغنا أخبارهم»[١]. وقال في ترجمة الحميدي من سير أعلام النبلاء: «عملتُ أنا تاريخ الإسلام، وهو كافٍ في معناه فيما أحسب، ولم يكن عندي تواريخ كثيرة مما قد سمعت بها بالعراق وبالمغرب وبرصد مراغة، ففاتني جملة وافرة»[٢].

٤ ـ التوازن الزماني:

سار الذهبي على نمط متقارب في ذكر عدد التراجم في السنة الواحدة لكل عصر من العصور، فلم نجد عنده تفضيلاً لعصر على آخر. ومع أنه من الواجب

---

(١) الورقة ٢٠٤ (أياصوفيا ٣٠١٣).

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩ / ١٢٥.

علينا أن نلحظ قلة عدد التراجم في السنين الأولى إلا أن هذا لم يكن بسبب تفضيل عصر على آخر، فقد اعتذر الذهبي عنه بقلة الجماعة الإسلامية في صدر الإسلام من جهة[١] وعدم توافر المعلومات الدقيقة من جهة أخرى[٢]. ومع كل ذلك فإن عدد المترجمين في الطبقة الخامسة عشرة (١٤١ ـ ١٥٠هـ) مثلاً يبلغ ٥١٦ مترجمًا[٣]، وفي الطبقة الحادية والثلاثين (٣٠١ ـ ٣١٠هـ) بلغوا ٦٦٣ مترجمًا[٤]، في حين كان عدد المذكورين في الطبقة الثالثة والستين (٦٢١ ـ ٦٣٠هـ) ٦٣٧ مترجمًا[٥]، وهم في الطبقة الثامنة والستين (٦٧١ ـ ٦٨٠هـ) ٥٨٥ مترجمًا[٦]. أما الارتفاع غير الطبيعي في عدد المترجمين في بعض الطبقات فإنه يعود إلى أسباب أخرى مثل الحروب والأوبئة التي تحدث في مدة ما فتزيد من عدد الوفيات، فقد بلغ عدد المترجمين في الطبقة السبعين (٦٩١ ـ ٧٠٠هـ) مثلاً ٨٢٥ مترجمًا[٧] بسبب العدد الكبير الذي قتل من العلماء بدمشق في الحرب الغازانية المشهورة سنة ٦٩٩هـ. بحيث بلغ عدد المترجمين في هذه السنة وحدها ١٩٠ نفسًا[٨]، بينما كان عدد المذكورين في السنة التي قبلها ٦٥ نفسًا[٩] وعددهم في السنة التي بعدها ٦٧ نفسًا[١٠].

---

(١) الورقة ٧ (سعودية).

(٢) انظر مقدمة الذهبي لتاريخه ١ / ١٧ وراجع كذلك ٢ / ٨١ (مطبوعة) وكلامنا أعلاه على «تنظيم الكتاب».

(٣) ٦ / ٣٣ ـ ١٥٧ (مطبوعة).

(٤) الورقة ٢ ـ ٥٨ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٥) الورقة ١ ـ ١٠٤ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٦) الورقة ٣ ـ ٨٣ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٧) الورقة ٢١٠ ـ ٣١٩ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٨) الورقة ٢٨٤ ـ ٣١٠ من النسخة السابقة.

(٩) الورقة ٢٧٢ ـ ٢٨٤ من النسخة السابقة.

(١٠) الورقة ٣١٠ ـ ٣١٩ من النسخة السابقة.

٥ ـ الاختصار:

وجد الذهبي، بسبب سعة اطلاعه وتمكنه العظيم في الرجال، مادة هائلة احتوتها مئات الموارد التي اعتمدها في كتابه، يساعده على ذلك سعة النطاق الزماني لكتابه الذي يمتد من أول تاريخ الإسلام حتى سنة ٧٠٠هـ، والنطاق المكاني الذي يشمل العالم الإسلامي كله. وقد رأينا قبل قليل كيف استطاع أن يحدد نوعية المترجمين باختيار المشهورين والأعلام منهم، إلا أن المسألة التي تبدو أكثر أهمية هي كمية المعلومات التي يذكرها في الترجمة الواحدة، فقد كان لا بد له، وقد تحصلت لديه مادة ضخمة، أن ينتقي منها ما يتفق وخطته التي اتبعها في عناصر الترجمة[1]، ومن أجل أن لا يتضخم الكتاب أزيد من هذا التضخم الكبير الذي قدّره له. وقد أشار الذهبي إلى ضخامة المعلومات التي وقف عليها في مقدمة كتابه حينما قال: «إذ لو استوعبت التراجم والوقائع لبلغ الكتاب مئة مجلدة بل أكثر، لأن فيه مئة نفس يمكنني أن أذكر أحوالهم في خمسين مجلدًا»[2].

وعلى هذا فقد حاول جاهدًا أن يقدم ترجمة كاملة ومختصرة في الوقت نفسه، لا تؤثر فيها كمية المعلومات التي تتوافر لديه فتخرج عن خطته في الاختصار العام، فلما شعر مثلاً أن ترجمة عمر بن عبد العزيز قد طالت أنهاها بقوله: «ومناقبه طويلة اكتفينا بهذا»[3]، واعتذر عن طول ترجمة ابن سينا بقوله: «وقد طالت هذه الترجمة»[4]. وعلى العكس من ذلك فهو يشير عند الاختصار

---

(١) انظر أدناه الفصل الخاص عن «عناصر الترجمة».

(٢) ١ / ١٤ (مطبوعة) ومن الجدير بالذكر أن الشمس السخاوي نقل من خط الذهبي أنه كان يريد أن يؤلف كتابه «التاريخ الكبير المحيط» وأنه لو عمله لجاء في ست مئة مجلد، ولكنه لم ينهض له. وقد نقل السخاوي محتويات هذا التاريخ وفيه أربعون صنفًا من أصناف المترجمين (الإعلان ص ٥١٨ ـ ٥٢٢).

(٣) ٤ / ١٧٦ (مطبوعة).

(٤) الورقة ٢١٨ (أياصوفيا ٣٠٠٠).

إلى عدم توافر مادة كافية لبعض التراجم نحو قوله: «بلغتنا أخباره مختصرة»[١] و«لم تبلغنا أخباره كما ينبغي»[٢]. أو يشير إلى تقصير بعض الموارد في ترجمة شخص ما نحو قوله: «ترجمته صغيرة عند الخطيب»[٣]، أو «وقد ذكره ابن عساكر مختصرًا»[٤] أو «هو في تاريخ ابن النجار أخصر من هذا»[٥].

وقد تمكن الذهبي في الوقت نفسه أن يتخلص من المادة الضخمة التي تحصلت له عن بعض المترجمين المشهورين بإحالة القارئ إلى مصادر أوسع تناولت هذا المترجم بتفصيل أكثر مما ذكره هو نحو قوله في ترجمة عمرو بن العاص: «ولعمرو بن العاص ترجمة طويلة في طبقات ابن سعد في ثمان[٦] عشرة ورقة»[٧]، وقوله في ترجمة الصحابي لبيد بن ربيعة ـ رضي الله عنه ـ الشاعر المشهور: «وقد استوعب صاحب الاستيعاب أخبار لبيد»[٨]، وقوله في ترجمة ابن خزيمة المحدث المشهور: «وقد استوعب أخباره الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور وفيها أشياء كيسة وأخبار مفيدة»[٩] وقوله في ترجمة المعافى بن عمران الموصلي المحدث الزاهد المعروف: «وله ترجمة في تاريخ يزيد بن

---

(١) الورقة ١٩٩ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٢) الورقة ١٢٠ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٣) الورقة ٢٢٦ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٤) الورقة ١٥ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٥) الورقة ٤ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) وانظر الورقة ٢٢٩ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٦) هكذا في المطبوعة من غير ياء وهو رسم الذهبي لها، وقال الصلاح الصفدي: «الفصيح أن تقول عندي ثماني نسوة وثماني عشرة جارية وثماني مئة درهم لأن الياء هنا ياء المنقوص وهي ثابتة في حالة الإضافة والنصب» (الوافي م١ / ١٩).

(٧) ٢ / ٢٤٠ (مطبوعة).

(٨) ٢ / ٢٤٥ (مطبوعة) وصاحب الاستيعاب هو ابن عبد البر النمري المتوفى سنة ٤٦٣هـ.

(٩) الورقة ٦٥ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) وانظر إحالة أخرى إلى هذا التاريخ في الورقة ١٧٣ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

محمد الأزدي في بضع وعشرين ورقة»[١]، وقوله في ترجمة أبي نواس: «ترجمته سبع ورقات في تاريخ بغداد»[٢]، وقوله في ترجمة بلال بن سعد الدمشقي من أهل الطبقة الثانية عشرة: «وترجمته في تاريخ دمشق في نيف وعشرين ورقة»[٣] ومثل قوله في بعض التراجم: «وقد طول الداني ترجمته وعظمه»[٤] و«قد أطنب في ذكره وأسهب في أمره أبو سعيد بن يونس»[٥]، و«ذكره القاضي عياض وعظمه»[٦] ونحو ذلك[٧]. وقد بلغ الأمر به في بعض الأحيان أنه أحال على كتب اختصت بسيرة بعض المترجمين، نحو قوله في ترجمة أحمد بن حنبل: «وقد جمع مناقب أبي عبد الله غير واحد منهم: أبو بكر البيهقي في مجلد، ومنهم: أبو إسماعيل الأنصاري في مجيليد، ومنهم: أبو الفرج ابن الجوزي في مجلد»[٨]، وقوله في أخبار الحلاج من حوادث سنة ٣٠٩هـ بعد أن ذكر من أخباره ما بلغ قرابة ثماني أوراق[٩]: «وأخباره أكثر من هذا في تاريخ الخطيب، وفيما جمع ابن الجوزي من أخباره[١٠]، ثم إني أفردتها

---

(١) الورقة ١٤٢ (أياصوفيا ٣٠٠٦) وهو طبقات المحدثين وقد ذكر الأزدي ذلك في كتابه الآخر تاريخ الموصل المطبوع، ص ٣٠١.

(٢) الورقة ٣٠٠ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٣) ٤ / ٢٣٦ (مطبوعة) وانظر إحالات إلى ابن عساكر في ٤ / ٥٥ (مطبوعة) والورقة ٢٦، ١٧٣ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ١١٢ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٤) الورقة ٢٤٥ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٥) الورقة ٢٠٥ من النسخة السابقة.

(٦) الورقة ١٨٠ من النسخة السابقة.

(٧) انظر مثلاً ٢ / ٤٢، ٣ / ٣٤٦، ٤ / ١٨١، ٥ / ٦٥ (مطبوعة) والورقة ١٢٧ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٨) الورقة ١٣٠ (أحمد الثالث ٧ / ٢٩١٧).

(٩) الورقة ٨ ـ ١٥ (حلب).

(١٠) أحال الذهبي على كتاب ابن الجوزي هذا أيضًا في ترجمة الحلاج من وفيات سنة ٣٠٩هـ وسماه هناك: «القاطع لمحال المحاج بحال الحلاج» الورقة ٣٩ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

في جزء»[1].

ومع كل هذا فإن سعة التراجم في «تاريخ الإسلام» تتباين الواحدة عن الأخرى، فقد لا تزيد على بضعة أسطر، وقد تبلغ أوراقًا عديدة. وقد انتقده تلميذه تاج الدين السبكي «ت ٧٧١هـ» على خطته في تطويل التراجم وتقصيرها وعدَّ ذلك من باب التعصب والهوى العقائدي، فذكر أن تطويل التراجم وتقصيرها مسألة يغفل عنها الكثيرون، وتكلم على هذه المسألة في عموم المؤرخين فقال: «فرب محتاط لنفسه لا يذكر إلا ما وجده منقولاً، ثم يأتي إلى من يبغضه فينقل جميع ما ذكر من مذامه، ويحذف كثيرًا مما نقل في ممادحه، ويجيء إلى من يحبه فيعكس الحال فيه، ويظن المسكين أنه لم يأت بذنب، لأنه ليس يجب عليه تطويل ترجمة أحد، ولا استيفاء ما ذكر من ممادحه، ولا يظن المغتر أن تقصيره لترجمته بهذه النية استزراء به وخيانة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين في تأدية ما قيل في حقه من حمد وذم»[2] ثم خصص الذهبي فقال: «ولقد وقفت في تاريخ الذهبي ـ رحمه الله ـ على ترجمة الشيخ الموفق[3] ابن قدامة الحنبلي، والشيخ فخر الدين[4] ابن عساكر، وقد أطال تلك وقصر هذه وأتى بما لا يشك لبيب أنه لم يحمله على ذلك إلا أن هذا أشعري وذاك حنبلي،

---

(١) الورقة ١٥ (حلب) وانظر أعلاه آثار الذهبي في الباب الأول من هذه الرسالة.

(٢) السبكي: الطبقات، ٢ / ٢٣ ـ ٢٤.

(٣) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ وكان من كبار العلماء الزهاد، وهو صاحب التصانيف المشهورة المطبوعة المتداولة ومن أشهرها كتاب المغني، وقد ترجم له الذهبي في سبع أوراق (٢٠٤ ـ ٢١٠ أياصوفيا ٣٠١١) علمًا أن الذهبي قد ألف كتابًا في سيرته (انظر أعلاه آثار الذهبي).

(٤) هو فخر الدين عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر ابن أخي الحافظ أبي القاسم ابن عساكر صاحب التاريخ المشهور، وقد توفي فخر الدين هذا سنة ٦٢٠هـ أيضًا، وكان من كبار الشافعية بالشام آنذاك، وترجم له الذهبي في ثلاث أوراق تقريبًا ٢١١ ـ ٢١٣ (أياصوفيا ٣٠١١).

وسيقفون بين يدي رب العالمين»[1]. وكلام السبكي هذا جزء من نقده الشديد للذهبي الذي سوف نتكلم عليه في موضع آخر إن شاء اللّه[2].

وقد ظهر لنا نتيجة دراستنا لهذه الناحية في «تاريخ الإسلام» أن السبكي قد بالغ في نقده بسبب من تعصبه الشديد للأشاعرة، فقد تبين أن الذهبي راعى في أكثر الأحايين، وليس في جميعها، منزلة المترجم له وشهرته بين أهل فئته أو مكانته بين الذين من بابته سواء أكان متفقًا معه في العقيدة أم مخالفًا، فنراه مثلاً يطول في تراجم الشعراء البارزين مثل المتنبي[3]، وعمارة اليمني[4] ومجنون ليلى[5]، والأرجاني[6]، وغيرهم. أو كبار النحويين مثل الكسائي[7]، أو كبار الخطاطين مثل ابن مقلة[8]، وهلم جرًّا.

وكيف يقال: إن التعصب هو الذي دفع الذهبي إلى تطويل التراجم وتقصيرها وقد طول في ترجمة الحلاج بحيث بلغ ما ذكره عنه في الحوادث فقط ثماني أوراق[9]، بله الجزء الذي ألفه في أخباره، وهو الذي يقول في ترجمته: «قتلوه على الكفر والحلول والانسلاخ من الدين. . . كان كذابًا مموهًا ممخرقًا حلوليًا له كلام حلو يستحوذ به على نفوس جهال العوام»[10]. وترجم ابن سينا ترجمة طويلة بلغت عشر أوراق بخطه[11] باعتبار «آية في الذكاء وهو رأس

---

(١) السبكي: الطبقات ٢ / ٢٤.

(٢) انظر أدناه الفصل الخاص بالنقد.

(٣) الورقة ١٣ ـ ١٦ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧).

(٤) الورقة ٢٥ ـ ٢٩ (أحمد الثالث ١٤ / ٢٩١٧).

(٥) ٣ / ٦٤ ـ ٦٨ (مطبوعة).

(٦) الورقة ٣٠٥ ـ ٣٠٧ (أياصوفيا ٣٠١٠).

(٧) الورقة ١١٣ ـ ١١٥ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٨) الورقة ١٥١ ـ ١٥٤ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٩) الورقة ٨ ـ ١٥ (حلب).

(١٠) الورقة ٣٩ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(١١) الورقة ٢١٨ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

الفلاسفة الإسلاميين الذين مشوا خلف العقول وخالفوا الرسول!»[1]، وترجم لأبي العلاء المعري ترجمة حافلة مع أنه أكد زندقته في غير موضع[2]. وقد طول الذهبي في كثير من تراجم الأشاعرة البارزين ومدحهم مدحًا كبيرًا كلًّا بحسب مبلغه من العلم الذي برع فيه، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الإمام محيي الدين النووي الشافعي الأشعري[3] الذي لم تقل ترجمته عن ترجمة الموفق ابن قدامة لا في الطول ولا في الثناء، فضلاً عن اعتذاره في آخر الترجمة بقوله: «ولا يحتمل كتابنا أكثر مما ذكرنا من سيرة هذا السيد رحمه اللّه»[4].

ومع أن الذهبي كان عظيم الاهتمام بالمحدثين شديد الكلف بهم، إلا أننا وجدناه يترجم لهم تراجم قصيرة عمومًا إذا قيست بتراجم الشعراء والزهاد والصوفية والمتكلمين إذا استثنينا بعض أعلامهم المشهورين جدًا مثل البخاري[5] وأحمد بن حنبل[6] والزهري[7] وعبد اللّه بن المبارك[8] ونحوهم.

على أن هذا الذي قلته لا يعني أنه لم يتأثر إطلاقًا بعقيدته وآرائه ونظرته إلى العلوم في فهم المترجمين وتطويل تراجمهم أو تقصيرها، فهذا أمر يجانب الطبيعة البشرية، وهو موجود عند جميع المؤرخين، لكننا نشير إلى محاولاته الجدية في الموازنة وإلى أنه لم يفعل ذلك عن هوى وتقصد، إنما دفعته بيئته وثقافته في كثير من الأحيان إلى الإعجاب بشخص ما وتقديره، وعليه فإن تطويل

---

(١) الورقة ٢٨١ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٢) الورقة ٤٦١ ـ ٤٧٠ من النسخة السابقة.

(٣) الورقة ٤٢ ـ ٤٧ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٤) الورقة ٤٧ من النسخة السابقة.

(٥) الورقة ٢٥٧ ـ ٢٦٩ (أحمد الثالث ٧ / ٢٩١٧).

(٦) وقد تكلم على المحنة في أثنائها فاستغرقت من ترجمته قسمًا كبيرًا الورقة ١٠٢ ـ ١٣٠ (أحمد الثالث ٧ / ٢٩١٧).

(٧) ٥ / ١٣٦ ـ ١٥٢ (مطبوعة).

(٨) الورقة ٨٩ ـ ١٠١ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

الترجمة وتقصيرها يجب أن ينظر إليه بمنظار ينفذ خلال المؤلف أولاً من أجل كشف معاييره واتجاهاته الفكرية. وعلى أساس من هذا يجب أن تفهم انتقادات العلماء بعضهم لبعض في مثل هذه المسائل، وإلا فإن مآخذ السبكي على الذهبي يمكن تطبيقها على السبكي نفسه، ويكفي أن نتذكر تراجمه في طبقات الشافعية لنعلم ذلك.

ونحن على أي حال يجب أن نعترف بأن التاريخ كان أبدًا ضحية أمزجة المؤرخين المسلمين في الإطناب والإيجاز ونوعية المعلومات التي يهتمون بها ويلتفتون إليها دون غيرها ويدونونها في كتبهم استنادًا إلى أذواقهم ومفاهيمهم. وتفضَّلْ بعد كل هذا الذي قلته واسأل متعجبًا: كيف ترجم الذهبي لواحد من أعظم الرياضيين هو البوزجاني المتوفى سنة ٣٨٧هـ في سطرين فقط[١]؟! ثم سرعان ما يتبدد استعجابك[٢] حينما تعلم أنه لم يدر يومًا من هذه العلوم شيئًا، ولم ينل منها حظًا، بله اعتباره الرياضيات والهندسة والفلك من «الصنائع المظلمة»[٣]!!

* * *

(١) الورقة ١٩٤ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٢) قال الزمخشري في (ع ج ب) من أساس البلاغة (ص ٦١٤): الاستعجاب: فرط التعجب.

(٣) الورقة ٢٦٣ (أياصوفيا ٣٠٠٨).



الفصل الثالث
عناصر الترجمة

توطئة:

تختلف المادة الموجودة في ترجمة ما عن الأخرى بحسب طبيعة المترجم له وقيمته العلمية أو الأدبية أو مكانته السياسية من جهة وعدد الموارد التي يعتمدها المؤلف ونوعيتها من جهة أخرى. وطبيعي أننا نجد اختلافًا واضحًا في محتويات ترجمة السياسي عن الأديب، واختلافًا بين ترجمة الأديب أو المحدث أو الفقيه أو المتكلم ونحو ذلك. وقد لا نستطيع أن نتبين سوى السمات العامة في الترجمة البالغة القصر. على أننا في الوقت نفسه نلحظ تنظيمًا واضحًا داخل التراجم الحافلة قد يصل حدًا يضع فيه الذهبي عناوين بالخط الغليظ لكل جزء مميز من أجزائها كما هو في ترجمة فخر الدين الرازي(١)، وأبي عمر المقدسي(٢)، وأبي إسحاق المقدسي(٣)، والموفق المقدسي(٤)، وعز الدين ابن الأثير(٥)، وأبي زكريا النووي(٦)، وغيرهم.

على أننا نستطيع أن نميز المنهج العام الذي اختطه الذهبي لنفسه في ذكر محتويات تراجم العلماء والرواة والأدباء ونحوهم بالأمور الآتية:

١ ـ اسم المترجم ونسبه ولقبه وكنيته ونسبته.

٢ ـ مولده أو ما يدل على عمره.

---

(١) الورقة ٣٨ ـ ٤٢ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٢) الورقة ٥١ ـ ٥٧ من النسخة السابقة.

(٣) الورقة ١٢٢ ـ ١٢٦ من النسخة السابقة.

(٤) الورقة ٢٠٤ ـ ٢١٠ من النسخة السابقة.

(٥) الورقة ٩٥ ـ ٩٦ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٦) الورقة ٤٢ ـ ٤٧ (أياصوفيا ٣٠١٤).

٣ ـ نشأته ودراسته وأخذه عن الشيوخ.

٤ ـ تصانيفه وتلامذته.

٥ ـ مكانته العلمية وعقيدته وآراء العلماء فيه ورأي الذهبي إن وجد.

٦ ـ تحديد أو تقريب تاريخ وفاته.

وقد تتوافر هذه الأمور جميعها في الترجمة الواحدة، وقد توجد طائفة منها، أو لا يتوافر منها إلا القليل بحسب طبيعة المترجم له وكمية المعلومات المتوافرة عنه.

١ ـ الاسم والنسب واللقب والكنية والنسبة:

يبتدئ الذهبي الترجمة عادة بذكر اسم المترجم له واسم والده وأجداده وهو قلما يورد أقل من ثلاثة أسماء[١]. ثم يذكر بعد ذلك بعض الصفات المادحة أو الدالة على مكانته العلمية نحو: «الفقيه»، و«الحافظ»، و«المسند»، و«العلامة»، و«الرحلة»، و«الشاعر»، و«الأديب»، أو من الألفاظ الدالة على المناصب والرتب الدينية والدنيوية الرفيعة نحو: «قاضي القضاة» و«شيخ الشيوخ»، و«القاضي»، و«أمير المؤمنين»، و«الملك»، و«السلطان»، و«الأمير»، و«الوزير»، و«الحاجب»، و«نقيب النقباء» ونحوها. كما يستعمل ألفاظًا دالة على أصالة المترجم وبيته العريق مثل: «الشريف» لمن كان من العلويين أو العباسيين، و«الأصيل» لمن هو من بيت عريق في رياسة أو علم. على أن الذهبي غالبًا ما يقتصر في إيراد هذه الصفات على المترجم نفسه ولا يتعداها إلى آبائه كما يفعل المنذري في «التكملة»[٢]، فإذا تعداها في حالات قليلة فإنه يقتصر على والد المترجم أو أحد المشهورين من آبائه كأنه يريد أن يزيد

---

(١) وكان يعنى بإصعاد نسب بعض المشهورين من ذوي البيوتات مثل العلويين والعباسيين ونحوهم (انظر مثلاً الورقة ١٤٦ أياصوفيا ٣٠٠٦، والورقة ٣٤، ١٥٣ أياصوفيا ٣٠٠٧، والورقة ٣٦٠ أياصوفيا ٣٠٠٩. أو بعض كبار العلماء (مثلاً، الورقة ١٠٢ أحمد الثالث ٧ / ٢٩١٧، والورقة ١٦٧ أياصوفيا ٣٠٠٦، والورقة ٣٨٩ أياصوفيا ٣٠٠٩ وغيرها).

(٢) قارن كتابنا: المنذري وكتابه: التكملة، ص ٢٤٠.

في تعريف المترجم عند ذكره ذلك[1].

أما لقب المترجم فيأتي عادة بعد هذه الصفات والألفاظ[2]. ويلحظ أن الذهبي حريص في هذا الموضع من الترجمة على إيراد اللقب، نحو قوله «عز الدين» و«ضياء الدين» و«تاج الدين» ونحوها، في حين غالبًا ما يحذف مثل هذه الألقاب في وسط الترجمة أو نهايتها، أو من ألقاب الرواة الذين أخذوا عنه أو المصادر التي ينقل منها فيقول عوضًا عن الألقاب التي ذكرناها «العز» و«الضياء» و«التاج» وذلك بترك المضاف إليه والاقتصار على المضاف اختصارًا أو لكثرة استعمالها. وهذه الطريقة الأخيرة معروفة عند كثير من المؤرخين ومنهم زكي الدين المنذري[3].

ويذكر المؤلف كنية المترجم بعد ذكر لقبه[4]، فإذا كان للمترجم أكثر من كنية ذكرها نحو قوله: «أبو الحسن وأبو محمد»[5]، ولكنه قلما يذكر كنى الآباء كما فعل ابن الدبيثي وابن النجار في تاريخيهما إذ ذكرا عددًا من كنى الآباء في نهاية الاسم، نحو قول الذهبي: «محمد بن أحمد بن صالح بن شافع بن صالح ابن حاتم، أبو المعالي الجيلي ثم البغدادي»[6]، في حين جاءت هذه الترجمة عند ابن الدبيثي بالصورة الآتية: «محمد بن أحمد بن صالح بن شافع بن صالح

---

(١) نحو قوله: «السلطان الملك المعظم شرف الدين ابن السلطان الملك العادل سيف الدين»، (الورقة ٤٥ أياصوفيا ٣٠١٢)، ونحو قوله في ترجمة عبد الله ابن عبد الغني المقدسي: «الحافظ المحدث جمال الدين أبو موسى ابن الحافظ الأوحد أبي محمد المقدسي» (الورقة ٧٩ أياصوفيا ٣٠١٢).

(٢) ولكن اللقب يأتي في أحيان قليلة جدًا عند نهاية الترجمة فيذكر أن لقبه كذا، انظر مثلاً: الورقة ٢٤ (أياصوفيا ٣٠٠٦) والورقة ٧٧، ١٨٥، ١٨٧ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٣) انظر كتابنا: المنذري، ص ٢٤٣.

(٤) وفي أحيان قليلة نجد تقديمًا للكنية على اللقب وهو جائز عند كبار النحويين من تقديم الكنية على اللقب أو تأخيرها عنه، انظر مثلاً الورقة ٣٥، ٧٥، ٧٦ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٥) الورقة ٦٦ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٦) الورقة ٦٦ (أياصوفيا ٣٠١٢).

ابن حاتم الجيلي الأصل البغدادي المولد والدار، أبو المعالي ابن أبي الفضل بن أبي المعالي»[1]. والذهبي يخالف الزكي المنذري في التكملة الذي كان يذكر الكنى قبل ذكر أي اسم من الآباء فضلاً عن الصفات المادحة نحو قوله في ترجمة ابن شافع المار ذكره: «الشيخ الأجل أبو المعالي محمد ابن الشيخ الأجل أبي الفضل أحمد ابن الشيخ الأجل أبي المعالي صالح ابن الشيخ الأجل أبي محمد شافع بن صالح . . . »[2].

وطريقة المنذري هذه لم تكن لتلائم الذهبي في تنظيمه الذي قام على أساس ترتيب الأسماء ترتيبًا معجميًا لأنها تؤدي إلى الاضطراب في ترتيب الأسماء.

وتأتي بعد ذلك النسبة، حيث يبدأ المؤلف أولاً بذكر نسبة المترجم إلى القبيلة وفروعها إن وجدت ويسلسل ذلك من الأعم إلى الأخص نحو قوله عن المترجم الذي ينتسب إلى أبي بكر الصديق ـ رضي اللّه عنه ـ: «القرشي التيمي البكري»[3]، لأن قريشًا تتكون من عدة عشائر فهو أعم من أن يكون تيميًا، والتيمي أعم من أن يكون من ولد أبي بكر رضي اللّه عنه، ومثل هذا قوله عن الذي ينتمي إلى الخليفة المأمون: «الهاشمي المأموني»[4]، وعن الذي ينتسب إلى حاتم الطائي: «الطائي الحاتمي»[5]، وهكذا نحو قوله: «الحميري الكلاعي»[6] و«الأنصاري السعدي العبادي»[7]. ثم يذكر بعد ذلك نسبته إلى المدينة أو البلدة التي ينتسب إليها، وهو يسلسل ذلك من الأعم إلى الأخص أيضًا

---

(١) ابن الدبيثي: ذيل تاريخ مدينة السلام، م١ / ١٥٧ بتحقيقنا.

(٢) التكملة، م٧ / ١٣٥٤ (من الطبعة الماجستيرية).

(٣) الورقة ٣٨، ١٢٣، ١٤٥ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٤) الورقة ١٤١ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٥) الورقة ٢٠٠ من النسخة السابقة.

(٦) الورقة ١٤٧ من النسخة السابقة.

(٧) الورقة ١٤٩ من النسخة السابقة.

نحو قوله: «البغدادي الحريمي الطاهري»[1]، فالبغدادي أعم من أن يكون من أهل الحريم الطاهري المحلة المشهورة ببغداد. ويعنى الذهبي بذكر البلدة التي جاء منها المترجم أو التي كان أحد أجداده ينتسب إليها، ويثني بالتي ولد بها، ثم التي نشأ وسكن بها، ثم ينتهي بذكر التي توفي بها بحسب ما يتوافر له في الترجمة الواحدة، فإذا ما توافر كل ذلك أو بعضه في ترجمة واحدة ذكره نحو قوله: «الكناني العسقلاني الأصل التنيسي المولد المصري المنشأ»[2]. وتأتي بعد هذه النسبة إلى المذهب نحو: «الشافعي» و«الحنفي» و«الحنبلي» و«المالكي» و«الزيدي» و«الظاهري»، فإذا ما غير المترجم مذهبه ذكر له نسبته إلى مذهبه القديم ثم إلى مذهبه الجديد. ويورد بعد ذلك نسبته إلى العلم أو الحرفة أو الصنعة. وإذا ما اشتهر الرجل بأكثر من علم أو حرفة أو صنعة أو وظيفة ذكرها نحو قوله: «الطحان البواب»[3] و«المقرئ الشاعر»[4] و«السمسار الصايغ»[5]. ويتبع الذهبي نسبة المترجم بما عرف به من شهرة ويسبق ذلك عادة بكلمة «المعروف» أو «يعرف» مثل قوله: «أبو الحسن القرشي الأموي النابلسي ثم المصري المالكي العطار المعروف بابن النطاع»[6]، فإذا اشتهر بأكثر من نسبة أو لقب ذكرها أيضًا نحو قوله في ترجمة علي بن عمر بن محمد بن الحسن بن شاذان من وفيات سنة ٣٨٦هـ: «أبو الحسن الحميري البغدادي الحربي يعرف بالسكري وبالختلي وبالصيرفي وبالكيال»[7]. وهو قلما ترك إنسانًا اشتهر بشيء وعرف به إلا ذكره، وكتابه شاهد على ذلك.

---

(١) الورقة ١٦١ من النسخة السابقة.
(٢) الورقة ١٧٧ (أياصوفيا ٣٠١٢).
(٣) الورقة ١٤٥ من النسخة السابقة.
(٤) الورقة ٢٠٧ من النسخة السابقة.
(٥) الورقة ٢١١ من النسخة السابقة.
(٦) م١٨، الورقة ١٤٢ (أياصوفيا ٣٠١١).
(٧) الورقة ١٨٥ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

وقد يزيد الذهبي في تعريف المترجم فيذكر بعد الاسم واللقب والكنية والنسبة وما إليها، وظيفة عرف واشتهر بها اشتهارًا كبيرًا نحو قوله: «مدرس الطائفة الحنفية بالمستنصرية»[1] و«قاضي القضاة بقرطبة»[2] و«قاضي بغداد»[3] و«قاضي بلخ»[4] و«قاضي بلد الخليل»[5] و«خطيب زملكا»[6]، و«ناظر الإسكندرية»[7]، ونحوها. أو يزيد في تعريفه بذكر أحد المشهورين من أقربائه نحو قوله في ترجمة تاج الأمناء ابن عساكر المتوفى سنة ٦١٠هـ: «ابن أخي الحافظ أبي القاسم ابن عساكر وأحد الإخوة وأكبرهم ووالد العز النسابة»[8]. وقوله في ترجمة أبي المظفر ضياء بن صالح الخفاف المتوفى سنة ٦٠١هـ: «ابن أخي المفيد المبارك بن كامل»[9]، وقوله في ترجمة الفقيه أبي المنصور فتح بن محمد بن علي الدمياطي المتوفى سنة ٦٠٦هـ: «والد الزين الكاتب المشهور»[10]، وغيرها[11]. أو قد يعرِّفه بكتاب له مشهور جدًا نحو قوله في ترجمة العلامة مجد الدين أبي السعادات ابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ: «الكاتب البليغ مصنف جامع الأصول ومصنف غريب الحديث»[12]، وقوله في

---

(١) الورقة ١٢٥ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٢) الورقة ٢٢ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧).

(٣) الورقة ٩٦ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٤) الورقة ١٣ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧).

(٥) الورقة ١٣ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٦) الورقة ١٣٦ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٧) الورقة ١٤٨ من النسخة السابقة.

(٨) م١٨، الورقة ٧٤ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٩) م١٨، الورقة ٤ من النسخة السابقة.

(١٠) م١٨، الورقة ٣٧ (أياصوفيا ٣٠١١).

(١١) انظر مثلاً: الورقة ٧٧، ٨١، ٩٣، ٩٥، ١٠٠، ١٠٥، ١٢٢، ١٤٣، ١٥٧، ١٦٨ (من النسخة السابقة).

(١٢) م١٨ الورقة ٤٢.

ترجمة محمد بن سعد بن محمد الديباجي المروزي المتوفى سنة ٦٠٩هـ: «مصنف كتاب المحصل في شرح المفصل للزمخشري»[١]، ونحوها[٢]. أو قد يعرفه بكتاب مشهور يرويه، نحو قوله في وفيات سنة ٤٤١هـ: «محمد بن أحمد ابن عيسى بن عبد اللّه القاضي... البغدادي الفقيه الشافعي راوي معجم الصحابة للبغوي عن ابن بطة العكبري»[٣]، وقوله في وفيات سنة ٣٨٨هـ: «أبو يعقوب الصيدلاني راوي كتاب الضعفاء لأبي جعفر العقيلي عنه»[٤]، وقوله في وفيات سنة ٣٦٨هـ: «محمد بن عيسى بن عمروية، أبو أحمد النيسابوري الجلودي راوي صحيح مسلم»[٥]، ونحو ذلك[٦].

إن هذه العناية الكبيرة بذكر انتسابات المترجم تكوِّن في حقيقتها مادة غنية وجزءًا مهمًا من الترجمة حيث يستطيع مؤلف التراجم أن يقدم معلومات عن نسب المترجم وأصله ومكان مولده ونشأته ووفاته ومذهبه واشتهاره بعلم من العلوم أو فن من الفنون أو وظيفة أو حرفة أو صنعة، بعبارة وجيزة ومن غير حاجة إلى استحداث جمل لأجل هذه الغاية، بل كان ذكر الاسم وإلحاق هذه الانتسابات به يجعل كل هذه المسائل على غاية من الوضوح. ومن أجل أن يضبط الذهبي ما قد يحدث من توهم في بعض الانتسابات المشتركة التي قد تؤدي إلى أكثر من معنى نراه يشير إلى المراد بذلك اللفظ بصورة مختصرة جدًا نحو قوله: «العلوي الحسيني الزيدي النسب»[٧]، لئلا يتوهم القارئ أو السامع أن هذا الرجل

---

(١) م١٨، الورقة ٧٢.

(٢) انظر مثلاً: الورقة ١٤٢، ١٥٨، ١٨٦، ١٩٦ (أياصوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٦٨، ١١٩، ١٢٠، ١٥١، ١٧٧ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٢٥، ٤٤، ٤٨ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) وغيرها.

(٣) الورقة ٣٩٣ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٤) الورقة ٢٠٠ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٥) الورقة ٨٩ من النسخة السابقة.

(٦) انظر مثلاً: الورقة ١١٩، ١٣٨ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٧) الورقة ٨٠ (أياصوفيا ٣٠١١).

قد يكون زيدي المذهب، وقوله مثلاً: «حنش بن عبد اللّه. . . السَّبَئِي الصنعاني، صنعاء دمشق لا صنعاء اليمن»[1].

وفي هذا القسم، أعني القسم الأول من الترجمة، ينص الذهبي فيما إذا كان المترجم ضريرًا فيذكر ذلك إذا وقع له[2]. ولعل تأكيد العلماء على مثل هذا الأمر متأت من النتائج العلمية المترتبة عليه كالتحمل والأداء والضبط وغير ذلك، فالضرير مثلاً لا يستطيع القراءة أو كتابة الإجازة، بل تكتب عنه[3]. كما أن أصوله يجب أن يضبطها له أصحابه، قال الذهبي في ترجمة علي بن محمد أبي الحسن القابسي المتوفى سنة ٤٠٣هـ: «وكان حافظًا للحديث وعلله ورجاله فقيهًا أصوليًا متكلمًا مصنفًا صالحًا متقنًا. وكان أعمى لا يرى شيئًا وهو مع ذلك من أصح الناس كُتبًا وأجودهم تقييدًا يضبط كُتبه ثقات أصحابه، والذي ضبط له صحيح البخاري رفيقه أبو محمد الأصيلي»[4].

كما أنه عُني بذكر كون المترجم من «المعدّلين» فيذكر ذلك بلفظ «المعدل»[5]. ولعل مؤلفي كتب التراجم أعاروا أهمية لمثل هذا الأمر لما له من أثر في توثيق المترجم وقبوله في المناصب الدينية وخاصة القضاء. وكان التعديل يجري عادة بشهادة الشخص عند القاضي وغالبًا ما يكون عند قاضي القضاة ويقبل القاضي شهادته بعد أن يزكيه شخصان من العدول وتكتب بذلك وثيقة

---

(١) ٣ / ٣٦١ (مطبوعة).

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر: الورقة ٢١، ٣١، ٤٤، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٩، ١٤٣، ١٥٤، ١٧٧، ١٨٢. . . إلخ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٣) انظر كتابنا: المنذري، ص ٢٤٣.

(٤) الورقة ٣٢ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٥) انظر مثلاً الورقة ٩١، ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١١٨، ١١٩، ١٢٧، ١٣١، ١٣٤، ١٦٨، ١٧٥، ١٨٠، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٤٠، (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٧، ٩، ١٠، ١٧، ٢١، ٢٨، ٤٣، ٥٠، ٥٨، ٦٤، ٧٤، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٧. . . إلخ (أياصوفيا ٣٣١١) وغيرها كثير.

تودع بديوان الحكم[1]. على أن الذهبي لم يهتم بذكر تاريخ تعديل الشهود، وفيما إذا كان المترجم قد عزل عن الشهادة، ولا يذكر القاضي، أو قاضي القضاة الذي جرى التعديل عنده، وكأنه تابع في ذلك زكي الدين المنذري في «التكملة»[2]، بينما كان ابن الدبيثي وابن النجار وابن الساعي شديدي الاهتمام بذكر هذه الأمور[3].

٢ ـ المولد:

أما القسم الثاني من الترجمة فهو ذكر تاريخ مولد المترجم، وهو غالبًا ما يأتي بعد اسمه ونسبه ولقبه وكنيته ونسبته. وقد اعتنى الذهبي بذكر الولادات جهد طاقته فذكرها دائمًا حينما توافرت له لما لذلك من أهمية كبيرة في الاطمئنان على لقاء المترجم لمشايخه وسماعاته عليهم أو إجازته عنهم. وكان المحدثون يعنون بتتبع المواليد ويسألون الشيخ عن مولده قبل السماع منه أو الأخذ عنه فإذا ما وجدوا له رواية قبل هذا التاريخ أو في سن لا تحتمل السماع حكموا بكذبه في هذه الرواية أو انقطاعها، فقد كان للشيخ أبي محمد عبد اللطيف بن عبد القاهر السهروردي المتوفى سنة ٦١٠هـ[4] أخ أكبر منه اسمه عبد الرحيم له جزء من مسموعاته عن القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري المتوفى في رجب سنة ٥٣٥هـ[5]، فحدث به عبد اللطيف هذا بإربل مع أن مولده في رجب سنة

---

(١) السمناني: روضة القضاة، الورقة ١٧ (نسخة مكتبة البلدية في ميونيخ رقم ٢٦٠ عربي).

(٢) انظر كتابنا: المنذري، ص ٢٤٤.

(٣) راجع مقدمتنا لتاريخ ابن الدبيثي، م١ / ٣٥ وكتابنا: تاريخ بغداد لابن الدبيثي، منهجه، موارده، أهميته، ص ٥ (بغداد ١٩٧٤م).

(٤) انظر: ابن نقطة: التقييد، الورقة ١٦٤ ـ ١٦٥، وإكمال الإكمال، الورقة ٢٩ (ظاهرية)، ابن الدبيثي: تاريخ، الورقة ١٦٢ (باريس ٥٩٢٢) المنذري: التكملة، ٤ / ٦٦ ـ ٦٧، الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٧٩ (أياصوفيا ٣٠١١)، والمختصر المحتاج إليه، الورقة ٨١، ابن الملقن: العقد المذهب، الورقة ١٤٩.

(٥) ويعرف بقاضي المارستان، انظر: ابن الجوزي: المنتظم، ١٠ / ٩٢ ـ ٩٤، ابن الأثير: الكامل، ١١ / ٣٣، سبط ابن الجوزي: مرآة، مختصر ٨ / ١٧٨ ـ ١٨٠، الذهبي: العبر، =

٥٣٤هـ، وسرعان ما شاع هذا الأمر بين المحدثين، قال ابن نقطة المتوفى سنة ٦٢٩هـ: «قال لي أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المقرئ الأندلسي: دخل جماعة من القادسية إلى إربل من طلبة الحديث فقالوا لي: احذر أن تقرأ على الشيخ هذا الجزء فإنه من مسموعات أخيه. فسألته عن مولده فتكاره في ذلك وقال: «ما أدري أيش مقصود أصحاب الحديث يسألون الإنسان عن مولده كأنهم يتهمونه» فذكر مولده، فقلت إنه ليس: من سماعاته»[1] باعتبار أن سِنَّه لا تحتمل السماع.

ولما كان الاهتمام بذكر المواليد قد جاء نتيجة العناية بالرواية ولقاء المشايخ لذلك رأينا شدة اهتمام الذهبي بذكر مواليد المحدثين بصفة خاصة بينما كثيرًا ما أهملها في غيرهم من الملوك والأمراء والمتكلمين ونحوهم.

إن ذكر تاريخ المولد يعتمد بالدرجة الأولى على معرفة المترجم نفسه به، لذلك فإن مؤلفي كتب التراجم غالبًا ما يذكرون المولد حسبما يورده صاحب الترجمة عندما يسأله الطلبة عنه. وغالبًا ما تضبط مواليد ذوي البيوتات العلمية أكثر من غيرهم، ذلك أن آباءهم أو أقاربهم يهتمون بتقييد تاريخ مولد أبنائهم لأنهم يأملون أن يكونوا من أهل العلم والعناية به.

وكان الذهبي يذكر في بعض الأحيان عمر المترجم إذا لم يذكر تاريخ مولده، وفي هذه الحالة غالبًا ما يأتي ذكر ذلك في نهاية الترجمة وبعد ذكره لتاريخ وفاته نحو قوله مثلاً: «عاش إحدى وتسعين سنة»[2] ونحو ذلك[3]، وإذا

= ٤ / ٩٦ ـ ٩٧، العيني: عقد الجمان، ١٦ / الورقة ١٢١ ـ ١٢٢ (مصورة القاهرة ١٥٨٤ تاريخ).

(١) ابن نقطة: التقييد، الورقة ١٦٤ ولذلك تناوله ابن حجر في لسان الميزان: ٤ / ٥٤.

(٢) الورقة ٣٠ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٣) انظر مثلاً الورقة ٨٦، ٨٩، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٧، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٣، (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٣، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٣٢، ٣٨ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) والورقة ٣٤، ٣٦، ٦٦ (أياصوفيا ٣٠١١) وغيرها كثير.

لم يظفر بتاريخ مولده دلل على قدم مولده، نحو قوله: «قديم المولد»[١].

ويقتصر الذهبي في ذكر المولد على ذكر السنة التي ولد فيها في الأغلب الأعم، وقلما يعين اليوم والشهر الذي وقعت فيه الولادة إلا في حالات قليلة[٢]، على عكس صنيع ابن الدبيثي والمنذري اللذين اهتما بذكر اليوم والشهر والسنة إذا وقع لهما ذلك[٣]. وقد يذكر الذهبي المدينة التي ولد بها تصريحًا[٤]، على أنه كثيرًا ما يذكر ذلك ضمنيًا حينما يشير في الترجمة إلى أنه «بغدادي المولد» أو «أصبهاني المولد» ونحوهما فيدل على مكان ولادته.

٣ ـ الدراسة والشيوخ:

وتأتي المعلومات المتصلة بنشأة المترجم ودراساته بعد الولادة في الأغلب الأعم. وأول ما يبدأ الذهبي بذكره عادة هو قراءة القرآن الكريم إذْ هو أشرف الكتب وهو الذي يبتدئ به الطلبة في مدة مبكرة من حياتهم. ويشير في هذا المجال فيما إذا كان المترجم قد قرأ بالقراءات السبع أو العشر أو الشواذ، كما يعنى بإيراد الشيوخ الذين قرأ عليهم هذه القراءات. ثم ينتقل بعد ذلك إلى دراسة الفقه، إذا كان المترجم من المهتمين به، ولكنه لا يعنى بذكر المذهب الذي تفقه عليه، إلا أنه يذكر الشيوخ الذين تفقه عليهم أو المدرسة التي تفقه فيها وفي ذلك دلالة على المذهب، لأن التفقه على شيخ معين يعني التفقه على مذهب ذلك الشيخ إذ قلما يدرِّس الشيخ غير مذهبه الذي يدين اللّه تعالى به، ومثل ذلك التفقه في المدارس التي غالبًا ما أوقفت على مذهب معين. ويذكر بعد

---

(١) الورقة ٦٠ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٢) انظر مثلاً الورقة ٤٨، ٦٦، ٧٦، ١٥٧، ١٦٨ (أياصوفيا ٣٠١١) وفي جميع هذه المواضع عين الشهر ولم يعين اليوم.

(٣) انظر المنذري: التكملة، مثلاً ٤ / ٥، ٧، ١١، ١٥، ١٨، ١٩، ٢٠... إلخ. وابن الدبيثي: ذيل تاريخ مدينة السلام، م١ / ٩٥، ٩٧، ١٠٤، ١٠٧، ١١٣، ١١٦، ١٣١، ١٣٦، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٤... إلخ.

(٤) انظر مثلاً الورقة ٤٢، ٤٤، ٨٤، ١٠٠، ١١٢، ١١٧، ١٥٧، ١٦٩ (أياصوفيا ٣٠١١).

هذا سماع المترجم للحديث وغيره وإجازات العلماء له، ثم العلوم الأخرى التي درسها.

وغالبًا ما يقتصر الذهبي في ذكر شيوخ المترجم على ما اشتهروا به من اسم أو لقب، فيقول مثلاً: «ابن الحصين» ويريد به أبا القاسم هبة الله بن محمد ابن الحصين الشيباني، ويقول: «أبو بكر الأنصاري» ويريد به القاضي أبا بكر محمد ابن عبد الباقي الأنصاري ونحو ذلك، وهو بهذا يخالف طريقة المنذري الذي اعتنى بذكر أسماء الشيوخ بصورة مفصلة في كتابه التكملة[١]. والذهبي عند ذكره لأسماء الشيوخ بهذا الشكل قد افترض معرفة واطلاعًا عند القارئ بحيث يستطيع أن يميز ويعرف الشيخ من شهرته، وهي طريقة تثير كثيرًا من الإرباك ولا سيما للقراء غير المتبحرين في علم الرجال ومعرفتهم والدراية بعصورهم، بينما تمتاز طريقة المنذري، بالرغم من التطويل الحاصل نتيجة لاتباعها، بأنها تسهل معرفة هؤلاء الشيوخ في أية ترجمة من التراجم بسهولة ويسر، كما أنها تجعل كل ترجمة قائمة بنفسها من غير حاجة إلى الرجوع إلى غيرها من التراجم.

ويعنى الذهبي بذكر المكان الذي قرأ فيه المترجم على الشيخ أو سمع عليه، ولكنه لا يذكر جميع الشيوخ بل يقتصر على المشهورين منهم والذين أكثر المترجم عنهم، ويتبع ذلك بألفاظ دالة نحو قوله بعد ذكرهم: «وجماعة» أو «وطائفة» أو «وغيرهم» ونحو ذلك[٢]. كما يعنى بذكر صيغ التحمل لما لذلك من أهمية عند المحدثين نحو قوله: «أحضر» أو «سمع حضورًا» أو «سمع بإفادة أبيه» أو «قرأ» و«كتب» و«أجاز له» و«روى عن» وما إلى ذلك، فإذا ما شك في شيء منها استعمل عبارة تمريضية للدلالة على تشككه أو تضعيفه نحو قوله: «وذكروا أنه سمع...» أو «وقيل: إنه سمع» أو «ويقال: إنه قرأ...».

وفي كثير من التراجم يهتم الذهبي بذكر بعض المسموعات المهمة ولا

---

(١) انظر كتابنا: المنذري، ص ٢٤٨.

(٢) انظر مثلاً، الورقة ٤٤، ٤٦، ٤٨، ٥١، ٥٨، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٧٠، ٧١ إلخ (أياصوفيا ٣٠١١).

سيما الكتب أو الأجزاء المشهورة أو العالية أو التي انفرد بها شيخ معين مثل الصحيحين والسنن الأربع والمسانيد المعروفة والأجزاء الحديثية المشهورة التي يزخر بها كتابه[1]:

٤ ـ التصنيف والتلاميذ:

ولقد حرص الذهبي حرصًا بالغًا في ذكر تحديث المترجم له، وذكر بتفصيل واف المشاهير الذين رووا عنه، أعني تلامذته. وهذا القسم من الترجمة هو من اختراع الذهبي في الأغلب الأعم لم ينقله من كتب أخرى لكنه اطلع على رواية هؤلاء الشيوخ عن المترجم فذكرها وبذلك استطاع أن يحبك التراجم السابقة واللاحقة وينسجها نسجًا دلل على عظيم اطلاعه وقدرته ومعرفته التامة بهذا الفن، ولذلك فإنه غالبًا ما يصدِّر ذكره للرواة عنه بكلمة «قلت» للتدليل على أن هذا القسم من الترجمة لم ينقله عن أحد.

واعتنى الذهبي بذكر ما توافر له من الكتب المشهورة التي ألفها صاحب الترجمة، لكنه لم يعتن بالاستقصاء، على نحو ما فعل مثلاً ياقوت الحموي في معجم الأدباء وابن القفطي في إنباه الرواة وابن قاضي شهبة في طبقات اللغويين والنحاة وغيرهم. ومع ذلك فإنه في حالة عدم ذكرها يشير إلى كثرة تآليف المترجم أو قلتها أو نفاستها بأقوال دالة على ذلك نحو قوله: «وله تصانيف حسنة في فنون»[2] أو «وبرع في الطب وصنّف فيه كتابًا حافلاً»[3] ونحو ذلك[4]. على

---

(١) وهذه مسألة يتفق فيها كثير من كتاب التراجم، أعني عدم استيعاب الشيوخ والعالم الوحيد الذي حاول ذلك هو أبو الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ حيث اجتهد أن يذكر جميع الشيوخ في كتابه العظيم «تهذيب الكمال».

(٢) الورقة ٣٧ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٣) الورقة ٧٩ من النسخة السابقة.

(٤) انظر مثلاً، الورقة ٢٥، ٤٢ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ١٢ (أياصوفيا ٣٠٠٧) والورقة ١٠٠، ١٠١، ١٩٤، ٢٢٠ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٩٣ (أياصوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.

أنه في الوقت نفسه يعنى بذكر المؤلَّف الذي يجد فيه براعة أو غرابة أو غلطًا نحو قوله في ترجمة إسحاق بن غانم العلثي المتوفى سنة ٦٣٤هـ: «ورأيت له رسالة في ورقات كتبها إلى ابن الجوزي ينكر عليه خوضه في التأويل وينكر عليه ما يخاطب به الملائكة على طريق الوعظ، فما قصّر وأبان عن فضيلة وورع»[١]، ونحو قوله في ترجمة أبي بكر الزاهد المتوفى سنة ٦٧٢هـ: «وله شعر كثير رأيته في ديوان مفرد، وهو شعر طيب يقع على القلب ويحرك الساكن ويثير العزم وإن كان ملحونًا»[٢]، وقوله في ترجمة محمد بن علي بن يوسف بن ميسّر، تاج الدين أبي عبد اللّه المؤرخ المتوفى سنة ٦٧٧هـ: «وله تاريخ كبير ذيّل به على تاريخ المسبحي، وهبني منه مجلدًا الحافظ قطب الدين (يعني اليونيني) وعلى المجلد بخطه: مختصر من تاريخ تاج الدين محمد بن علي بن أحمد بن ميسر ويعرف بابن جلب»[٣]. وقال في ترجمة ابن الصابوني المتوفى سنة ٦٨٠هـ: «صنف مجلدًا مفيدًا سماه إكمال الإكمال ذيّل به على إكمال ابن نقطة فأجاد وأفاد»[٤]، ونحو ذلك كثير في كتابه[٥].

ويعطي الذهبي اهتمامًا لتفرد المترجم عن بعض شيوخه في الرواية سواء أكان هذا التفرد عن شيخ واحد أم عن عدة شيوخ أو كان بكتاب أو جزء واحد أم عدة أجزاء، وسواء أكان بالسماع[٦] أم بالإجازة[٧] نحو قوله في ترجمة أبي اليمن

---

(١) الورقة ١٤٤ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٢) الورقة ١٦ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٣) الورقة ٥٨ من النسخة السابقة.

(٤) الورقة ٧٧ من النسخة السابقة.

(٥) انظر مثلاً، الورقة ٣٠، ٣٢، ٣٦، ١٢١، ١٣٠، ١٣٩ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٨٢، ١٠٥، ١١١، ١٧٠، ٢٥٠، ٢٦١ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٥٩، ٤١٥ (أياصوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.

(٦) انظر مثلاً، الورقة ٢، ١٧، ٤٢ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) الورقة ١٦٥، ١٨٩ (أياصوفيا ٣٠٠٨) وغيرها.

(٧) انظر مثلاً، الورقة ١٢، ١٥٣، ٣٩١ (أياصوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.

الكندي المتوفى سنة ٦١٣هـ: «وكان أعلى أهل الأرض إسنادًا في القراءات، فإني لا أعلم أحدًا من الأمة عاش بعد ما قرأ القراءات ثلاثًا وثمانين سنة غيره، هذا مع أنه قرأ على أسند شيوخ العصر بالعراق ولم يبق أحد ممن قرأ عليه مثل بقائه ولا قريبًا منه، بل آخر من قرأ عليه الكمال ابن فارس وعاش بعده نيفًا وستين سنة»[(١)]. كما يهتم الذهبي بذكر تفرد بعض تلامذة المترجم عنه سواء أكان ذلك بالسماع[(٢)] أم بالإجازة[(٣)].

وفي هذا الموضوع من الترجمة تظهر ذاتية الذهبي في التراجم، فهو يعنى بذكر العلاقة التي تربطه بالمترجم من قراءة أو رواية أو اتصال إسناد وما إلى ذلك، نحو قوله في ترجمة أحمد بن علي الحصّار المقرئ المعروف المتوفى سنة ٦٠٩هـ: «قلت: قرأت للسبعة على شيخنا برهان الدين الإسكندراني عن قراءته على علم الدين القاسم بن أحمد الأندلسي وقال له: قرأت القراءات، وقرأت «التيسير» على جماعة منهم: أبو جعفر أحمد بن علي ويعرف بالحصّار. وكتب له الحصار بخط يده أنه رواه، يعني «التيسير»، عن أبي عبد اللّٰه محمد بن الحسن ابن غلام الفرس، وقال الحصّار...»[(٤)] ونحو ذلك[(٥)]. إن اهتمام الذهبي وعنايته بذكر شيوخه الذين حدثوه أو أخبروه عن الشيخ المترجم تكوِّن في كثير من الأحيان جزءًا نفيسًا من الترجمة الأصيلة التي نسجها الذهبي وصاغها بنفسه،

---

(١) الورقة ١١٠ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٢) انظر مثلاً الورقة ٨٥، ١٤٤، ٢٢٤ (أياصوفيا ٣٠٠٨) الورقة ٤٠، ٥٣ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) والورقة ٥٠، ٥٣، ٩١، ١٢٧، ١٤٩ (أياصوفيا ٣٠١٢) وغيرها.

(٣) انظر مثلاً الورقة ٨٢، ٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٢٣، ٣٨٠، ٣٨١، ٤١٢، ٤٥٥، ٤٨٥ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٤٢، ٤٦، ٥٩ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٩٤، ٩٨ (أياصوفيا ٣٠١٢) وغيرها.

(٤) الورقة ٦٧ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٥) انظر أمثلة أخرى في الورقة ٤١، ١١٧، ١٣٩ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٤، ٤٩، ٥٠ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) والورقة ٦٨، ٩٦، ٩٩، (أياصوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.

ففي ترجمة سراج الدين أبي عبد اللّه الحسين بن المبارك الرّبعي الزبيدي الأصل البغدادي المتوفى سنة ٦٣١هـ أورد الذهبي مثلاً أسماء واحد وخمسين شيخًا وعشر شيخات رووا له عنه(١)، ومثل هذا كثير التكرار في الكتاب(٢) وقد اعتاد أيضًا أن يورد في بعض الأحيان رواية مسندة عن طريق المترجم(٣).

ويذكر الذهبي في الترجمة إذا كان المترجم ممن درّس وفي كثير من الأحيان يعين المدرسة التي درّس فيها أو العِلْم الذي درَّسه، لكنه لا يذكر، في الأغلب الأعم ماذا كان يدرس من كتب هذا العلم.

٥ ـ المنزلة العلمية:

أما منزلة المترجم العلمية فتحددها في الأغلب الأعم آراء الثقات الذين ينقل عنهم الذهبي ويورد عباراتهم في المترجم جرحًا وتعديلاً، وهي في الأغلب عبارات وجيزة تعطي معاني دقيقة، وهو لا ينقل في مثل هذا الموضع عن شخص واحد بل يحاول دائمًا أن يقدم آراء عدد كبير منهم. وهذه الآراء غالبًا ما تكون لتلامذة المترجم في الأغلب الأعم أو بعض رفاقه في بعض الأحيان، ولذلك جاءت المعلومات دقيقة ومتقنة في كثير من الأحيان، ومن هنا وجدنا المؤلف يذكر مثل هذه الآراء بعد ذكر تلامذته أو في أثناء ذكرهم. أما القسم الأخير من

---

(١) الورقة ١٠٨ ـ ١٠٩ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٢) انظر مثلاً، الورقة ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٨، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٧، ٥٢، ٩٣، ٩٥، ١٢٣ . . . إلخ (أياصوفيا ٣٠١١) أما في القسم الأخير من كتابه فإنه يؤكد دائمًا فيما إذا كان قد سمع من المترجم أو حصل على إجازة منه ونحو ذلك.

(٣) انظر مثلاً، الورقة ٨٧، ٩٦، ١٠٥، ١١٨، ١٢٥، ١٣١، ١٣٣، ١٣٨، ١٦١، ١٦٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٦، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٤٦ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٣٥، ٣٦، ٦٠ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧)، والورقة ٨١، ٩٢، ٩٥، ١١٣، ١١٦، ١٢١ . . . إلخ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٩، ٣٧، ١٠١، ١٢٦، ١٦٩، ١٩٠، ١٠٥ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٢، ٨، ٤٥، ٤٧، ٥٠، ٥٤ . . إلخ (أياصوفيا ٣٠١٢) وغيرها.

الكتاب فغالب هذه الآراء ترجع إلى الذهبي نفسه ولا سيما عن شيوخه أو الذين رآهم واتصل بهم وسمع عليهم من معاصريه فكوّن فكرة عنهم وعن منزلتهم ودرجة ثقتهم.

وعني الذهبي بتبيان عقيدة المترجم، وأولى هذه الناحية أهمية كبيرة بحيث صارت لا تخلو منها ترجمة من التراجم، ولعل سبب هذه العناية الفائقة يعود إلى أمرين رئيسين: أولهما تأثره بالبيئة الدمشقية التي كانت تغلي وتفور بالنزاع العقائدي الذي أثر تأثيرًا كبيرًا في تكوينه الفكري، وثانيهما أهمية العقيدة في النقد عند المحدثين[1]، فصارت العقيدة بعد كل هذا عنصرًا بارزًا من عناصر الترجمة[2].

٦ ـ الوفاة:

وغالبًا ما يورد الذهبي في نهاية الترجمة تحديد تاريخ وفاة المترجم. ولا ريب أن تنظيم الذهبي كتابه على السنين جعله يستعيض عن ذكر السنة ويؤكد ذكر التاريخ الذي توفي فيه المترجم من السنة. وبالنظر لتوافر تواريخ الوفيات لمعظم المترجمين بسبب عناية المتأخرين بها[3] صار الذهبي يستطيع تحديدها في اليوم

---

(١) انظر أدناه الفصل الخامس من هذا الباب.

(٢) انظر أمثلة لذلك في الورقة ٢١، ٢٨، ٢٩ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) والورقة ٢٢٠، ٢٢٧ (أياصوفيا ٣٠٠٩) وراجع أمثلة أخرى عند كلامنا على الفصلين الثاني والخامس من هذا الباب.

(٣) انظر مقدمة تاريخ الإسلام ١ / ١٧ مطبوعة. ومما يعزز اهتمام المحدثين بضبط تواريخ الوفيات تأليف كتب كاملة فيها (انظر بحثنا: كتب الوفيات وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي ـ مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد الثاني، بغداد ١٩٦٨م) وكان بعض المؤلفين يتركون فراغًا في الإجازات التي يمنحونها أو الكتب التي يؤلفونها أو طباق السماع ليدون فيها فيما بعد وفاة المحدث بحيث قال في بيتيه المشهورين:

إذا قرأ الحديث عليَّ شخص ... وأخلى موضعًا لوفاة مثلي
فما جازى بإحسان لأني ... (أريد حياته ويريد قتلي)

الصفدي: نكت الهميان، ص ٢٤٣، والسخاوي: الإعلان، ص ٧٢٣ وغيرهما.

والشهر في كثير من الأحيان. أما الحالات التي لم يظفر المؤلف فيها بوفاة المترجم فإنه كثيرًا ما يذكره في آخر الطبقة كما مرّ بنا، أو في السنة التي انقطع خبره فيها.

٧ ـ أمور متفرقة:

وفي نهاية التراجم أيضًا يعنى الذهبي ببيت المترجم إذا كان من عائلة علمية معروفة فيؤكد ذلك بعبارات دالة نحو قوله: «وفي ذريته علماء وأكابر»[١]، أو «وفي أقاربه جماعة رووا الحديث»[٢]. ولكنه قليل الإحالة على من مرّ أو من سيأتي منهم نحو قوله: «وقد ذكرنا والده من سنوات»[٣]، و«مات أبوه سنة كذا»[٤]، وقوله: «وللعلم ولدان فاضلان وهما محمد ويوسف رويا الحديث وسيأتيان إن شاء اللّه»[٥] ونحو ذلك مما لا يشفي الغليل في الإحالة[٦].

وفي أثناء الترجمة يعلق الذهبي على ما قد يحتاج إلى تعليق مثل النسبة[٧] أو اللقب[٨] أو ما إليهما عند أول وروده وبعده مباشرة بما يشبه الجملة الاعتراضية ولا يؤخر ذلك إلى نهاية الترجمة كما هو الحال عند الزكي المنذري وابن خلكان وغيرهما نحو قوله: «ويعرف بابن أبي ركب: جمع ركبة»[٩]

---

(١) الورقة ٣٥ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٢) الورقة ٣٠ من النسخة السابقة وانظر أمثلة أخرى في الورقة ٥٥، ٩٤، ١٢٨ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٢٣، ٣٢، ٣٥ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) والورقة ١٣٠، ١٨٢، ١٩٧ (أياصوفيا ٣٠٠٨) وغيرها.

(٣) الورقة ١٢٧ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٤) الورقة ٣٨ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٥) الورقة ٧٦ من النسخة السابقة.

(٦) انظر الورقة ١٣٧ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٢٦٠، ٣٨٠ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٦٤، ٧٤، ٧٦، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٥١ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٧) مثلاً الورقة ٦١، ٦٦، ٨٤، ٩٥ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ١٠٤ (أياصوفيا ٣٠١٢) وغيرها.

(٨) مثلاً، الورقة ٤٣، ٤٨، ٥٠ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٩) الورقة ٢٦ (أياصوفيا ٣٠١١).

وقوله: «. . . أبو بكر البقابوسي ـ وبقابوس من قرى نهر الملك ـ كان مقرئًا. . .»[1]، وهلم جرًّا.

أما تقييد ما قد يشتبه من الأسماء فقد عُني الذهبي بضبطه وتقييده، ولكنه اعتمد ضبط القلم في كثير من الأحيان، بل هو الطابع الغالب على تقييده إلا فيما يلبس ويشكل كثيرًا فإنه قيده بالحروف[2]، وهي طريقة انتُقد عليها حينما ألف كتابه «المشتبه» واعتمد فيه ضبط القلم أيضًا[3]. وقد جاءت معظم تقييداته التي قيدها بالحروف بعد ورود ما يراد ضبطه وليس في آخر الترجمة إلا في حالات قليلة أخّر فيها التقييد بالحروف إلى آخر الترجمة[4]. على أنه يذكر في بعض الأحيان وفي آخر الترجمة، ما قد يستفاد مع هذا الاسم أو ذاك من تشابه أو اتفاق نحو قوله في ترجمة فتيان بن أحمد ابن سمنيّة المتوفى سنة ٦١٢هـ: «وسمنية مستفاد مع سمينة»[5] يعني قد يشتبه به. أو فيما إذا كان للمترجم سمي من طبقته نحو قوله في ترجمة محمد بن أحمد بن عبدوس الأديب النحوي النيسابوري من وفيات سنة ٣٩٦هـ: «ومن طبقته أحمد بن محمد بن عبدوس أبو بكر الحافظ النسوي نزيل مرو، روى عنه. . . ومن طبقتهما أحمد بن محمد بن عبدوس الحاتمي أبو الحسن النيسابوري. . .»[6].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الذهبي شديد الاهتمام بذكر خط المترجم

---

(١) الورقة ٣٤ من النسخة السابقة.

(٢) انظر مثلاً الورقة ١٩٧ (أياصوفيا ٣٠٠٧) والورقة ١٨١ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١١٨، ١٩٧ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ١٨، ٥٠، ٥٩، ٧٨، ١٠٩ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٣) انظر مقدمة ابن ناصر الدين لكتابه توضيح المشتبه (نسخة سوهاج) ومقدمة ابن حجر لكتابه تبصير المنتبه، ١ / ١ وراجع كلامنا على كتابه المشتبه في الفصل الثاني من الباب الأول.

(٤) مثلاً الورقة ١١٨، ١٢٣ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ١٨٢، ٢١٢ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٤٤ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٦٣، ١٠٢، ١٥٠ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٥) الورقة ١٠٣ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٦) الورقة ٢٣٧ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

وجودته، وهو لا يفتأ يشير إلى ذلك كلما وجد ذلك ضروريًا أو تحصلت لديه معلومات عن هذا الأمر نحو قوله: «مليح الخط»[١]، و«مليح الكتابة»[٢]، و«خطه مليح مغربي في غاية الدقة»[٣]، و«كان الخط الذي يكتبه لا نظير له في الإتقان والضبط»[٤] ونحو ذلك[٥]. كما أنه يشير إلى من كان رديء الخط نحو قوله: «خطه مغلق سقيم»[٦] و«كان ضعيف الكتابة»[٧]. كما عني بأولئك الخطاطين الذين كتبوا الخط المنسوب[٨] نحو قوله في ترجمة الفضل بن عمر المعروف بابن الرائض المتوفى سنة ٦٠٩هـ: «وكتب الخط المنسوب على طريقة ابن البواب في غاية الحسن»[٩]، وقوله في أحدهم: إنه كان «مليح الخط إلى الغاية على طريقة المغاربة»[١٠]، ونحوها[١١].

إن هذا الذي ذكرناه هو الطابع العام للتراجم، ولا سيما تراجم العلماء والفقهاء والمحدثين وأهل الرواية، وقد تجد في بعض التراجم اختلافًا طفيفًا عما

---

(١) الورقة ٨٢ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٢) الورقة ١٠٧ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٣) الورقة ١٦٩ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٤) الورقة ١٤٧ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٥) انظر مثلاً الورقة ١٤٦ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٢١٩، ٢٢٠ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٢٥٠، ٤٠٤ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ١٨٠ (أحمد الثالث ١١ / ٢٩١٧) والورقة ١٩، ٢١، ٤٧، ٦٣، ٨٢، ١٠٩، ١١٩ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٦) الورقة ١٤٠ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٧) الورقة ٧٨ (أياصوفيا ٣٠١١) وانظر الورقة ٢٤٢ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٨) الخط المنسوب: أي الموزون بنسب معينة في أبعاد الحروف بحسب القواعد المقررة والأصول المحررة. (من فوائد الخطاط وليد الأعظمي).

(٩) الورقة ٧٢ (أياصوفيا ٣٠١١).

(١٠) الورقة ١٦٣ (أياصوفيا ٣٠١٣).

(١١) مثلاً الورقة ١٣٦، ٤٣٩ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

حكيناه من المحتويات والتنظيم. ولا ريب أن طبيعة المترجم هي التي تحدد نوعية الأخبار. فقد عني الذهبي مثلاً بإيراد أعمال الخلفاء والملوك والأمراء والمتولين في تراجمهم، صبَّ عنايته على ما قاموا به من نشر عدل أو بث ظلم وسفك دماء للرعية، وقوّم كل ذلك بنقله عن المؤرخين الذين سبقوه وأعطى هو رأيه[1]. وقدم نماذج من أقوال المتفلسفين وأرباب المقالات بما ينبئ عن حسن عقيدتهم أو سوئها، وفعل مثل هذا في المتصوفة فحاول التمييز بين المتصوفة الملتزمين بالكتاب والسنة وأولئك الذين اتبعوا ما هو ليس من الدين، وقاموا بالأعمال الخارجة عنه وتمسكوا بالترهات التي انتشرت انتشارًا كبيرًا بين متصوفة ذلك العصر. أما الشعراء فقد أورد نماذج غير قليلة من شعرهم مما وصل إليه عن طريق الرواية الشفوية أو أخذه عن المصادر السابقة[2]. وأما الأدباء فقد أورد لهم في بعض الأحيان مقطعات أدبية من مختار نثرهم[3].

ومن هذا الاختلاف في محتويات التراجم الذي وجدناه ـ مثلاً ـ عناية

---

(١) انظر أدناه الفصل الخامس عند كلامنا على التقويم والأحكام.

(٢) انظر مثلاً الورقة ٨١، ٩٥، ١٠٥، ١٢٤، ١٢٧، ١٧٠، ١٧٦، ١٨١، ١٨٧، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٤، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧... إلخ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٠، ١١، ٦٦، ٧٠، ٩٧، ١٨٧، ١٩٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢٣١... إلخ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٩، ٤٧، ١٢٩، ٢١٣ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٢٧، ٢٨، ٣٣، ٣٦، ٥٦، ٦٥، ٦٦، ٦٩، ٨٠، ٨٢، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١٣٣، ١٤٣، ١٤٤، ١٥٤، ١٦١، ١٦٧، ١٧١، ١٧٦، ١٨٨، ٢٠١، ٢٠٤ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٣، ٢٣، ٣٨، ٥٢، ٥٩، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٩، ٩١، ٩٦، ١٠٠، ١٠٥، ١٢٣، ١٤٧، ١٥٤، ١٥٨، ١٦٧، ١٧٣، ١٧٤، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٧، ٢١٤ (أياصوفيا ٣٠١٢) وغيرها.

(٣) مثلاً، ٦ / ٩١ (مطبوعة) والورقة ٢٤٣ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٥٢، ١٨٥ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٢٢ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) والورقة ١٩٧، ٢٠٤، ٢٠٦ (أياصوفيا ٣٠١٢) وغيرها.

المؤلف بذكر الأوصاف الجسمية للخلفاء والملوك والأمراء[1] وبعض المتصوفة[2] مما لا نجده في محتويات تراجم العلماء.

* * *

(١) انظر مثلاً الورقة ١٨٦ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٢٢٧ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ١٠٢، ١٨١، ٢٠٠ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٨٢، ١٧٣، ٢١٦ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٣٥ (أياصوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢٨، ٣٢٩، (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٢) انظر مثلاً الورقة ٥٧، ١٢٢، ٢٠٥ (أياصوفيا ٣٠١١) وغيرها.

الفصل الرابع
نهج الذهبي في الموارد وطرائق النقل منها

توطئة :

على الرغم من قيامي بجرد الموارد التي اعتمدها الذهبي في كتابه «تاريخ الإسلام» فإن الغاية من ذلك لم تكن دراسة هذه الموارد لذاتها، بل لمحاولة التعرف إلى أنواعها ومدى استيعابه للمؤلفات السابقة، والأسس التي اتخذها للمفاضلة في الاعتماد عليها، والمنهج الذي اتبعه في النقل منها.

وقد أدت عملية الجرد الاستقصائية التي قمت بها لموارد الكتاب إلى تكدس عشرات الآلاف من النقول أعانتني كثيرًا على تفهم نوعية موارده وطبيعتها ومدى استفادته منها. على أن إيراد هذه النقول في مثل هذه الدراسة على الاستقصاء يبدو أمرًا عبثًا يخرج الدراسة عن مسارها المرسوم لها، ولذلك سوف أكتفي دائمًا بإيراد نماذج من الموارد للتدليل على المنهج حسب، وأقتصر على ذكر بعض مواضع النقول من غير استقصاء لها.

أولاً: أنواع الموارد:

اعتمد الذهبي أنواعًا متعددة من الموارد في تأليف كتابه، تتباين في أهميتها ومدى اعتماده عليها، وهذه أبرزها:

١ ـ المشاهدة والملاحظة:

وأكثر ما نجد ذلك في القسم الأخير من كتابه الذي عاصره وشاهد أحداثه واتصل برجاله، فالسنوات العشر الأخيرة من حوادث الكتاب في الأقل هي من تأليف الذهبي نتيجة مشاهدته لها والوقوف على أخبارها[1] حيث لم نجد ذكرًا

---

(١) قد بينا سابقًا أن هذا القسم من الكتاب اقتصر على الشام ومصر، فحوادث الشام شاهدها هو، أما أخبار مصر فكانت تصل إلى دمشق أولاً بأول، بكتب تكتب من هناك. انظر مثلاً الورقة ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٣٥ (أياصوفيا ٣٠١٤).

لمصدر فيها، ووجدنا ذاتيته ظاهرةً فيها نحو قوله في حوادث سنة ٦٩١هـ عند كلامه على الكأس الذي نصبه نائب دمشق الشجاعي في مكان البرادة بجامع دمشق ووصفه له: «ثم أجرى فيه الماء... وشربنا منه»[١]، وقوله في حوادث سنة ٦٩٤هـ: «وفي شوال كملت عمارة الحمام الكبير والمسجد والسوق... وكان يعرف ببستان الوزير ورأيته مبقلة[٢] كبيرة»[٣]، وقوله في الجفاف الذي كان بالشام سنة ٦٩٥هـ: «واجتمعنا لسماع البخاري ففتح اللّه بنزول الغيث»[٤]، وقوله في حوادث سنة ٦٩٩هـ بعد وصفه لهزيمة جيش المماليك: «وأما نحن فوقعت يوم الخميس الظهر بطاقة مضمونُها... فبتنا بليلةٍ اللّهُ بها عليم وفترت الهمم عن الدعاء ودقت البشائر من الغد تطمئننا ثم تبين كذبها...»[٥] ونحو ذلك.

أما المترجمون في هذه فقد شاهدهم واتصل بأكثرهم، وشخصيته هنا جد ظاهرة في الكتاب بحيث لم تخل ورقة منها. ونحن نعلم شدة اتصاله بالعلماء آنذاك للدراسة عليهم والسماع منهم، يشهد على ذلك معجم شيوخه الكبير، لذلك دوّن في الكتاب مشاهداته وانطباعاته عنهم.

ومن طرائف مشاهدات الذهبي أنه كان ينقل تواريخ بعض الوفيات من لوحات المقابر[٦]، وقد زار ـ مثلاً ـ قبر أبي العلاء المعري ووصفه[٧].

---

(١) الورقة ٣٢٠ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٢) قوله مبقلة يعني مزرعة للبقول.

(٣) الورقة ٣٢٦ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٤) الورقة ٣٢٧ من النسخة السابقة.

(٥) الورقة ٣٣٤ من النسخة السابقة.

(٦) انظر مثلاً الورقة ١٥٧ (أياصوفيا ٣٠١١) وقد أفاد من هذه الطريقة كثيرًا تقي الدين الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢هـ في كتابه العقد الثمين (نسخة التيمورية).

(٧) الورقة ٤٧٠ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

٢ ـ المشافهة:

لقد ظلت الرواية الشفوية تحتفظ بمكانة جيدة على الرغم من انتشار التدوين بشكل واسع بسبب ما تميزت به من خصائص معينة كالدقة والضبط، فضلاً عن أنها تقليد لكبار العلماء السابقين[١]. ولذلك اهتم العلماء وبخاصة المحدثين بالحفظ، وكان من صفة العالم الكبير أن يكون حافظًا[٢]، ومن ثم ألف العلماء الكتب المعنية بالحفَّاظ على مدى التاريخ[٣]. ووصف الذهبي بأنه «حافظ لا يجارى»[٤] وأنه كان «إمام الوجود حفظًا»[٥]، فكان من الطبيعي أن يحفظ الكثير من الأخبار والحكايات والحوادث التاريخية عند دراسته على شيوخه، وقد أورد الكثير منها بأسانيدها مستعملاً ألفاظ المشافهة[٦]. كما أخذ بعض الأخبار عن شيوخه ورفقائه ممن حضر بعض الأحداث، نحو قوله في نزول المغول على حمص سنة ٦٩٩هـ: «حدثني ضوء بن صباح الزبيدي، قال: ما رأيت أنفع من الخاصكية، لقد رأيتهم. . . » ثم وصف له وقائع الحرب[٧]، وكان الذهبي يروي دائمًا مثل هذه الأخبار عن مصادر متخصصة، فقد قال مثلاً عن

---

(١) انظر مثلاً الرامهرمزي: المحدث الفاصل، ص ٥٤٥ ـ ٥٤٧، الخطيب البغدادي: تقييد العلم (دمشق ١٩٤٩م)، السيوطي: تدريب الراوي، ص ٢٨٦، وبحث الدكتور صالح العلي: المحاضرات الشفهية.

(٢) انظر مثلاً ابن سلام الجمحي: طبقات، ص ٥، ابن الأنباري: نزهة الأدباء، ص ١٣٧، ١٨٢، ١٨٣، السيوطي: المزهر، ص ١٧١.

(٣) من أشهرها كتاب تذكرة الحفاظ للذهبي والذيول عليه، وانظر السخاوي: الإعلان، ص ٥٦٥.

(٤) الصفدي: الوافي ٢ / ١٦٣.

(٥) السبكي: طبقات ٩ / ١٠١.

(٦) انظر مثلاً الورقة ١٤٨ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٢١، ٣٥ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧)، والورقة ١٨٠، ٢٣٤ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٨٠ (أياصوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.

(٧) الورقة ٣٣٥ (أياصوفيا ٣٠١٤).

ضوء ابن صباح هذا بأنه «أعرابي ديِّن عاقل صاحب خبر للمسلمين يسكن بكفر بطنا حكى لي أمورًا عجيبة جرت له وفي الآخر قبض عليه نواب التتار ومات تحت العذاب» سنة ٧١١هـ[١].

٣ ـ المساءلة والمكاتبة:

وهي إما أن تكون بسؤال الذهبي لشيوخه عن مسألة ما بصورة شخصية استنادًا إلى معرفة شيخه وتخصصه بها نحو قوله ـ مثلاً ـ: «سألت شيخنا ابن تيمية عن مذهب السالمية، فقال...»[٢] وقوله في ترجمة أحدهم: «سألت المزي عنه، فقال...»[٣] و«وسألته: أي الرجلين أعرف بالفن؟»[٤]، وغيرها[٥]، وإما أن تكون عن طريق المكاتبة؛ فقد كانت الاتصالات جارية بين العلماء، ولا سيما المعنيين بالتراجم، في إرسال المعلومات من بلد لآخر، فكان العلماء يتفقون فيما بينهم على أن يرسل كل واحد منهم المعلومات المستجدة في بلده إلى صاحبه بغية الوقوف عليها ومتابعة أخبار العلماء أولاً بأول[٦]، من ذلك ـ مثلاً ـ سؤاله أثير الدين أبا حيان الغرناطي المتوفى سنة ٧٤٥هـ بعض الأسئلة عن المغاربة وكيفية التلفظ بأسمائهم وعن جماعة من شيوخه، فرد عليه أبو حيان بكتاب ألفه لأجل ذلك سماه «در الحَبْي في جواب أسئلة الذهبي»[٧] وقد استفاد منه الذهبي ونقل منه في كتابه فقال عن أحدهم: «وقد سألت عنه العلامة أبا حيان الأندلسي ـ أبقاه اللّه ـ فكتب إليّ فيما كتب...»[٨] ومن ذلك ـ أيضًا ـ قوله:

---

(١) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٦٢.
(٢) الورقة ٤٣٢ (أياصوفيا ٣٠٠٩).
(٣) الورقة ٥٨ (أياصوفيا ٣٠١٤).
(٤) الورقة ٥ من النسخة السابقة.
(٥) انظر مثلاً الورقة ٢٦٣ (أياصوفيا ٣٠٠٨).
(٦) راجع كتابنا: المنذري وكتابه التكملة، ص ٢٧٩ فما بعد، وانظر كتاب منصور بن سليم: الذيل، الورقة ٥٧، ٦٨، ٧٣، ٨٢، ٨٤ (نسختي).
(٧) انظر أعلاه كلامنا على أسلوب العرض الأدبي.
(٨) الورقة ٨٦ (أياصوفيا ٣٠١٢).

«فكتب إلينا ابن هارون من تونس . . . »[1] .

٤ ـ الإجازات :

كانت الإجازات تحصل باستدعاء من الطالب نفسه أو بواسطة أحد أقاربه أو معارفه[2]. وكان الشيخ يكتب فيها عادة اسمه ونسبه ومولده وشيوخه وما يجيزه للمستجيز. وكان من الطبيعي أن يحتفظ الطالب بهذه الإجازات للتدليل على صحة روايته ولإبرازها عند الحاجة[3]. ولا شك أن المعلومات التي حوتها هذه الإجازات هي من أدق المعلومات عن المجيز وشيوخه لأنه كتبها بنفسه، ولذلك أفاد الذهبي من هذه المادة ليس فيما يتعلق بشيوخه حسب، بل لغيرهم أيضًا، فقد كان ـ مثلاً ـ يطالع الإجازات القديمة، قال في ترجمة مسعود بن إسماعيل بن إبراهيم القاضي المتوفى سنة ٦٠١هـ: «من رواة المعجم الصغير عن فاطمة الجوزدانية سمعه منها، كذا وجدت تحت اسمه في الإجازات: أجاز للشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر ولابن البخاري ولفاطمة بنت عساكر، وتاريخ الإجازة في سنة إحدى وست مئة»[4].

٥ ـ النقل وجادةً عن مجاميع الطلبة والشيوخ :

كان الطلاب عادة يجمعون ما يستفيدونه عن شيوخهم في مجالس الإملاء

---

(١) الورقة ٥٠ من النسخة السابقة. وابن هارون هذا هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي المالكي أحد المعمرين، ولد سنة ٦٠٣هـ وتوفي سنة ٧٠٢هـ. (الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٦٩).

(٢) انظر الخطيب البغدادي: الكفاية، ص ٣٣٤، وابن الصابوني: تكملة، ص ١٦٨، والذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٨، ١٨، ٥٥، ٨٠، م٢ الورقة ٦، ٣١، ٥٩، ٦٠، ٨٧، ٨٨، وابن حجر: الدرر، ٣ / ٧٣، ٤٢٦.

(٣) راجع كتابنا: المنذري، ص ٢٧٨ وانظر نص إجازة أبي حيان النحوي للصفدي في كتابه: الوافي، ٥ / ٢٧٧ ـ ٢٨١.

(٤) الورقة ٨٨ (أياصوفيا ٣٠١١)، وانظر مثالاً آخر في الورقة نفسها، وراجع الوقة ٣٨ (أياصوفيا ٣٠١٤).

وما يعلقونه عن أساتذتهم عند اتصالهم بهم، وما يقيدونه من الفوائد والانتخابات من الكتب التي يروونها في مجاميع خاصة بهم. وكانت هذه المجاميع تختلف في قيمتها الواحدة عن الأخرى باختلاف قيمة جامعيها ودقتهم في النقل والضبط والتعليق. وقد عني الذهبي بالنقل وجادةً من بعض هذه المجاميع. ولما لم تكن هذه النقول من كتب معينة فقد كان يشير عادة بقوله: «نقلت من خط فلان» أو «وجدت بخط فلان» ونحو ذلك. على أن النقل عن الخطوط لا يعني دائمًا عدم النقل من كتاب معين، فقد كان الذهبي يعنى بانتقاء الكتب المكتوبة بخطوط مؤلفيها أو خطوط الثقات كما سيأتي بيانه، إلا أن طبيعة المادة المنقولة ومعرفة مؤلفات المنقول عنه، أو عدم وجود تأليف له هو الذي يحدد هذه النقول، ولنضرب لذلك مثلاً توضيحيًا: قال الذهبي في ترجمة شُميم الحلي المتوفى سنة ٦٠١هـ: «قرأت بخط محمد بن عبد الجليل الموقاني، قال بعض العلماء: وردت إلى آمد سنة أربع وتسعين وخمس مئة...»(١) ثم ذكر مناقشة هذا «العالم» مع شميم وإزراء شميم بالمتقدمين وإعجابه الشديد بنفسه في قصة طويلة. وحينما نبحث في الكتب نجد أن هذا العالم هو ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ، وقد ذكر هذه القصة بحذافيرها في كتاب «إرشاد الأريب»(٢) ووصف لقاءه ومناقشته لشميم الحلي. والظاهر أن الموقاني هذا نقلها من كتاب ياقوت ودونها في أحد مجاميعه، ودليلنا على ذلك أننا لم نعرف لمحمد بن عبد الجليل الموقاني مؤلفًا معينًا، وقد ترجم له الذهبي في وفيات سنة ٦٦٤هـ، وقال: «وكتب بخطه الكثير من الحديث والآداب... وله مجاميع مفيدة»(٣)، وقال الصفدي: «وكتب وحدث، وكان يشتري الكتب النفيسة للانتفاع والمتجر،

---

(١) الورقة ٦ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٢) ٥ / ١٢٩ فما بعد، ثم نجد ملخصًا لها في ٦ / ١٧٠ ـ ١٧١هـ وقد تصحفت سنة اللقاء هناك فجاءت سنة ٥٩٣هـ وهو من وهم الطبع كما يظهر.

(٣) الورقة ٢٦٣ ـ ٢٦٤ (أياصوفيا ٣٠١٣) والعبر، ٥ / ٢٧٨ وعنه نقل ابن العماد في شذرات الذهب، ٥ / ٣١٦.

وكانت له معرفة ويقظة»[1]. ومن ذلك قوله أيضًا في ترجمة عفيفة الفارفانية الأصبهانية المتوفاة سنة ٦٠٦هـ: «نقلت إجازة البغاددة لها من خط شيخنا المزي»[2]. وقوله: «قرأت وفاته بخط شيخنا ابن الظاهري سنة ٦٠١هـ»[3]، ولم نعرف لابن الظاهري تأليفًا في هذه المدة، ولا كان هذا الرجل من شيوخه، فقد ولد ابن الظاهري سنة ٦٢٦هـ وتوفي سنة ٦٩٦هـ[4].

وهذا الذي ذكرت يبدد الكثير من حيرتنا حينما نجد نقولاً عن شخص ما ولا نجد له كتابًا في المادة المنقولة، أو لا نجد له تأليفًا على الإطلاق. ومن أسف فإن معظم «كراريس» الطلبة ومجاميعهم لم تصل إلينا لعدم أهميتها آنذاك، وعدم قيام النساخ بانتساخها[5].

٦ ـ مؤلفات المترجم:

عرفنا من دراستنا لعناصر الترجمة أن الذهبي كان يعنى بذكر ما يقع له من مؤلفات المترجم أو أجزائه أو نحوها. وقد اعتنى الذهبي في كثير من الأحيان بدراسة هذه المؤلفات وإبداء رأيه فيها، وكان ينقل منها لتوضيح قدرة المترجم العلمية، أو عقيدته أو نحوها، نحو قوله في ترجمة محمد بن القاسم بن شعبان المصري المالكي المتوفى سنة ٣٥٥هـ: «وكان ابن شعبان صاحب سُنّة كغيره من أئمة الفقه في ذلك العصر فإني قد وقفت على تأليفه في تسمية الرواة عن مالك، قال في أوله...»[6]، وقوله في ترجمة محمد بن الحسن بن المظفر البغدادي

---

(١) الوافي، ٣ / ٢١٦.

(٢) الورقة ٣٧ (أياصوفيا ٣٠١١) وانظر عن المزي الفصل الأول من هذه الرسالة.

(٣) الورقة ٨٩ من النسخة السابقة.

(٤) انظر الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٣٥٦ ـ ٣٥٧ (أياصوفيا ٣٠١٤) ومعجم الشيوخ، م١ الورقة ١٨.

(٥) من الممكن أن يتصور الإنسان ضخامة هذه المادة حينما يتذكر مجالس الإملاء وهي تعج بمئات الطلبة على مدى العصور.

(٦) الورقة ٢١ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧).

اللغوي المعروف بالحاتمي المتوفى سنة ٣٨٨هـ: «وله الرسالة الحاتمية التي شرح فيها ما جرى بينه وبين المتنبي من إظهار سرقاته وإبانة عيوبه في شعره، وهي رسالة تدل على تبحره، يذكر في أولها . . .»[١]، وقوله في ترجمة تقي الدين علي ابن أبي بكر الهروي الزاهد السائح المشهور المتوفى سنة ٦١١هـ: «ورأيت له كتاب المزارات والمشاهدات التي عاينها في الدنيا فرأيته حاطب ليل وعنده عامية»[٢].

ولما أراد الذهبي أن يبين قراءة المقرئ أحمد بن نصر البصري المتوفى سنة ٣٧٣هـ قال: «وطرقه في كتاب المبهج لسبط الخياط»[٣] لمعرفته أن كتاب «المبهج» من كتب القراءة المشهورة المتداولة المروية في عصر الذهبي[٤].

ويصح هذا الذي ذكرناه على عشرات الدواوين الشعرية التي نقل منها الذهبي نماذج عند ترجمته لأصحابها.

٧ ـ المؤلفات السابقة:

وهي أساس موارد الكتاب، والمكون الرئيس لمادته، وقد اعتمدها الذهبي بشكل واسع جدًا واستوعب الكثير منها. وقد ذكر طائفة منها في المقدمة التي كتبها له. إلا أن هذه القائمة، من أسف، لا تمثل الموارد الحقيقية للكتاب، فإن عدد الكتب المذكورة فيها قليل جدًا لم يزد على ثمانية وثلاثين كتابًا[٥]، وقد خلت من كثير من المصادر الأساسية التي أفاد منها بصورة واسعة[٦]، ولذلك

---

(١) الورقة ١٩٩ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٢) الورقة ٩٤ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٣) الورقة ١٢١ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٤) في خزانة كتبي نسخة مصورة منه، وهو من كتب القراءات النفيسة.

(٥) ١ / ١٤ ـ ١٧ (مطبوعة).

(٦) والظاهر أن الذهبي كتب هذه المقدمة في أول تأليفه الكتاب وأنه على أية حال لم يقصد منها الاستيعاب، وإلا فمن غير المعقول إطلاقًا أن تكون خالية من ذكر بعض الكتب التي سلخها تمامًا وأدخلها في كتابه من مثل مؤلفات ابن الدبيثي وابن النجار وابن نقطة والمنذري وغيرهم، ويكفي أن نعلم أنه مثلاً لم يذكر فيها كتابًا واحدًا من كتب الوفيات الكثيرة التي=

فهي لا تقدم صورة حقيقية لطبيعة موارده أو حتى قريبة منها، ومن ثم لا يمكن اعتمادها في مثل هذه الدراسة، فكان لا بد عندئذ من دراسة الكتاب برويَّة وإنعام نظر، وجرد الموارد التي ذكرها المؤلف في أثنائه بشكل دقيق بغية الوقوف عليها وإقامة الدراسة استنادًا إليها.

ولما كانت المؤلفات السابقة هي أساس الكتاب، فإننا سوف نعنى بدراسة مدى استيعاب المؤلف لها، وأسس المفاضلة في اعتمادها، وطرائق النقل منها.

ثانيًا: استيعاب المؤلفات السابقة:

إن اتساع النطاقين الزماني والمكاني لكتاب الذهبي، واحتواءه على الحوادث والتراجم، وضع أمامه جميع التراث التاريخي الإسلامي بأوسع مفاهيمه[1]، منذ بدايته حتى نهاية القرن السابع الهجري، وهو تراث هائل وغني قد مر بعصور ازدهار التأليف عند المسلمين الذين تفننوا في تنويعه، وإثرائه سواء أكان ذلك في الأشكال التنظيمية المتعددة التي عرضوه بها، أم بالمادة المتنوعة التي احتوتها تلك المؤلفات[2]. ولذلك لم يكن من السهولة مطلقًا الوقوف عليه واستيعابه، فهو يحتاج إلى وقت طويل وجهد جهيد في وقت لم يكن الحصول فيه على الكتب من الأمور السهلة الميسرة دائمًا، فعلى الرغم من وجود الكثير من الكتب والأجزاء الموقوفة في الجوامع والمدارس ودور العلم وخزائن الكتب، إلا أن الحصول على نسخة من الكتاب في البيت كان من الصعوبة

= اعتمدها بشكل واسع. ويصعب علي في كثير من الأحيان فهم هذه القائمة حينما أجده يذكر بعض الكتب التي لم يعتمدها بصورة أساسية في موضوع ما مثل مغازي ابن عائذ الدمشقي، ويغفل ذكر موارد استعملها بشكل واسع مثل مغازي موسى بن عقبة، ومغازي عروة بن الزبير، ومغازي الواقدي وغيرها.

(١) لما كان الذهبي قد راعى في كتابه الشمول النوعي في التراجم لذلك تحتم عليه شمول الموارد المعنية بهم، وبذلك وسع المفهوم التاريخي للموارد التي اعتمدها.

(٢) إن نظرة واحدة إلى ما وصل إلينا من أسماء الكتب المؤلفة في النطاق المكاني والزماني والنوعي الذي احتواه كتاب «تاريخ الإسلام» توضح ضخامة مثل هذا التراث وتنوعه.

بمكان، فهو يكلف مالاً ووقتًا في عصر كانت فيه الجهود العلمية فردية لا تدعمها المؤسسات، ولم يكن العلم حرفة يعيش منها العالم، بل كان في الأغلب الأعم من باب التدين والهواية.

وقد تمكن الذهبي أن يستوعب مئات المؤلفات الجيدة ويفيد منها في كتابه كأحسن ما تكون الإفادة، ساعده على ذلك انصرافه التام إلى العلم، وذكاؤه وقوة حافظته، وقيامه باختصار عدد كبير من المؤلفات الرئيسة السابقة، واستعماله الجزازات[١] في جمع هذه المادة الضخمة.

مفهوم الاستيعاب:

على أن الاستيعاب كان في الكتب الجيدة عمومًا، إذ لا ريب أن الذهبي أهمل الكثير من الكتب الرديئة، كما في قوله في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي: «وعندي مجلد في أخبار الحجاج فيه عجائب لكن لا أعرف صحتها»[٢]. والواقع أننا لا نعرف كثيرًا عن مثل هذه «الكتب غير الجيدة» لعدم اهتمام المؤرخين بالنقل عنها أو ذكرها. ومع ذلك فإننا نلحظ الذهبي وهو ينقل عن كتب أو مؤلفين لم يرض عنهم تمامًا، فقد وصف سبط ابن الجوزي ـ مثلاً ـ بالمجازفة في غير موضع من كتابه[٣]، وقال عن معجم شيوخ شهاب الدين

---

(١) كان استعمال الجزازات شائعًا في عصر الذهبي، ولم يكن العلماء المسلمون يستنكفون عن ذكر الجزازات التي كانوا يدونون عليها نقولهم عن الكتب الأخرى، وتنبيهاتهم (انظر روزنتال: مناهج، ص ٢٤ فما بعد) وكان زكي الدين المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ قد وجد كتاب معجم السفر لأبي طاهر السلفي «ت ٥٧٦هـ» في جزازات، كل ترجمة في جزازة فبيضها ورتبها كما تجيء لا كما يجب (السخاوي: الإعلان، ص ٥٩٢) وقد وصل الكتاب إلينا بهذا الشكل (في خزانة كتبي نسخة مصورة منه، وانظر مقدمتنا لمشيخة النعال البغدادي، ص ١٥). وقد وصل إلينا الكثير من الجزازات التي كتبها الذهبي بخطه بعد الانتهاء من تأليف الكتاب ووضعها في نسخته مما يدل على أنه لا بد أن يكون قد استعملها قبل ذلك (انظر وصفنا لنسختنا الملفقة في أول هذه الرسالة).

(٢) ٣ / ٣٥٥ (مطبوعة).

(٣) الورقة ٢٣١ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٩٩، ٢٥٨ (أياصوفيا ٣٠١٢) واعتمده بشكل كبير=

القوصي المتوفى سنة ٦٥٣هـ: «وخرج لنفسه معجمًا هائلاً في أربعة مجلدات ضخام ما قصر فيه، وفيه غلط كثير مع ذلك وأوهام وعجائب»[١] مع أنه نقل عنها كثيرًا. وقد تمكن الذهبي من استيعاب مثل هذه المؤلفات في توجيه النقد إليها كلما شعر بخطئها والتنبيه على ذلك[٢].

الغاية من الاستيعاب:

وكانت غاية الذهبي الرئيسة من استيعاب كل هذه الموارد الضخمة تقديم خبر أو ترجمة متكاملة لا تعتمد موردًا واحدًا أو موردين مما قد يؤدي به إلى الوقوع في الخطأ، فضلاً عن أن هذا الاستيعاب يقدم له مادة دسمة للمقارنة بين الروايات، وهو منهج عني به الذهبي كما سيأتي بيانه.

لذلك وجدنا تعددًا للموارد في الحادثة الواحدة أو العصر الواحد أو الترجمة الواحدة، فمن أمثلة ذلك أنه اعتمد في الخبر الذي أورده عن ظهور المغول على كل من ابن الأثير وعبد اللطيف البغدادي وسبط ابن الجوزي وأبي شامة وابن واصل الحموي وشهاب الدين النسوي[٣]، ونقل في ترجمة الدارقطني عن الحاكم النيسابوري والخطيب البغدادي وعبد الغني بن سعيد المصري والأزهري والبرقاني ومحمد بن طاهر المقدسي وأبي عبد الرحمن السلمي وابن ماكولا[٤]، وذكر تسع روايات ومصادر لتحديده وفاة عيسى بن يونس السَّبيعي[٥]،

= في الحوادث والتراجم انظر مثلاً ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٩ . . . إلخ (أياصوفيا ٣٠١١) وانظر مقدمة كتاب تاريخ الإسلام.

(١) الورقة ١٢٤ (أياصوفيا ٣٠١٣) واعتمده كثيرًا انظر مثلاً الورقة ٧، ٨، ٩، ١٤، ٢٠، ٢٥، ٤٢، ٥٨، ٦٠، ٦٢، ٧٤، ٧٧، ٧٨، ٩٥، ٩٧، ١٠٥، ١١٣، ١١٤، ١١٩. . . إلخ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٢) انظر أدناه كلامنا على النقد.

(٣) الورقة ٢٣٩ ـ ٢٤٧ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٤) الورقة ١٧٨ ـ ١٨٠ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٥) الورقة ١٢١ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

ومثلها لتحديد وفاة أبي إسحاق الفزاري[١]، وأورد عشر روايات ومصادر في وفاة الزهري[٢]، واثنتي عشرة رواية ومصدرًا في وفاة محمد بن كعب القُرَضي[٣]، وثلاث عشرة رواية ومصدرًا في وفاة أبي هريرة[٤]، وهلم جرًّا.

ومع أنّ بعضَ هذه الموارد منقولة من مصادر جاءت بعدها واستوعبتها، مثل: «تاريخ مدينة السلام» و«تاريخ دمشق» و«تهذيب الكمال» وغيرها، لكننا لا نشكّ في سَعَة دائرة موارده واطلاعه على كثيرٍ مما ذكر.

ولقد دفعته عنايته هذه في الاستيعاب إلى تتبع الموارد التي ينقل منها وتمحيصها والاستدراك عليها ما هو من شرطها، نحو قوله مثلاً: «لم يذكره ابن عساكر»[٥]، و«ذكره القاضي عياض وما أرخ موته»[٦]، و«لم يذكره المنذري في الوفيات»[٧]، وقوله: «لم يذكر ابن يونس هذا في تاريخه»[٨]، وقوله: «لم يذكره الخطيب في تاريخه»[٩]، وقوله في ترجمة معاوية الضال: «وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وأنكر على البخاري إخراجه في الضعفاء. قلت: لم أره في الضعفاء للبخاري فلعله أسقط بعد... ولم يذكره العقيلي ولا الدولابي ولا أحد في الضعفاء...»[١٠] ونحو ذلك كثير.

مظاهر الاستيعاب:

ويتمثل استيعاب الذهبي في عنايته بالأخذ عن جميع الأشكال التآليفية عند

---

(١) الورقة ٤٨ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٢) ٥ / ١٥٢ (مطبوعة).

(٣) ٤ / ٢٠١ (مطبوعة).

(٤) ٢ / ٢٣٩ (مطبوعة).

(٥) الورقة ٨٩ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٢١٢ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٦) الورقة ٥١ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧).

(٧) الورقة ١٥٥، ١٥٧ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٨) الورقة ٢٠٥ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٩) الورقة ١٢٣ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٦٢ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(١٠) الورقة ١٥ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

المسلمين حتى عصره، ومن أبرزها:

١ ـ كتب المغازي والسيرة النبوية.

٢ ـ كتب التاريخ العام المرتبة على السنين.

٣ ـ تواريخ الخلفاء.

٤ ـ كتب السير.

٥ ـ كتب الأنساب والأخبار.

٦ ـ الكتب الأدبية.

٧ ـ التواريخ المحلية.

٨ ـ كتب الرجال بأشكالها كافةً.

٩ ـ كتب التراجم بأنواعها العديدة.

زيادة على عدد كبير من كتب الحديث والأجزاء الحديثية والدواوين الشعرية، وكتب العقائد وغيرها.

وقد حاول جاهدًا أن يفيد من جميع المؤلفات في كل نوع من الأنواع المذكورة أعلاه، وإذا ما تتبعنا المؤلفات التي وضعت في كل شكل من هذه الأشكال، واستقصينا الكتب التي وقف الذهبي عليها وأفاد منها لوجدناه قد استوعب القسم الأكبر منها، ولنأخذ كتب الوفيات[1] مثلاً لذلك، فقد نقل الذهبي من:

١ ـ كتاب[2] «تاريخ وفاة شيوخ البغوي» لأبي القاسم عبد اللّه بن محمد ابن المرزبان البغوي المتوفى سنة ٣١٧هـ[3].

---

(١) المقصود بكتب الوفيات هنا هي الكتب التي رتبت التراجم بحسب الوفيات، ولذلك لا تدخل فيها الكتب المرتبة على الحروف وإن أطلق عليها لفظ الوفيات مثل وفيات الأعيان لابن خلكان، وفوات الوفيات لابن شاكر، والوافي بالوفيات للصفدي وغيرها.

(٢) انظر عن كتب الوفيات التي نعرفها بحثنا: كتب الوفيات (مجلة الدراسات الإسلامية ـ العدد الثاني ١٩٦٨م).

(٣) منه نسخة بدار الكتب الظاهرية، رقم ١٠٦ مجاميع (انظر مثلاً الورقة ١٦٩، ١٨٣، ١٨٨، =

٢ ـ كتاب «الوفيات» لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق البغدادي المتوفى سنة ٣٥١هـ الذي ابتدأه من الهجرة ووصل به إلى سنة ٣٤٦هـ[(١)].

٣ ـ وكتاب «الوفيات» لأبي سليمان محمد بن عبد اللّه بن أحمد المعروف بابن زبر الربعي الدمشقي المتوفى سنة ٣٧٩هـ، ابتدأه من الهجرة أيضًا ووصل به إلى سنة ٣٣٨هـ[(٢)].

٤ ـ كتاب «وفيات الشيوخ» لأبي الحسن محمد بن العباس بن الفرات المتوفى سنة ٣٨٤هـ[(٣)].

٥ ـ كتاب «الوفيات» لأبي الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الفوارس البغدادي المتوفى سنة ٤١٢هـ[(٤)].

٦ ـ و«تاريخ» أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم السرخسي ثم الهروي القَرَّاب المتوفى سنة ٤٢٩هـ، قال الذهبي: «وله تاريخ السنين الذي صنفه في وفاة أهل العلم من زمان رسول اللّه ﷺ إلى سنة وفاته»[(٥)].

٧ ـ و«الذيل على وفيات ابن زبر» لتلميذه أبي محمد عبد العزيز بن أحمد ابن الكتاني المتوفى سنة ٤٦٦هـ ووصل به إلى سنة وفاته[(٦)].

= ٢١٣ (أحمد الثالث ٨ / ٢٩١٧).

(١) الورقة ٤، ١٤، ٢٧، ٣٥، ٣٦، ٦٦، ٧١، ٨٨، ٩٧، ١١٦، ١٣١، ١٣٧ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٢) الورقة ٣٢، ٩٠، ٩٣، ٩٦، ٩٧، ١٠٣، ١٠٦، ١١٤، ١١٦، ١٢٠، ١٢٨، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٥، ١٦٦ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٣) الورقة ٩٧، ١٠١ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٨٥ (أياصوفيا ٣٠٠٧).

(٤) الورقة ٨٧، ٩٤، ٩٦، ٩٩، ١١٨، ١٢٦ . . . إلخ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٥) الورقة ٢٩١ (أياصوفيا ٣٠٠٩) وانظر نقولاً عنه في الورقة ١٤٣، ١٤٤، ١٦٠، ١٦٦، ١٩٦ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٦) عندي نسخة مصورة منه، وانظر الورقة ٢٠، ٢٢، ٢٤، ٣٨، ٤٠، ٥٠، ٩٥، ١٠٦، ١١٢، ١٢٦، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥١، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧. . . إلخ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

٨ ـ وكتاب «الوفيات» لإبراهيم بن سعيد النعماني المصري المعروف بالحبال المتوفى سنة ٤٨٢هـ، ابتدأه من سنة ٣٧٥هـ ووصل به إلى سنة ٤٥٦هـ[١].

٩ ـ وكتاب «الوفيات» لابن مندة الأصبهاني المتوفى سنة ٤٧٠هـ، قال الذهبي: لم أر أكثر استيعابًا منه»[٢].

١٠ ـ وكتاب «الوفيات» لأبي الفضل بن خيرون البغدادي المتوفى سنة ٤٨٨هـ، وفيه وفيات سنة ٤٠٦ ـ ٤٨٨هـ[٣].

١١ ـ وكتاب «جامع الوفيات» لأبي محمد هبة اللّه بن أحمد بن الأكفاني المتوفى سنة ٥٢٤هـ، الذي ذيل به على كتاب شيخه ابن الكتاني ووصل به إلى سنة ٤٨٥هـ[٤].

١٢ ـ وكتاب «الوفيات»[٥] لأبي مسعود عبد الرحيم الحاجي الأصبهاني المتوفى سنة ٥٦٦هـ، قال الذهبي في ترجمته: «وله جزء وفيات شيوخه ومن أخذ عنهم من الأصبهانيين سمعناه بإجازةٍ كريمةَ منه»[٦].

١٣ ـ وكتاب «الوفيات» لأبي بكر محمد بن المبارك بن مشِّق المتوفى سنة ٦٠٥هـ[٧].

---

(١) نشره الدكتور صلاح المنجد في مجلة معهد المخطوطات (م٢ / ٢ / ٢٨٦ ـ ٣٣٧) وقد سلخه الذهبي تقريبًا انظر مثلاً الورقة ٤، ٢٢، ٤٤، ٦٧، ٧٠، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٨٠، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٨، ١١٦، ١١٧، ١٣١، ١٥٥، ١٦٤ . . . إلخ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٢) انظر الكتاني: الرسالة، ص ٢١١، وبحثنا: كتب الوفيات، وراجع تاريخ الإسلام، الورقة ٤٠٠ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٣) انظر الورقة ٨٥، ١٣٦، ١٤٨، ١٥١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣١٨، ٣٥٩، ٤١٣، ٤٣٨، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٨٥ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٤) عندي نسخة مصورة منه، انظر الورقة ١٧٨، ١٨٣ (أحمد الثالث ١١ / ٢٩١٧).

(٥) نشره بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور أحمد ناجي القيسي ببغداد سنة ١٩٦٦م.

(٦) الورقة ٧ (أحمد الثالث ١٤ / ٢٩١٧).

(٧) تاريخ الإسلام ١٢ / ٣٠٢ (بتحقيقنا).

١٤ ـ وكتاب «وفيات النقلة» لأبي الحسن علي بن المفضل المقدسي الإسكندراني المتوفى سنة ٦١١هـ، الذي ذيل به على كتاب ابن الأكفاني ووصل به إلى سنة ٥٨١هـ[١].

١٥ ـ وكتاب «الوفيات» لضياء الدين المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣هـ[٢].

١٦ ـ وكتاب «التكملة لوفيات النقلة» لزكي الدين المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ، الذي ذيل به على كتاب شيخه أبي الحسن المقدسي ووصل به إلى سنة ٦٤٢هـ[٣].

١٧ ـ وكتاب «صلة التكملة لوفيات النقلة» لعز الدين الحسيني المتوفى سنة ٦٩٥هـ، ابتدأه من سنة ٦٤١هـ ووصل به إلى سنة ٦٧٥هـ[٤].

وهكذا لم يترك الذهبي كتابًا يذكر في «الوفيات» من غير أن ينقل منه. وهذا الذي قلته عن استيعابه لكتب الوفيات ينطبق إلى حد بعيد على معظم المؤلفات الأخرى ولا سيما في الكتب المعنية بالتراجم والرجال، فإذا تذكرنا ضخامة التراث التاريخي الإسلامي حتى عصره عرفنا ضخامة موارده في تاريخه هذا.

ثالثًا: أسس المفاضلة في اعتماد المؤلفات السابقة:

مع أن الذهبي حاول استيعاب المؤلفات الجيدة إلا أن ذلك لا يعني أنه اعتمدها في كل نطاقها الزماني والمكاني بصورة متساوية، أو من غير منهج، فقد أوضحت دراستنا لموارده أنه كان يفضل اعتماد مصدر على آخر في مدة معينة أو في نوع معين من المترجمين، وقد يستفيد من كتاب ما في مدة معلومة ولا يعتمده في أخرى، وهو ينطلق في ذلك، على ما نرى، من ثلاث قواعد رئيسة هي:

---

(١) الورقة ٢١، ٣٥ (أحمد الثالث ١٤ / ٢٩١٧).

(٢) اعتمده الذهبي اعتمادًا كبيرًا جدًا، مثلاً الورقة ٤، ٥، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥ . . . إلخ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٣) حققناه سنة ١٩٦٧م، وقد سلخه الذهبي تقريبًا، انظر تعليقاتنا على هوامشه.

(٤) عندي نسخة مصورة عن مسودة المؤلف وهي كاملة. وقد عرفنا أن الذهبي اختصره ولذلك سلخ معظم تراجمه.

أ ـ المعاصرة والمشاهدة.

ب ـ تفضيل المورد الأقدم عند عدم توافر المعاصرة.

جـ ـ التخصص التأليفي.

أ ـ المعاصرة والمشاهدة:

عني الذهبي بالمؤلفات السابقة التي عاصر مؤلفوها الحدث التاريخي أو المترجم، وفضلها على غيرها، بالرغم من شعوره بالخطر الذي يجيء من اعتماد التواريخ المعاصرة حينما قال في ترجمة داود بن علي العباسي: «وفي الخلفاء وآبائهم وأهلهم قوم أعرض أهل الجرح والتعديل عن كشف حالهم خوفًا من السيف والضرب، وما زال هذا في كل دولة قائمة يصف المؤرخ محاسنها ويغضي عن مساوئها، هذا إذا كان المحدث ذا دين وخير، فإن كان مداحًا مداهنًا لم يلتفت إلى الورع بل ربما أخرج مساوئ الكبير وهناته في هيئة المدح والمكارم والعظمة فلا قوة إلا باللّه»[1]. وتفضيله هذا جاء من اعتقاده أن الاعتماد على معاصرة الحدث التاريخي ومشاهدته من ضرورات الدقة في المعرفة، ولذلك رجح في الأغلب الروايات التي رواها المعاصرون على غيرها[2].

ويمكننا أن نميز عناية الذهبي بالخبر المعاصر والراوي المشاهد حينما نتتبع نوعية الموارد التي ينقل منها في عصر من العصور، وطبيعة نقوله من الموارد التي شملت مدة زمانية طويلة تعدت عصر المؤلف، والاهتمام بذكر موارد الكتب التي ينقل منها، وعنايته بالألفاظ الدالة على المعاصرة والمشاهدة، وإليك تبيانًا لأبرز هذه المظاهر.

١ ـ اتصال المؤلف بالأحداث:

اهتم الذهبي بالمؤلفين الذين كانوا على صلة بالحوادث التاريخية أو المترجمين وأولاهم عناية خاصة، فاعتمدهم في كتابه أكثر من غيرهم، فقد

---

(١) ٥ / ٢٤٢ ـ ٢٤٣ (مطبوعة) ونقله السخاوي في الإعلان ص ٤٨٩.

(٢) انظر مثلاً الورقة ٨٤ (أياصوفيا ٣٠١١).

رأيناه في الحوادث ينتقل من مورد لآخر بين مدة وأخرى ولا يقتصر على مورد واحد عند حديثه عن جميع العالم الإسلامي، ففي النصف الأول من القرن الرابع الهجـري مثلاً نجده يعتمد في حوادث العراق بالدرجة الأولى على كل من أبي بكر محمد بن يحيى الصولي «ت ٣٣٥هـ»[١] والمسعودي «ت ٣٤٦هـ»[٢]، وثابت بن سنان «ت ٣٦٠هـ»[٣] ولا سيما الأخير. ولما تناول علاقات الحمدانيين بالبيزنطيين اعتمد على تاريخ علي بن محمد الشمشاطي المتوفى بعد سنة ٣٧٧هـ[٤] لأنه كان على صلة بالحمدانيين، إذ كان مؤدبًا ونديمًا لهم فكان مطلعًا على أخبارهم عارفًا باتصالاتهم[٥]، ولما تناول أخبار صلاح الدين اعتمد الموارد التي عاصرته وعنيت بأخباره وكانت على صلة وثيقة به مثل العماد الأصبهاني القرشي «ت ٥٩٦هـ»[٦]، في حين اعتمد عند تناوله أخبار العراق في هذه المدة على ابن الجوزي «ت ٥٩٧هـ»[٧] وابن الأثير «ت ٦٣٠هـ»[٨].

وفي النصف الأول من القرن السابع الهجري نجد الذهبي يعتمد في أخبار العراق على المؤلفين الذين عاصروا أحداثه أو كانوا قريبين منها مثل: ابن الأثير،

(١) انظر الورقة ١٠، ١٤، ٣٧، ٣٩ (حلب).
(٢) انظر مثلاً الورقة ١٦، ٣٨، ٤٠، ٥٨ (حلب).
(٣) انظر مثلاً الورقة ٢، ٤، ٢٤ ـ ٢٧، ٥٨، ٧٥، ٧٨، ٧٩ (حلب).
(٤) انظر الورقة ٧٦ فما بعد (حلب).
(٥) ابن النديم: الفهرست، ص ٢٢٠، ياقوت: إرشاد ٥ / ٢٧٥ ـ ٣٧٧ والسامر: الدولة الحمدانية ٢ / ١٨٢.
(٦) انظر مثلاً ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٠، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٥ (أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧).
(٧) انظر مثلاً الورقة ١٨٣، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦... إلخ (أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧).
(٨) انظر مثلاً الورقة ١٧٨، ١٨٤، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٨... إلخ (أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧).

وابن القادسي «ت ٦٣٢هـ»[١]، وابن الساعي «ت ٦٧٤هـ»[٢]، وابن البزوري «ت ٦٩٤هـ»[٣].

أما أخبار مصر فاعتمد فيها على موفق الدين عبد اللطيف البغدادي «ت ٦٢٩هـ»[٤] حتى تاريخ وفاته، وصار اعتماده بعد ذلك في أخبار مصر والشام على سبط ابن الجوزي «ت ٦٥٤هـ»[٥] وأبي شامة «ت ٦٦٥هـ»[٦]، وابن واصل الحموي «ت ٦٩٧هـ»[٧].

وقد اعتنى الذهبي كثيرًا بكتاب «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي بالرغم من كلامه فيه[٨] نظرًا لصلاته بملوك بني أيوب ومشاهدته للأحداث، وهو يشير إلى هذه المعاصرة وذاك الاتصال حينما ينقل أقواله من مثل: «قال لي المعظم. .»[٩]

---

(١) محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله القادسي المنسوب إلى القادسية التي بين سامراء وبغداد، قال الذهبي: «صاحب التاريخ. . . وكان رجلاً فاضلاً له اعتناء بالتواريخ والحوادث» الورقة ١٢٦ (أياصوفيا ٣٠١٢) انظر من نقول الذهبي عنه في الورقة ٢١٨ فما بعد (أياصوفيا ٣٠١١).

(٢) انظر مثلاً الورقة ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٦١ (أياصوفيا ٣٠١٢) وغيرها كثير.

(٣) ذكره الذهبي في معجم شيوخه، وذكر أنه «ذيل على المنتظم لابن الجوزي فأفاد وأجاد» (م٢ الورقة ٢٨) وقد ذهب أكثر هذا التاريخ في الوقعة الغازانية سنة ٦٩٩هـ، وقد أخذه الذهبي عنه واعتمد عليه كثيرًا. وانظر الورقة ١٩٨ (حلب).

(٤) انظر مثلاً ٢٢٤، ٢٤٥، ٢٤٩ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٣٨ فما بعد (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٥) انظر مثلاً ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٢٩. . . إلخ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٢٨، ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٥٢. . . إلخ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٦) انظر مثلاً ٢١٨، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٢. . . إلخ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٧) انظر مثلاً الورقة ٤٣، ٤٦، ٨٤، ٩٤، ١١٦، ١٤٤ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٨) مثلاً الورقة ١٤٧ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٩) الورقة ٢٣٠ (أياصوفيا ٣٠١٢).

و«حدثني الصالح نجم الدين أيوب. . . »[١] ونحوهما[٢].

واعتنى الذهبي في هذه المدة عناية بالغة بتاريخ سعد الدين مسعود بن عبد السلام بن حموية المعروف بابن شيخ الشيوخ «ت ٦٧٤هـ»[٣]، وقد سمى الذهبي تاريخه «جريدة»[٤]، وذكر أنه في مجلدين[٥]، ولعله كان كتاب مذكرات كما تدل النقول الكثيرة التي نقلها الذهبي عنه، وهو الذي يفسر شدة اهتمام الذهبي به، لأن جميع النقول تروي أحداثًا شارك فيها سعد الدين، وهو من بيت أمراء اشتهروا بمشاركاتهم السياسية في أواخر الدولة الأيوبية. وقد بينت النصوص التي نقلها الذهبي من «جريدته» أنه كان مرافقًا للملك المظفر غازي الأيوبي صاحب ميافارقين، فكان بها سنة ٦٣٧هـ[٦]، وكان حاضرًا في القصر عند ورود رسل المغول إلى ميافارقين سنة ٦٤٢هـ[٧]، وظل هناك إلى سنة ٦٤٤هـ حيث ترك خدمة الملك المظفر وتوجه إلى مصر[٨] وشارك في حرب طبرية وعسقلان ضد الصليبيين سنة ٦٤٥هـ[٩]، وكان حاضرًا في مدينة المنصورة عندما انتصر المسلمون عليهم سنة ٦٤٨هـ[١٠]، واعتزل الحياة السياسية سنة

---

(١) الورقة ٢٥٢ من النسخة السابقة.

(٢) انظر مثلاً الورقة ٢٥٥ ـ ٢٥٦ (أياصوفيا ٣٠١٢) وقارن مرآة الزمان، مختصر، ٨ / ٧٤٦ حيث كان السبط حاضرًا في الحرب التي جرت في القدس بين المصريين والصليبيين، وروى أحداثها.

(٣) انظر مثلاً الورقة ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠. . . إلخ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٤) الورقة ٢٥٠ من النسخة السابقة.

(٥) الورقة ٢١ ـ ٢٢ (أياصوفيا ٣٠١٤) وقد أخذه الذهبي عنه بالإجازة كما صرح بذلك في الورقة ٢٤٦ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٦) الورقة ٢٥٤ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٧) الورقة ٢٥٦ من النسخة السابقة.

(٨) الورقة ٢٦٠ من النسخة السابقة.

(٩) الورقة ٢٦١ من النسخة السابقة.

(١٠) الورقة ٢٦٦ من النسخة السابقة.

٦٥٦هـ[١] وتصوف إلى حين وفاته بدمشق سنة ٦٧٤هـ[٢].

وقد نقل الذهبي عن هذا المؤلف السياسي العسكري المعاصر أنقى الأخبار مما لا نجده في غيره من الكتب.

واعتمد في أخبار المغرب، ولا سيما عن الموحدين من بني عبد المؤمن، على مصدرين معاصرين: أولهما تاج الدين عبد الله بن عمر بن حموية، والد سعد الدين المذكور قبل قليل. وكان تاج الدين شيخ الشيوخ بدمشق وقد زار المغرب سنة ٥٩٣هـ، وعاش في بلاط ملك مراكش يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، وكان على صلة قوية به، وظل هناك إلى سنة ٦٠٠هـ[٣]، فاتصل بالأحداث اتصالاً مباشرًا، وقدم معلومات نفيسة عني الذهبي بنقلها[٤]. وأما الآخر فهو أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي المتوفى سنة ٦٤٧هـ، وكان سياسيًّا له اتصال بالأحداث ومشاهدة لها، لذلك عني بالنقل منه، بل اختصر كتابه «المعجب»[٥].

كل هذا والذهبي لا يعتني بالحوادث عنايته بالتراجم، ولذلك وجدناه في التراجم يولي هذه الناحية جل عنايته، وعظيم اهتمامه. ولعل من أبرز مظاهر تلك العناية هو اهتمام الذهبي بمعاجيم الشيوخ والمشيخات[٦] ومحاولة

---

(١) الورقة ٢١١ (أياصوفيا ٣٠١٣).

(٢) الورقة ٢٢ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٣) انظر سبط ابن الجوزي: مرآة، مختصر، ٨ / ٧٤٨، والمقري: نفح الطيب، ٢ / ٧٠٧.

(٤) انظر مثلاً الورقة ٨٥، ٨٦، ٨٧... إلخ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٥) انظر أعلاه كلامنا على آثار الذهبي، والورقة ٢٦١ فما بعد (حلب ٢ / ١٢٢٠) والورقة ٨٢ فما بعد (أياصوفيا ٣٠١١)، وانظر المقدمة التي كتبها محمد سعيد العريان لكتابه «المغرب». (ط. الاستقامة بالقاهرة).

(٦) انظر عن معاجيم الشيوخ والمشيخات بحثنا: «معاجيم الشيوخ والمشيخات وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي» مجلة الأقلام، العدد السابع من السنة الخامسة (بغداد ١٩٦٩م) ومقدمتنا لكتاب: مشيخة النعال البغدادي ص ١٤ فما بعد (بغداد ١٩٧٥م) ورسالة الدكتور أكرم العمري: موارد الخطيب، ص ٤١٨ فما بعد. والفرق بين معجم الشيوخ والمشيخة هو=

استقصائها. ولما كانت مثل هذه الكتب لا تضم بين دفتيها سوى الشيوخ الذين اتصل بهم صاحب المعجم أو المشيخة وتلقى العلم عنهم بالسماع أو بالإجازة[1]، لذلك تعد من أنفس المصادر المعاصرة، فهي تحتوي على معلومات دقيقة لا تتوافر في غيرها من المصادر، تمتاز عمومًا بالدقة والتحري بعد المشاهدة والاتصال. وقد صرت أعتقد نتيجة لدراستي الخاصة في هذه الناحية أنها المكون الرئيس لكتب التراجم.

وقد حاول الذهبي جاهدًا أن يستوعب كل ما يقف عليه من هذه المعاجيم والمشيخات ويفيد منها في كتابه. وقد وقف على أكثر من مئتي معجم ومشيخة[2] وقد كان كثير منها يبلغ عددًا من المجلدات، فانتقى منها ما اتفق والخطة العامة لكتابه.

وإذا كان الذهبي قد جوّز لنفسه في بعض الأحيان أن يعتمد موارد غير معاصرة في الحوادث[3] فإنه لم يجز لنفسه ذلك في التراجم عمومًا إلا في الحالات التي تعذر عليه فيها الوقوف على مؤلفات عاصرت صاحب الترجمة،

= في الترتيب، فمعجم الشيوخ هو ما رتب على حروف المعجم، أما المشيخة فترتب بأشكال أخرى.

(١) قلنا سابقًا: إن الإجازة كانت تحتوي معلومات عن المجيز يكتبها هو، ومن ثم يستفيد مخرج المشيخة من هذه المعلومات عند تخريجه لها، فيكتبها على لسان صاحب المعجم أو المشيخة.

(٢) ولا بد أنه فاته الكثير منها، فهذا العدد قليل إذا قيس بما وصل إلينا من أسمائها، ولكن كثيرًا منها كان مصيرها الضياع والتلف بسبب عدم عناية النساخ بنسخ أكثرها، وقد قال السخاوي في نهاية القرن التاسع: «ولست أستبعد زيادتهم على الألف» الإعلان، ص ٦٠٥.

(٣) لا يدخل ضمن هذا الكلام المدة الأولى من التاريخ الإسلامي بسبب عدم انتشار التأليف من جهة، وضياع الكثير مما ألف عند أول انتشاره من جهة أخرى. على أننا وجدنا الذهبي ينقل في بعض الأحيان بعض الحوادث القصيرة من الغرائب من كتاب المنتظم لابن الجوزي ابتداءً من القرن الرابع الهجري ويضعها عادة في نهاية السنة وهي قليلة عمومًا. انظر الورقة ٦١، ٧١، ١١٩، ٢١٥، ٢١٧ (حلب) ويصح هذا أيضًا في نقله بعض هذه الحوادث من ذيل المنتظم لابن البزوري ابتداءً من سنة ٥٧٥هـ (انظر الورقة ١٩٨ فما بعد حلب).

فمع أنه اختصر كتبًا ضخمة في الرجال والتراجم استوعبت مددًا زمنية طويلة مثل «تاريخ دمشق» لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ الذي تناول فيه تراجم الدمشقيين ومن ورد إليها من أول الإسلام إلى أيامه، وكتاب «الضعفاء» لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ الذي شمل الضعفاء من الرواة من أول ظهورهم إلى أيامه، فإنه لم يعتمد مثل هذه الكتب في الأزمان التي لم يعاصرها مؤلفوها، ولم ينقل منها إلا نصوصًا قليلة دفعته الضرورة إليها في الأغلب الأعم، في حين استوعب جل التراجم التي عاصروها، ونقل آراء المؤلفين في المترجمين جرحًا وتعديلاً. ونلحظ هذا الأمر أكثر وضوحًا في كتب الحوليات التي تناولت الحوادث والتراجم وشملت تاريخ الإسلام كله حتى عصر مؤلفيها مثل كتاب «المنتظم» لابن الجوزي، و«مرآة الزمان» لسبطه، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير وغيرهم، فإننا لم نجد إلا نقلاً نادرًا جدًا عن التراجم المذكورة في هذه التواريخ مما لم يعاصرها مؤلفوها، فإذا ما دخل الكتاب عصر المؤلف وسار فيه قليلاً وجدنا الذهبي يعنى العناية البالغة بالأخذ عنه والانتقاء منه.

٢ ـ الاهتمام بموارد الكتب التي ينقل منها:

إلا أن هذا الذي ذكرناه من عناية الذهبي في اعتماد المؤلفات المعاصرة لم يتوافر له دائمًا، بسبب عدم انتشار التدوين في القرن الأول الهجري وضياع كثير من المؤلفات التاريخية التي كتبت في القرنين الثاني والثالث الهجريين، فلم تصل إلى أهل القرن الثامن، وعدم قدرته في الحصول على بعض الكتب لسبب من الأسباب.

وقد تمكن الذهبي أن يعالج هذا الأمر في عنايته الدائمة بذكر موارد مصادره بحيث يصل بالخبر في معظم الأحيان إلى من عاصره، فطول بذلك النطاق الزماني لنقله عن مصدر ما، ولذلك وجدنا الذهبي يعنى بنقل الإسناد الذي ذكره صاحب الكتاب الذي ينقل منه. ويبدو هذا الأمر على غاية من الوضوح في القسم الأول من تاريخه، فبالرغم من اعتماده أوثق المصادر ومنها مثلاً الكتب الستة، فإنه لم يكتف بالقول مثلاً: «أورده البخاري» أو «أخرجه

البخاري»، بل كان يعنى بذكر سند البخاري. وقد طبق هذه الطريقة حتى في الكتب المتأخرة، فحينما نقل الذهبي تراجم عن الخطيب مما لم يعاصره الخطيب فإنه عني بذكر إسناد الخطيب إلى صاحب الخبر نحو قوله: «قال الخطيب: قال لنا التنوخي: أرانا ابن كيسان بخط أبيه...»[١]، و«قال الخطيب: سألت البرقاني عنه»[٢]، و«قال الخطيب: حدثنا أحمد بن عمر، حدثنا أبو بكر الوراق، قال: دققت على ابن صاعد بابه فقال»[٣] ونحو ذلك[٤]. ومن مثل قوله في ترجمة عبد الواحد بن علي بن برهان العكبري النحوي المتوفى سنة ٤٥٦هـ: «قال ياقوت الحموي في تاريخ الأدباء: نقلت من خط عبد الرحيم بن وهبان، قال: نقلت من خط أبي بكر محمد بن منصور السمعاني، قال: سمعت المبارك ابن عبد الجبار الصيرفي، يقول: سمعت أبا القاسم بن برهان يقول: دخلت على الشريف المرتضى في مرضه...»[٥].

على أن ذلك تعذر عليه في بعض الموارد التي لم تعن بذكر الإسناد، فلم يكن منه إلا إهمالها، أو الاعتماد عليها عند الحاجة القصوى، مبيِّنًا تبِعةَ صحة الخبر على صاحبه الذي أورده.

٣ ـ العناية بالألفاظ الدالة على المعاصرة:

ومن أجل أن يعطي الذهبي قوة للرواية ودلالة على أهميتها كان دائمًا ينقل بعض العبارات الدالة على الصلة التي تربط المخبِر بالمخبَر عنه نحو نقله من مثل

---

(١) الورقة ١٠٦ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٢) الورقة ١٢٣ من النسخة السابقة.

(٣) الورقة ١٤٤ من النسخة السابقة.

(٤) انظر أمثلة أخرى في الورقة ١٨٦، ١٩٨، ٢٥٠ من النسخة السابقة والورقة ٢٠، ٦٦، ٦٩... إلخ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٥) الورقة ١٨١ (أحمد الثالث ١١ / ٢٩١٧) وقد سقطت هذه الترجمة من معجم الأدباء المسمى بإرشاد الأريب لياقوت الحموي، وموضعها في المجلد الرابع منه.

عبارة «كتبنا عنه»[١]، و«سمعنا منه»[٢]، و«قال لي»[٣]، و«كان يكتب معنا»[٤]، و«حضرت جنازته»[٥]، ونحوها.

إن عناية الذهبي بالتخصص والمعاصرة في انتقاء الروايات التاريخية من الموارد قد أعطت أهمية عظمى لكتابه، إذ حفظ لنا عددًا كبيرًا من النصوص الجيدة مما لم يصل إلينا اليوم، ودلل في الوقت نفسه على أن لديه منهجًا علميًا على درجة كبيرة من الرقي.

ب ـ تفضيل المورد الأقدم:

كان الذهبي يعنى ـ عند عدم توافر الموارد المعاصرة ـ بالاعتماد على المورد الأقرب إلى الخبر، فيعتمده ويفضله على غيره، ولذلك نشأت عنده مفاهيم في تقويم الموارد قد تختلف عن المفاهيم المألوفة عندنا بسبب عنايته البالغة بهذه الناحية، ووقوفه على مؤلفات لم تصل إلينا. وقد أدى اعتماده على المورد الأقدم إلى ضرورة تغيير موارده كما هو الحال عند عنايته بالمعاصرة والمشاهدة. إلا أن عدم وقوفه على مصدر معاصر قد جعله في الوقت نفسه ينوع موارده ويحاول أن يورد أكبر عدد ممكن منها بغية التثبت من الخبر وضبطه.

فحينما تناول السيرة النبوية[٦] مثلاً لم يتابع مصدرًا معينًا أو يقتصر عليه

---

(١) انظر مثلاً الورقة ١٤٦، ١٤٨، ١٥٣، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١ . . . إلخ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٢) انظر مثلاً الورقة ١٦٤، ١٧٠، ١٧٧ . . . إلخ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٣) انظر مثلاً الورقة ١٥٤، ١٥٨، ١٦٣ . . . إلخ من النسخة السابقة.

(٤) انظر مثلاً الورقة ١٤٣، ١٧٣ من النسخة السابقة.

(٥) مثلاً الورقة ١٣٣ من النسخة السابقة.

(٦) انظر عن كتب المغازي والسيرة، هوروفتس: المغازي الأولى ومؤلفوها (ترجمة الدكتور حسين نصار)، والدكتور الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت ١٩٦٠م) والدكتور حسين نصار: نشأة التدوين التاريخي، والدكتور العمري: نظرة في مصادر ودراسة السيرة النبوية (مجلة كلية الدراسات الإسلامية، ١٩٧٠م) وغيرها.

بالرغم من وجود الكثير من الكتب المؤلفة فيها، وكان يمكنه الاعتماد على واحد أو اثنين منها، فرأيناه يعتمد أمهات الموارد الأصيلة التي تناولت هذا الموضوع، فأخذ عن «مغازي»[١] عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٤هـ «وهو أول من صنف المغازي»[٢]، و«السيرة»[٣] لمحمد بن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤هـ، و«مغازي»[٤] موسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١هـ. أما سيرة ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ فإنه لم يقتصر في الأخذ عنها من رواية واحدة بل اعتمد رواية زياد ابن عبد اللّه البكائي العامري المتوفى سنة ١٨٣هـ[٥]، ورواية يونس بن بكير

---

(١) اعتمد رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة انظر الورقة ٩، ١٢٩، ١٣٤، ١٣٥، ١٤١، ١٤٤، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٨، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٧٢ (سعودية)، ١ / ٧٣، ١٤٩، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٨، ١٩٣، ٣١٨ (مطبوعة). وهي مفقودة.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤ / ٣١ (مطبوعة)، السخاوي: الإعلان، ص ٥٢٧، وحاجي خليفة: كشف، ٣ / عمود ١٧٤٧.

(٣) الورقة ٢١، ٣٦، ٥٦، ٦٠، ٦١، ٧٩، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٦٨، ٢٠١، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٩، ٢٤٤، ٢٩٣ (سعودية) ١ / ٦٧، ٣، ١١٥، ١٧٨ (مطبوعة)، ولم تصل إلينا.

(٤) وصلت إلينا قطعة منها وجدت في المكتبة البروسية وترجمها الأستاذ أدورد سخاو إلى الألمانية سنة ١٩٠٤م، وقد وصف الإمام مالك، وتابعه الذهبي، مغازي موسى بأنها أصح المغازي (الذهبي تاريخ الإسلام، ٦ / ١٦٦ وابن حجر: تهذيب، ١٠ / ٢٦١ والسخاوي: الإعلان، ص ٥٢٥) وقد سمعها الذهبي بالمزي على شيخه أبي نصر الفارسي (تذكرة ١ / ١٤٨) وذكر أنها في مجلد صغير (تاريخ الإسلام، ٦ / ١٣٣) وقد سلخها الذهبي تقريبًا انظر الورقة ٢، ٥، ٣٢ ـ ٣٦، ٤٦، ٥٥، ٦٢، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٢، ٨٣، ١٠٦، ١١١، ١١٤، ١٢٩، ١٣٤، ١٤٣، ١٥٢، ١٥٨، ١٦٨، ١٩٢، ٢٠٢، ٢١٤، ٢٣٢، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٧٢ (سعودية) ١ / ٢٢، ٤٥، ٥٢، ٧٣، ٧٦، ١٠٨، ١١٠ ـ ١١٢، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٤١، ١٤٢، ١٧٨، ١٨٧، ١٩٦، ٢٠٢، ٢١٣، ٢٤٠ (مطبوعة).

(٥) لقد عدَّ الذهبي زيادًا البكائي أتقن من روى السيرة عن ابن إسحاق (الورقة ٧٦ أياصوفيا ٣٠٠٦) انظر الورقة ٩ ـ ٢٠، ٤٨، ٥٧، ٥٩، ٦٣، ٧٢، ٧٥، ٨٢، ١١٢، ١١٣، ١١٥، =

الشيباني المتوفى سنة ١٩٩هـ[١] واستفاد من تنبيهات ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨هـ حينما اختصر السيرة من رواية البكائي وعلق عليها[٢]. وقارن الذهبي بين هذه الروايات جميعها، ثم استفاد من شرح السهيلي المتوفى سنة ٥٨١هـ وهو المعروف بـ «الروض الأنف»، وكان الذهبي قد اختصره بكتاب سماه «بلبل الروض»[٣]. كما أخذ أيضًا عن «مغازي»[٤] عبد اللّه بن وهب بن مسلم المصري المتوفى سنة ١٩٧هـ وهو أحد الثقات[٥]، و«مغازي»[٦] الوليد بن مسلم الأموي الدمشقي المتوفى سنة ١٩٥هـ، و«مغازي»[٧] محمد بن عمر الواقدي المتوفى

= ١١٧، ١٢٢، ١٢٣، ١٤١، ١٤٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦١، ١٨٨، ٢٠٥، ٢٥٩ (سعودية) ١ / ٥٥، ١٠٢، ١٠٧، ١١٢، ١٢٩، ١٧١، ١٧٥، ١٨٥، ١٦٩ (مطبوعة).

(١) الورقة ٨، ٢١، ٣١، ٣٩، ٤٧، ٥٦، ٦٦، ٧٠، ٧٩، ٨٠، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٨، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١٢٢، ١٣٣، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٤، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٤٤، ٢٦١، ٢٩٢، (سعودية) ١ / ٣٠، ٤٥، ٥٥، ٥٧، ٦١، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ١٠١، ١٧٠، ١٧٨، ١٨٧، ١٩٩، ٢١٠، ٣٠٧، ٣١٦، ٣١٩ (مطبوعة) وانظر الورقة ٢٩٣ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٢) وصل إلينا تهذيب ابن هشام وطبع غير مرة. وقد سمعها الذهبي على شيخه أبي المعالي محمد بن إسحاق الأبرقوهي في ستة أيام متتالية (تاريخ الإسلام، الورقة ١٣٥ أياصوفيا ٣٠٠٧) وانظر الورقة ٤٧، ٨١، ١١٠، ١٤١، ١٩١ (سعودية).

(٣) انظر أعلاه آثار الذهبي.

(٤) مثلاً ١ / ٤٤، ٨٢، ١٢٠ (مطبوعة).

(٥) تاريخ الإسلام، الورقة ٢٢٩ ـ ٢٣٠ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٦) الورقة ١٤٧، ٢٠٨، ٢٣٤ (سعودية) ١ / ٢٣، ٢٠٣، (مطبوعة) وذكر الذهبي أنه أخذ عن ابن وهب، فلعله أخذ قسمًا من مغازيه عنه (انظر الورقة ٢٨٢ ـ ٢٨٤ أياصوفيا ٣٠٠٦) وراجع البخاري: تاريخ، ٤ / قسم٢ / ١٥٢.

(٧) وصلت إلينا ونشرها جونز. وذكر الذهبي أنه قد «سارت الركبان بكتبه في المغازي والسير والفقه أيضًا» وأصح الروايات عنه رواية ابن سعد (تاريخ الإسلام، الورقة ٦٦ ـ ٦٨ أياصوفيا=

سنة ٢٠٧هـ، و«المغازي»[١] لمحمد بن عائذ الدمشقي الكاتب المتوفى سنة ٢٣٣هـ وغيرهم.

ومعَ أنّ الذهبي قد نقل عن كثير من هذه الموارد بالواسطة، ومن طريق «دلائل النبوة» للبيهقي خاصّةً، لكنه كان مطّلعًا عليها يعود إليها كلما وجد حاجة لذلك، كما تدل نصوصه وتعليقاته، فضلاً عن أنه كان يملك حق روايتها.

إن موقف الذهبي من تفضيل القديم هذا هو الذي دفعه فيما نعتقد إلى اعتماده محمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ[٢] بصورة قليلة جدًا في القسم الخاص بالمغازي والسيرة مع تقدمه، وكأنه عدَّه «مصدرًا ثانويًا»، وذلك بسبب كثرة اعتماده لكتب الواقدي، فكأنه استغنى عنه، ويصح مثل هذا القول في اعتماده النادر على السير المتأخرة مثل تلك التي ألفها ابن فارس اللغوي المتوفى سنة ٣٩٥هـ[٣]، وابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣هـ[٤]، وشيخه الدمياطي المتوفى سنة ٧٠٥هـ[٥] ونحوهم، مع أنه اطلع عليها ونقل عنها نصوصًا قليلة جدًا.

إن العناية بالقديم وتفضيله هو الذي حدا بالذهبي إلى عدم مسايرة أكثر المؤرخين في اعتماد الطبري في حوادث القرون الثلاثة الأولى كما فعل ابن الأثير

= ٣٠٠٧) انظر الورقة ٧، ٢٦، ٣٠، ٣٢، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٩، ٧٣، ٧٩، ٨١، ٨٣، ٨٨، ٨٩، ٩٩، ١٢٠، ١٢١، ١٣١، ١٣٢، ١٥٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٨ (سعودية) ١ / ٣٥، ٧٣، ٨٠، ١٠٥، ١١٢، ١٤٠، ٣٢٥، ٣٣٣ (مطبوعة).

(١) انظر مقدمة كتابه، ١ / ١٤ والورقة ١١ (أياصوفيا ٣٠٠٥) و١ / ٢٠٢ (مطبوعة) والظاهر أنه لم يأخذ عنه كثيرًا بالرغم من ذكره في المقدمة بين موارده الرئيسة.

(٢) لم ينقل عنه في القسم الخاص بالمغازي غير ثلاثة نصوص (الورقة ١١٨، ١٣٣، ١٨٥ سعودية) وأكثر من ذلك قليلاً في السرة النبوية) مثلاً ١ / ١٩، ٢٣، ٥٠، ١٦٠ مطبوعة).

(٣) أخذها الذهبي قراءة على شيخه عمر بن عبد المنعم ابن القواس، انظر ١ / ٢٨٩ ـ ٢٩٢ (مطبوعة).

(٤) ١ / ١٩ (مطبوعة).

(٥) قرأها الذهبي عليه، انظر الورقة ٢٣٦ (سعودية) ١ / ٢٣، ٢٩٢ (مطبوعة).

وغيره، ولو نظرنا إلى موارده في تاريخ الحوادث بعد وفاة النبي ﷺ حتى منتصف القرن الثاني ـ مثلاً ـ لوجدناه يعتمد عددًا كبيرًا من موارد التاريخ العام التي سبقت الطبري[1] مثل: الهيثم بن عدي «ت ٢٠٤هـ»[2] وهشام ابن الكلبي «ت ٢٠٤هـ»[3] والواقدي «ت ٢٠٧هـ»[4]، وخليفة بن خياط «ت ٢٤٠هـ»[5]، وأبي حسان الزيادي «ت ٢٤٣هـ»[6]، ويعقوب الفسوي «ت ٢٧٧هـ»[7] وابن أبي خيثمة «ت ٢٧٩هـ»[8] وغيرهم مما يطول ذكره. وتشير النصوص إلى أنه فضل تاريخ خليفة عليه في معظم الأحيان.

جـ ـ التخصص التأليفي:

وعني الذهبي بالموارد التي تخصصت في نمط معين من التأليف سواء أكان ذلك في الحوادث أم في التراجم؛ فقد اعتمد في الفتوح مثلاً على الوليد بن مسلم «ت ١٩٥هـ»[9]، و«كتاب الفتوح» لسيف بن عمر «ت

---

(١) هذه الموارد تشير إلى ما تناوله الذهبي في الحوادث فقط.

(٢) انظر مثلاً ٥ / ١٧٨، ١٩٠ وانظر مقدمة الذهبي لكتابه ١ / ١٥.

(٣) انظر مثلاً ٢ / ٢، ٣، ٢٠، ٢٢، ٢٦، ٣ / ٢٢٧، ٢٣٥، ٤ / ٨٦، ٢٢٦، ٣٠٢ وغيرها. وتشير النصوص إلى أنه ينقل من كتابه «التاريخ» انظر عنه مقالة الدكتور حسام السامرائي: «هشام بن محمد الكلبي» مجلة كلية الشريعة، العدد الثاني: بغداد ١٩٦٦م.

(٤) انظر مثلاً ١ / ٣٤٤، ٣٥٩، ٣٦٤، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٧٩، ٢ / ٨١، ١٣٩، ٣ / ١٠٨، ١١٤... إلخ، وانظر مقدمة الكتاب.

(٥) مثلاً ١ / ٣٥٩، ٣٧٣، ٣٧٦، ٢ / ٣، ١٧، ١٩، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٤٢، ٤٥، ٦٠، ٧٩، ٨٤، ٩٥، ١١٥، ١١٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٧١، ٢٠٨، ٣٥٣، ٣٨١، ٣٧٤، ٣ / ١٢٦، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٩، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٣، ٤ / ٨٦، ٢٢٨، ٢٧٣، ٥ / ٢٦، ٣٧، ٦٤، ٦٥، ١٧٨، ١٨٩، ٢٠٩، ٦ / ٥، ٢٧.

(٦) انظر العمري: موارد الخطيب، ص ١٠٨ فما بعد.

(٧) ذكره الذهبي في مقدمة كتابه، وانظر مقدمة الدكتور أكرم للعمري لكتابه «المعرفة والتاريخ».

(٨) انظر العمري: موارد الخطيب، ص ١١٥.

(٩) تشير النقول إلى أنه ألف كتابًا في «الفتوح» ولا سيما في أيام الأمويين انظر مثلاً ٣ / ٣٣١، ٤ / ٨، ١٧٦، ٢٧٠، ٥ / ١٨٩، وانظر ترجمة الذهبي له في الورقة ٢٨٢ ـ ٢٨٤ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

٢٠٠هـ»[١] باعتبارهما متخصصين بالتأليف عن موضوع معين.

وتظهر عناية المؤلف في التخصص التأليفي أكثر وضوحًا في التراجم، إذْ تشير دراسة الموارد إلى أنه راعى في الأغلب الأعم الاعتماد على المؤلفات التي تخصصت بنمط معين من المترجمين زيادة على الموارد الأخرى. ولما كنا نعلم أن المؤلفين المسلمين قد أولوا هذه الناحية عنايتهم فلم يتركوا صنفًا من الناس عمومًا إلا ووضعوا فيهم الكتب المترجمة لهم[٢]، عرفنا سبب عناية الذهبي بهذا النمط من الموارد، ولا سيما إذا عرفنا أن مؤلفي هذه الكتب هم في الأغلب من صنف المترجمين المعنيين بهم، فأصبحوا عندئذ أعرف بهم من غيرهم.

ومن أمثلة عنايته بالتخصص أنه نقل تراجم الشعراء عن المؤلفين الذين عنوا بهم مثل أبي عبيدة معمر بن المثنى «ت ٢١٠هـ»[٣]، ومحمد بن سلام الجمحي «ت ٢٣١هـ»[٤]، وأبي الفرج الأصبهاني «ت ٣٥٦هـ»[٥]، والثعالبي «ت ٤٣٠هـ»[٦] والباخرزي «ت ٤٦٧هـ»[٧] والعماد الأصبهاني «ت

---

(١) انظر مقدمة تاريخ الإسلام، ١ / ١٥.

(٢) لقد أراد الذهبي أن يرتب تاريخه المحيط على نوعية المترجمين، وقد اتخذ السخاوي تنظيم الذهبي هذا وبحث عن المؤلفات التاريخية استنادًا إلى تقسيم الذهبي (الإعلان، ص ٥١٨ فما بعد).

(٣) له كتاب طبقات الشعراء لم يصل إلينا، وهو أقدم من صنف في الشعراء مفردًا، وقد رجح الذهبي وفاته في هذه السنة (تاريخ الإسلام، الورقة ٧٢ ـ ٧٣ أياصوفيا ٣٠٠٧) انظر ٦ / ٦٣ ـ ٦٤ (مطبوعة)، والورقة ٢٩٩ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٤) نقل من كتابه طبقات فحولة الشعراء نشره الشيخ محمود شاكر. انظر ٤ / ١١١، ١٥٠، ١٥١، ١٨٠، ٦ / ١٧٢.

(٥) في كتابه الأغاني وهو مطبوع مشهور. انظر مثلاً، ٤ / ١٥١ (مطبوعة) والورقة ١٥٩ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٦) في كتابه يتيمة الدهر وهو مطبوع، وقد رجح الذهبي وفاته سنة ٤٣٠هـ على سنة ٤٢٩هـ (الورقة ٣٠٦ ـ ٣٠٧ أياصوفيا ٣٠٠٩) وانظر الورقة ١١٨، ١٨٧، ١٩٦، ٢١٩، ٢٦٣ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٦٥ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٧) في كتابه دمية القصر وهو مطبوع، انظر الورقة ٤٦٣ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ١٨٧ (أحمد=

٥٩٦هـ»[١] وابن الشعار الموصلي «ت ٦٥٤هـ»[٢]، وابن بسام الشنتريني «ت ٥٤٢هـ»[٣]، زيادة على اعتماده المصادر الأدبية الأخرى التي تضمنت أخبارًا عنهم مثل: مؤلفات يونس بن حبيب النحوي «ت ١٨٢هـ»[٤]، والأصمعي «ت ٢١٦هـ»[٥]، والجاحظ «ت ٢٥٥هـ»[٦]، والزبير بن بكار «ت ٢٥٦هـ»[٧]، ونحوهم، زيادة على موارده من كتب التراجم الأخرى.

ويصح هذا الذي ذكرناه عن الشعراء مثلاً عن كل طائفة من التراجم التي أوردها في كتابه وكتب المؤلفون المسلمون كتبًا خاصة بهم حتى وإن كان مختلفًا معهم في العقيدة والمذهب؛ فنحن نعلم ـ مثلاً ـ أنه لا يرضى أخذ الحديث عن الرافضة، ولكننا نجده يعنى ـ حينما يترجم للشيعة أو غلاتهم ـ بالأخذ في كتابه عن الموارد التي تخصصت في تراجمهم، فنقل الكثير منها ـ مثلاً ـ عن الشيخ المفيد «ت ٤١٣هـ»[٨]، والنجاشي «ت ٤٥٠هـ»[٩] وابن أبي طي الغساني الحلبي «ت ٦٣٠هـ»[١٠]. وكان الذهبي قال في ترجمة ابن أبي طي الغساني المذكور:

= الثالث ١١ / ٢٩١٧).

(١) في كتابه خريدة القصر وجريدة العصر، وقد طبعت معظم أقسامه انظر الورقة ٩٠ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٢) في كتابه عقد الجمان في شعراء هذا الزمان، عندي منه نسخة خطية في ثماني مجلدات. انظر الورقة ٤٢ (أياصوفيا ٣٠١١)

(٣) في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة وهو مطبوع. انظر الورقة ٢٥٤ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٤) ٤ / ١٨٧ (مطبوعة).

(٥) ٤ / ١٨٠، ٦ / ٣٤ (مطبوعة).

(٦) ٣ / ٩٦، ٤ / ١٨٠ (مطبوعة) والورقة ٢٦ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٧) ٤ / ١٨٧، ١٨٨، ٢٩٢، ٦ / ١٢١، ١٢٢ وغيرها (مطبوعة).

(٨) الورقة ٨٩، ١١١ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٩) الورقة ١١١ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(١٠) الورقة ١٤٠ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧)، والورقة ٨٩ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٤١ ـ=

«. . . الغساني الحلبي الشيعي الرافضي مصنف تاريخ الشيعة، وهو مسودة في عدة مجلدات نقلت منه كثيرًا»[1].

ومن مظاهر ذلك أيضًا، عنايته البالغة بتتبع السير الخاصة التي ألفها المؤرخون عن إحدى الشخصيات، واعتمادها في كتابه، فنقل عن عشرات منها سواء أكانت سيرًا لسياسيين[2]، أم لأدباء[3]، أم لمحدثين[4]، أم لفقهاء[5]، أم لزهاد[6]، أم لمتصوفة[7].

على أن عناية الذهبي بالتخصص تتجلى في أحسن مظاهرها في العدد الضخم الذي وقف عليه من التواريخ المحلية، سواء أكانت هذه التواريخ مما عني بالحوادث الكائنة في ذلك البلد أم في ترجمة أهله والواردين عليه، فأخذ عن كل بلد من تواريخه الخاصة به. والحق أن الذهبي قلما ترك تاريخًا محليًا معروفًا ولم يستفد منه، وقد تأسف في المقدمة بسبب عدم وجود تواريخ لبعض البلدان، وعدم قدرته في الحصول على بعض منها[8]، مما يدل على شدة كلفه وعنايته بها.

= ١٤٢ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ١٦، ٧٧ (أياصوفيا ٣٠١١) وغيرها.

(١) الورقة ١٠٣ (أياصوفيا ٣٠١٢)، والورقة ١٤٧ ـ ١٥٠ (أياصوفيا ٣٠١١) وأرسل إلى الدكتور الفاضل حسين محفوظ مشكورًا مسودة بحث له عن «ابن أبي طي» ذكر له فيه واحدًا وعشرين كتابًا.

(٢) مثلاً الورقة ١٧٣، ١٧٤ (أحمد الثالث ١٥ / ٢٩١٧).

(٣) مثلاً، ٣ / ٦٥ (مطبوعة).

(٤) مثلاً الورقة ١٤٤، ٢٢٤ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٥) مثلاً الورقة ٢، ٥، ٥١، ١٠٧ ـ ١٠٨، ١٢٢ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٨٠ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٦) مثلاً الورقة ١١ ـ ١٢ (حلب).

(٧) ١ / ١٧ (مطبوعة).

(٨) ١ / ١٧ (مطبوعة).

رابعًا: طرائق النقل:

١ ـ الإشارة إلى المصادر:

اختلف المؤرخون المسلمون في الإشارة إلى المصادر التي ينقلون معلوماتهم عنها أو عدم الإشارة إليها. ولم يكن عدم الإشارة عيبًا كبيرًا عند المؤلفين آنذاك، وقد جرّبنا وجود كثرة من كبار المؤرخين لم يذكروا القسم الأكبر من مصادرهم مثل ابن الجوزي في «المنتظم»، وابن الأثير في «الكامل»، وبدر الدين العيني في «عقد الجمان»، وغيرهم. كما جربنا عدم ذكر المصادر أبدًا عند طائفة من ثقات المؤرخين كالمنذري في كتابه «التكملة»[1]. وفي الوقت نفسه وجدنا طائفة أخرى عنيت بذكر مصادرها، ولكنها تفاوتت في ذلك أيضًا حيث كان قسم منهم يذكر موارده بصورة دقيقة، بينما كان القسم الآخر يذكر مورده تارة ويغفله تارة أخرى.

أما الذهبي فكان من الذين اعتنوا بذكر مواردهم، سواء أكان ذلك في القسم الخاص بالحوادث أم في القسم الخاص بالتراجم.

ويبدو لنا أن عناية الذهبي بذكر مصادره قد جاءت نتيجة لطبيعة تربيته ونشأته العلمية، وعنايته الفائقة بالحديث وعلومه، وتعاطيه الرواية وشدة كلفه بها، وآية ذلك أن رواية الحديث بالأسانيد والتدقيق في رواته تعد أرقى أنواع ذكر المصادر وأدقها، فكان من الطبيعي جدًا أن يعنى الذهبي بذكر مصادره في تاريخه وبخاصة في القسم الخاص بالتراجم، نظرًا للصلة الوثيقة التي تربط الحديث بالتراجم التي لم تنشأ وتتطور إلا بسبب العناية بالحديث النبوي الشريف[2]. يزاد على ذلك الأهمية البالغة لضبط تراجم الرجال في تقويمه صحة المنقولات،

---

(١) راجع الفصل الذي كتبناه عن مصادر التكملة في كتابنا: المنذري وكتابه التكملة، ص ٢٧٢ فما بعد.

(٢) راجع كتابنا: أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين (بغداد ١٩٦٦م) وبحثنا: مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ، ص ٢٧ فما بعد، والعمري: بحوث، ص ٤٣ فما بعد، وروزنتال: مناهج العلماء المسلمين، ص ١١٥.

سواء أكان ذلك في الحديث أم في غيره، حيث كانت قيمة الروايات وصحتها تعتمد أولاً على قيمة ناقليها[1]. ولما كانت آراء العلماء ممن تؤخذ أقوالهم في الرجال تجريحًا وتعديلاً تحتل مكانًا بارزًا في محتويات الترجمة، كان لا بد من إيراد هذه الأقوال من مصادرها الأصيلة، وعزوها إلى أصحابها بشكل دقيق.

ومع كل ذلك فإن الذهبي لم يتبع دائمًا أسلوبًا علميًا واضحًا في ذكر مصادره، قياسًا بمناهج البحث العلمي في عصرنا، فهو في معظم الأحيان يذكر المؤلِّف ولا يذكر كتابه فيقتصر مثلاً على القول: «قال خليفة»، أو «قاله الإدريسي»، أو «ذكره المنذري» ونحو ذلك، مع أن كثيرًا من المؤلفين الذين أخذ عنهم، قد ألفوا أكثر من كتاب. ثم نجده في كثير من الأحيان التي يذكر فيها اسم الكتاب لا يعنى بذكر عنوانه الذي وضعه له مؤلفه، ويكتفي بإطلاق لفظ «تاريخ» عليه، نحو قوله مثلاً: «قال ابن خلكان في تاريخه»[2]، و«قال موفق الدين ابن أبي أصيبعة في تاريخه»[3]، و«ذكره أبو شامة في تاريخه»[4]، و«قال السلمي في تاريخه»[5] وهلم جرًّا.

ولا شك أن ذكر اسم المؤلف وإغفال اسم كتابه يسبب الكثير من الإرباك للباحثين، ليس في الخلط بين كتاب وآخر من كتبه حسب، ولكن في معرفة

---

(١) قال الشافعي: «ولا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخبر وكذبه، إلا في الخاص القليل من الحديث، وذلك أن يستدل على الصدق والكذب فيه بأن يحدث المحدث ما لا يجوز أن يكون مثله، أو يخالفه ما هو أثبت وأكثر دلالات بالصدق منه» (الرسالة ص ٣٩٩) وعن هذا الموضوع انظر أيضًا: الرسالة، ص ٢١٧، ٣٢٢، ٣٤١، ٥٤٤، والطبري: تاريخ ١ / ٣ - ٤ و J. Schacht Origins of Muhammadan Jurisprudence, P. 36.

(٢) انظر مثلاً الورقة ٦٩ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) ويريد به وفيات الأعيان.

(٣) انظر مثلاً الورقة ٣٨ (أياصوفيا ٣٠١١) ويريد به عيون الأنباء في طبقات الأطباء كما هو مشهور.

(٤) انظر مثلاً الورقة ٤٢ (أياصوفيا ٣٠١١) وقد اعتبر الذهبي كتاب الروضتين والذيل عليه كتابًا واحدًا.

(٥) انظر مثلاً الورقة ٢٣٦ (أياصوفيا ٣٠٠٨) ويريد به طبقات الصوفية.

الكتاب الواحد أيضًا. ولعل المثال الآتي يوضح هذه المسألة، فقد نقل الذهبي من كتاب «الوفيات» لأبي الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس البغدادي المتوفى سنة ٤١٢هـ[١]، ولكننا لم نعرف اسم كتابه لو لم يذكره في إحدى المرات موافقة في وفيات سنة ٣٩٧هـ حينما ترجم لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد ابن القصار البغدادي المالكي، ونقل ترجمته عن جملة من المؤرخين الذين ذكروا أن وفاته كانت سنة ٣٩٨هـ، فقال معلقًا: «قلت: الصحيح وفاته في هذه السنة في ثامن ذي القعدة، ضبطها ابن أبي الفوارس في الوفيات له»[٢]. ولم يكن بإمكان أحد أن يستنتج أن له كتابًا في «الوفيات» لو لم يذكره الذهبي تصريحًا، فالذهبي نفسه لم يذكره حينما ترجم له في تاريخ الإسلام[٣] وتذكرة الحفاظ[٤]، والمصادر الأخرى التي ترجمت له لم تذكر له من التآليف غير كتاب «الصحيح»[٥] و«الأمالي»[٦]. ولما بحث زميلنا الدكتور أكرم العمري في موارد الخطيب البغدادي، وجد أن الخطيب قد اقتبس منه (١٩٢) نصًا في كتابه «تاريخ مدينة السلام» منها (١٧٥) نصًا نقلها من كتابه مباشرة بلفظ «قرأت في أصل كتاب محمد بن أبي الفوارس بخط يده» و«قال». ولما لم يجد الدكتور العمري أحدًا ذكر له كتابًا، فإنه استرجم أن تكون بعض هذه النصوص من «معجم شيوخه»، ثم قال: «ويتبين من بعضها أن معجم شيوخه كان مرتبًا على سني الوفيات»[٧] وهو استنتاج جيد في مثل هذه الصعوبات[٨].

---

(١) انظر مثلاً الورقة ٨٧، ٩٤، ٩٦، ٩٩، ١١٨، ١٢٦، ١٣٠، ١٣١، ١٣٧، ١٤٤، ١٤٧، ١٥١، ١٥٢، ١٦٢، ١٨٠، ١٨٣، ٢١٤، ٢٤٠ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٢) الورقة ٢٤٠ من النسخة السابقة.

(٣) الورقة ١٢٢ ـ ١٢٣ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٤) ٣ / ١٠٥٣ ـ ١٠٥٤.

(٥) الخطيب: تاريخ بغداد ٢ / ٣٣٣.

(٦) المصدر السابق ١ / ٣٥٣، والكتاني: الرسالة ص ١٥٩ والعمري: موارد ص ٤٢٩.

(٧) العمري: موارد الخطيب، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ (أطروحة دكتوراة مطبوعة بالرونيو).

(٨) إن هذا هو السبب الذي جعلنا لا نعرف هذا الكتاب حينما كتبنا عن كتب الوفيات مجلة =

ومع ذلك، فإنه من الواجب القول: إن الذهبي كان يكتب للخاصة من العلماء بهذا الفن، ولذا فهو يفترض المعرفة عندهم، وإن ما كان شائعًا في تلك الأعصر قد يكون مغمورًا في وقتنا هذا. يزاد على ذلك أن طبيعة المادة المنقولة تؤدي في كثير من الأحيان إلى معرفة اسم الكتاب عند أهل المعرفة، فقد نقل الذهبي عن أبي سعد عبد الرحمن بن محمد الإدريسي الإستراباذي المتوفى سنة ٤٠٥هـ بلفظ «قال الإدريسي» ولم يعين كتابه في أغلب النصوص، ونحن نعلم أن الإدريسي ألف تاريخين، أحدهما: لسمرقند والآخر لإستراباذ، فيكون من السهولة عندئذ معرفة الكتاب الذي ينقل منه، فإذا كان المترجم إستراباذيًا عرفنا أنه ينقل من «تاريخ إستراباذ»(١) وإذا كان سمرقنديًا عرفنا أنه ينقل من «تاريخ سمرقند»(٢). ومثل ذلك نقوله عن ابن نقطة المتوفى سنة ٦٢٩هـ، فإذا كان النقل يتعلق برواية المترجم لأحد كتب السنن أو المسانيد عرفنا أنه ينقل من كتابه «التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد»(٣)، وإذا كان في ضبط اسم أو نسبة أو اشتباه عرفنا أن ذلك من كتابه «إكمال الإكمال»(٤) الذي ذيل به على ابن ماكولا،

= الدراسات الإسلامية، العدد الثاني ١٩٦٨م. كما لم يذكره الدكتور العمري في كتب الوفيات، ص ٤٠٧ (من الأطروحة المذكورة).

(١) لم يصل إلينا هذا الكتاب، انظر من نقول الذهبي عنه الورقة ١٢٦، ١٨٤ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٧٧، ١٠١، ١٠٣، ١٦٥، ١٧٢ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٢) لم يصل إلينا. انظر ١٦، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) والورقة ٩٤، ١٣٧، ١٤٠، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٥ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٣) عندي منه نسخة مصورة عن النسخة الأزهرية رقم ١٣٧ مصطلح الحديث، وقد نقل الذهبي منه كثيرًا انظر مثلاً الورقة ٣، ٣٥، ٣٧، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥١، ٦٤، ٦٥، ٦٩، ٧٠، ٩٢، ١٠١، ١٠٦، ١١١، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٥٣، ١٥٥... إلـخ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٤) في خزانة كتبي ثلاث نسخ مصورة منه عن دار الكتب المصرية رقم ١٠ مصطلح الحديث، وعن الظاهرية رقم ٤٢٩ حديث، والمتحفة البريطانية رقم ٤٥٨٦ شرقي. انظر بعض النقول في الورقة ٣٤، ١١٨ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ١٥٨ (أياصوفيا ٣٠٠٦) والورقة=

وازداد يقيننا حينما قارنا النقول بكتابي ابن نقطة المذكورين.

٢ ـ عدم الإشارة إلى مواضع النقول:

لم يكن الذهبي يشير إلى مواضع النقول من الموارد التي ينقل عنها، وهو أمر طبيعي في عصر لم تعرف الطباعة فيه، وقام العلم على المخطوطات التي لم تتوافر منها إلا نسخ قليلة، ولذلك فإن اتباع الأساليب الحديثة في الإشارة إلى المصادر يبدو أمرًا مستحيلاً. على أن الفكر التأليفي الإسلامي استطاع أن يحل هذا الإشكال في عنايته بتنظيم الكتب، فنظمها بحسب السنين، والأنساب، والحروف، والوفيات، والطبقات، ونحو ذلك، فكان من السهل على من يريد الوقوف على نص أن يرجع إلى ذلك الكتاب فيجده بسرعة إذا كان عارفًا بتنظيمه، ولذلك رأينا الذهبي يعنى عند النقل عن مترجِم ما بذكر مكان الخبر إذا لم يكن في ترجمته من الكتاب الذي ينقل عنه نحو قوله ـ مثلاً ـ في ترجمة أبي بكر محمد ابن علي الحداد البغدادي، من وفيات سنة ٤٥٧هـ: «حكى عنه الخطيب في ترجمة دعلج»[١].

٣ ـ بداية النقل وانتهاؤه:

كان الذهبي يشير إلى بداية نقله عن مؤلِّف ما باستعمال العبارات الدالة على ذلك نحو قوله: «قال»، و«ذكر»، وما إليهما في مقدمة النص المنقول. أما انتهاء النقل فيشير إليه بإيراد نص آخر واستعماله لفظًا يدل على بداية نقل جديد، أو باستعماله كلمة «قلت» عندما يريد أن يعبر عن رأيه في نص أو مسألة من المسائل مما يتعلق بالحادثة أو الترجمة أو النص المنقول أو ناقله، زيادة على استعماله العبارات الدالة على الانتهاء نحو قوله مثلاً: «انتهى قول ابن أبي أصيبعة»[٢]، أو «آخر كلام عز الدين ابن الأثير»[٣]، ونحو ذلك. وقد لا يذكر

= ٥٩، ٧٨، ١٢٩، ١٥٤ (أياصوفيا ٣٠١١).

(١) الورقة ١٨٩ (أحمد الثالث ١١ / ٢٩١٧).

(٢) الورقة ٨٠ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٣) الورقة ٢٤٤ من النسخة نفسها.

الذهبي بداية النقل ويرجئ ذلك إلى نهاية النص ويعبر عنه بما يدل عليه، نحو قوله: «قاله خليفة»[1]، أو «قاله الفلاس»[2] أو «قال يحيى بن مندة ذلك»[3]، أو «ذكر هذا ابن الساعي»[4]، و«ذكر هذا كله المسبحي»[5]، و«نقلت هذا كله من خط السيف بن المجد»[6]، أو «ورّخه»[7] فلان.

ومع هذا كله تبقى مسألة بداية النقل وانتهائه معقدة نسبيًا تثير للباحث بعض الإرباك إذا لم يكن عارفًا بمنهج المؤلف الذي ينقل منه، فقد تبين لنا ـ مثلاً ـ أن نقل الذهبي لجزء يسير من الترجمة عن مؤلف ما في الظاهر قد يعني في معظم الأحيان نقله لجميعها عنه، ولا سيما عند عدم ذكر مصدر آخر، ولنضرب لذلك مثلين توضيحيين: أولهما من تاريخ الخطيب، وثانيهما من التكملة للمنذري. قال الذهبي في وفيات سنة ٤١٣هـ: «محمد بن أحمد بن يوسف، أبو بكر البغدادي الصياد. سمع أبا بكر الشافعي وابن خلاد النصيبي ومحمد بن أحمد بن مُحْرِم[8] وأحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي وأحمد بن

---

(١) ٢ / ٣٥٣، ٥ / ٢٠٩ (مطبوعة).

(٢) ٤ / ١٦ (مطبوعة) وانظر أمثلة لذلك في ٢ / ٣١، ٤٥، ٣ / ١٢٦، ٤ / ٧ (مطبوعة) والورقة ٤، ٥، ٤٩، ٧٤، ٩٣، ١١٣، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٨، ١٨٦ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٢، ١٦، ٣٠، ٤٨، ٥٣ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) والورقة ٤، ١٠، ٤٢، ٤٤، ٦٧، ٧٢، ٩٨، ١١٨، ١٤٨، ٢٣٢، ٢٣٧، ٣٧٣ (أياصوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.

(٣) الورقة ٣٤٠ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٤) الورقة ٢٣٥ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٥) الورقة ٢٢٨ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٦) الورقة ٤٣ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٧) انظر مثلاً الورقة ٤، ٥، ٨، ١٠، ١١، ٢٧، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٧، ٩٣، ١١٣، ١١٤، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٣، ١٩٢، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٤١ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٩٠، ٢٠٥، ٢٨٧، ٢٩٢ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٨) بضم الميم وسكون الحاء وكسر الراء المهملتين كما في المشتبه ص ٥٧٩.

جعفر بن حمدان السقطي البصري، قال الخطيب: كتبنا عنه وكان ثقة صدوقًا انتخب عليه ابن أبي الفوارس. وتوفي في ربيع الأول، وكان مولده في سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة»[١]. فيخيل لأول وهلة أن الذهبي لم ينقل عن الخطيب غير العبارة التي جاءت بعد التصريح بالنقل «قال الخطيب»، ولكن المقارنة تبين أن الذهبي أخذ الترجمة كلها عن الخطيب[٢].

وقال في وفيات سنة ٦٣٣هـ: «عبد المنعم بن صالح بن أحمد بن محمد، أبو محمد المصري المسكي النحوي المعروف بالإسكندراني لسكناه بها يعلم العربية مدة. ولد في شعبان سنة سبع وأربعين وخمس مئة، وأخذ النحو عن العلامة أبي محمد عبد اللّه بن بري، وانقطع إليه مدة حتى أحكم الفن، وسمع من حماد الحراني. وروى شيئًا من شعره[٣]، وكان مليح الخط. كتب عنه الزكي المنذري، وقال: توفي في الثالث والعشرين من ربيع الآخر»[٤]. وحينما نقارن هذه الترجمة بما جاء في «التكملة» للمنذري نجد الذهبي قد نقلها بمجموعها منه[٥].

إن منهج النقل هذا يفسر لنا كثيرًا من الغموض الذي صاحب العلماء المسلمين في مناهجهم التأليفية، فحتى عند النص على النقل باستعمال الألفاظ الدالة عليه تبقى أجزاء أساسية من المادة التاريخية لا يعرف لها أصل في الظاهر، وذلك أكثر تعقيدًا في التراجم، حيث نجد من الطبيعي أن يذكر الناقل اسم المترجم ونسبه وكنيته ولقبه قبل أن يصرح بالنقل عن الآخرين، ومن غير المعقول أن يبدأ بذكر اسم الشخص بلفظِ نقْلٍ نحو: «قال» و«ذكر» لما لذلك من ركة في التصنيف. ومع ذلك فإن ذكر أجزاء أخرى من الترجمة مثل الشيوخ

---

(١) الورقة ١٣٧ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٢) قارن الخطيب: تاريخ بغداد ١ / ٣٧٨.

(٣) الضمير هنا يعود إلى المترجم.

(٤) الورقة ١٣٦ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٥) م٨ / ١٥١٠ (من الطبعة الماجستيرية).

وتاريخ الميلاد أو نحوهما من غير تصريح بالنقل، لا يفسر إلا بافتراض الناقل معرفة عند القارئ وفهمًا لما قام به. أما القول بأن هذه الأقسام غير المصرح بها هي من معلومات المؤلف العامة الشائعة، أو أنها من زيادات المؤلفين أنفسهم[١]، فهو أمر يحتاج إلى إعادة نظر بلا ريب.

٤ ـ دلالات النقل عند عدم التصريح به:

أما في حالة عدم وجود الألفاظ الدالة على النقل فيخيل للمرء لأول وهلة أن الذهبي لا يذكر موارده. وليس الأمر كذلك، فقد تبين لنا بعد المقارنات الدقيقة الكثيرة أن الذهبي يستعمل ألفاظًا معينة في أثناء الترجمة لتدل على النقل من غير تصريح به تأتي في آخرها عادة. ومن هذه الألفاظ: «روى عنه»[٢] فلان، و«وثَّقه»[٣] فلان، و«كتب عنه»[٤] فلان، و«حكى عنه»[٥] فلان، و«أجاز لفلان»[٦]، و«ضعفه»[٧] فلان، ونحوها. ومما يؤكد ذلك أن الذهبي يستعمل في مواضع أخرى هذه الألفاظ ويلحق بها ألفاظ النقل الصريح، نحو قوله: «روى عنه أبو

---

(١) راجع رسالة الزميل الدكتور أكرم العمري: موارد الخطيب، حيث عقد المبحث الثالث من الفصل الثالث بعنوان «طبيعة المادة التي أضافها الخطيب ولم يسندها إلى شيوخه» ص ٨٦ فما بعد. (وحين قمنا بتحقيق «تاريخ الإسلام» فيما بعد كان من منهجنا الإحالة في الحواشي على المصدر الرئيس الذي اقتبس منه المؤلف جُلّ الترجمة، وهو أمر يدرك القارئ العالم صعوبته ودقته).

(٢) انظر مثلاً الورقة ٧، ٨، ٩، ٢٠، ٢٥، ٥٨، ٦٠، ٦٢، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ١١٤، ١١٩، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٧ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ١٢٠، ١٢٥، ١٦٧ (أياصوفيا ٣٠٠٨) وغيرها كثير.

(٣) مثلاً الورقة ٢، ١٠، ١٤، ١٦، ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٣٠، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٥١، ٥٤... إلخ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٤) انظر مثلاً ١٤٥، ١٤٩، ٢١٣ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٥) مثلاً ١٣٣، ١٤٢ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٦) انظر مثلاً ١٣، ٢٠، ٣٠، ٣٤، ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٧٢، ٨١... إلخ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٧) انظر مثلاً ١٢٨، ١٣٢، ١٤١ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

عبد الله الدبيثي وقال...»[1]، و«سمع منه الضياء المقدسي وقال...»[2]، و«وثقة الخطيب وقال»[3]، و«كتب عنه أبو سعيد بن يونس وورخ موته فيها»[4]، ونحو ذلك.

ومن أجل توضيح ذلك نورد بعض الأمثلة: فقد نقل الذهبي من «تاريخ مدينة السلام» للخطيب كثيرًا من التراجم باستعمال عبارة «وثقه الخطيب»، وهذه واحدة منها، قال في وفيات سنة ٣٢٣هـ: «محمد بن أحمد بن أسد، أبو بكر الحافظ ويعرف بابن البستنبان ويلقب كزاز. سمع الزبير بن بكار وعيسى بن أبي حرب وجماعة، وعنه الدارقطني والمعافى الجريري. وثقه الخطيب، وعاش اثنتين وثمانين سنة»[5].

---

(١) الورقة ١٥، ٤٣، ٧٦ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٢) الورقة ٦٠ من النسخة السابقة.

(٣) الورقة ١٥، ١٦، ٢٠، ٤٠ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٢٧، ٧١، ١٢٦، ٢١٤، ٢٤٠، ٢٤١ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٢٥ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) وغيرها.

(٤) الورقة ٣ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٥) الورقة ١٢٧ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) وقارن الخطيب ١ / ٢٧٩. وقارن أيضًا:

اسم المترجم	سنة وفاته	تاريخ الإسلام أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧	تاريخ مدينة السلام للخطيب
محمد بن علي بن إسماعيل، أبو عبد الله الأيلي	٣٢٩	الورقة ١٦١	٣ / ٧٧ ـ ٧٨
محمد بن أحمد بن يوسف أبو بكر الطائي الكوفي	٣٤٥	الورقة ٢٢٧	١ / ٣٧٦ ـ ٣٧٧
محمد بن معن بن هشام أبو بكر الفارسي	٣٤٥	الورقة ٢٢٨	٣ / ٣١١ ـ ٣١٢
محمد بن أحمد بن محمد أبو الفضل النيسابوري ثم البغدادي الصيرفي.	٣٤٧	الورقة ٢٣٨	١ / ٣٤٠ ـ ٣٤١

وانظر أيضًا الورقة: ٥١، ٥٤، ٦٥، ٦٩، ٧١، ٧٥، ٧٦، ٨١، ٨٤، ٩٣، ٩٤، ١٠٢، ١٦، ١١٩، ١٢٦، ١٢٧، ١٣١، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٥، ١٧٤، ١٨١، ١٨٣، ١٨٥، ١٩٦، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٧ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ٢٥ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧) والورقة ٨٠، ١١٩، ١٤٧، ١٧٠ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

ونقل الذهبي كثيرًا عن «معجم أسامي مشايخ أبي علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد»[1] المتوفى سنة ٥١٥هـ من غير إشارة له، بل اكتفى بالقول في نهاية التراجم: «روى عنه أبو علي الحداد»، أو «روى عنه الحداد» ونحوهما. وبعد مقارنة هذه التراجم بما وصل إلينا من هذا المعجم تبين أن الذهبي قد سلخ تراجمه[2].

ومن ذلك أيضًا نقله عن المنذري باستعمال لفظ «كتب عنه»، قال في وفيات سنة ٦٣١هـ: «الخضر بن بدران بن بُغْرَى، الأديب أبو العباس التركي الشاعر. من أولاد الأمراء المصريين، وله شعر كثير. وكان شيخًا كبيرًا عاش ثمانيًا وثمانين سنة. كتب عنه الزكي المنذري وغيره، ومات في ربيع الأول»[3]. وكان المنذري قال في وفيات السنة المذكورة: «وفي شهر ربيع الأول أيضًا توفي الشيخ الأجل الأديب أبو العباس الخضر بن بدران بن بُغْرَى بن حطان بن كمشتكين بن عبد الله التركي الشاعر بمصر. وكتبت عنه شيئًا من شعره، وله شعر كثير. وهو من أولاد الأمراء المصريين. وقال لي في سنة ثلاث وعشرين

---

(١) وهو برواية أبي الحسن مسعود بن أبي منصور بن محمد الخياط عنه. عندي منه نسخة بخطي نسختها في آخر صفر سنة ١٣٨٦هـ عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٦م مصطلح الحديث. وقد صححتها ورقمت تراجمها وعددها (٨١) ترجمة: فيها المحمدون، وسبع تراجم من الأحمدين.

(٢) قارن مثلاً:

اسم المترجم	تاريخ الوفاة	تاريخ الإسلام (أياصوفيا ٣٠٠٩)	المعجم
محمد بن إبراهيم بن علي، أبو ذر الصالحاني	٤٤٠	الورقة ٣٧٩	الترجمة رقم ٢٣
محمد بن علي بن محمد بن علي، أبو بكر الحللي	٤٤٠	الورقة ٣٨٦	الترجمة رقم ٩
محمد بن عبد الله بن فضلوية	٤٤٢	الورقة ٤٠٢	الترجمة رقم ٢٨
محمد بن مهران الخويي	٤٤٢	الورقة ٤٠٤	الترجمة رقم ٢٧
محمد بن الفضل بن محمد القاساني	٤٤٥	الورقة ٤٢٨	الترجمة رقم ٥٧
محمد بن الحسين بن عبد الله البرجي	٤٤٨	الورقة ٤٥٦	الترجمة رقم ٣٧.

(٣) الورقة ١٢٩ (أياصوفيا ٣٠١٢).

وست مئة: لي الآن ثمانون سنة»[١]. وهكذا أعاد الذهبي ترتيب الترجمة استنادًا إلى ما ورد في «التكملة» للمنذري.

على أني أود أن أشير هنا إلى أن مثل هذه النقول تكون عادة حينما يقتصر الذهبي على مؤلف واحد في النقل.

٥ ـ الدقة في النقل:

لا نعني بدقة النقل هنا نقل النصوص الحرفي، بل نقل المعلومات بصورة صحيحة ودقيقة بحيث لا تجد اختلافًا في المادة التاريخية عند المقارنة. وقد استعمل الذهبي طريقة النقل الحرفي تارة وأغفلها تارة أخرى، لكنه على أية حال كان دقيقًا في نقله، متثبتًا منه، دلت على ذلك المقارنات التي أجريناها بين كتابه وبين بعض ما وصل إلينا من كتب[٢].

وغالبًا ما كان الذهبي يعنى بنقل النصوص بألفاظها في الحالات التي تستحق ذلك وتتطلبه مثل أقوال العلماء في الجرح والتعديل، ونصوص الكتب والتوقيعات التي يوردها في كتابه، والمقطعات والقصائد الشعرية، والقطع الأدبية، ونصوص الحكايات والمناقشات بين العلماء، فضلاً عن الروايات المسندة إلى شيوخه، ونصوص الأحاديث النبوية الشريفة. فكان يؤكد ذلك بالألفاظ والعبارات الدالة عليها، نحو قوله: «قال سفيان، وشعبة واللفظ له»[٣]، وقوله: «وقال موسى بن عقبة وابن شهاب وعروة ـ واللفظ لموسى ـ قالوا...»[٤]، وقوله: «وقال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، ورواه موسى

---

(١) التكملة م٧ / ١٤٥٩ من الطبعة الماجستيرية.

(٢) ومن قبل هذا كنت اعتمدت تاريخ الإسلام للذهبي في تصحيح الكتب التي حققتها، منها: كتاب التكملة لوفيات النقلة لزكي الدين المنذري، وكتاب ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد لابن الدبيثي، وكتاب مشيخة النعال البغدادي وغيرها، وثبَّتُّ المقارنات في هوامش هذه الكتب، ومنها تظهر دقة نقول الذهبي.

(٣) الورقة ٥٦ (أياصوفيا ٣٠٠٥).

(٤) الورقة ١٦٨ (سعودية).

ابن عقبة ـ واللفظ له ـ قال»[١]، و«وقال يونس بن بكير والبكائي ـ واللفظ له ـ عن ابن إسحاق»[٢]، و«هذا لفظ حكاية محمد بن طرخان عن ولده عبد الولي»[٣]، ونحو ذلك من العبارات المحددة للنقل نصًا[٤].

أما إذا انتقى من النص أو لخصه فإنه يشير إلى ذلك أيضًا، نحو قوله: «لخصت ترجمته من الإرشاد للخليلي»[٥]، و«اختصرت هذا من السياق لعبد الغافر»[٦]، و«له ترجمة في طبقات شيروية هذا منها»[٧]، وقال في ترجمة شهاب الدين الغوري: «استوفى ابن الأثير ترجمته وهذه نخبتها»[٨]. وإذا غير ألفاظ خبر نقله عن مؤلف آخر وكتبه بأسلوبه أو بمعناه نبه إلى ذلك ودلل عليه، نحو قوله عند حديثه عن استيلاء التتار على الدولة الخوارزمية سنة ٦١٧هـ: «هذا معنى ما ذكره أبو سعد شهاب الدين النسوي»[٩]. وإذا لم يكن يحفظ خبرًا شفويًا بصورة جيدة أشار إلى ذلك ونبه عليه، نحو قوله: «هذه حكاية حكاها لنا الشيخ أبو الحسين اليونيني ولا أحفظها جيدًا»[١٠]، وأمثلة ذلك كثيرة في الكتاب.

على أننا رأينا الذهبي في الأغلب الأعم يحرر الأخبار والتراجم على طريقته، وخاصة في التراجم، فقد عرفناه محررًا تراجميًا لا يتبع أسلوب أحد في عرض الترجمة الداخلي بل يصوغها بنفسه، فهو حتى عند نقله عن مؤلِّف واحد يعيد تركيب الترجمة بشكل قد يختلف عن ترتيب الكتاب المنقول

---

(١) الورقة ١٥٩ (سعودية).

(٢) الورقة ١١٢ (سعودية).

(٣) الورقة ٥٦ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٤) الورقة ١٦٩، ٢٢٠ (سعودية) ١ / ١٧٧، ١٧٩ (مطبوعة).

(٥) الورقة ٢٩ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٦) الورقة ١٨٨ (أحمد الثالث ١١ / ٢٩١٧).

(٧) الورقة ١٤٨ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٨) الورقة ١٢ (أياصوفيا ٣٠١١).

(٩) الورقة ٢٤٤ (أياصوفيا ٣٠١١).

(١٠) الورقة ١٨٠ (أياصوفيا ٣٠١١).

عنه[١]، وقد يضطر إلى تجميع عناصر الترجمة من عدة مؤلفين، فينقل كل قسم عن واحد أو أكثر[٢]. ولم يجد الذهبي ما يمنعه من نقل الأخبار وإعادة صياغتها ما دام ملزِمًا نفسه بالدقة والأمانة، ولا سيما في نقل خبر من الأخبار العامة التي لا تؤثر في قيمتها الصياغة كتاريخ وفاة أو ميلاد أو قيام بعمل ما، أو اختصار في أسماء الشيوخ، ونحو ذلك. وقد أيقنت أن الذهبي كان لا بد أن يتصرف في مثل هذه النقول، وإلا صعب عليه عرض التراجم كما يريد، ولعل المثال الآتي يوضح ذلك: قال في ترجمة أبي جعفر المنصور: «قال شباب[٣]: أقام الحج للناس أبو جعفر سنة ست وثلاثين، وسنة أربعين، وسنة أربع وأربعين، وسنة اثنتين وخمسين، زاد الفسوي[٤]: أنه حج أيضًا سنة سبع وأربعين ومئة»[٥].

ولننظر الآن إلى هذين المصدرين اللذين أخذ عنهما الذهبي وهما «تاريخ»[٦] خليفة بن خياط المعروف بشباب العصفري المتوفى سنة ٢٤٠هـ، و«المعرفة والتاريخ»[٧] لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي المتوفى سنة ٢٧٧هـ. فلا نجد عند خليفة نصًا كالذي ذكره الذهبي، بل نجد خليفة يذكر إقامة المنصور للحج في السنوات التي ذكرها الذهبي، فذكر السنة الأولى وهي سنة ١٣٦هـ في قائمة أمراء الموسم على عهد أبي العباس

---

(١) انظر أعلاه بعض الأمثلة التي أتينا بها للمقارنة.

(٢) انظر أعلاه كلامنا على منهجه في الموارد.

(٣) هو خليفة بن خياط العصفري المعروف بشباب (ت ٢٤٠هـ).

(٤) ي ٦ / ٢١٦ (مطبوعة).

(٥) قوله: «زاد الفسوي» فيه نظر، فإننا وجدنا خليفة يذكر إقامة المنصور للحج سنة ١٤٧هـ تاريخ، ص ٤٢٤، فهناك ثلاثة احتمالات، أولها: أن تكون النسخة التي نقل عنها الذهبي لم تحتو على هذا النص، وثانيها: أن تكون هذه العبارة قد زيدت فيما بعد إلى النسخة التي طبع عليها الكتاب وهو مستبعد، وثالثها: أن يكون الذهبي ذهل عن رؤية هذا النص فتوهم بعدم ذكر خليفة له.

(٦) حققه الدكتور أكرم العمري ونشره بمعونة المجمع العلمي العراقي (النجف ١٩٦٧م).

(٧) حققه الدكتور العمري أيضًا ونشره ديوان الأوقاف العراقي بنفقاته (بغداد ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥م).

السفاح[1]، أما السنوات الثلاث الباقيات فقد ذكر إقامة المنصور للحج في حوادثهن كلاً على انفراد[2]. كما ذكر الفسوي إقامة المنصور للحج في حوادث السنوات[3]. وهكذا جمع الذهبي عددًا من النصوص، وألف منها نصًا واحدًا.

٦ ـ المقارنة بين الروايات وترجيح الصحيح منها:

قلنا سابقًا: إن الذهبي اعتمد عددًا ضخمًا من الموارد، فكان من نتيجة ذلك أن أصبحت لديه موارد تأتلف في معلوماتها وأخرى تختلف عنها. ومن هنا كان على الذهبي أن يجمع الروايات المؤتلفة ويفرزها عن الروايات المختلفة، فاتبع أسلوب جمع الروايات. ولعله تأثر في ذلك بطريقة المحدثين، وهو منهم، الذين اخترعوا الإسناد الجمعي للتخلص من تكرار الأسانيد[4]، نحو قوله: «وقال الزهري وقتادة وموسى بن عقبة وابن إسحاق والواقدي وسعيد بن يحيى الأموي...»[5]، وقوله: «قاله نافع وقتادة والزهري وابن إسحاق وغيرهم وعروة في مغازيه رواية أبي الأسود...»[6]، وقوله: «وأما المنذري وابن خلكان وابن الساعي وأبو المظفر الجوزي وشيخنا ابن الظاهري فقالوا»[7]. ومعظم الكتاب على هذا النحو، فهو منهج للذهبي لم يحد عنه، وذلك يدل على قابلية عظيمة في استقصاء هذا العدد الكبير من المصادر وتجميعها وعرضها.

إن هذا الاختلاف الكبير بين الروايات دفعه إلى محاولة ترجيح ما يراه صحيحًا منها متبعًا أسسًا معينة، من أبرزها:

---

(١) تاريخ ٢ / ٤٤٠.

(٢) ٢ / ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٥٤.

(٣) المعرفة والتاريخ م٢ / ١١٦، ١٢٢، ١٢٨، ١٣١، ١٣٨.

(٤) وهو أن يجمع المحدث شيوخه الذين حدثوه عن شيخ معين بإسناد واحد ولحديث معين في مكان واحد فيذكر الشيوخ ثم يتبعهم بقوله: قالوا. ويعود استعمال الإسناد الجمعي إلى مطلع القرن الثاني الهجري كما هو معروف.

(٥) ١ / ٧٣.

(٦) الورقة ١٣٥ (سعودية).

(٧) الورقة ٩٦ (أياصوفيا ٣٠١٢).

أ ـ معرفة الراوي وخبرته:

لقد كان يرجح المصدر الذي هو أعرف بالخبر من غيره بسبب اتصاله بالحادثة أو معاصرته لها، نحو قوله: «ضعفه أبو زرعة وذكره ابن حبان في الثقات وأبو زرعة أعرف»[(١)]، وقوله في مولد عروة بن الزبير: «ولد سنة تسع وعشرين. قاله مصعب، وقال خليفة: ولد سنة ثلاث وعشرين، ومصعب أخبر بنسبه، ويقويه قول هشام بن عروة عن أبيه، قال: أذكر أن أبي الزبيرَ كان ينقزني... ويقوي قول خليفة ما روى الزبير بن بكار عن محمد بن الضحاك الحزامي، قال: قال عروة: وقفت وأنا غلام وقد حصروا عثمان. وروى الفسوي في تاريخه عند ذكر عروة فقال: حدثني... عن عروة قال: كنت غلامًا لي ذؤابتان فقمت أركع بعد العصر، فبصر بي عمر بن الخطاب ومعه الدِّرة ففررت منه... قلت: هذا حديث منكر مع نظافة رجاله. قال هشام عن أبيه، قال: رُددت أنا وأبو بكر بن عبد الرحمن يوم الجمل واستصغرنا، قال يحيى بن معين: كان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة. وقال هشام عن أبيه: ما ماتت عائشة حتى تركتها قبل ذلك بثلاث سنين. وقال مبارك بن فضالة عن هشام عن أبيه، قال: لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع حجج...»[(٢)]. ويتضح اهتمام الذهبي بالمشاهدة والمعاصرة في الخبر الذي نقله عن سبب وفاة محمد بن يعقوب بن يوسف أمير المؤمنين سنة ٦١٠هـ، فقد نقل أولاً من تاريخ إبراهيم بن محمد الجزري «ت ٧٣٩هـ» الذي ذكر أن حرسه قتلوه خطأ، ثم قال بعد ذلك: «وأما عبد الواحد بن علي المراكشي «ت ٦٤٧هـ» فإنه يقول في كتابه المعجب: إن أبا عبد اللّه مرض بالسكتة في أول شعبان ومات في خامسه. وهذا هو الصحيح لأنه أدرك موته وكان شاهدًا»[(٣)].

ب ـ الوقوف على الوثائق والخطوط:

وكان يرجح رواية على أخرى بعد تقويتها بما يقف عليه من وثائق وخطوط

---

(١) الورقة ٦٣ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٢) ٤ / ٣١ ـ ٣٢ (مطبوعة).

(٣) الورقة ٨٤ (أياصوفيا ٣٠١١).

تؤيد ترجيحه، نحو قوله في تحديد وفاة عز الدين ابن الأثير المؤرخ: «رأيت تصحيحه على طبقة تاريخها في نصف شعبان سنة ثلاثين»[١]. ولما اختلف المؤرخون الذين ترجموا لابن دحية الكلبي «ت ٦٣٣هـ» مثل أبي عبد اللّه ابن الأبار وابن الدبيثي والضياء المقدسي والتقي الإسعردي وابن نقطة وابن مسدي وابن واصل الحموي في تقويمه وروايته لكتاب «الموطأ»، رجع الذهبي إلى طبقات السماع والإجازات وخطوط العلماء لتبيان صحة هذه الرواية وترجيحها[٢].

جـ ـ الاستفادة من الوقائع التاريخية الأخرى:

وقد يرجح رواية على أخرى لأن هناك من الوقائع التاريخية الثابتة عنده ما يؤيد هذا الترجيح. من ذلك مثلاً: أن المؤرخين اختلفوا في تاريخ وفاة عبد اللّه ابن عمر بن الخطاب، فذكر الهيثم بن عدي وأبو نعيم وعلي ابن المديني وأبو بكر ابن أبي شيبة وأبو مسهر أنه توفي سنة ٧٣هـ، وقال خليفة بن خياط وسعيد بن عفير: إنها كانت سنة ٧٤هـ. وقد رجح الذهبي التاريخ الأخير بالرغم من اتفاق جملة من المؤرخين الثقات في التاريخ الأول مستدلاً بصلاة ابن عمر نفسه على جنازة رافع بن خديج الأنصاري الصحابي المشهور[٣] الذي توفي في أول سنة ٧٤هـ[٤]. وقال في ترجمة حنش بن عبد اللّه الصنعاني: «غزا المغرب وسكن إفريقية ولهذا عامة أصحابه مصريون، وتوفي غازيًا بإفريقية سنة مئة. وثقه العجلي، وأبو زرعة. وأما أبو سعيد بن يونس فقال: حنش الصنعاني كان مع عليّ بالكوفة وقدم مصر بعد قتل عليّ وغزا المغرب مع رويفع بن ثابت. . . وله عقب بمصر، وهو أول من ولي عشور إفريقية وبها توفي سنة مئة. وكذا قال الواقدي في وفاة حنش الصنعاني. قلت: وهم ابن يونس وابن عساكر في أنه

---

(١) الورقة ٩٦ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٢) الورقة ١٣٨ ـ ١٣٩ من النسخة السابقة.

(٣) ٣ / ١٨٤ (مطبوعة).

(٤) ٣ / ١٥٣ (مطبوعة).

صاحب عليّ لأن صاحب عليّ اسمه كما ذكرنا[١] حنش بن ربيعة أو ابن المعتمر وهو كناني كوفي، وقد روى عنه جماعة من الكوفيين كالحكم بن عتيبة و. . . الذين لم يروا مصر ولا إفريقية، فتبين أنهما رجلان. ولحنش صاحب علي ترجمة في الكامل لابن عدي»[٢].

د ـ مسايرة أكثر المؤرخين وعدم اعتداده بالشاذ:

إن الذهبي يعتمد جملة المؤرخين ويرجح روايتهم على رواية من تفرد عنهم إذا لم يكن لديه أدلة أخرى تؤيد رواية هذا المتفرد، نحو قوله في ترجمة حمْد بن محمد الخطابي البستي المتوفى سنة ٣٨٦هـ: «وقد سماه أبو منصور الثعالبي في كتاب اليتيمة أبا سليمان أحمد بن محمد، والصواب حمد كما قاله الجم الغفير»[٣]، وقوله في غزوة الحديبية: «خرج إليها رسول اللّه ﷺ في ذي القعدة سنة ست. قاله نافع وقتادة والزهري وابن إسحاق وغيرهم وعروة في مغازيه رواية أبي الأسود، وتفرد علي بن مسهر عن هشام عن أبيه أن رسول اللّه ﷺ خرج إلى الحديبية في رمضان»[٤].

هـ ـ الترجيح بعد التعليل:

ويعلل الذهبي نصًا من النصوص المتعارضة مع ترجيحه ويفسره مستندًا إلى معلوماته العامة، حيث أفاد مثلاً من معلوماته ـ عن بعض العادات العربية في احتساب التواريخ ـ في تعليل أحد النصوص وتفسيره، فقد نقل عن ابن إسحاق والواقدي أن غزوة الخندق كانت في سنة خمس للهجرة[٥]، ثم نقل بعد ذلك عن موسى بن عقبة وعروة بن الزبير أنها كانت في شوال من سنة أربع، ورجح الذهبي سنة خمس، وقال: «وقول موسى وعروة: إنها في سنة أربع وهم بيّن، ويشبهه

---

(١) ٣ / ٢٤٦ (مطبوعة).

(٢) ٣ / ٣٦١ (مطبوعة).

(٣) الورقة ١٩٦ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٤) الورقة ١٣٥ (سعودية).

(٥) الورقة ٩٩ (سعودية).

قول عبيد اللّه عن نافع عن ابن عمر: عرضني رسول اللّه ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يجزني فلما كان يوم الخندق عرضت عليه وأنا ابن خمس عشرة فأجازني، فيحمل قوله على أنه كان قد شرع في أربع عشرة سنة، وأنه يوم الخندق كان قد استكمل خمس عشرة سنة فلم يُعدَّ تلك الزيادة، والعرب تفعل هذا في عددها وتواريخها وأعمارها كثيرًا، فتارة يعتدون بالكسر ويعدونه سنة وتارة يسقطونه»[١]. ومن ذلك أيضًا قوله في نسب المؤرخ ابن الأثير: «كان يكتب بخطه: علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، وكذا ذكره الحافظ المنذري والقوصي في معجمه وابن الظاهري في تخريجه للصاحب مجد الدين العقيلي وأبو الفتح ابن الحاجب في معجمه وغيرهم، وهو على سبيل الاختصار، وله أشباه ونظائر، وإنما هو: علي بن محمد بن محمد، بلا ريب كما هو في تسمية أخويه وابن أخيه شرف الدين، وكذا ذكره القاضي ابن خلكان وأبو المظفر ابن الجوزي وابن الساعي وغيرهم، ويوضحه أن المنذري ذكر أخويه فقال: محمد بن محمد، مرتين»[٢].

٧ ـ انتقاء النسخ الموثقة والمقابلة بين المخطوطات:

كان الذهبي يعنى بانتقاء أصح نسخ الموارد التي يعتمدها وينقل منها، فكان يحاول دائمًا أن يأخذ من المصدر المكتوب بخط مؤلفه، أو أن يكون توقيعه عليه للتدليل على صحة النسخة، أو يكون بخط عالم متقن ثقة. وكانت غايته من ذلك التأكد من صحة المادة التاريخية والإشارة إلى دقتها، وتطمين القارئ إلى أنه لم يقع أي تصحيف أو تحريف على النص المنقول عنه مما قد يحدث على أيدي النساخ، فكان لذلك دائم الإشارة إلى كاتب النسخة التي ينقل منها سواء أكان الكتاب من تأليف كاتبه أم من تأليف غيره نحو قوله: «قرأت بخط الكندي في تذكرته»[٣]، و«نقلت هذا وما قبله من خط أمين الدين محمد بن أحمد

---

(١) الورقة ١٠٦ من النسخة السابقة.
(٢) الورقة ٩٦ (أياصوفيا ٣٠١٢).
(٣) الورقة ١٥٠ (أياصوفيا ٣٠١١).

ابن شهيد، قال: وجدت بخط عبد الغني بن سعيد الحافظ فذكر ذلك»[١]، و«وفاته بخط أبي حكيم أحمد بن إسماعيل بن فضلان العسكري اللغوي»[٢]، و«قرأت بخط الضياء»[٣]، و«قرأت بخط ابن نقطة»[٤]، و«قرأت بخط ابن مسدي»[٥]، و«وجدت بخط السيف ابن المجد»[٦]، و«قرأت بخط عمر ابن الحاجب»[٧]، و«قرأت وفاته بخط شيخنا ابن الظاهري»[٨]، و«شاهدت بخط والده»[٩]، ونحو قوله في ترجمة أبي حفص بن طبرزد البغدادي المتوفى سنة ٦٠٧هـ: «ورأيت بخط ابن طبرزد كتاب طبقات الحنابلة لأبي الحسين ابن الفراء»[١٠] وقوله في ترجمة أحمد بن محمد بن واجب القيسي الأندلسي المتوفى سنة ٦١٤هـ: «قرأت في فهرسته وخطه عليه»[١١] وغير هذا كثير في الكتاب.

وقد استفاد الذهبي من الرجوع إلى المصادر المكتوبة بخطوط مؤلفيها في نقده لهم وتبيان أوهامهم، من ذلك مثلاً أنه لما ترجم لموسى بن يوسف بن مسدي الزاهد نقل عن مصدرين من تأليف حفيده الحافظ محمد بن يوسف المعروف بابن مسدي المتوفى سنة ٦٦٣هـ، وهما: كتاب «لباس الخرقة» وكتاب «معجم شيوخه». وقد ذكر ابنُ مسدي في كتاب «لباس الخرقة أن جده توفي في

---

(١) الورقة ٨١ (أياصوفيا ٣٠٠٨).
(٢) الورقة ١٦٤ من النسخة السابقة.
(٣) الورقة ٢٠، ٦٥، ٧٢، ٨٨، ١٠٨، ١٣٩، ١٥٦، ١٨٥، ١٨٦، (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٨، ٣٨، ٤٠، ٤٦ . . . إلخ (أياصوفيا ٣٠١٢).
(٤) الورقة ٤٦، ٤٨ (أياصوفيا ٣٠١١).
(٥) الورقة ٨٦، ١٣٩، ١٦٦ من النسخة السابقة.
(٦) الورقة ١٣٩ (أياصوفيا ٣٠١٢).
(٧) الورقة ٦٩، ١٥٨ (أياصوفيا ٣٠١١) والورقة ٨٦ (أياصوفيا ٣٠١٢).
(٨) الورقة ٨٩ (أياصوفيا ٣٠١١).
(٩) الورقة ٥١ من النسخة السابقة.
(١٠) الورقة ٥٠ من النسخة السابقة.
(١١) الورقة ١٢١ من النسخة السابقة.

شوال سنة ٦٠٢هـ، فقال الذهبي: «كذا قال ابن مسدي في كتاب لباس الخرقة، وأما في معجم شيوخه، فقال: مات في رمضان سنة أربع وست مئة، نقلتهما من خطه في أحدهما»[١].

وقد اضطر الذهبي في بعض الأحيان عند عدم العثور على نسخة بخط المؤلف إلى مقابلة أكثر من نسخة في محاولة للوصول إلى نقل صحيح، فقد راجع نسختين من كتاب أحمد بن أبي طاهر لمعرفة مساحة بغداد إحداهما برواية الصولي والأخرى برواية غيره[٢]. ولما نقل الذهبي نسب آل بويه عن ابن خلكان في ترجمة معز الدولة، قال: «كذا ساق نسبه القاضي شمس الدين وعدّ ما بينه وبين بهرام ثلاثة عشر أبًا، وقابلته على نسختين»[٣].

* * *

---

(١) الورقة ٢٧ من النسخة السابقة.

(٢) ٦ / ٢١ (مطبوعة).

(٣) الورقة ٢٢ (أحمد الثالث ١٠ / ٢٩١٧).

الفصل الخامس
النقد

تمهيد:

اختلفت مناهج المؤرخين المسلمين في الاهتمام بالنقد، فاعتنت به طائفة منهم وأهملته طائفة أخرى. ثم وجدنا بعد ذلك تفاوتًا بين المعنيين به، فأكثر من الاهتمام به قسم منهم مثل الخطيب البغدادي «ت ٤٦٣هـ» وابن الدبيثي «ت ٦٣٧هـ» وابن النجار «ت ٦٤٣هـ»، بينما أولاه القسم الآخر عناية أقل، فلم يظهر في كتبهم بشكل واسع مثل المنذري «ت ٦٥٦هـ» وتلميذه عز الدين الحسيني «ت ٦٩٥هـ».

أما الذهبي فقد كان من المعنيين بالنقد كل العناية بحيث أصبح يحتل مكانًا بارزًا في كتبه، وألف الكتب الخاصة به، ولذلك وجدناه عظيم الاهتمام به في كتابه «تاريخ الإسلام»، مارسه في كل أقسامه وعدَّه جزءًا أساسيًا من منهجه في الدراسة التاريخية.

انطلق الذهبي في هذه العناية وذاك الاهتمام من تكوينه الفكري المتصل بدراسة الحديث النبوي الشريف وروايته ودرايته الذي يؤكد ضرورة تبيين أحوال الرواة ودرجة الوثوق بهم بتمييز الصادقين منهم عن الكاذبين، فسحبه بعد ذلك على جميع كتابه سواء أكان ذلك في تراجم المحدثين أم في غيرهم وسواء أكانوا من المتقدمين أم من المتأخرين، كما طبقه في نقد الأخبار أيضًا.

أولاً: أنواع النقد وأساليبه:

لم يقتصر الذهبي على نوع واحد من أنواع النقد، ولم يعن بمجال واحد من مجالاته، فقد عني بنقد المترجمين وتبيان أحوالهم، وأصدر أحكامًا وتقويمات تاريخية، وعني بنقد الروايات التي وجد مجالاً للنقد فيها.

١ ـ نقد الرجال:

يقوم نقد الرجال عند الذهبي عادة على إصدار حكم في المترجم وتبيان

حاله جرحًا أو تعديلاً، ويكون ذلك في الأغلب بإيراد آراء الثقات من المعاصرين فيه وانطباعاتهم الشخصية عنه، إذا كان المترجم من غير أهل عصره، ويكتفي بآرائهم أو يرد عليها أو يرجح رأيًا منها. أما الذين عاصرهم فيكون رأيه الشخصي هو الأساس في هذا النقد نظرًا لاتصاله بهم ومعرفته بأحوالهم.

وعلى الرغم من أن الغاية الأساسية من نشوء هذا النقد هو تبيان أحوال رجال الحديث، إلا أنه عني بتطبيقه على كثير من المترجمين في كتابه. وقد اعترض بعض معاصري الذهبي عليه في عنايته الكبيرة بالنقد بحساب أن الدواعي التي دعت إلى قيام النقد عند المتقدمين هي الوصول إلى تصحيح الحديث النبوي. ولما كان الحديث قد استقر في الكتب الرئيسة فما عادت هناك من حاجة إليه، وأن فائدته قد انقطعت منذ مطلع القرن الرابع الهجري، وممن صرح بهذا أبو عمرو محمد بن عثمان الغرناطي المعروف بابن المرابط «ت ٧٥٢هـ» الذي ادعى أن ذكر معايب الناس غيبة لا تجوز وإن كان المذكور من أهل الرواية[١]، قال ابن حجر: «ورأيت بخطه جزءًا حط فيه على الذهبي وترجمه ترجمة أفرط في ذمه فيها، وتعقبها برهان الدين ابن جماعة على الهامش»[٢]، كما أخذ عليه بعضهم نقده لغير الرواة واعتبروا أن ذلك مما لا فائدة فيه[٣]. ودافع السخاوي عن الذهبي وغيره ممن عنوا بالنقد في غير الرواة بقوله: «... بأن الملحوظ في تسويغ ذلك كونه نصيحة، ولا انحصار لها في الرواية، فقد ذكروا من الأماكن التي يجوز فيها ذكر المرء بما يكره، ولا يعد ذلك غيبة، بل هو نصيحة واجبة: أن تكون للمذكور ولاية لا يقوم بها على وجهها... أو يكون مبتدعًا من المتصوفة وغيرهم، أو فاسقًا ويرى من يتردد إليه للعلم أو للإرشاد ويخاف عليه عود الضرر من قِبَلِه فيعلمه ببيان حاله... أو غير ذلك من المحرمات، فكل ذلك جائز أو واجب ذكره ليحذر ضرره. وبهذا ظهر أن الجرح لم ينقطع، وأنه والحالة هذه من

---

(١) السخاوي: الإعلان، ص ٤٦٠، ٤٧٠، ٤٧٤.

(٢) ابن حجر: الدرر، ٤ / ١٦٤.

(٣) السبكي: الطبقات، ٢ / ١٤.

النصيحة الواجبة المثاب فاعلها»[1].

ونرى أن العلماء المسلمين، ومنهم السخاوي، قد برروا استعمال النقد في غير مجال الرواة بالفائدة المتوخاة منه للنصيحة ودفع الضرر. ومثل هذا التبرير قد يكون صحيحًا في حالة نقد المعاصرين فهو تفسير ساذج، حيث أن الذهبي وغيره لم يقتصروا على نقد المعاصرين من غير الرواة، بل تناولوا نقد السابقين أيضًا فيسأل عندئذ عن الغاية من نقد السابقين؟ كما أنهم لم يستطيعوا أن يوضحوا بجلاء سبب استمرار نقد الذهبي وغيره من المتأخرين المتقدمين بعد انقطاع الفائدة من مثل هذا النقد.

من كل ذلك يتضح أن تعليل مثل تلك الأمور لا يكون بمثل هذا اليُسر والسهولة، فهناك عوامل أكثر عمقًا دفعت الذهبي إلى مثل هذه العناية لعلنا نستطيع إبراز بعضها فيما يأتي:

(أ) استمرار العناية بالرواية، فعلى الرغم من أن تمييز الحديث الصحيح عن غيره قد استقر بعد ظهور الكتب الستة وبعض المجاميع الحديثية الأخرى فإن المسلمين لم يتركوا الرواية، بل ازدادوا عناية بها تقليدًا للسابقين من جهة، وتدينًا وحبًا بالحديث وروايته من جهة أخرى. ومعنى ذلك استمرار الإسناد ومن ثم ضرورة استمرار النقد في كل عصر لتبيان أحوال الرواة[2].

(ب) لم يتقبل الذهبي آراء النقاد السابقين بعدِّها مسلمات لا يمكن ردها أو الطعن فيها دائمًا بالرغم من احترامه الشديد للثقات منهم ومدحه الكثير لهم. ويبدو أنه عدَّ باب الاجتهاد في النقد ما زال مفتوحًا، لذلك عني به كل هذه

---

(١) الإعلان، ص ٤٦١ - ٤٦٢.

(٢) ركّز الذهبي في كتابه الميزان على الرواة القدماء وعد مطلع القرن الرابع الهجري هو الحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر، وذكر أنه لو فتح على نفسه تناول المتأخرين لما سلم معه إلا القليل، إذ «الأكثر لا يدرون ما يروون، ولا يعرفون هذا الشأن، إنما سمعوا في الصغر، واحتيج إلى علو سندهم في الكبر، فالعمدة على من قرأ لهم، وعلى من أثبت طباق السماع لهم». ١ / ٤، ولكنه تناولهم في تاريخ الإسلام.

العناية، يدل على ذلك رده لآراء كثير من كبار النقاد وعدم قبولها مثل أحمد بن صالح المصري «ت ٢٤٨هـ»[١]، وأحمد بن عبد اللّه العجلي «ت ٢٦١هـ»[٢]، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي «ت ٣٢٧هـ»[٣] وابن عدي «ت ٣٦٥هـ»[٤]، وابن حبان البستي «ت ٣٥٤هـ»[٥]، ومحمد بن إسحاق بن مندة «ت ٣٩٥هـ»[٦]، والخطيب البغدادي «ت ٤٦٣هـ»[٧]، وابن عساكر «ت ٥٧١هـ»[٨]، وابن الصلاح «ت ٦٤٣هـ»[٩]، وغيرهم مما يطول ذكره، ولعل كتابه «الميزان» أحسن دلالة على ذلك.

(جـ) أن النقد أصبح جزءًا من مفهومه التاريخي، لذلك حاول تطبيقه في كل موضع من كتابه. وقد أخطأ كثير ممن فسر نقده لكبار العلماء ـ من غير الرواة أو الملوك أو أرباب الولايات أو نحوهم ـ بأنه من صنف «نقد الرجال»، بل هو حكم تاريخي الغاية منه تقويم المترجم كما سيأتي.

ويراعي الذهبي في مثل هذا النوع من النقد أن يورد ما يبين حال المترجم مما يتصل بعقيدته كأن يكون شيعيًا[١٠]، أو رافضيًا[١١]، أو معتزليًا[١٢]، أو

---

(١) مثلاً الورقة ٢٣٠ (أياصوفيا ٣٠٠٦).
(٢) مثلاً الورقة ١١٩ (أياصوفيا ٣٠٠٧).
(٣) مثلاً الورقة ١٢٧ (أحمد الثالث ٧ / ٢٩١٧).
(٤) مثلاً الورقة ١٤٠ (أياصوفيا ٣٠٠٧).
(٥) مثلاً الورقة ٨٤ (أياصوفيا ٣٠٠٦).
(٦) مثلاً الورقة ٢٣٤ (أياصوفيا ٣٠٠٨).
(٧) مثلاً الورقة ١٩١ من النسخة السابقة.
(٨) مثلاً الورقة ٩٣ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).
(٩) مثلاً الورقة ٤٨٥ (أياصوفيا ٣٠٠٩).
(١٠) انظر مثلاً الورقة ١٧٦، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٩، ٣٧٣، ٣٨٧ (أياصوفيا ٣٠٠٩).
(١١) مثلاً الورقة ٢٠٥، ٣٠٨، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٧٥، ٣٧٦ من النسخة نفسها.
(١٢) مثلاً الورقة ٢٢٧، ٣٢٩، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٨٠، ٣٨٧، ٤٠٤، ٤٢٢، ٤٤٦، ٤٨٥ من النسخة السابقة.

«قدريًا»[1] ونحو ذلك مما يتصل بأخلاقه[2]، أو مما يتصل بروايته كأن يكون قليل الفهم والضبط[3]، متساهلاً في الرواية[4]، متهاونًا فيها[5]، أو مجازفًا[6]، أو مخلطًا[7]، أو يحدث من غير أصلٍ[8]، أو يقلب الأحاديث[9]، أو يقفز من سند إلى آخر[10]، أو يلحق اسمه في الطِّباق ونحو ذلك[11].

وتكون نتيجة التجريح أو التعديل إصدار أحكام بعبارات فنية لها دلالاتها الدقيقة جدًا، نحو: «ثقة»، و«صدوق»، و«صويلح»، و«دجال»، و«كذاب»، وما إلى ذلك[12].

إن عناية الذهبي بالبحث في عقائد المترجمين واتجاهاتهم ومذاهبهم قدمت لنا مادة غنية في معرفة عقائدهم ومذاهبهم، ومدى انتشارها بين الناس في زمن ما أو في بقعةٍ معينة.

---

(١) مثلاً الورقة ٢٣٥ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) والورقة ١١٣ (أياصوفيا ٣٠٠٧) و٦ / ١٠٧، ١١٣، ٣٧٧ (مطبوعة).

(٢) مثلاً الورقة ١٧٤، ١٧٥، ١٩٠، ١٩١ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٣) الورقة ٢٠٣ من النسخة السابقة.

(٤) الورقة ١٨٥ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٥) الورقة ١٧٣ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٦) الورقة ٢٢٥ من النسخة السابقة.

(٧) الورقة ٣٧٦ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٨) الورقة ٨٦ من النسخة السابقة والورقة ١٤٤ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٩) الورقة ١٧٢ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(١٠) الورقة ١٩١ من النسخة السابقة.

(١١) الورقة ٣١٥، ٤١٢ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(١٢) انظر عن هذه الألفاظ ودلالاتها كتابه: ميزان الاعتدال ١ / ٤. وبحث الدكتور ناجي معروف: أساليب الكتاب العربَ في البحث العلمي المنشور في العدد الأول من مجلة الكتاب (بغداد سنة ١٩٦٢م).

٢ ـ التقويم والأحكام:

لم يكن الذهبي يقتصر على «نقد الرجال» وهو «النقد الحديثي» الذي يعنى بذكر حال الرجل صدقًا أو كذبًا أو عقيدة أو نحوها، فإن هذا النوع من النقد لا يمكن تطبيقه على جميع فئات المترجمين في كتابه، وقد حوى خلفاء وملوكًا وأرباب ولايات، وشعراء وأدباء ونحوهم، ولذلك لم ينظر الذهبي إليهم بالمناظير التي نظر بها إلى الرواة وأشباههم في الأغلب الأعم، بل نظر إلى كل طائفة منهم بمنظار يختلف عن الآخر. وهذه مسألة قلما انتبه إليها الباحثون فوقعوا في آفة التعميم وخرجوا بما ظنوا أنه حقيقة وهي أن المؤرخين المسلمين المتأثرين بالحديث الشريف وعلومه نظروا إلى جميع الناس بمنظار واحد هو منظار الحديث والمحدثين.

نعم، نظر الذهبي إلى كثير من العلماء بمنظار المحدثين، ونظر إلى بعض من يختلفون معه في العقيدة بمنظار عقيدته وهلم جرًّا.. ولكنه في الوقت نفسه استطاع أن ينظر إلى كل طائفة منهم بمنظار آخر كوّن في الأغلب صورة لجماع رأيه في ذلك الشخص.

إن تعدد المناظير هذا جعل آراء الذهبي في المترجمين تبدو لأول وهلة متناقضة كل التناقض، نحو قوله في ترجمة هشام بن محمد الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤هـ: «النسابة العلامة الإخباري الحافظ... لم يكن ثقة وفيه رفض»[١]، وقوله في ترجمة أحمد بن أبي دؤاد الإيادي المعتزلي الذي قاد أعنف حملة على زعماء أهل الحديث وغير القائلين بخلق القرآن: «وكان مصرِّحًا بمذهب الجهمية داعية إلى القول بخلق القرآن. وكان موصوفًا بالجود والسخاء وحسن الخلق وغزارة الأدب»[٢]. وقد صار عدم التعميم في الذم أو المدح أصلاً من أصوله النقدية، قال في رده على ابن الصلاح «ت ٦٤٣هـ» الذي هاجم الماوردي «ت

---

(١) الورقة ٧٥ ـ ٧٦ (أياصوفيا ٣٠٠٦).

(٢) الورقة ١٠ (أحمد الثالث ٧ / ٢٩١٧).

٤٥٠هـ» بسبب الاعتزال: «فلا تحطَّ يا أخي على العلماء مطلقًا، ولا تبالغ في تقريظهم مطلقًا»[١].

ثم إن اختلاف المناظير عند الذهبي جعله يراعي في كل طائفة صفات معينة بصرف النظر عن اتفاقه أو اختلافه معهم، فكان ينظر إلى الخلفاء والملوك مثلاً من زاوية الحزم، والدهاء، والقوة والضعف، والسياسة، والظلم والعدل، وحب العلم ونحوها، قال في ترجمة أبي جعفر المنصور: «وقد مر من أخباره في الحوادث ما يدل على أنه كان فحل بني العباس هيبة وشجاعة وحزمًا ورأيًا وجبروتًا، وكان جمّاعًا للمال تاركًا للهو واللعب، كامل العقل جيد المشاركة في العلم والأدب، فقيه النفس، قتل خلقًا كثيرًا حتى استقام ملكه. وكان في الجملة يرجع إلى عدل وديانة وله حظ من صلاة وتدين... خليقًا للإمارة»[٢]. وقال في ترجمة الخليفة المأمون: «كان من رجال بني العباس حزمًا وعزمًا وحلمًا وعلمًا ورأيًا ودهاء وهيبة وشجاعة وسؤددًا وسماحة، وله محاسن»[٣]، وقال في ترجمة عضد الدولة البويهي: «وعمّر الطرق والقناطر والجسور. وكان متيقظًا شهمًا.. كثير البحث عن المشكلات وافر العقل. كان من أفراد الملوك لولا ظلمه. وكان سفاكًا للدماء... وكان يحب العلم والعلماء... وأقام مكوسًا ومظالم نسأل اللّه العافية»[٤]، وقال في هشام بن الحكم الأموي الأندلسي: «وكان ضعيفًا أخرق محجورًا عليه»[٥]، وقال في وصف جوهر الصقلي القائد الفاطمي: «وكان حسن السيرة في الرعية»[٦]، وقال في ترجمة العزيز باللّه نزار الفاطمي: «وكان كريمًا شجاعًا حسن الصفح... حسن الخلق، قريبًا من الناس

---

(١) الورقة ٤٨٥ (أياصوفيا ٣٠٠٩).

(٢) ٦ / ٢٥١ (مطبوعة).

(٣) الورقة ١٢١ (أياصوفيا ٣٠٠٧).

(٤) الورقة ١١٨ ـ ١١٩ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٥) الورقة ٢٦٣ من النسخة السابقة.

(٦) الورقة ١٥٩ من النسخة السابقة.

لا يؤثر سفك الدماء»[1].

أما العلماء فكان يراعي فيهم البراعة والمعرفة في فنهم، قال في ترجمة نصير الدين الطوسي «ت ٦٧٢هـ»: «كان رأسًا في علم الأوائل لا سيما معرفة الرياضي وصنعة الأرصاد، فإنه فاق بذلك على الكبار. . . وكان سمحًا كريمًا حليمًا حسن العشرة غزير الفضائل جليل القدر، لكنه على مذهب الأوائل في كثير من الأصول، نسأل الله الهدى والسداد»[2].

وكان يراعي في الشعراء مثلاً الإبداع، فقد نقل في ترجمة الشاعر الماجن المتهتك ابن سكّرة: «كان متسع الباع في أنواع الإبداع فائق الشعر لا سيما في المجون والسخف، وكان يقال ببغداد: إن زمانًا جاد بمثل ابن سكرة وابن الحجاج لسخي جدًا. وقد شبها في وقتهما بجرير والفرزدق في وقتهما»[3].

وفي كثير من الأحيان يقوّم الذهبي المترجمين بعد دراسة كتبهم وتبيان قيمتها العلمية بين الكتب التي من بابتها. ومثل هذا النقد يدل بلا شك على سعة في العقلية وتفهم منه لمجالات النقد وطبيعته لا سيما بالنسبة لأولئك الذين لم يشتهروا بالرواية وعرفوا بتآليفهم في علم من العلوم أو فن من الفنون.

٣ ـ نقد الروايات:

رد الذهبي كثيرًا من الروايات التي نقلها عن المؤلفين السابقين بعد نقدها أو نقد مؤلفيها. ولم يكن مستعدًا دائمًا لتصديق كل ما يقال عن شخص ما أو حادثة معينة، ولذلك وجدناه قلما ترك مؤلفًا نقل عنه من غير أن يخطئه في أكثر من رواية، بصرف النظر عن منزلة ذلك المؤلف من العلم وجلالته فيه، فتحصلت في الكتاب ثروة نقدية على غاية من الضخامة، يلمسها كل من يطالع الكتاب أو يتصفحه. يزاد على ذلك أنه لم يقتصر على أسلوب واحد في النقد، بل توسل بكل ممكن مما يوصله إلى الحقيقة ومن ثم وجدنا تنوعًا في أساليبه

---

(١) الورقة ١٨٦ ـ ١٨٧ من النسخة نفسها.

(٢) الورقة ١٤ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٣) الورقة ١٨١ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

النقدية في هذا المجال لعل من أبرزها:

أ ـ نقد السند:

ونجد ذلك واضحًا في كلامه على كثير من الأحاديث النبوية الشريفة وفي بعض الروايات الأولى. ويكون هذا النقد عادة بتضعيف السند بسبب الكلام في راوٍ واحد من رواته أو أكثر، أو تقويمه استنادًا إلى مقاييس المحدثين، فيحكم بعد ذلك على قوة الحديث وضعفه باستعمال العبارات الدالة عليه كأن يقول مثلاً: «منقطع» أو «مرسل» أو «متفق عليه» أو «صحيح» أو غيرها من المصطلحات المعروفة عندهم. ولما كان الذهبي من كبار حفاظ الحديث وجهابذته لذلك ما وجدناه ترك حديثًا من غير تعليق عليه[١]. وقد طبق هذه الطريقة على بعض الأخبار بعد دراسة أسانيدها وهو نادر في كتابه[٢] لعدم عنايته بالإسناد فيه أصلاً وتعويله على المؤلفات السابقة.

ومع ذلك فإن الذهبي لا يكتفي بنقد السند في معظم الأخبار التي يوردها ويضعفها استنادًا إلى ضعف في سندها، بل يحاول جاهدًا إيراد ما يقوي هذا التضعيف من الأدلة التاريخية التي تتوافر له؛ ففي اتهام هشام بن عروة لابن إسحاق نقل الذهبي هذه الرواية عن العقيلي، قال: «قال العقيلي: حدثني الفضل ابن جعفر، قال: حدثنا عبد الملك بن محمد، قال: حدثنا سليمان بن داود، قال: قال لي يحيى بن سعيد القطان: أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب. قلت: وما يدريك؟ قال: قال لي وهيب، فقلت لوهيب: ما يدريك؟ قال: قال لي مالك، فقلت لمالك: وما يدريك؟ قال: قال لي هشام بن عروة، قلت له: وما يدريك؟ قال: حدث عن امرأتي وأُدخِلت علي وهي بنت تسع سنين وما رآها رجل حتى لقِيَتِ اللّه»، فقال الذهبي معلقًا: «قلت: هذه حكاية باطلة، وسليمان الشاذكوني ليس بثقة، وما أدخلت فاطمة على هشام إلا وهي بنت نيف وعشرين سنة، فإنها أكبر منه بنحو من تسع سنين، وقد سَمِعتْ من أسماء بنت الصديق،

---

(١) الصفدي: الوافي، ٢ / ١٦٧.

(٢) انظر مثلاً الورقة ٥٨، ١٧٣، ١٧٦ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

وهشام لم يسمع من أسماء مع أنها جدتهما. وأيضًا فلما سمع ابن إسحاق منها كانت قد عجزت وكبرت وهو غلام أو هو رجل من خلف الستر، فإنكار هشام بارد»[١].

ب ـ نقد المتن:

وهو الذي يقوم على نقد متن الرواية بكل ما يستطيع الناقد إيراده من الأدلة التي تثبت دعواه. وهذا النوع من النقد هو الذي عني به الذهبي في كتابه فرد مئات الروايات وأبطلها بنقده المتين، وهي ظاهرة جد واضحة فيه.

ومن أمثلة عنايته بنقد المتن مع توافر الإسناد القوي، تعليقه على خبر سفر النبي ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصة بحيرا الراهب، وملخص الحديث: أن الراهب تناقش مع أبي طالب والقرشيين في أمره حينما كانوا يتظللون بفيء شجرة، ثم أقبل النبي ﷺ وعليه غمامة تظله، فلما جلس تحت الشجرة مال عليه فيء الشجرة، فلما رآه الراهب وعرف صفته ناشد أبا طالب أن يرد النبي ﷺ خوفًا عليه من الروم، فرده أبو طالب، وبعث أبو بكر معه بلالاً الحبشي. فقال الذهبي: «تفرد به قراد، واسمه عبد الرحمن بن غزوان[٢] (وهو)[٣] ثقة احتج به البخاري والنسائي»[٤]، ورواه الناس عن قراد وحسنه الترمذي. وهو حديث منكر جدًا؛ وأين كان أبو بكر؟ كان ابن عشر سنين، فإنه أصغر من رسول اللّه ﷺ بسنتين ونصف. وأين كان بلال في هذا الوقت؟ فإن أبا بكر لم يشتره إلا بعد المبعث ولم يكن ولد بعد. وأيضًا: فإذا كان عليه غمامة تظله كيف يتصور أن يميل فيء الشجرة؟ لأن ظل الغمامة يعدم فيء الشجرة التي نزل تحتها. ولم نر النبي ﷺ ذكَّر أبا طالب قط بقول الراهب، ولا تذاكرته قريش، ولا حكته أولئك الأشياخ مع توفر هممهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك، فلو وقع لاشتهر بينهم

---

(١) ٦ / ٣٧٧ (مطبوعة).

(٢) توفي سنة ٢٠٧هـ، انظر الذهبي: ميزان ٢ / ٥٨١ ـ ٥٨٢.

(٣) زيادة مني للتوضيح.

(٤) في المطبوعة ١ / ٢٩: «النيسابوري» وهو تحريف.

أيما اشتهار، ولبقي عنده ﷺ حس من النبوة، ولما أنكر مجيء الوحي إليه أولاً بغار حراء، وأتى خديجة خائفًا على عقله، ولما ذهب إلى شواهق الجبال ليرمي نفسه ﷺ. وأيضًا: فلو أثر هذا الخوف في أبي طالب ورده كيف كانت تطيب نفسه أن يمكنه من السفر إلى الشام تاجرًا لخديجة؟

وفي الحديث ألفاظ منكرة تشبه ألفاظ الطرقية مع أن ابن عائذ قد روى معناه في مغازيه دون قوله: «وبعث معه أبو بكر بلالاً» إلى آخره، فقال: «حدثنا الوليد بن مسلم، قال: أخبرني أبو داود سليمان بن موسى، فذكره بمعناه»[(١)].

ونرى من هذا النقد أن الذهبي قد حلل الخبر تحليلاً علميًا من جوانبه كافةً: في أحداثه، وألفاظه، ودلالاته، واستعمل عقله والأدلة التاريخية ليثبت بطلانه، وهو يدل على ملكة عظيمة في النقد وتمكن فيه.

والحق أن الذهبي استعمل عقله في رد كثير من الروايات حتى وإن لم تتوافر لديه الأدلة الكافية، لكن حسه التاريخي جعله لا يقبلها وإن رواها أو نقلها الثقات، فقد نقل عن الخطيب نصًا عن عدد حمامات بغداد وأنها كانت ستين ألف حمام، فقال: «قلت: كذا نقل الخطيب في تاريخه، وما أعتقد أنا هذا قطُّ ولا عشر ذلك»[(٢)]. ولم يقبل تصديق ضخامة أعداد الناس الذين كانوا يحضرون مجالس وعظ ابن الجوزي، مع أن ابن الجوزي ذكرها بنفسه في «المنتظم» كما هو مشهور وأيدها عبد اللطيف البغدادي «ت ٦٢٩هـ» وجماعة من المعاصرين كما نقل الذهبي في ترجمته[(٣)].

ثانيًا: التعصب والإنصاف في النقد:

كان من منهج الذهبي نقل آراء الموافقين والمخالفين في المترجم ليقدم صورة كاملة عنه، وهو طابع عام في كتابه تجده في كل ترجمة من تراجمه، بينما اقتصر آخرون على إيراد المدائح في كتبهم مثل السبكي «ت ٧٧١هـ» وغيره. كما

(١) الورقة ١١ ـ ١٢ (أياصوفيا ٣٠٠٥) ١ / ٣٨ ـ ٣٩ مطبوعة.

(٢) ٦ / ٢١ (مطبوعة).

(٣) الورقة ٢٨٢ فما بعد (أحمد الثالث ١٤ / ٢٩١٧).

أن الذهبي عني بترجمة عدد كبير من المعاصرين له ولا سيما في معجمه الكبير، ومعجمه المختص بالمحدثين، ولا ريب أنه نقد بعضهم فلم يعجبهم ذلك، وتأذى بعضهم منه وغضب غضبًا شديدًا مثل شمس الدين محمد بن أحمد بن بصخان المقرئ المتوفى سنة ٧٤٣هـ الذي ترجم له الذهبي، وأورد بعض ما فيه من القدح. فكتب ابن بصخان هذا بخط غليظ على الصفحة التي بخط الذهبي كلامًا أقذع فيه بحق الذهبي بحيث صار خط الذهبي لا يقرأ غالبه[١].

وقد عرفنا من حياة الذهبي أنه رافق السلفية وتأثر بشيخه ابن تيمية ولا سيما في العقائد[٢]، فكان شافعي الفروع سلفي الأصول، ولذلك عني عند النقد بإيراد العقائد على طريقة أهل الحديث وعدها جزءًا منه كما بينا قبل قليل. ووجدنا في البيئة الدمشقية في الوقت نفسه من يتعصب للأشاعرة غاية التعصب.

وبسبب العقائد انتُقد الذهبي من بعض معاصريه ولا سيما تلميذه تاج الدين عبد الوهاب السبكي «٧٢٨ ـ ٧٧١هـ»[٣] في غير موضع من كتابه «طبقات الشافعية الكبرى»[٤] وفي كتابه الآخر «معيد النعم»[٥]، فقال في ترجمته من الطبقات: «وكان شيخنا ـ والحق أحق ما قيل والصدق أولى ما آثره ذو السبيل ـ شديد الميل إلى آراء الحنابلة، كثير الإزراء بأهل السنة، الذين إذا حضروا كان أبو الحسن الأشعري فيهم مقدم القافلة، فلذلك لا ينصفهم في التراجم، ولا يصفهم بخير إلا وقد رغم منه أنف الراغم. صنّف التاريخ الكبير،

---

(١) السخاوي: الإعلان، ص ٤٧٠، وانظر الذهبي: معجم الشيوخ م٢ / الورقة ٣٠ ـ ٣١.

(٢) انظر أعلاه الفصل الأول من الباب الأول.

(٣) اتصل السبكي بالذهبي سنة ٧٣٩هـ ولم يبلغ آنذاك اثني عشر عامًا، ولازمه فكان يذهب إليه في كل يوم مرتين، وقد ترجم له الذهبي في معجمه المختص (انظر مقدمة طبقات الشافعية).

(٤) انظر مثلاً ٢ / ١٣ فما بعد، ٣ / ٢٩٩، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٦، ٤ / ٣٣، ١٣٣، ١٤٧، ٩ / ١٠٣ ـ ١٠٤ وغيرها.

(٥) معيد النعم، ص ٧٤، ٧٧.

وما أحسنه لولا تعصب فيه، وأكمله لولا نقص فيه، وأي نقص يعتريه»[1]، وقال في ترجمة أحمد بن صالح المصري من الطبقات أيضًا: «وأما تاريخ شيخنا الذهبي غفر اللّه له، فإنه على حسنه وجمعه مشحون بالتعصب المفرط لا واخَذَهُ اللّه، فلقد أكثر الوقيعة في أهل الدين، أعني الفقراء الذين هم صفوة الخلق، واستطال بلسانه على كثيرٍ من أئمة الشافعيين والحنفيين، ومال فأفرط على الأشاعرة، ومدح فزاد في المجسمة، هذا وهو الحافظ المِدَره والإمام المبجل، فما ظنك بعوام المؤرخين؟»[2]. وذكر في موضع آخر أنه نقل من خط صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي «٦٩٤ ـ ٧٦١هـ»، وهو من تلاميذ الذهبي والمتصلين به[3]، أنه قال ما نصه: «الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي لا أشك في دينه وورعه وتحريه فيما يقوله الناس، ولكنه غلب عليه مذهب الإثبات، ومنافرة التأويل، والغفلة عن التنزيه حتى أثّر ذلك في طبعه انحرافًا شديدًا عن أهل التنزيه وميلاً قويًا إلى أهل الإثبات، فإذا ترجم واحد منهم يطنب في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن، ويبالغ في وصفه، ويتغافل عن غلطاته ويتأول له ما أمكن، وإذا ذكر أحدًا من الطرف الآخر كإمام الحرمين والغزالي ونحوهما لا يبالغ في وصفه، ويكثر من قول من طعن فيه، ويعيد ذلك ويبديه، ويعتقده دينًا، وهو لا يشعر، ويعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها، وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها. وكذلك فعلُه في أهل عصرنا، إذا لم يقدر على أحد منهم بتصريح يقول في ترجمته: واللّه يصلحه، ونحو ذلك، وسببه المخالفة في العقائد»[4]. ثم ذكر السبكي أن الحال أزيد مما وصف العلائي ثم قال: «والذي أدركنا عليه المشايخ النهي عن النظر في كلامه، وعدم اعتبار قوله. ولم يكن يستجري أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أنه لا ينقل عنه ما يعاب

---

(١) ٢ / ٢٢.
(٢) ٩ / ١٠٣ـ١٠٤.
(٣) ابن حجر: الدرر ٢ / ١٧٩ ـ ١٨٢.
(٤) الطبقات ٢ / ١٣.

عليه»[1]. وبالغ السبكي بعد ذلك، فذكر أن الذهبي متقصد في ذلك، وأنه كان يغضب عند ترجمته لواحد من علماء الحنفية والمالكية والشافعية غضبًا شديدًا ثم يقرطم الكلام ويمزقه.. «ثم هو مع ذلك غير خبير بمدلولات الألفاظ كما ينبغي، فربما ذكر لفظة من الذم لو عقل معناها لما نطق بها»[2].

وقد أثارت انتقادات السبكي هذه نقاشًا بين المؤرخين، فرد عليه السخاوي «ت ٩٠٢هـ» حيث اتهم السبكي بالتعصب الزائد للأشاعرة ونقل قول عز الدين الكناني «ت ٨١٩هـ» في السبكي: «هو رجل قليل الأدب عديم الإنصاف، جاهل بأهل السنة ورتبهم»[3]. وقال يوسف بن عبد الهادي «ت ٩٠٩هـ» في معجم الشافعية: «وكلامه هذا في حق الذهبي كان أجل من أن يقول ما لا حقيقة له... والإنكار عليه أشد من الإنكار على الذهبي، لا سيما وهو شيخه وأستاذه، فما كان ينبغي له أن يفرط من هذا الإفراط»[4].

والحق أن السبكي أشعري صوفي جلد متعصب غاية التعصب، ولا أدل على ذلك من شتيمته المقذعة في حق الذهبي في ترجمة أبي الحسن الأشعري من الطبقات، فقد أسفَّ بها إسفافًا كثيرًا بسبب عدم قيام الذهبي بترجمته ترجمة طويلة في «تاريخ الإسلام» ولأنه اكتفى بإحالة القارئ إلى كتاب «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر، فعد ذلك نقيصة كبيرة في حق الأشعري[5]. وقد قرأ السخاوي بخطه تجاه ترجمة سلامة الصياد المنبجي الزاهد ما نصه: «يا مسلم استحي من الله، كم تجازف، وكم تضع من أهل السنة الذين هم الأشعرية،

---

(١) نفسه ٢ / ١٣ ـ ١٤.

(٢) نفسه ٢ / ١٤.

(٣) الإعلان ص ٤٦٩ فما بعد.

(٤) معجم الشافعية، الورقة ٤٧ ـ ٤٨ (ظاهرية).

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ١٣٢ ـ ١٣٣ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧) وقد وصف الذهبي الأشعري بأحسن الأوصاف وذكر تصانيفه وقال: «من نظر في هذه الكتب عرف محله، ومن أراد أن يتبحر في معرفة الأشعري فليطالع كتاب تبيين كذب المفتري...».

ومتى كانت الحنابلة، وهل ارتفع للحنابلة قط رأس»[1].

ومع ذلك فإن هذه القضية جديرة بالدرس لأنها توضح أهمية كتاب الذهبي من جهة، ومنهجه ومدى عدالته في النقد والتحري من جهة أخرى.

ولقد أبانت دراستنا لتاريخ الإسلام أن الذهبي قد وفق إلى أن يكون منصفًا إلى درجة غير قليلة في نقده لكثير من الناس، وما رأينا عنده تفريقًا كبيرًا بين علماء المذاهب الأربعة. وما كان يرضى الكلام بغير حق ولا حتى نقله في بعض الأحيان، قال في ترجمة الحسن بن زياد اللؤلؤي الفقيه الحنفي: «قد ساق في ترجمة هذا أبو بكر الخطيب أشياء لا ينبغي لي ذكرها»[2]، وقال في ترجمة ابن الحريري الدمشقي الحنفي «ت ٧٢٨هـ»: «قاضي القضاة علّامة المذهب ذو العلم والعمل»[3]، وقوله في قاضي الحنفية شمس الدين الأذرعي «ت ٦٧٣هـ»: «لم يخلف بعده مثله»[4]، وترجم لأبي جعفر الطحاوي ترجمة رائقة ودلل على سعة معرفته وفضله وعلمه الجم[5]. وهذا هو منهجه في معظم الحنفية، لم نره تكلم في أحدهم بسبب المذهب، لا من الشافعية ولا المالكية، ولا الحنفية.

ولو قال السبكي: إنه كان يتعصب على الأشاعرة حسب لوجد بعض الآذان الصاغية ولبحث له المؤيدون عن بضعة نصوص قد تؤيد رأيه، علمًا أني بحثت في «تاريخ الإسلام» ولم أستطع أن أحصل على مثل يَصْلُح أن يسمى انتقادًا لأشعري. نعم، قد نجد بعض تقصير في تراجم قسم من الأشاعرة. وفي هذا المجال صرت أشعر أن سبب قصر بعض تراجم الأشاعرة قد جاء من عدم قيام الذهبي بنقل آراء المخالفين بتوسع حبًا منه للعافية، كما في ترجمة أبي الحسن الأشعري الذي لم يأت الذهبي بكلمة نقد فيه مع أن الأشعري قضى القسم الأكبر

---

(١) طبقات، ٣ / ٣٥٢ـ٣٥٣.

(٢) الورقة ١٨ (أياصوفيا ٣٠٠٧).

(٣) معجم الشيوخ م٢ الورقة ٥١ .

(٤) الورقة ١٨ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٥) الورقة ١١٤ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

من حياته معتزليًا قبل أن يتحول عنهم، ونحن نعرف موقف الذهبي من المعتزلة. والواقع أن الذهبي ما بخس فضل هذا الرجل إلى درجة أنه عده مجددًا في أصول الدين على رأس المئة الرابعة[١].

أما كلام الذهبي على الصوفية فصحيح ما قاله السبكي، ولكن في النادر منهم، وهذا رأي ارتآه الذهبي واعتقد فيه وآمن به؛ فقد ميّز بين طائفتين، أولاهما: كانت متمسكة بالدين القويم متبعة للسنة، احترمهم الذهبي الاحترام كله، بل لبس هو خرقة التصوف من الشيخ ضياء الدين عيسى بن يحيى الأنصاري السبتي عند رحلته إلى مصر[٢]، وكان يعتقد ببعض كرامات كبار الزهاد ويعنى بإيرادها في كتابه بل يكثر منها عادة[٣]، ويورد بعض أقوالهم وحكاياتهم في الزهد والمحبة فيه[٤].

أما الثانية فقد عدهم الذهبي مارقين عن الدين مشعوذين، بهم مس من الجنون، ومنهم الأحمدية[٥] أتباع الشيخ أحمد الرفاعي، والقلندرية[٦] وشيخها جمال الدين محمد الساوجي، فقد ذكر ترهاته وانغشاش الناس به وبحاله الشيطاني[٧]، ووصف بعض أحوالهم في ترجمة يوسف القميني «ت ٦٥٧هـ» فقال: «وكان يأوي إلى قمين حمام نور الدين، ولما توفي شيعه خلق لا يحصون من العامة، وقد بصّرنا اللّه تعالى وله الحمد وعرّفنا هذا النموذج... فقد عم

---

(١) تفسير للحديث الشريف «يبعث اللّه من يجدد... الحديث» وقد فسر الذهبي «من» لصيغة الجمع. انظر السبكي طبقات ٣ / ٢٦.

(٢) الورقة ١٢٦ (أياصوفيا ٣٠١٢).

(٣) انظر مثلاً الورقة ٦، ١٨، ٢٠، ١٠٠، ١٧٥ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٤) مثلاً الورقة ١٥، ٢٠، ٢٦، ١٢٣، ١٥٥، ١٦٦، ١٧٤، ١٨٧، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٣٧ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٥) معجم الشيوخ م١ الورقة ٤٠.

(٦) القلندرية: المحلقون أي الذين يحلقون رؤوسهم ولحاهم.

(٧) الورقة ١٠٤ (أياصوفيا ٣٠١٢).

البلاء في الخلق بهذا الضرب . . . ومن هذه الأحوال الشيطانية التي تضل العامة: أكل الحيات ودخول النار، والمشي في الهواء ممن يتعانى المعاصي ويخل بالواجبات . . . وقد يجيء الجاهل فيقول: اسكت لا تتكلم في أولياء اللّه، ولم يشعر أنه هو الذي تكلم في أولياء اللّه وأهانهم إذ أدخل فيهم هؤلاء الأوباش المجانين أولياء الشياطين»[١].

ولم يكن الذهبي متعصبًا للحنابلة بالمعنى الذي صوّره السبكي، فالرجل كان محدثًا يحب أهل الحديث ويحترمهم، إلا أن هذا لم يمنعه من تناول مساوئ بعضهم، فقد نقل عن الإمام ابن خزيمة في ترجمة الطبري المؤرخ قوله: «ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة» ثم قال الذهبي معقبًا وناقلاً عن أبي محمد الفرغاني: «كان محمد بن جرير ممن لا تأخذه في اللّه لومة لائم مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد»[٢]. وقال في ترجمة عبد الساتر ابن عبد الحميد تقي الدين الحنبلي المتوفى سنة ٦٧٩هـ: «ومهر في المذهب . . . وقل من سمع منه لأنه كان فيه زعارة، وكان فيه غلو في السنة، ومنابذة للمتكلمين ومبالغة في اتباع النصوص . . . وهو فكان حنبليًا خشنًا متحرقًا على الأشعري . . . كثير الدعاوى قليل العلم»[٣].

ومع ما كان للذهبي من إعجاب بشيخه ابن تيمية فإنه أخذ عليه «تغليظه وفظاظته وفجاجة عبارته وتوبيخه الأليم المبكي المنكي المثير النفوس»[٤] كما أخذ عليه «الكبر والعجب وفرط الغرام في رياسة المشيخة والإزراء بالكبار»[٥]. وقد رأى في بعض فتاويه انفرادًا عن الأمة، قال: «وقد انفرد بفتاوى نيل من

---

(١) الورقة ١٧٤ (أياصوفيا ٣٠١٣). وقمين الحمام: أتونه.

(٢) الورقة ٤٥ (أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

(٣) الورقة ٦٦ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٤) الورقة ٣٣٢ من النسخة السابقة.

(٥) بيان زغل العلم ص ١٧ ـ ١٨.

عرضه لأجلها، وهي مغمورة في بحر علمه ـ فاللّه تعالى يسامحه ويرضى عنه ـ فما رأيت مثله وكل أحد من الأمة فيؤخذ من قوله ويترك فكان ماذا؟»[١].

وقد بلغ حرص الذهبي في النقد وشدة تحريه أنه تكلم في ابنه أبي هريرة عبد الرحمن فقال: إنه حفظ القرآن ثم تشاغل عنه حتى نسيه[٢].

ولست هنا في حال دفاع عن الرجل فكتابه خير مدافع عنه وهو الحكم في تقويمه، ولكنني أقول: إن تحقيق كثير من الإنصاف، وإن لم يكن كله، أمر له قيمته العظمى في كل عصر.

* * *

(١) تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٩٧.

(٢) السخاوي: الإعلان، ص ٤٨٨.

الخاتمة

(١)

على الرغم مما احتله شمس الدين الذهبي من المنزلة المرموقة في الفكر الإسلامي عمومًا والتاريخي خصوصًا فإن ما كتب عنه لا يتعدى صفحات قليلة ليس فيها غير ترديد لما هو شائع عنه في المصادر القديمة التي تناولت ترجمته، فكانت دراستنا لسيرته أول دراسة علمية قامت على أساس من الإحاطة التامة بكل ما كتب عنه واستقراءٍ كاملٍ لما خلّف من آثار كتابية على أنحاء شتى من المعرفة الإنسانية.

وقد استطعت في هذا البحث أن أوضح البيئة الدمشقية التي نشأ فيها الذهبي بكل ما كان فيها من نهضة علمية واسعة وما اعتراها من صراعات عقائدية حادة، وانتشار الجهل والاعتقاد بالمغيبات بين العوام. كما حاولت أن أقدم صورة لبيئته العائلية المتدينة المعنية بالعلم التي ربته على حب العلم والعلماء منذ نعومة أظفاره مما هيأه لمستقبل علمي مرسوم، فرأيناه عند اكتمال شخصيته يعنى بطلب العلوم الدينية بنفسه من قراءات وحديث.

وتتبعت رحلات الذهبي العلمية واستطعت أن أحددها بالبلاد الشامية والمصرية والحجازية. وبينت ـ نتيجة تتبعي لنشاط الذهبي ـ أن رحلته إلى البلاد المصرية كانت بين شهر رجب وذي القعدة من سنة ٦٩٥هـ فصححت بذلك آراء بعض المؤرخين في هذه المسألة. ووضحت طبيعة دراساته وذكرت أنها كانت متنوعة لم تقتصر على جانب واحد، لكنها في الوقت نفسه لم تخرج عن دائرة العلوم الدينية عمومًا والعلوم المساعدة لها من تاريخ ونحو ولغة وأدب وشعر، وشككت أنه درس كتبًا في العلوم الطبيعية الصرفة لإيمانه بعدم جدواها.

وتناول البحث صلات الذهبي الشخصية بابن تيمية والمزي والبرزالي وأثرها في تكوينه الفكري المتمثل بميله إلى عقائد السلف ودفاعه عن مذهبهم في العقائد، وارتباطه الشديد بالحديث والمحدثين، ونظرته إلى العلوم والعلماء

وفلسفتهم تجاه العلوم العقلية، مما أثر في منهجه التاريخي تأثيرًا واضحًا فظهر في اهتمامه الكبير بالتراجم التي صارت أساس كتابه ومحور تفكيره التاريخي وفي نظرته إلى الأحداث التاريخية وأسس انتقائها، ثم فيما وجه إلى كتابه من نقد أثار نقاشًا بين علماء عصره وعند العلماء الذين جاءوا بعده. أما نشاطه العلمي فقد بينت أنه اتخذ وجهتين رئيستين: أولاهما كتاباته الكثيرة، وثانيتهما تدريسه الحديث في أمهات دور الحديث بدمشق بحيث استطعنا التعرف إلى خمس دور للحديث كان يتولى مشيختها في آن واحد عند وفاته.

وأبنت مكانة الذهبي العلمية استنادًا إلى دراسة مسهبة لآثاره الكثيرة التي خلفها. وقد أوضحَتْ دراستي لذلك العدد الضخم من الكتب التي اختصرها أنه كان يتمتع بقابلية ممتازة على الانتقاء، فكان يختارها من بين أحسن الكتب التي وضعت في عصرها وأكثرها أصالة، وأن اختصاراته لم تكن اختصارات عادية، فقد وجدت فيها زيادات كثيرة وتعليقات نفيسة واستدراكات بارعة على مؤلف الأصل ومقارنات تدل على معرفته وتبحره في فن الكتاب المختصر، فهو اختصار مع سد نقص، فيه تحقيق ونقد وتعليق وتدقيق.

ومع أن الذهبي كان مشاركًا في كثير من العلوم إلا أن منزلته العلمية وبراعته ظهرتا في أحسن الوجوه إشراقًا وأكثرها تألقًا عند دراستي له محدثًا ومؤرخًا وناقدًا. وعلى الرغم من أنه عاش في بيئة غلب عليها الجمود والنقل والتلخيص، فإنه قد تخلص من كثير من ذلك بفضل سعة دراساته وفطنته. وكان مفهوم التاريخ عند الذهبي يتصل اتصالاً وثيقًا بالحديث النبوي وعلومه، وقد ظهر ذلك في عنايته التامة بكتب التراجم التي قامت عليها شهرته الواسعة بعدِّه مؤرخًا. واستطعت أن أميز الذهبي عن غيره من مؤلفي كتب التراجم بأنه لم يقتصر في تأليفه على عصر معين أو فئة معينة أو تنظيم واحد، بل تناولت كتاباته جميع عصور التاريخ الإسلامي. ولذلك جعلت معرفته بالرجال الواسعة منه ناقدًا ماهرًا فظهر ذلك في مؤلفاته المعنية بالنقد وفي التفاتاته البارعة في أصول النقد ورده لكثير من الروايات وتخطئته لكبار النقاد، وقوته الفائقة في

البحث والاستدلال.

(٢)

وحينما تناولت آثار الذهبي تمكنت أن أعرّف بما يزيد على ثلاث مئة من آثاره في القراءات والحديث ومصطلحه والعقائد والفقه وأصوله والرقائق والتاريخ والتراجم والسير المفردة والمنوعات والمختصرات والانتقاءات والتخاريج، في الوقت الذي لم يذكر له أحد من القدماء أو المحدثين أزيد من مئة أثر. ولم يكن عملي هنا مقتصرًا على تقديم قائمة جامدة بذلك، بل عنيت بدراسة كل ما استطعت الوقوف عليه من آثاره سواء أكان مطبوعًا أم مخطوطًا، وقدمت وصفًا مختصرًا لنوعية الكتاب ومجاله وموضوعه وترتيبه وأهميته بعبارة وجيزة وافية. وهذه ميزة في بحثنا لا نجدها في غيره من البحوث التي من بابته.

(٣)

ولما تناولت دراسة تنظيم الكتاب وأساليب عرضه تمكنت أن أتلمس ثلاثة سبل متنوعة اتبعها الذهبي في تنظيم كتابه لم يفطن إليها أحد من قبلي وهي:

١ ـ من سنة ١ ـ ٤٠هـ: خلط الحوادث والتراجم، وأورد التراجم القليلة التي ذكرها ضمن الحوادث، ولم يكن للتراجم في هذه المدة من أثر واضح يميزها عن الحوادث، حيث لم نتمكن أن نستشعر أي تنظيم فيها.

٢ ـ من سنة ٤١ ـ ٣٠٠هـ: ذكر حوادث كل عشر سنوات بصورة متتالية ثم نظم تراجم المتوفين يقينًا والمتوفين على التقريب ضمن هذه السنوات العشر على حروف المعجم مع عدم اعتنائه دائمًا بذكر تاريخ وفاة كل مترجم داخل السنوات العشر، لعدم وقوفه على طائفة كبيرة منها، ولأنه ذكر طائفة أخرى منهم على وجه التخمين والتقريب.

٣ ـ من سنة ٣٠١ ـ ٧٠٠هـ: فصَل الحوادث عن الوفيات تمامًا وجمع في أغلب الأحيان حوادث كل مجلد في مكان واحد منه، ثم رتب التراجم بحسب السنين، ونظم تراجم كل سنة على حروف المعجم، وذكر المتوفين على التقريب في نهاية كل عقد (عشر سنوات). وقد تمكنا من الوقوف على العوامل التي

جعلته قادرًا على نقل التنظيم مثل هذه النقلة وجعله على السنين بدلاً من «العقود» وتخطي الصعاب الناجمة عنها، وهي:

أ ـ وقوفه على وفيات عدد كبير من المترجمين.

ب ـ تنظيم عدد غير قليل من المترجمين في آخر سنة ذكروا فيها بتحديث أو إجازة أو نحوهما، ومعاملة هذا الأمر معاملة الوفاة.

جـ ـ ذكر من وقف على تواريخ وفياتهم وعرف عصرهم في آخر كل عقد.

وقد توصلت في هذا البحث إلى أن الذهبي استعمل «الطبقة» في كتبه المرتبة على الطبقات لتدل على «اللقيا» متابعًا في ذلك الذين سبقوه، بينما استعملها في كتاب «تاريخ الإسلام» لتدل على وحدة زمنية محددة قدرها عشر سنوات «عقد»، وأنه استخدم هذا المفهوم للطبقة لأسباب تنظيمية صرفة جاء في الأغلب من عدم توافر تواريخ وفيات المترجمين بصورة كاملة. وعلى الرغم من أن الطبقة لم يعد لها من فائدة تنظيمية كبيرة بعد أن نقل تنظيم كتابه إلى الترتيب على السنين في مطلع القرن الرابع الهجري فإنه بقي بحاجة إليها في بعض الأحيان ليذكر في نهايتها من لم يقف على تاريخ وفاته بصورة دقيقة. وقد توصلت إلى أن تنظيم الذهبي هذا لا علاقة له بأدب الطبقات ومن الأفضل أن يربط بأدب التنظيم على السنين.

وأوضحت أن ازدياد عدد التراجم لم يكن أبدًا هو السبب الذي دعا الذهبي إلى اختراع المفهوم الزمني للطبقة، بل على العكس من ذلك وجدت الذهبي يسعى دائمًا حينما يتمكن، إلى إيجاد وحدات زمنية أضيق، ولذلك وجدت نفسي على غير اتفاق مع الأستاذ روزنتال حينما يقول: «كثيرًا ما شعر الأفراد في العصور المتأخرة بالحاجة إلى ترتيب إضافي للمادة المطردة في الازدياد في وحدات زمنية أوسع»، ويدلل على ذلك بتقسيم الذهبي كتابه إلى عقود[1].

ثم بينت أن الذهبي غيَّر رأيه في عنوان الكتاب فيما بعد وجعله «تاريخ

---

(١) علم التاريخ، ص ١٢١.

الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» فأبدل لفظ «طبقات» بلفظ «وفيات»، وهو العنوان الصحيح الذي يجب أن يحمله الكتاب.

وقد ظهر لي أن الذهبي فصل فصلاً تامًا بين الحوادث والوفيات. وبينت بالأدلة عدم وجود أية علاقة تذكر بينهما، بحيث لو جمعنا الحوادث والوفيات كلاًّ على حدة لأصبحت كل مجموعة كتابًا مستقلاً قائمًا بنفسه لا يؤثر في طبيعة الكتاب الآخر، وهذا ما فعله كثير من النساخ على مدى العصور. وأن اهتمام الذهبي الرئيس قد انصب في كتابه على التراجم، فأصبحت هي أس الكتاب تحتل الحيز الأكبر منه، وهذا، في رأينا، يظهر مفهومه الأصلي للتاريخ.

وبينت في دراستي أن الذهبي اتبع الطريقة الحولية المعروفة في سرد الحوادث وعرضها. وعلى الرغم من وقوفي على بعض الظواهر التنظيمية في هذا القسم، فإنه لا يدل على وجود أساليب عرض خاصة به. ولعله قد تابع في مواضع متعددة من كتابه مناهج كتاب الحوليات الذين اعتمدهم، ولعل هذا أيضًا هو الذي يفسر لنا تنوع أساليب العرض عنده بين مدة وأخرى.

أما في تنظيم التراجم وعرضها فقد استطعت الوقوف على منهج دقيق له في تنظيم التراجم وعرضها دللت عليه بما يأتي:

(أ) اتخاذ اسم الشهرة أساسًا في الترتيب المعجمي سواء أكان ذلك في داخل الطبقة أم ضمن السنة الواحدة، فترجم لكل إنسان بما اشتهر به من اسم أو لقب أو نسبة، وأفرد الكنى في تنظيم خاص جعله في نهاية الطبقة في القسم المرتب على الطبقات، وفي نهاية السنة في القسم المرتب على السنين.

(ب) عنايته بعمل الإحالات بين التراجم، فكان يترجم للشخص فيما يرجحه من شهرة، أو تاريخ وفاة، ثم يعمل له إحالة في اسمه أو لقبه، أو كنيته في حالة كونه من المعروفين بإحداها، أو بتاريخ وفاة ذكرتها بعض الموارد ولم ترجح عنده. وهي طريقة علمية مفيدة جدًا تسهل الكشف عن التراجم بسهولة ويسر، وتحول دون الوقوع في وهم التكرار.

(جـ) تدقيقه العظيم في ضبط تواريخ الوفيات بعدِّها أساسًا كبيرًا من أسس

عرض كتابه، وعنايته البالغة بالإشادة إلى التراجم المتفقة في الأسماء، ومحاولاته الجدية للوصول إلى نتيجة يظهر فيها اتحاد الاسمين بشخص واحد أو شخصين.

ومع أنني رجحت احتمال استفادة الذهبي من طريقة أبي الفرج ابن الجوزي في ترتيب التراجم على حروف المعجم ضمن السنة الواحدة، لكنني بعد مقارنة الطريقتين والأسلوبين لم أشك في أن الذهبي قد طور هذا الأسلوب تطويرًا دقيقًا فصار مضبوطًا ومتقنًا بعد أن كان في غاية الارتباك عند ابن الجوزي.

وابتداءً من الربع الأخير من القرن السادس الهجري وجدت الذهبي يورد قائمة بأسماء مواليد المشهورين في نهاية تراجم كل سنة. وعلى الرغم من أن كثيرًا من المؤرخين قد عنوا بتقييد مواليد المترجمين لكن أحدًا منهم لم يفكر أن يذكر ذلك بصورة منفردة، فكان الذهبي رائدًا في ذلك الأسلوب ومشاركًا بتطوير فن التراجم مشاركة أوصلته إلى منزلة عالية من الرقي. أما سبب عنايته بذكر المواليد في القسم الأخير من كتابه فلم أجد له جوابًا قاطعًا ولكنني رجحت أن يكون فكّر في هذا الأمر بأخرة.

وقد تبين لي من دراستي لأسلوب الذهبي الأدبي في «تاريخ الإسلام» أنه كان أسلوبًا علميًا يقدر قيمة الألفاظ التي يستعملها ومدلولاتها، وأن لغة الكتاب لغة سليمة في نحوها وصرفها، ووجدته يسير على طريقة المحدثين في استعمال المختصرات المشهورة عندهم.

(٤)

وتوصلت عند دراستي لمحتويات الكتاب وأسس انتقاء مادته إلى أن منهجه في القسم الخاص بالحوادث تميز بما يأتي:

١ ـ أن الذهبي انتقى من الحوادث ما رآه مهمًا حريًا بالذكر جديرًا بالتدوين فذكره في تاريخه. وحاولنا جاهدين أن نستبين موازينه ومعاييره التي قوّم بها الأحداث، وذلك بأن ننظر بالمناظير التي نظر بها إليها، مستفيدين من دراستنا السابقة لبيئته وثقافته وعقيدته، وهي الأمور التي كونت مزاجه التاريخي، فتمكنا أن نميز منهجه الذي انتهجه في ذكر الأحداث وتعرفنا إلى معياره وميزانه الذي

وزن به الحدث التاريخي بحيث رجح عنده وأصبح مهمًا فذكره وأسهب فيه، أو خف وزنه فاختصره أو أسقطه.

٢ ـ وأنه عني العناية البالغة بتكوين الدولة الإسلامية بعدِّها النموذج الأكمل في الحكم والتنظيم والعدل، واهتم بالفتوحات ودرء المعتدين عن ديار الإسلام لأن الجهاد أساس متين من أسس الإسلام، وأن غيرته على الإسلام هي التي دفعت به إلى العناية بأخبار أولئك الذين ابتغوا في رأيه تدمير الإسلام والمسلمين، وأنه انطلق من حبه للسنة وكلفه بها إلى تتبع أخبارها وإجمال أوضاعها وإيراد أخبار أعدائها، وأن بيئته الدمشقية التي تميزت بالصراع العقائدي الحاد أيامئذ هي التي دفعت به إلى العناية بالنزاعات العقائدية على مدى التاريخ الإسلامي وهلم جرًّا.

٣ ـ اختفاء الموازنة الزمانية في الحوادث بين منطقة وأخرى ومن عصر لآخر ومن سنة إلى سنة، وعللت ذلك بنظرة الذهبي إلى تقويم الأحداث التاريخية ومدى أهميتها، وتوصلت إلى أنه قد تمكن في أغلب الأحايين أن يوجه الأحداث في تاريخه الوجهة النوعية والمكانية التي أرادها.

أما منهجه في ذكر التراجم وطبيعتها فقد تمكنت أن أميزه بما يأتي:

١ ـ انتقى المشهورين والأعلام فأوردهم وأهمل المغمورين فأسقطهم.

٢ ـ لم يقتصر على نوع معين من المترجمين جهد طاقته، فأورد المشهورين في كل ناحية من نواحي الحياة، ولكننا وجدناه، انطلاقًا من مفهومه، يؤثر المحدثين على من سواهم فاحتلوا الحيّز الأعظم من الكتاب.

٣ ـ اجتهد أن يتميز كتابه بالشمول المكاني بعدِّه تاريخًا للعالم الإسلامي كافة، إلا أن توافر المعلومات عن منطقة معينة في وقت ما أو عدم توافرها قد أدى إلى شيء من عدم الشمول والتوازن.

٤ ـ كما اجتهد أن يوازن بين العصور الإسلامية. وقد بينت لنا هذه الدراسة أنه نجح في ذلك النجح كله.

٥ ـ بذل جهودًا كبيرة في محاولة الإحاطة بالمادة الضخمة التي تحصلت

لديه، واجتهد أن يقدم ترجمة متكاملة ومختصرة في آن واحد، خوفًا من تضخم الكتاب، واستطاع في كثير من الأحيان أن يتخلص من المادة الكثيرة المتوافرة لديه عن أعلام المترجمين بإحالة القارئ إليها من غير أن يضطر إلى نقلها في كتابه، ونجح في ذلك إلى حد بعيد.

٦ ـ راعى في تطويل التراجم وتقصيرها في أكثر الأحايين، وليس في جميعها، شهرة المترجم بين أهل علمه أو فنه أو الذين هم من بابته، ولا سيما في العلوم والفنون التي استطاع أن يهضمها أو يطلع عليها من غير نظر إلى اختلافه معه في الدين أو المذهب أو العقيدة أو الرأي. وعليه فقد توصلنا إلى أن تطويل التراجم وتقصيرها لم يكن دائمًا نتيجة لتعصبه، وأنه حاول الموازنة بين التراجم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

(٥)

ومع أن المادة التاريخية الموجودة في ترجمة ما تختلف عن الأخرى بحسب طبيعة المترجم، إلا أنني تمكنت أن أضع يدي على التنظيم الذي اتبعه المؤلف في داخل الترجمة الواحدة وأميز العناصر الرئيسة التي تناولت اسم المترجم ونسبه ولقبه وكنيته ونسبته، وتاريخ مولده، ونشأته، ودراسته، وإنتاجه وتلامذته، ومنزلته العلمية، وعقيدته، وآراء العلماء فيه، وتقويم المؤلف له، ثم تاريخ وفاته. وفصلت القول في كل عنصر من هذه العناصر ووضحته مقارنًا منهج الذهبي بمناهج المؤلفين التراجميين المشهورين، وقومت نهجه استنادًا إلى تلك المقارنات.

(٦)

ولما تكلمت على نهج الذهبي في الموارد وفقت إلى التنبيه إلى أن المؤلف قد نوّع موارده ولم يقتصر على المؤلفات السابقة بالرغم من اعتماده عليها، فقد أخذ الكثير من مادته عن طريق المشاهدة والمعاصرة والمشافهة ومساءلة العلماء المتخصصين ومكاتبتهم، وأفاد من الإجازات الكثيرة التي كتبها العلماء للمستجيزين، ومن مجاميع الطلبة والشيوخ، وكتابات المترجمين أنفسهم.

وتمكنت حينما تكلمت على إفادة الذهبي من مجاميع الطلبة والشيوخ أن أبدد الكثير من الحيرة والغموض اللذين يجابهان الباحثين حينما يجدون نقولاً عن شخص ما ولا يعرفون له كتابًا في موضوع المادة المنقولة، أو أي تأليف على الإطلاق.

واجتهدت أن أوضح أن الذهبي حاول جاهدًا أن يستوعب الجيد من المؤلفات السابقة على الرغم من ضخامة الكتابات التاريخية الإسلامية المتمثلة بحصيلة ذلك التراث الذي أثراه العلماء المبدعون طيلة أعصر الازدهار الطويلة. وكانت غايته من استيعاب كل هذه الموارد الضخمة تقديم خبر جيد وترجمة متكاملة تعتمد موارد متعددة تطمئن القارئ وتزيد من ثقته في الكتاب. وتمكنت أن أوضح مظاهر الاستيعاب المتمثلة بعنايته في الأخذ عن جميع الأشكال التأليفية عند المسلمين ومحاولة استنفادها موثقًا ذلك بالأمثلة.

واستنتجت من دراستي للأسس التي انتهجها الذهبي في اعتماد المؤلفات السابقة أنه اتبع منهجًا دقيقًا في المفاضلة بين الموارد انطلق من ثلاث قواعد رئيسة عني بها كل العناية ولم يحد عنها إلا فيما ندر، وهي:

(أ) المعاصرة والمشاهدة المتضحة مظاهرها في تفصيل المؤلف المتصل بالأحداث، والاهتمام بذكر موارد الكتب التي ينقل منها، والعناية بإيراد الألفاظ الدالة على معاصرة راوي الخبر له.

(ب) تفضيل المورد الأقدم عند عدم توافر الموارد المعاصرة.

(جـ) العناية بالتخصص التأليفي المتمثل بالأخذ عن المؤلفات التي تخصصت في نمط معين من الموضوعات، أو نوع خاص من المترجمين.

وقد وثقت رأيي في استنباط هذه الأسس بالأمثلة التوضيحية من الموارد التي أفاد منها في كتابه وفصلت كل ذلك تفصيلاً.

(٧)

أما طرائق النقل من الموارد فقد بينت فيها أن الذهبي عني بذكر موارده في معظم الأحايين، وربطت هذه الظاهرة المنهجية بطبيعة تربيته ونشأته العلمية

المعنية بالحديث ومصطلحه وشدة كلفه به بحساب أن رواية الحديث بالأسانيد والتدقيق في رواته تعد أرقى أنواع المصادر.

وقد وجدت الذهبي يعنى بذكر المؤلف ويهمل ذكر كتابه، فبينت ما لهذه الطريقة من مساوئ خطيرة وما تسببه من إرباك كبير للباحثين ليس في الخلط بين كتاب وآخر من كتب المؤلف المنقول عنه حسب، بل في معرفة الكتاب الواحد أيضًا. ومع أنني حاولت أن أعلل طريقته بكونه كان يكتب للخاصة من العلماء بهذا الفن، إلا أن ذلك لا يعفيه مما يسببه لنا من صعوبات جمة.

وعلى الرغم من أن الذهبي كان يشير إلى بداية النقل وانتهائه، فقد استطعت أن أكتشف طريقتين في النقل تميز بهما:

(أ) أن نقل الذهبي لجزء يسير من الترجمة عن مؤلف ما في الظاهر قد يعني في معظم الأحيان نقله لجميعها عنه ولا سيما عند عدم ذكر مصدر آخر.

(ب) أنه استعمل ألفاظًا معينة للدلالة على النقل من غير تصريح به، نحو قوله: «وثقه فلان»، و«كتب عنه فلان»، و«حكى عنه فلان»، و«أجاز لفلان»، و«ضعفه فلان» ونحوها.

وقد تمكنت من التعرف إلى هذه الطريقة بعد جهود طويلة من المطابقات بين كتابه وبين المؤلفات التي ينقل منها، وقدمت بعض أمثلة تلك المطابقات.

وأوضحت في دراستي هذه أن الذهبي بالرغم من اعتماده طريقة النقل الحرفي تارة وإهمالها تارة أخرى، فإنه كان دقيقًا في نقل المادة التاريخية. وهو في أكثر الحالات يشير إلى طبيعة نقله وفيما إذا كان باللفظ أو بالمعنى. على أننا استطعنا أن نميز له منهجًا خاصًا حينما وجدناه يجمع المعلومات من أماكن متفرقة من مصدر ما، أو مصادر متعددة، ويعيد تحرير الخبر أو الترجمة بصياغته الخاصة مع الالتزام التام بالدقة والأمانة.

ثم وجدت الذهبي بعد ذلك يعنى العناية البالغة بالمقارنة بين الروايات وترجيح الصحيح منها، وتمكنت أن أميز الأسس الرئيسة التي اعتمدها في الترجيح، وهي:

(أ) معرفة الراوي بموضوع الخبر وخبرته به.

(ب) الوقوف على الوثائق والخطوط التي توثق الخبر.

(جـ) الاستفادة من الوقائع التاريخية الثابتة الأخرى التي تؤيد خبرًا ما أو تنقضه.

(د) مسايرة إجماع المؤرخين الثقات ورد رواية المتفرد.

(هـ) ترجيح نص بعد تعليله ووضعه في المجرى التاريخي العام.

وأثبتُّ أخيرًا أن الذهبي كان يعنى بانتقاء أصح نسخ الموارد التي يعتمدها وينقل منها، مما يتمثل في عنايته البالغة بالمؤلفات المكتوبة بخطوط أصحابها أو خطوط العلماء الأمناء الثقات، وفي مقابلته بين بعض نسخ المصادر.

(٨)

وحينما بحثت منهج الذهبي النقدي في كتابه «تاريخ الإسلام»، وجدت الرجل معنيًا به كل العناية، مارسه في كل قسم من أقسامه، وعدّه جزءًا أساسيًا من منهجه في الدراسة التاريخية. وعللت ذلك الاهتمام بسبب من تكوينه الفكري المتصل بدراسة الحديث النبوي الشريف رواية ودراية. ثم تمكنت أن أبيّن أنواع النقد الذي عاناه وأساليبه متمثلاً بنقد الرجال، والتقويم والأحكام، ونقد الروايات.

وقد انتقد بعضهم الذهبي بسبب استمراره في نقد الرجال بعد استقرار الحديث في الكتب وتحديد درجاته، وبسبب سحبه على فئات من غير الرواة. وفي هذا المجال لم أتفق مع بعض العلماء المسلمين الذين عللوا هذا الأمر بالفائدة المتوخاة منه للنصيحة ودفع الضرر، عددتُ ذلك تفسيرًا ساذجًا منهم، ورأيت دوافع أخرى لعل من أبرزها:

أ ـ استمرار العناية بالرواية بعد التدوين.

ب ـ عدم عدّ الذهبي آراء النقاد السابقين مسلمات لا يمكن ردها أو الطعن فيها، وعده باب الاجتهاد في النقد مفتوحًا في كل زمان.

جـ ـ أن النقد قد أصبح جزءًا من مفهومه التاريخي فسحبه على جميع

كتابه. واستطعت أن أميز نقد الرجال الذي أطلقت عليه تجوزًا «النقد الحديثي»، عن النقد الذي صرفه على غير المحدثين والذي سميته «التقويم والأحكام». وبينت أن الرجل نظر إلى كل فئة بمنظار يختلف عن الآخر في الأغلب الأعم، وأن تعدد المناظير واختلافها جعله يراعي في كل طائفة صفات قد لا يراعيها في طائفة أخرى. ورددت بذلك على كثير من الباحثين الذين وقعوا في آفة التعميم وخرجوا بما ظنوا أنه حقيقة وهي أن المؤرخين المسلمين المتأثرين بالحديث الشريف وعلومه نظروا إلى جميع الناس بمناظيرهم وبس.

واستطعت تبيان عناية الذهبي بنقد الروايات والرد على المؤلفين السابقين مهما احتلوا من منزلة بين كبار الثقات، وأن نقده قد انصب على المتن أولاً فعني بتحليل الروايات تحليلاً علميًا على غاية من الرقي النقدي. ووضحت كل ذلك وفصلته ووثقته بالأمثلة الموضحة له.

وحاولت أخيرًا أن أستبين مدى تعصبه أو إنصافه في النقد، فكان من نتاج الدراسة التحليلية الانتقادات الموجهة إليه وردود الآخرين عليها ودراستي لكتابه «تاريخ الإسلام»، أن كثيرًا مما وجه إليه غلب عليه طابع التعصب، وأن الرجل قد وفق إلى حد كبير أن يكون منصفًا، ونبهت إلى وجوب التفريق بين التعصب وبين الإيمان بالشيء والدفاع عنه بكل ممكن.

والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات وصلَّى اللّه تعالى وسلَّم على محمد وآلِهِ وصحبه أجمعين.

* * *

جريدة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الخطية:

الأدفوي، كمال الدين أبو الفضل جعفر بن تغلب[1] (ت ٧٤٩هـ):

١ ـ الإمتاع بأحكام السماع.

نسخة المكتبة الأزهرية رقم (٤٦٢) ٧٠٥٨ أدب أباظة.

الإسنوي، أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢هـ):

٢ ـ طبقات الشافعية.

نسختي المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ذات الرقم ٥٦ تاريخ. واعتمدنا أيضًا طبعة ديوان الأوقاف التي قام بتحقيقها الأستاذ عبد الله الجبوري وهي في مجلدين.

ابن الأكفاني، أبو محمد هبة الله بن أحمد (ت ٥٢٤هـ):

٣ ـ جامع الوفيات.

عندي قطعة مصورة منه في آخر كتاب «موالد العلماء ووفياتهم» لابن زبر الدمشقي التي صورتها عن دار التحف البريطانية في لندن.

ابن البخاري، فخر الدين علي بن أحمد المقدسي (ت ٦٩٠هـ):

٤ ـ المشيخة. تخريج الحافظ جمال الدين أبي العباس أحمد بن محمد الظاهري الحنفي.

نسخة المكتبة الأحمدية بحلب رقم ٢٦١.

ابن بردس، إسماعيل بن محمد بن بردس البعلبكي (ت ٧٨٦هـ):

٥ ـ الإعلام في وفيات الأعلام.

نسخة مكتبة أياصوفيا بإستانبول رقم ٢٩٦١.

٦ ـ بغية الأريب في اختصار التهذيب.

نسخة المكتبة الأزهرية، رواق المغاربة رقم ٨٩٤.

---

(١) المشهور أنه «ثعلب» ولكن انظر الأعلام للزركلي، ١٠ / ٦١.

البرذعي، أبو عثمان سعيد بن عمرو (ت ٢٩٢هـ):

٧ ـ الضعفاء والكذابون والمتروكون من أصحاب الحديث.

النسخة المصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٧١٩ تاريخ.

البرزالي، علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد (ت ٧٣٩هـ):

٨ ـ المقتفي لتاريخ أبي شامة.

نسختي المصورة عن النسخة المحفوظة في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول رقم ٢٩٥١.

البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٤هـ):

٩ ـ تراجم العلماء.

نسخة خزانة كتب رئيس الكتّاب بإستانبول رقم ٦٢٧.

البغوي، أبو القاسم عبد اللّه بن محمد بن المرزبان البغوي (ت ٣١٧هـ):

١٠ ـ تاريخ وفاة شيوخ البغوي.

نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ١٠٦ مجاميع.

البنداري، الفتح بن علي بن محمد (ت ٦٤٣هـ):

١١ ـ تاريخ بغداد.

نسخة المكتبة الوطنية في باريس رقم ٦١٥٢ عربي.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ):

١٢ ـ الزهد الكبير.

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة عارف حكمت بالمدينة المنورة.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ):

١٣ ـ الدليل الشافي على المنهل الصافي.

نسخة خزانة كتب قره جلبي بإستانبول رقم ٢٦٦.

١٤ ـ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي.

نسخة مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ٣٠١٨.

التونسي، محمد بن عزم (ت ٨٩١هـ):

١٥ ـ دستور الأعلام بمعارف الأعلام.

نسخة خزانة كتب ولي الدين جار الله بإستانبول رقم ١٦٠٥ .

ابن الجزري، محمد بن إبراهيم (ت ٧٣٩هـ) :

١٦ ـ تاريخ ابن الجزري، وهو «حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه» .

النسخة المصورة المحفوظة في المكتبة التيمورية برقم ٢١٥٩ تاريخ عن نسخة المكتبة الوطنية بباريس ذات الرقم ٦٧٣٩ عربي، ونسخة مكتبة كوبرلي بإستانبول رقم ١٠٤٧ .

ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد العمري (ت ٨٣٣هـ) :

١٧ ـ ملخص تاريخ الإسلام .

نسختي المصورة عن نسخة عارف حكمت بالمدينة المنورة ذات الرقم ٩٠ تاريخ، والنسخة المصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ١٤٥٠ تاريخ عن نسخة كتبخانة ملي بطهران رقم ٤٦٩ .

ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم الكناني الحموي (ت ٧٣٣هـ) :

١٨ ـ المنهل الروي في علم الحديث النبوي .

النسخة المصورة المحفوظة في خزانة كتب الحاج صبحي السامرائي .

ابن جميع الصيداوي، أبو الحسين محمد بن أحمد الغساني (ت ٤٠٢هـ) :

١٩ ـ معجم الشيوخ .

نسخة المكتبة الأزهرية رقم ٣٢٦ مجاميع .

الجوزجاني، إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني السعدي (ت ٢٥٩هـ) :

٢٠ ـ أحوال الرجال .

نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٢٤٩ حديث .

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) :

٢١ ـ التحقيق في أحاديث التعليق .

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٣٠٠ حديث وعن دار الكتب المصرية رقم ٢ فقه حنبلي .

٢٢ ـ الضعفاء .

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة أحمد الثالث بإستانبول .

٢٣ ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية.
نسخة خزانة كتب آصف باشا بإستانبول رقم ١١٦.
حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ):
٢٤ ـ سلم الوصول إلى طبقات الفحول.
نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٢م تاريخ.
الحاكم الكبير، أبو أحمد محمد بن محمد النيسابوري (ت ٣٧٨هـ):
٢٥ ـ كتاب الكنى.
نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن المكتبة الأزهرية.
الحاكم، أبو عبد الله محمد بن علي ابن البيّع (ت ٤٠٥هـ):
٢٦ ـ سؤالات أهل بغداد للحاكم في الرجال، رواية علي بن مسعود السجزي.
نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة أحمد الثالث ذات الرقم ٦٢٤.
ابن حبّان، محمد بن حبان التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ):
٢٧ ـ الثقات.
نسخة مكتبة أحمد الثالث بإستانبول رقم ٢٩٩٥، وهو قسم من المجلد الأول، ونسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٧١٠، ٧١١ تاريخ وهما المجلدان الثاني والثالث من الكتاب. وطبع الجزء الأول منه بحيدرآباد.
٢٨ ـ معرفة المجروحين من المحدثين.
النسخة المصورة المحفوظة في معهد إحياء المخطوطات العربية برقم ٤٩٦ تاريخ عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٩٥٩٨ ب.
ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ):
٢٩ ـ رفع الإصر عن قضاة مصر.
نسخة المكتبة الوطنية بباريس.
٣٠ ـ المجمع المؤسس للمعجم المفهرس.
نسختي المصورة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٧٥ مصطلح الحديث.
٣١ ـ المعجم المفهرس.

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٨٢ مصطلح الحديث.

الحداد الأصبهاني: أبو علي الحسن بن أحمد (ت ٥١٥هـ):

٣٢ ـ معجم أسامي مشايخ أبي علي الحداد الأصبهاني.

نسختي التي بخطي، ونسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٦م مصطلح الحديث.

ابن الحريري، أحمد بن علي المغربي (كتبه سنة ٩٢٦هـ):

٣٣ ـ منتخب الزمان في تاريخ الخلفاء والعلماء والأعيان.

النسخة المصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ١٠٨ تاريخ عن نسخة الفاتيكان.

الحسيني، شمس الدين محمد بن علي بن الحسن (ت ٧٦٥هـ):

٣٤ ـ الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوى من ذكر في تهذيب الكمال.

نسخة معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٩٠٥ تاريخ.

الحسيني، عز الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٩٥هـ):

٣٥ ـ صلة التكملة لوفيات النقلة.

نسختي المصورة عن نسخة كوبرلي بإستانبول رقم ١١٠١.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ):

٣٦ ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع.

نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ٣٧١١ح.

ابن أبي خيثمة، أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب (ت ٢٧٩هـ):

٣٧ ـ التاريخ الكبير.

المجلد الثالث المصور في خزانة كتب الحاج صبحي السامرائي عن مكتبة القرويين.

الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ):

٣٨ ـ كتاب الضعفاء والمتروكين.

قطعة منه مصورة عند الحاج صبحي السامرائي ضمن مجموع رقم ٧ عن دار الكتب الظاهرية الموجودة في مجموع رقم ١٢٤، والقطعة المخزونة في مكتبة

أياصوفيا رقم ٤ / ٣٤٠٥.

ابن الدبيثي، أبو عبد اللّه محمد بن سعيد الواسطي (ت ٦٣٧هـ):

٣٩ ـ ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد.

نسختي المصورة عن: نسخة المكتبة الوطنية في باريس رقم ٥٩٢١، ورقم ٥٩٢٢، ونسخة مكتبة شهيد علي باشا بإستانبول رقم ١١٧٠. والنسخة المصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي عن نسخة كيمبرج. وقد حققته وتبنت وزارة الإعلام العراقية نشره بنفقاتها وظهر منه المجلد الأول سنة ١٩٧٤م (ثم نشرته دار الغرب الإسلامي كاملاً في خمسة مجلدات سنة ٢٠٠٧م).

ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر (ت ٨٠٩هـ):

٤٠ ـ ترجمان الزمان في تراجم الأعيان.

نسختي المصورة عن نسخة أحمد الثالث بإستانبول رقم ٢٩٢٧ وهو الجزء الثالث عشر من الكتاب بخط المؤلف.

٤١ ـ نزهة الأنام في تاريخ الإسلام.

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٧٤٠ تاريخ.

ابن أبي الدم الحموي، إبراهيم بن عبد اللّه (ت ٦٤٢هـ):

٤٢ ـ التاريخ المظفري.

نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ١٢٩٢ب.

الدمياطي، شرف الدين عبد المؤمن بن خلف (ت ٧٠٥هـ):

٤٣ ـ معجم الشيوخ.

نسختي المصورة عن نسخة المكتبة الأزهرية ذات الرقم ٣٢٦ مصطلح الحديث، وهو الجزء الثالث منه وعليه خط المؤلف.

الدمياطي الحسامي، شهاب الدين أحمدبن أيبك (ت ٧٤٩هـ):

٤٤ ـ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد.

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٩٦، ومنه نسخة مصورة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد، وأخرى بالمجمع العلمي العراقي.

الذهبي، شمس الدين أبوعبد اللّه محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ):

٤٥ ـ أحاديث مختارة من الموضوعات من الأباطيل للجورقاني.

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة المكتبة الأزهرية التي هي ضمن مجموع برقم ٢٩٠ حديث.

٤٦ ـ الأربعون البلدانية.

نسخة مكتبة بانكيبور بالهند رقم ٥ / ٢ / ٤٦٢.

٤٧ ـ أربعون حديثًا بلدانية من المعجم الصغير للطبراني.

نسختي المصورة عن نسخة الخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية ذات الرقم ٤٣٨ حديث.

٤٨ ـ كتاب الأربعين في صفات رب العالمين.

نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق.

٤٩ ـ أسماء من عاش ثمانين سنة بعد شيخ أو بعد تاريخ سماع.

نسختي المصورة عن نسخة مكتبة أياصوفيا بإستانبول رقم ٢٩٥٣.

٥٠ ـ الإشارة إلى وفيات الأعيان والمنتقى من تاريخ الإسلام.

نسختي المصورة عن النسخة المحفوظة بالمكتبة الأحمدية بحلب برقم ٣٢٨.

٥١ ـ الإعلام بوفيات الأعلام.

نسختي المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ١١٧ مجموع.

٥٢ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.

نسختي المصورة الملفقة من عدة نسخ، وغيرها (راجع المدخل إلى هذه الرسالة).

٥٣ ـ تذهيب تهذيب الكمال في معرفة الرجال.

نسختي المصورة عن نسخة أحمد الثالث بإستانبول ذات الأرقام ١ / ٢٨٤٩ و٢ / ٢٨٤٩ و٣ / ٢٨٤٩، ونسخة أسعد أفندي بإستانبول رقم ٢٩٢، ورقم ٢٤٦١.

٥٤ ـ ترتيب الموضوعات لابن الجوزي.

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن الأزهر.

٥٥ ـ تسمية رجال صحيح مسلم الذين انفرد بهم عن البخاري.

النسخة المحفوظة في خزانة كتب لاله لي بإستانبول، رقم ٢٠٨٩.

٥٦ ـ تشبيه الخسيس بأهل الخميس.

نسخة دار الكتب المصرية (ذهلت عن تقييد رقمها).

٥٧ ـ تلخيص العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي.

نسخة المكتبة الأزهرية رقم ٢٩٠ حديث ومنها مصورة عند الحاج صبحي السامرائي.

٥٨ ـ تنقيح كتاب التحقيق في أحاديث التعليق لابن الجوزي.

نسخة مكتبة فيض اللّه بإستانبول رقم ٢٩٦. وفي خزانة كتب الحاج صبحي السامرائي صورة لهذا المجلد، وقطعة من المجلد الأول الذي هو في الظاهرية رقم ٥٨١ تفسير.

٥٩ ـ ثلاثون حديثًا من المعجم الصغير للطبراني.

نسختي المصورة عن النسخة المحفوظة في خزانة كتب الشهيد علي باشا بإستانبول رقم ١٧ / ٥٤٦.

٦٠ ـ ثلاثيات ابن ماجة.

نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٥٩.

٦١ ـ الجزء الملقب بالدينار من حديث المشايخ الكبار.

نسختي المصورة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٥٠٨ حديث.

٦٢ ـ حقوق الجار.

نسختي المصورة عن النسخة المحفوظة في مكتبة كوبرلي بإستانبول رقم ٣ / ١٥٨٤.

٦٣ ـ ديوان الضعفاء والمتروكين.

نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٣٦٩ حديث، ومجموع رقم ٧٥٣٩ عام. ونسختي المصورة عن نسخة أحمد الثالث بإستانبول رقم ١ / ٣٠٥٣.

٦٤ ـ ذكر الجهر بالبسملة مختصرًا.

نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٥٥.

٦٥ ـ ذكر من اشتهر بكنيته من الأعيان.

النسخة المحفوظة في مكتبة جستربتي بدبلن ضمن مجموع برقم ٣٤٥٨.

٦٦ ـ ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل.

نسخة مكتبة أياصوفيا بإستانبول رقم ٢٩٥٣.

٦٧ ـ ذيل ديوان الضعفاء والمتروكين.

نسختي المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٣٦٩ حديث، ونسختي المصورة عن نسخة أحمد الثالث بإستانبول رقم ١ / ٣٠٥٣.

٦٨ ـ الرد على ابن القطان.

منه نسخة مختصرة محفوظة بدار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٧٠، وفي خزانة الحاج صبحي السامرائي نسخة مصورة عنها.

٦٩ ـ رسالة في أن اللّه على العرش.

نسخة دار الكتب الظاهرية، ضمن مجموع برقم ٤٧ مجاميع.

٧٠ ـ سير أعلام النبلاء.

نسخة مكتبة السلطان أحمد الثالث بإستانبول رقم ١ / ٢٩١٠.

٧١ ـ العوالي المنتقاة من حديث الذهبي.

نسخة دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ٤٥١٢ عام.

٧٢ ـ المجرد في أسماء رجال كتب سنن الإمام أبي عبد اللّه بن ماجة سوى من أخرج لهم في أحد الصحيحين.

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٥٣١ حديث.

٧٣ ـ المجرد من تهذيب الكمال.

نسخة شهيد علي باشا بإستانبول رقم ٥٢٣، ومنها مصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية برقم ٥٧٦ تاريخ.

٧٤ ـ المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد اللّه محمد بن سعيد ابن محمد ابن الدبيثي.

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٣٢٤ تاريخ. وقد حققه المرحوم الدكتور مصطفى جواد، بغداد ١٩٥١، ١٩٦٣، ١٩٧٧م.

٧٥ ـ المستدرك على مستدرك الحاكم.

نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٦٢ (وهي قطعة منه).

٧٦ ـ معجم الشيوخ (الكبير).

نسختي المصورة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٦٥ حديث، ونسخة أحمد الثالث بإستانبول رقم ٤٦٢.

٧٧ ـ المعجم اللطيف (الصغير).

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية رقم ١٢ مجموع.

٧٨ ـ معرفة التابعين من الثقات لابن حبان.

نسختي المصورة عن النسخة المحفوظة في خزانة كتب الإسكوريال بإسبانيا رقم ١٦٨٩ وهي بخط الذهبي.

٧٩ ـ المعين في طبقات المحدثين.

نسختي المصورة عن النسخة المحفوظة في خزانة كتب فيض اللّه بإستانبول رقم ١٥٢٨.

٨٠ ـ المقتنَى في سرد الكنى.

نسخة مكتبة فيض اللّه بإستانبول رقم ١٥٣١.

٨١ ـ المقدمة ذات النقاط في الألقاب.

النسخة المصورة المحفوظة بدار الكتب المصرية، رقم ٤٤٢٣ج.

٨٢ ـ مناقب البخاري.

نسخة دار الكتب المصرية، ضمن مجموع برقم ٩٦٥.

٨٣ ـ المنتقى من حديث تقي الدين ابن الشيخ شمس الدين ابن المجد البعلي.

نسخة دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ٢٥.

٨٤ ـ المنتقى من معجمي الطبراني الأوسط والكبير، ومن مسند المقلين لدعلج.

نسخة دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ٧١ ومنها نسخة مصورة عند الحاج صبحي السامرائي.

٨٥ ـ الموقظة في علم مصطلح الحديث.

نسخة دار الكتب الوطنية بباريس رقم ٤٥٧٧ عربي، ونسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٨٨ عام.

٨٦ ـ مهذب السنن الكبرى للبيهقي.

نسختي المصورة عن نسخة مكتبة مدينة الملحقة بطوبقبو سراي بإستانبول (ذات الأرقام ٢٥٨ ـ ٢٦٠. وقد نشر بالقاهرة نشرة رديئة باسم «المهذب في اختصار السنن الكبير»).

٨٧ ـ نبذة من فوائد تاريخ ابن الجزري.

نسختي المصورة عن نسخة كوبرلي بإستانبول، رقم ١١٤٧.

٨٨ ـ هالة البدر في عدد أهل بدر.

لعل النسخة التي في دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ٤٧ هي هذا الكتاب؟

ابن رافع السلاَّمي، تقي الدين محمد بن هجرس (ت ٧٧٤هـ):

٨٩ ـ الوفيات.

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٢٦م تاريخ.

ابن زبر، أبو سليمان محمد بن عبد اللّه الربعي الدمشقي (ت ٣٧٩هـ):

٩٠ ـ تاريخ موالد العلماء ووفياتهم.

نسختي المصورة عن نسخة دار التحف البريطانية في لندن.

الزركشي، بدر الدين أبو عبد اللّه محمد بن بهادر (ت ٧٩٤هـ):

٩١ ـ عقود الجمان في ذيل وفيات الأعيان.

نسختي المصورة عن نسخة مكتبة فاتح بإستانبول رقم ٤٤٣٥ وهي بخط المؤلف.

سبط ابن حجر، يوسف بن شاهين الكركي (ت ٨٩٩هـ):

٩٢ ـ رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ.

نسختي المصورة عن النسخة المحفوظة في المكتبة الخالدية بالقدس، رقم ١١ تراجم[١].

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ):

٩٣ ـ طبقات الشافعية الوسطى.

---

(١) نسبه المرحوم فؤاد سيد إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ فهرس المخطوطات المصورة، ٢ / قسم٣ / ١٧٤) وهو وهم.

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٥٤ تاريخ.
٩٤ ـ معجم الشيوخ.
نسخة الخزانة التيمورية رقم ١٤٤٦ تاريخ.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ):
٩٥ ـ وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام.
نسختي المصورة عن نسخة كوبرلي بإستانبول رقم ١١٨٩.

السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني (ت ٥٧٦هـ):
٩٦ ـ انتخابات من «مسند» عبد بن حميد.
النسخة المصورة المحفوظة في خزانة الحاج صبحي السامرائي.
٩٧ ـ معجم السفر.
نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ١٧٦ حديث.
٩٨ ـ معجم شيوخ بغداد.
نسختي المصورة عن نسخة الإسكوريال ذات الرقم ١٧٨٣.

السمناني، علي بن محمد (ت ٤٩٩هـ):
٩٩ ـ روضة القضاة وطريق النجاة.
نسخة مكتبة بلدية مكتبة ميونيخ، رقم ٢٦٠ عربي.
وقد نشره الدكتور صلاح الدين الناهي في بغداد بأخرة.

ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد اليعمري (ت ٧٣٤هـ):
١٠٠ ـ أجوبة ابن سيد الناس.
مصورة معهد إحياء المخطوطات رقم ٨ تاريخ عن نسخة الإسكوريال.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ):
١٠١ ـ ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مئة وعشرين.
نسخة دار الكتب المصرية ضمن مجموع برقم ٥٢١ مجاميع.
١٠٢ ـ طبقات الحفاظ.
نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ٨٢٢ب مجموع. وقد طبع في القاهرة بأخرة طبعة غير جيدة.

ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ):

١٠٣ ـ عيون التواريخ.

نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٤٤ ـ ٤٩ تاريخ، ونسخة كيمبرج رقم ٢٩٢٣ (والنسخة الأخيرة هي التي اعتمدناها في دراسة آثار الذهبي).

ابن الشعار، أبو البركات المبارك بن أبي بكر الموصلي (ت ٦٥٤هـ):

١٠٤ ـ عقود الجمان في شعراء هذا الزمان.

نسختي المصورة عن مكتبة أسعد أفندي بإستانبول ذات الأرقام ٢٣٢٣ ـ ٢٣٣٠.

ابن الشلبي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٢٣هـ):

١٠٥ ـ إتحاف الرواة بمسلسل القضاة.

نسخة الخزانة التيمورية رقم ١٤٤٩ تاريخ.

الشماع، عمر بن أحمد بن علي الحلبي الشافعي (ت ٩٣٦هـ):

١٠٦ ـ ثبت الشماع.

نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ١٩٦٣د.

صبحي السامرائي، شيخنا العلامة المحدث الحاج صبحي ابن السيد جاسم البدري:

١٠٧ ـ الاستبصار في طبقات مجرحي ومعدلي رواة الآثار.

النسخة الخطية المحفوظة في خزانة كتبه.

١٠٨ ـ الكمال في تاريخ علم الرجال.

النسخة الخطية المحفوظة في خزانة كتبه.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ):

١٠٩ ـ أعيان العصر وأعوان النصر.

نسخة مكتبة أياصوفيا بإستانبول رقم ٢٩٦٨.

١١٠ ـ الوافي بالوفيات.

النسخة المصورة المحفوظة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (ت ٣٦٠هـ):

١١١ ـ المعجم الأوسط.

نسخة مكتبة كوبرلي بإستانبول رقم ٤٥٤ .
١١٢ ـ المعجم الكبير .
نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة أحمد الثالث رقم ٤٦٥ .
ابن الطحان، أبو القاسم يحيى بن علي الحضرمي (ت ٤١٦هـ):
١١٣ ـ الذيل على تاريخ مصر (لابن يونس) .
نسخة دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ١١٦ .

ابن طولون، شمس الدين محمد بن طولون الصالحي (ت ٩٥٣هـ):
١١٤ ـ الأربعون المسلسلات .
النسخة المصورة المحفوظة في الخزانة التيمورية رقم ٥٤٢ حديث .
١١٥ ـ التزام ما لا يلزم فيما ورد في ماء زمزم .
نسخة مكتبة جستربتي ضمن مجموع رقم ٣٣١٧ .

الطيبي، شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد اللّه (ت ٧٤٣هـ):
١١٦ ـ أسماء الرجال .
نسخة دار الكتب الظاهرية رقم ٦١٦٤ .

ابن عبد الهادي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٤هـ):
١١٧ ـ تنقيح التحقيق لابن الجوزي .
نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٣٠١ حديث ورقم ٥٨١ تفسير .

ابن عبد الهادي، يوسف (ت ٩٠٩هـ):
١١٨ ـ تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ .
نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٤٥٤٣ .
١١٩ ـ معجم الشافعية .
نسخة دار الكتب الظاهرية رقم ٤٥٥١ عام .

ابن عدي، عبد اللّه بن عدي بن عبد اللّه الجرجاني (ت ٣٦٠هـ):
١٢٠ ـ الكامل في ضعفاء الرجال .
نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة أحمد الثالث بإستانبول رقم ٢٩٤٣ .

العراقي، زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٠٦هـ):

١٢١ ـ تخريج أحاديث مختصر المنهاج. تحقيق الحاج صبحي السامرائي. (لم يطبع بعد).

العراقي، ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم (ت ٨٢٦هـ):

١٢٢ ـ الذيل على ذيل العبر للذهبي.

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٦١٥ تاريخ، ومنها مصورة في خزانة كتب المجمع العلمي العراقي.

١٢٣ ـ ذيل كتاب الكاشف للذهبي.

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة فيض اللّه بإستانبول ذات الرقم ١٤٥٤.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي (ت ٥٧١هـ):

١٢٤ ـ تاريخ دمشق.

نسخة دار الكتب الظاهرية ذات الأرقام ١ ـ ٢٦ تاريخ.

١٢٥ ـ معجم الشيوخ.

نسختي المصورة عن نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٣٣٧.

١٢٦ ـ المعجم المشتمل على أسماء الشيوخ النبل.

نسختي المصورة عن نسخة الخزانة التيمورية ذات الرقم ١٧٤٩.

ابن العطار، علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود (ت ٧٢٤هـ):

١٢٧ ـ رسالة السماع.

نسخة مكتبة جستربتي بدبلن، ضمن مجموع برقم ٣٢٩٦.

العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى (ت ٣٢٢هـ):

١٢٨ ـ الضعفاء.

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٣٦٢ حديث.

العلائي، محمد بن أحمد بن إينال الحنفي (القرن العاشر):

١٢٩ ـ تشنيف المسامع بتهذيب الضوء اللامع (للسخاوي).

نسخة الخزانة التيمورية رقم ٦٢٤ تاريخ.

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ):

١٣٠ ـ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان.

نسخة مكتبة السلطان أحمد الثالث بإستانبول رقم ٢٩١١، والنسخة المصورة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤ تاريخ.

ابن الغزي، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن (ت ١١٦٧هـ):

١٣١ ـ ديوان الإسلام.

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٠٣٥٠ح.

الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٨٣٢هـ):

١٣٢ ـ تعريف ذوي العلاء لمن لم يذكره الذهبي من النبلاء.

نسخة مكتبة برلين الملكية رقم ٩٨٣٧.

١٣٣ ـ ذيل كتاب التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد.

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٩٨ مصطلح الحديث.

١٣٤ ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.

نسخة مكتبة قولة الملحقة بدار الكتب المصرية رقم ٦ تاريخ ق. واعتمدنا أيضًا النسخة المطبوعة بتحقيق الأساتذة: الفقي وفؤاد سيد ومحمود الطناحي (القاهرة ١٩٥٨ ـ ١٩٦٩م).

ابن فهد، أبو الفضل محمد بن محمد الهاشمي (ت ٨٧١هـ):

١٣٥ ـ بغية الطالب الفالح في مشيخة قاضي طابة أبي الفتح بن صالح.

نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ١٨٠٥د.

ابن فيل، أبو طاهر الحسن بن أحمد بن فيل البالسي (ت ٣١١ ـ ٣٢٠هـ)[١]:

١٣٦ ـ جزء ابن فيل.

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٥٥٦٨ب.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ (ت نحو ٧٧٠):

١٣٧ ـ نثر الجمان في تراجم الأعيان.

---

(١) ذكره الذهبي في المتوفين على التقريب من أهل الطبقة الثانية والثلاثين (تاريخ الإسلام، الورقة ١٠٧ أحمد الثالث ٩ / ٢٩١٧).

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٧٤٦ تاريخ .

ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت ٨٥١هـ) :

١٣٨ ـ الإعلام بتاريخ أهل الإسلام .

نسخة دار الكتب الوطنية بباريس رقم ١٣٩٨ عربي .

١٣٩ ـ طبقات الشافعية .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٥٦٨ ، ونسخة مكتبة السلطان أحمد الثالث بإستانبول رقم ٢٨٣٦ .

١٤٠ ـ منتقى المعجم المختص للذهبي .

نسخة دار الكتب الوطنية بباريس رقم ٢٠٧٦ عربي .

١٤١ ـ المنتقى من تاريخ الإسلام .

نسخة المكتبة الأحمدية بحلب رقم ١٢٢٠ .

الكتاني، أبو محمد عبد العزيز بن أحمد (ت ٤٦٦هـ) :

١٤٢ ـ الذيل على وفيات ابن زبر .

نسختي المصورة عن دار التحف البريطانية، وهي ضمن النسخة التي فيها «تاريخ موالد العلماء ووفياتهم» لابن زبر الربعي الدمشقي المتوفى سنة ٣٧٩هـ .

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) :

١٤٣ ـ التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٤٢٢٧ب .

١٤٤ ـ طبقات الشافعية .

نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم ٢١٩ك .

ابن المجد، سيف الدين أحمد ابن المجد عيسى ابن قدامة (ت ٦٤٣هـ) :

١٤٥ ـ تعاليق سيف الدين ابن قدامة .

نسخة دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع رقم ١٠٤ .

المزي، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢هـ) :

١٤٦ ـ تهذيب الكمال في معرفة الرجال .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٥ مصطلح الحديث .

مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ):

١٤٧ ـ التمييز.

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية التي ضمن مجموع برقم ١١٤.

١٤٨ ـ الكنى والأسماء.

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم١.

أبو مسهر، أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني (ت ٢١٨هـ):

١٤٩ ـ نسخة أبي مسهر.

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٥٥٥١ب.

المطعم، عيسى بن عبد الرحمن بن معالي المقدسي الدلال (ت ٧١٩هـ).

١٥٠ ـ المشيخة.

نسختي المصورة عن النسخة المحفوظة في مكتبة البلدية بالإسكندرية ضمن مجموع برقم ١٩٦٣ز.

ابن معين، أبو زكريا يحيى بن معين المري (ت ٢٣٣هـ):

١٥١ ـ التاريخ والعلل (رواية عباس الدوري عنه).

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية التي ضمن مجموع برقم ١١٢.

١٥٢ ـ جزء فيه تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين في تجريح الرواة وتعديلهم.

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن مكتبة الشيخ سليمان بن بسام في عنيزة.

١٥٣ ـ سؤالات أبي إسحاق إبراهيم بن عبد اللّه بن الجنيد الختلي لابن معين.

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة أحمد الثالث ٤ / ١٢٤.

١٥٤ ـ سؤالات عثمان بن طالوت لابن معين.

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة أحمد الثالث رقم ٦٢٤.

١٥٥ ـ معرفة الرجال.

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق التي هي ضمن مجموع رقم١.

مغلطاي، الحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج (ت ٧٦٢هـ):

١٥٦ ـ إكمال تهذيب الكمال في معرفة الرجال.

نسختي المصورة عن نسخة المكتبة الأزهرية رقم ١٥ مصطلح الحديث.

المقدسي، عبد الغني بن عبد الواحد بن علي الجماعيلي (ت ٦٠٠هـ):

١٥٧ ـ الكمال في معرفة الرجال.

نسختي المصورة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٥ مصطلح الحديث.

المقدسي، أبو حامد محمد بن يوسف (ت ٨٨٨هـ):

١٥٨ ـ تشنيف الأسماع بأحكام السماع.

نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ٢٠٥٥ / ٢د.

ابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن زاذان (ت ٣٨١هـ):

١٥٩ ـ معجم الشيوخ الكبير.

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٧م.

ابن مكتوم، تاج الدين أحمد بن عبد القادر (ت ٧٤٩هـ):

١٦٠ ـ تلخيص أخبار النحويين واللغويين (اختصره من إنباه الرواة للقفطي).

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٠٦٩ تاريخ تيمور.

ابن الملاَّ، أحمد بن محمد بن علي الحصكفي (ت ١٠٠٣هـ):

١٦١ ـ مختصر تاريخ الإسلام.

نسخة مكتبة الأوقاف ببغداد ذات الأرقام ٥٨٨٥ ـ ٥٨٩٢، ونسخة المكتبة الأحمدية بحلب رقم ١٢١٩.

ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي (ت ٨٠٤هـ):

١٦٢ ـ العقد المذهب في طبقات حملة المذهب.

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٧٩ تاريخ.

١٦٣ ـ ذيل العقد المذهب.

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٧٩ تاريخ (بعد كتاب العقد المذهب أعلاه).

ابن مندة، أبو عبد الله محمد بن إسحاق العبدي الأصبهاني (ت ٣٩٥هـ):

١٦٤ ـ كتاب معرفة الصحابة.

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة أحمد الثالث بإستانبول التي ضمن مجموع برقم ٦٢٤.

١٦٥ ـ معرفة الصحابة.

القطعة المصورة عند الحاج صبحي السامرائي عن دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٣٤٤.

منصور بن سليم، وجيه الدين الهمداني الإسكندراني (ت ٦٧٣هـ):

١٦٦ ـ ذيل على كتاب مشتبه الأسماء[1] للحافظ أبي بكر محمد بن عبد الغني (المعروف بابن نقطة).

نسختي التي بخطي، ونسخة دار الكتب المصرية رقم ٨١ مصطلح الحديث.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ):

١٦٧ ـ المختار من ذيل السمعاني.

النسخة المصورة المحفوظة بمكتبة المجمع العلمي العراقي.

ابن ناصر الدين، محمد بن أبي بكر بن عبد الله الدمشقي (ت ٨٤٢هـ):

١٦٨ ـ بديعة البيان في وفيات الأعيان.

نسخة جامع الزيتونة بتونس رقم ١٦٧٣.

١٦٩ ـ التبيان لبديعة البيان في وفيات الأعيان.

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة.

١٧٠ ـ التوضيح لكتاب المشتبه في الرجال.

النسخة المصورة المحفوظة في دار الكتب المصرية برقم ٢٣٢٩١ مصطلح الحديث والمأخوذة من نسخة سوهاج.

ونسختي المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق، وعند الحاج صبحي نسخة مصورة منها أيضًا.

---

(١) هكذا ورد على طرة النسخة. والمعروف أن كتاب ابن نقطة يسمى إكمال الإكمال. لأنه إكمال لكتاب الأمير ابن ماكولا.

ابن النجار، محب الدين أبو عبد اللّه محمد بن محمود البغدادي (ت ٦٤٣هـ):

١٧١ ـ التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من علماء الأنام.

نسختي المصورة عن نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢١٣١ عربي.

وعن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٤٢ تاريخ.

ابن نقطة، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي (ت ٦٢٩هـ):

١٧٢ ـ إكمال الإكمال.

نسختي المصورة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٠ مصطلح الحديث، ودار الكتب الظاهرية رقم ٤٢٩ حديث، والمتحفة البريطانية رقم ٤٥٨٦ شرقي.

١٧٣ ـ التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد.

نسختي المصورة عن نسخة المكتبة الأزهرية رقم ١٣٧ مصطلح الحديث.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ):

١٧٤ ـ طبقات الشافعية.

نسختي المصورة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٠٢١ تاريخ.

مجهول:

١٧٥ ـ العسجد المسبوك، المنسوب لأبي الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢هـ، والصحيح أنه للأشرف الغساني المتوفى سنة ٨٠٣هـ.

نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة.

١٧٦ ـ مختصر تاريخ الإسلام للذهبي.

نسختي المصورة عن نسخة مكتبة رضا رامبور بالهند رقم ٣٥٣٣.

١٧٧ ـ المنتقى من تاريخ الإسلام للذهبي.

نسختي المصورة عن نسخة أحمد الثالث ذات الأرقام ١ / ٢٩١٧ب ـ ٥ / ٢٩١٧ب.

ثانيًا: المصادر المطبوعة:

ابن الأبار، أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه القضاعي (ت ٦٥٨هـ):

١٧٨ ـ إعتاب الكتاب. تحقيق الدكتور صالح الأشتر، دمشق ١٩٦١م.

١٧٩ ـ التكملة لكتاب الصلة. القاهرة ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦م.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ):
١٨٠ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة. القاهرة ١٢٨٠هـ.
١٨١ ـ الكامل في التاريخ. القاهرة ١٢٩٠هـ.
١٨٢ ـ اللباب في تهذيب الأنساب. القاهرة ١٣٥٦ ـ ١٣٦٩.
أحمد بن حنبل، الإمام (٢٤١هـ):
١٨٣ ـ العلل ومعرفة الرجال. أنقرة ١٩٦٣م.
١٨٤ ـ المسند، تحقيق الشيخ أحمد شاكر. القاهرة (دون تاريخ).
الأدفوي، أبو الفضل جعفر بن تغلب بن جعفر (ت ٧٤٨هـ):
١٨٥ ـ الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد. القاهرة ١٩١٤م.
ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ):
١٨٦ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء. القاهرة ١٢٩٩ ـ ١٣٠٠هـ.
ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧):
١٨٧ ـ نزهة الألباء في تراجم الأدباء. تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد ١٩٥٩م.
ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ):
١٨٨ ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور. القاهرة ١٣١١هـ.
الباخرزي، علي بن الحسن (ت ٤٦٧هـ):
١٨٩ ـ دمية القصر وعصرة أهل العصر. تحقيق الدكتور سامي مكي العاني.
البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ):
١٩٠ ـ التاريخ الكبير. حيدرآباد ١٣٥٨ ـ ١٣٦٢هـ.
١٩١ ـ الضعفاء الصغير. حيدرآباد (دون تاريخ).
ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ):
١٩٢ ـ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم. القاهرة ١٩٥٥م.

البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد البابانی (ت ١٣٣٩هـ):
١٩٣ ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. إستانبول ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧.
١٩٤ ـ هدية العارفين في أسماء المصنفين. إستانبول ١٩٦٠م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ):
١٩٦ ـ السنن الكبرى. حيدرآباد ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥هـ.

التجيبي، صفوان بن إدريس المرسي (ت ٥٩٨):
١٩٧ ـ زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر. بيروت ١٩٣٩م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ):
١٩٨ ـ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. تحقيق أحمد يوسف نجاتي، القاهرة ١٩٥٦م (الجزء الأول فقط).
١٩٩ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة ١٩٢٩ ـ ١٩٥٦م.

ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ):
٢٠٠ ـ الصوفية والفقراء. فتوى نشرها رشيد رضا. ط٢. القاهرة ١٣٤٨هـ.
٢٠١ ـ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية. القاهرة، بولاق ١٣٢١هـ.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ):
٢٠٢ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. دمشق ١٣٠٣هـ.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ):
٢٠٣ ـ غاية النهاية في طبقات القراء. تحقيق برجشتراسر، القاهرة ١٩٣٢م.

ابن جماعة، بدر الدين محمد بن سعد الله الكناني (ت ٧٣٣هـ):
٢٠٤ ـ تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم. حيدرآباد ١٣٥٣هـ.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ):
٢٠٥ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. حيدرآباد ١٣٥٧ ـ ١٣٥٩هـ.
٢٠٦ ـ الموضوعات. القاهرة ١٣٨٦هـ.

الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ):
٢٠٧ ـ تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة ١٩٥٦م.
ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ):
٢٠٨ ـ الجرح والتعديل. حيدرآباد ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦م.
الحاجي، أبو مسعود عبد الرحيم بن علي (ت ٥٦٦هـ):
٢٠٩ ـ الوفيات. تحقيق الدكتور أحمد ناجي القيسي والدكتور بشار عواد معروف، بغداد ١٩٦٦م.
الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ):
٢١٠ ـ معرفة علوم الحديث. القاهرة ١٩٣٧م.
حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ):
٢١١ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. إستانبول ١٩٤١م.
الحبال، إبراهيم بن سعيد النعماني المصري (ت ٤٨٢هـ):
٢١٢ ـ الوفيات. تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد (مجلة معهد إحياء المخطوطات م٢ / ٢ / ٢٨٦ ـ ٣٣٧).
ابن حبان، محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ).
٢١٣ ـ مشاهير علماء الأمصار. تحقيق مانفريد فلايشهمر، القاهرة ١٩٥٩م.
ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ):
٢١٤ ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه. باعتناء علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٦٤م.
٢١٥ ـ تهذيب التهذيب. حيدرآباد ١٣٢٥ ـ ١٣٢٧هـ.
٢١٦ ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة. القاهرة ١٩٦٦م.
٢١٧ ـ القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد. حيدرآباد ١٣٨٦هـ.
٢١٨ ـ لسان الميزان. حيدرآباد ١٣٢٩هـ.
الحسيني، أبو المحاسن محمد بن علي (ت ٧٦٥هـ):
٢١٩ ـ ذيل تذكرة الحفاظ. دمشق ١٣٤٧هـ.

٢٢٠ ـ ذيل العبر. تحقيق المرحوم محمد رشاد عبد المطلب، الكويت.

الخزرجي، صفي الدين أحمد بن عبد اللّه (ت ٩٢٣):

٢٢١ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال. القاهرة ١٣٢٣هـ.

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد اللّه (ت ٧٧٦هـ):

٢٢٢ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة. القاهرة ١٣١٩هـ.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ):

٢٢٣ ـ تاريخ بغداد. القاهرة ١٩٣١م.

٢٢٤ ـ تقييد العلم. تحقيق المرحوم يوسف العش، دمشق ١٩٤٩م.

٢٢٥ ـ الكفاية في علم الرواية. حيدرآباد ١٣٥٧هـ.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ):

٢٢٦ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. الطبعة الجديدة بتحقيق العالم الفاضل الدكتور إحسان عباس.

خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ):

٢٢٧ ـ التاريخ. تحقيق الدكتور أكرم العمري. النجف ١٩٦٧م.

٢٢٨ ـ الطبقات. تحقيق الدكتور أكرم العمري. بغداد ١٩٦٧م.

الخليفة النيسابوري، أحمد بن محمد بن الحسن:

٢٢٩ ـ مختصر تاريخ نيسابور. تحقيق الدكتور بهمن كريمي، طهران ١٣٣٩هـ.

الدولابي، أبو بشر محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٣٢٢هـ).

٢٣٠ ـ الكنى والأسماء. حيدرآباد ١٣٢٣هـ.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ).

٢٣١ ـ أهل المئة فصاعدًا. تحقيق الدكتور بشار عواد معروف. (مجلة المورد البغدادية، المجلد الثاني، العدد الرابع، بغداد ١٩٧٣ ص ١٠٧ ـ ١٤٣).

٢٣٢ ـ بيان زغل العلم والطلب. نشره حسام الدين القدسي بدمشق سنة ١٣٤٧هـ.

٢٣٣ ـ تجريد أسماء الصحابة. بمباي ١٩٦٩م.

٢٣٤ ـ تذكرة الحفاظ. تحقيق العلامة المرحوم عبد الرحمن المعلمي اليماني المكي، الطبعة الثالثة. حيدرآباد ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨م.

٢٣٥ ـ تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق. تحقيق فشر، ليدن ١٨٩٠م.

٢٣٦ ـ دول الإسلام. حيدرآباد ١٣٣٧هـ، وطبعة القاهرة ١٣٩٤هـ.

٢٣٧ ـ ذيل العبر في خبر من عبر. تحقيق المرحوم محمد رشاد عبد المطلب، نشره مع ذيل الحسيني في كتاب «من ذيول العبر» وطبع في الكويت (دون تاريخ).

٢٣٨ ـ رسالة في الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم. القاهرة ١٩٠٦م.

٢٣٩ ـ سير أعلام النبلاء (ج١ ـ ٣). تحقيق الدكتور الفاضل صلاح الدين المنجد. القاهرة ١٩٥٦م.

٢٤٠ ـ الطب النبوي. القاهرة ١٨٧٠م وينسب للسيوطي أيضًا.

٢٤١ ـ العبر في خبر من عبر (ج١، ٤، ٥) تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد (ج٢، ٣) تحقيق المرحوم فؤاد سيد، الكويت ١٩٦٠ ـ ١٩٦٩م.

٢٤٢ ـ العلو للعلي الغفار. القاهرة ١٣٣٢هـ.

٢٤٣ ـ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. القاهرة ١٩٧٢م.
(واعتمدنا أيضًا نسخة الخزانة التيمورية رقم ١٩٣٥ تاريخ).

٢٤٤ ـ الكبائر. القاهرة ١٣٥٦هـ.

٢٤٥ ـ مختصر كتاب المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم. مطبوع بهامش المستدرك، حيدرآباد ١٣٣٥هـ.

٢٤٦ ـ المشتبه في الرجال. تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٦٢م.

٢٤٧ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. (تحقيق) محمد سيد جاد الحق. القاهرة ١٩٦٩م.

٢٤٨ ـ المغني في الضعفاء. تحقيق الدكتور نور الدين عتر، حلب ١٩٧١م.

٢٤٩ ـ (مناقب أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن). هكذا وضع محمد زاهد الكوثري العنوان وهو يشمل ثلاث رسائل في تراجم أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن. طبع بالمطبعة العربية الكبرى (دون تاريخ).

٢٥٠ ـ المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال.

تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة ١٣٧٤هـ.
٢٥١ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال. تحقيق البجاوي، القاهرة ١٩٦٣م.
٢٥٢ ـ النصيحة الذهبية إلى ابن تيمية. نشرها حسام الدين القدسي مع كتاب «بيان زغل العلم»، دمشق ١٣٤٧هـ.

ابن رافع السلامي، أبو المعالي محمد (ت ٧٧٤هـ):
٢٥٣ ـ ذيل مشتبه النسبة للذهبي. تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، بيروت ١٩٧٤م.

ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت ٧٩٥هـ):
٢٥٤ ـ الذيل على طبقات الحنابلة، القاهرة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣م.

الزَّبيدي، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ):
٢٥٥ ـ تاج العروس من شرح جواهر القاموس. القاهرة ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧هـ، وطبعة الكويت.

الزمخشري، جار اللّه محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ):
٢٥٦ ـ أساس البلاغة. القاهرة ١٩٦٠م.

ابن الساعي، تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب (ت ٦٧٤هـ):
٢٥٧ ـ الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير. تحقيق العلامة مصطفى جواد، بغداد ١٩٣٤م.

سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف (ت ٦٥٤هـ):
٢٥٨ ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان. حيدرآباد ١٩٥١م (وهذا المطبوع هو مختصر الكتاب).

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ).
٢٥٩ ـ طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق الأستاذين العالمين الفاضلين الدكتور محمود الطناحي والدكتور عبد الفتاح الحلو. القاهرة ١٩٦٤م فما بعد، وطبعة القاهرة ١٣٢٤هـ.
٢٦٠ ـ معيد النعم ومبيد النقم. القاهرة ١٩٤٨م.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ):
٢٦١ ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ. (مطبوع ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لفرانتس روزنتال وترجمة الدكتور صالح العلي) بغداد ١٩٦٣م.
٢٦٢ ـ الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر. (قسم منه ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنتال).
٢٦٣ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. القاهرة ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥هـ.
ابن سعد، محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت ٢٣٠هـ):
٢٦٤ ـ الطبقات الكبرى. ليدن ١٣٢١هـ.
ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ):
٢٦٥ ـ المغرب في حلي المغرب.
القسم الأندلسي. القاهرة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٥م، والقسم المصري. القاهرة ١٩٥٣م.
ابن سلام الجمحي، محمد (ت ٢٣٢هـ):
٢٦٦ ـ طبقات فحول الشعراء. تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة ١٩٥٢م.
السلمي، أبو عبد الرحمن بن الحسين (ت ٤١٢هـ):
٢٦٧ ـ طبقات الصوفية. القاهرة ١٩٥٣م.
السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ):
٢٦٨ ـ الأنساب. (طبع بالزنكوغراف في ليدن سنة ١٩١٢م) وطبعت منه في حيدرآباد بتحقيق الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني ستة أجزاء.
السهمي، حمزة بن يوسف (ت ٤٢٧هـ):
٢٦٩ ـ تاريخ جرجان. حيدرآباد ١٩٥٠م:
السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١هـ):
٢٧٠ ـ الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام. القاهرة ١٩١٤م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١):
٢٧١ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥م.
٢٧٢ ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. القاهرة ١٩٥٩م.
٢٧٣ ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. القاهرة ١٣٢١هـ.
٢٧٤ ـ الوسائل إلى مسامرة الأوائل. بغداد ١٩٥٠م.
٢٧٥ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها. القاهرة ١٩٥٨م.
الشافعي، الإمام محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ):
٢٧٦ ـ الرسالة. تحقيق الشيخ أحمد شاكر، القاهرة ١٩٤٠م.
ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ):
٢٧٧ ـ فوات الوفيات. القاهرة ١٩٥١م.
أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥هـ):
٢٧٨ ـ ذيل الروضتين في أخبار الدولتين. القاهرة ١٣٦٦هـ.
٢٧٩ ـ الروضتين في أخبار الدولتين. القاهرة ١٢٨٧هـ.
الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ):
٢٨٠ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. القاهرة ١٣٤٨هـ.
ابن الصابوني، أبو حامد محمد بن علي (ت ٦٨٠هـ):
٢٨١ ـ تكملة إكمال الإكمال. تحقيق العلامة مصطفى جواد، بغداد ١٩٥٧م.
الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ):
٢٨٢ ـ نكت الهميان في نكت العميان. تحقيق أحمد زكي، القاهرة ١٩١١م.
٢٨٣ ـ الوافي بالوفيات. نشر الألمان تسعة أجزاء منه حتى الآن بتحقيق جماعة من المستشرقين والعرب.
ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣هـ):
٢٨٤ ـ علوم الحديث. حلب ١٩٦٦م.
الضبي، أحمد بن يحيى (ت ٥٩٩هـ):
٢٨٥ ـ بغية الملتمس. مدريد ١٨٨٤م.

طاش كبري زادة، عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٧هـ):
٢٨٦ ـ طبقات الفقهاء: الطبعة الثانية. الموصل ١٩٦١م.
٢٨٧ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة. حيدرآباد ١٣٢٩هـ.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ):
٢٨٨ ـ تاريخ الرسل والملوك. طبعة أبي الفضل إبراهيم الجديدة، القاهرة.

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسين (ت ٤٦٠هـ):
٢٨٩ ـ الفهرست. النجف ١٣٥٦هـ.

ابن طولون، محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٥٣هـ):
٢٩٠ ـ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية. دمشق ١٩٤٩م.
٢٩١ ـ المعزة فيما قيل في المزة. دمشق ١٣٤٨هـ.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ):
٢٩٢ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة.
٢٩٣ ـ جامع بيان العلم وفضله. القاهرة، المطبعة المنيرية (دون تاريخ) ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت ٦٨٥هـ):
٢٩٤ ـ تاريخ مختصر الدول. الطبعة الثانية، بيروت ١٩٥٨م.

العراقي، زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٠٦هـ):
٢٩٥ ـ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث. القاهرة ١٣٥٥هـ.

العراقي، ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم (ت ٨٢٦هـ):
٢٩٦ ـ التقييد والإيضاح في شرح مقدمة ابن الصلاح. القاهرة ١٩٦٩م.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ):
٢٩٧ ـ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري. دمشق ١٣٤٧هـ.

العلموي، عبد الباسط بن موسى بن محمد:
٢٩٨ ـ المعيد في أدب المفيد والمستفيد. دمشق ١٣٤٩هـ.

العليمي، مجير الدين أبو اليمن عبد الرحمن الحنبلي (ت ٩٢٨هـ):

٢٩٩ ـ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. القاهرة ١٢٨٣هـ.

العماد الأصبهاني، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٩٦هـ):

٣٠٠ ـ خريدة القصر وجريدة العصر.

القسم المصري، القاهرة ١٩٥١. والقسم الشامي، دمشق ١٩٥٥ ـ ١٩٦٤. والقسم العراقي، بغداد ١٩٥٥ ـ ١٩٦٥، ١٩٧٣م.

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ):

٣٠١ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب. القاهرة ١٣٥٠هـ.

أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق النيسابوري (ت ٣١٦هـ):

٣٠٢ ـ المسند. حيدرآباد ١٩٤٣م.

العيدروس، عبد القادر بن شيخ عبد اللّه (ت ١٠٣٨هـ):

٣٠٣ ـ النور السافر عن أخبار القرن العاشر. بغداد ١٣٥٣هـ.

الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللّه (ت ٧١٤هـ):

٣٠٤ ـ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية. الجزائر ١٩١٠م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ):

٣٠٥ ـ إحياء علوم الدين. القاهرة ١٩٥٧م.

الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ):

٣٠٦ ـ الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة. بيروت ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩م.

الفتح بن خاقان، الفتح بن محمد بن عبيد اللّه (ت ٥٢٨هـ):

٣٠٧ ـ قلائد العقيان. القاهرة ١٢٨٣هـ.

٣٠٨ ـ مطمح الأنفس ومسرح التأنس. القسطنطينية ١٣٠٢هـ.

أبو الفدا، الملك المؤيد إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ):

٣٠٩ ـ تقويم البلدان. باريس ١٨٤٠م.

٣١٠ ـ المختصر في أخبار البشر. إستانبول ١٢٨٦هـ.

أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ):
٣١١ ـ الأغاني. طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة.
ابن فرحون، إبراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ):
٣١٢ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب. القاهرة ١٣٥١هـ.
الفسوي، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ):
٣١٣ ـ المعرفة والتاريخ. تحقيق الدكتور أكرم العمري، بغداد ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥م.
ابن الفوطي: كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣هـ):
٣١٤ ـ تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب. الجزء الرابع قسم ١ ـ ٤ تحقيق الدكتور مصطفى جواد، دمشق ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م.
ابن فهد المكي، محمد بن محمد بن محمد النخلي (ت ٨٧١هـ):
٣١٥ ـ لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ. (مطبوع ضمن كتاب ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني). دمشق ١٣٤٧هـ.
الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ):
٣١٦ ـ القاموس المحيط. القاهرة ١٣٣٠هـ.
ابن القاضي، أحمد بن محمد (ت ١٠٢٥هـ):
٣١٧ ـ جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس. فاس ١٣٠٩هـ.
القرشي، محيي الدين عبد القادر بن محمد بن نصر اللّه (ت ٧٧٥هـ):
٣١٨ ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية. حيدرآباد ١٣٣٢هـ.
القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ):
٣١٩ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥م.
القنوجي، أبو الطيب صديق بن حسن (ت ١٣٠٧هـ).
٣٢٠ ـ التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول. الطبعة الثانية، بمباي ١٩٦٣م.

ابن القيسراني، أبو الفضل محمد بن طاهر (ت ٥٠٧هـ):
٣٢١ ـ الأنساب المتفقة. ليدن ١٨٦٥م.
٣٢٢ ـ كتاب السماع. تحقيق أبي الوفا المراغي. القاهرة ١٩٧٠م.
الكتاني، محمد بن جعفر (ت ١٣٤٥هـ):
الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة. الطبعة الثالثة ١٩٦٤م.
٣٢٣ ـ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. فاس ١٣٤٦ ـ ١٣٤٧هـ.
ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ):
٣٢٤ ـ البداية والنهاية في التاريخ. القاهرة ١٣٥٨هـ.
ابن ماكولا، الأمير علي بن هبة الله (ت ٤٧٥هـ):
٣٢٥ ـ الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب. تحقيق الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني، صدر منه ستة أجزاء بحيدرآباد آخرها سنة ١٩٦٧م.
المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ):
٣٢٦ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. القاهرة ١٢٨٤هـ.
ابن المديني، علي (ت ٢٣٤هـ):
٣٢٧ ـ العلل. تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، بيروت ١٣٩٢هـ.
المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ):
٣٢٨ ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ١٣٨٣هـ.
المزي، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢هـ):
٣٢٩ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف. تحقيق عبد الصمد شرف الدين. بمباي ١٣٨٥هـ فما بعد، وبتحقيقنا: دار الغرب الإسلامي ١٩٩٩م.
المصنف، أبو بكر بن هداية الله (ت ١٠١٤هـ):
٣٣٠ ـ طبقات الشافعية. بيروت ١٩٧١م.

المقري، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ):
٣٣١ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. القاهرة ١٣٠٢هـ.
المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ):
٣٣٢ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٣٤م فما بعد.
المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ):
٣٣٣ ـ التكملة لوفيات النقلة. تحقيق الدكتور بشار عواد معروف،
الطبعة الماجستيرية (بغداد ١٩٦٧م) وطبعت منه أربعة مجلدات في النجف ١٩٦٩ ـ ١٩٧١م وطبع باقيه في القاهرة ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦م، ثم طبع بمؤسسة الرسالة ببيروت عدة طبعات.
ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ):
٣٣٤ ـ لسان العرب. بولاق ١٣٠٠ ـ ١٣٠٨هـ.
ابن ناصر الدين، محمد بن أبي بكر بن عبد اللّه الدمشقي (ت ٨٤٢هـ):
٣٣٥ ـ الرد الوافر. بيروت ١٣٩٣هـ.
النباهي، أبو الحسن علي بن عبد اللّه المالقي (توفي بعد ٧٩٣هـ):
٣٣٦ ـ المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا. القاهرة ١٩٤٨م.
النجاشي، أحمد علي بن علي بن أحمد (ت ٤٥٠هـ):
٣٣٧ ـ الرجال. بمباي ١٣١٧هـ.
ابن النديم، محمد بن إسحاق (ألفه سنة ٣٧٧هـ):
٣٣٨ ـ الفهرست. القاهرة ١٣٤٨هـ.
النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي (٣٠٣هـ):
٣٣٩ ـ كتاب الضعفاء والمتروكين. حيدرآباد (دون تاريخ).
النسوي، محمد بن أحمد (توفي حوالي ٦٣٩هـ):
٣٤٠ ـ سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي. القاهرة ١٩٥٣م.
النعّال، صائن الدين محمد بن الأنجب البغدادي (ت ٦٥٩هـ):
٣٤١ ـ مشيخة النعال البغدادي. تحقيق الدكتور ناجي معروف والدكتور بشار

عواد معروف، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٧٥م.

أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد اللّه (ت ٤٣٠هـ):

٣٤٢ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. القاهرة ١٩٣٨م.

٣٤٣ ـ ذكر أخبار أصبهان. تحقيق سيفن ديدرنغ. ليدن ١٩٣١م.

النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧هـ):

٣٤٤ ـ تنبيه الدارس إلى ما في دمشق من المدارس. دمشق ١٣٦٧ ـ ١٣٧٠هـ.

ابن واصل الحموي، جمال الدين الشافعي (ت ٦٩٧هـ):

٣٤٥ ـ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٧م.

ابن الوردي، عمر بن المظفر (ت ٧٤٩هـ):

٣٤٦ ـ تتمة المختصر في أخبار البشر. القاهرة ١٢٨٥هـ.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت ٢١٨هـ):

٣٤٧ ـ السيرة النبوية. باعتناء مصطفى السقا وجماعته. الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٥م.

ياقوت الحموي، أبو عبد اللّه ياقوت بن عبد اللّه الرومي (ت ٦٢٦هـ):

٣٤٨ ـ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تحقيق مرغليوث، ج٧ طبعة أولى. القاهرة ١٩٢٥م، ج١ ـ ٦ طبعة ثانية. القاهرة ١٩٢٣ ـ ١٩٣٠م.

٣٤٩ ـ معجم البلدان. تحقيق فستنفلد الألماني، لايبزك ١٨٦٦م.

ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد ابن الفراء (ت ٥٢٦هـ):

٣٥٠ ـ طبقات الحنابلة. القاهرة ١٩٥٢م.

اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد الحنفي (ت ٧٢٦هـ):

٣٥١ ـ ذيل مرآة الزمان. حيدرآباد ١٣٧٤ ـ ١٣٧٥هـ.

مؤلف مجهول:

٣٥٢ ـ الكتاب المسمى خطأ بالحوادث الجامعة والمنسوب خطأ لكمال الدين عبد الرزاق ابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣هـ. تحقيق الدكتور مصطفى جواد، بغداد ١٣٥١هـ (وبتحقيقنا، دار الغرب الإسلامي، بيروت).

ثالثًا: المراجع العربية:

أسعد طلس، الدكتور:

٣٥٣ ـ الكشاف عن خزائن كتب الأوقاف. بغداد ١٩٥٣م.

أغابزرك، محمد محسن:

٣٥٤ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة. النجف ١٩٣٦م فما بعد.

الأفغاني، الدكتور محمد سعيد عبد المجيد:

٣٥٥ ـ شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي. القاهرة (دون تاريخ).

الألباني، ناصر الدين:

٣٥٦ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. دمشق ١٣٩٠هـ.

بشار عواد معروف، الدكتور:

٣٥٧ ـ أثر الحديث في نشأة علم التاريخ عند المسملين. بغداد ١٩٦٦م.

٣٥٨ ـ أصالة الفكر التاريخي عند العرب. بحث قدم للمؤتمر الدولي للتاريخ. بغداد ١٩٧٣م.

٣٥٩ ـ تاريخ بغداد لابن الدبيثي، منهجه، موارده، أهميته. بغداد ١٩٧٤م.

٣٦٠ ـ تواريخ بغداد التراجمية. بغداد ١٩٧٤م.

٣٦١ ـ ابن الدبيثي. (المجلة التاريخية. العدد الثاني. بغداد ١٩٧٤م).

٣٦٢ ـ كتب الوفيات وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي. (مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد الثاني. بغداد ١٩٦٨م).

٣٦٣ ـ مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين. (مجلة الأقلام البغدادية، السنة الأولى، العدد الخاص. بغداد ١٩٦٥م).

٣٦٤ ـ معاجيم الشيوخ والمشيخات وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي (مجلة الأقلام، السنة الخامسة، العدد السابع. بغداد ١٩٦٩م).

٣٦٥ ـ المنذري وكتابه التكملة لوفيات النقلة. النجف ١٩٦٨م.

البيطار، محمد بن بهجة:

٣٦٦ ـ حياة شيخ الإسلام ابن تيمية. دمشق ١٩٦١م.

الجبوري، عبد الله:
٣٦٧ ـ فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة، بغداد ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤م.
الحديثي، الدكتورة خديجة عبد الرزاق:
٣٦٨ ـ أبو حيان النحوي. بغداد ١٩٦٦م.
حسين نصار، الدكتور:
٣٦٩ ـ نشأة التدوين التاريخي. القاهرة (دون تاريخ).
حمارنة، الدكتور سامي خلف:
٣٧٠ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الطب والصيدلة. دمشق ١٩٦٩م.
الدوري، الدكتور عبد العزيز:
٣٧١ ـ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب. بيروت ١٩٦٠م.
روزنتال، الدكتور فرانتس:
٣٧٢ ـ علم التاريخ عند المسلمين. ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، بغداد ١٩٦٣م.
٣٧٣ ـ مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. ترجمة الدكتور أنيس فريحة، بيروت ١٩٦١م.
الزركلي، خير الدين:
٣٧٤ ـ الأعلام. الطبعة الثانية. القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩م.
أبو زهرة، محمد:
٣٧٥ ـ أحمد بن حنبل. القاهرة ١٩٤٧م.
٣٧٦ ـ ابن تيمية. القاهرة ١٩٥٢م.
أبو زهو، محمد محمد.
٣٧٧ ـ الحديث والمحدثون. القاهرة ١٣٧٨هـ.
السامر، الدكتور فيصل:
٣٧٨ ـ الدولة الحمدانية. بغداد ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣م.

السامرائي، الدكتور حسام الدين:

٣٧٩ ـ هشام بن محمد الكلبي (مجلة كلية الشريعة، العدد الثاني. بغداد ١٩٦٦م).

السباعي، مصطفى حسين:

٣٨٠ ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. القاهرة ١٩٦٦م.

سزكين، الدكتور فؤاد:

٣٨١ ـ تاريخ التراث العربي. ترجمة الدكتور فهمي أبي الفضل، القاهرة ١٩٧١م.

الطباخ، محمد راغب الطباخ الحلبي:

٣٨٢ ـ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء. حلب ١٣٤٢هـ.

عاشور، الدكتور سعيد عبد الفتاح:

٣٨٣ ـ العصر المماليكي في مصر والشام. القاهرة ١٩٦٥م.

العلي، الدكتور صالح أحمد:

٣٨٤ ـ المحاضرات الشفهية. بحث مكتوب بالآلة الكاتبة. بغداد ١٩٧٣م.

٣٨٥ ـ مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية (مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد الرابع عشر).

٣٨٦ ـ مصادر دراسة الكوفة في القرون الإسلامية الأولى (مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد الرابع والعشرون).

٣٨٧ ـ مواد الكتابة. بحث مطبوع بالآلة الكاتبة. بغداد ١٩٧٣م.

٣٨٨ ـ المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز (مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد الحادي عشر).

علي إبراهيم حسن، الدكتور:

٣٨٩ ـ دراسات في تاريخ المماليك البحرية، الطبعة الثانية. القاهرة ١٩٤٨م.

العمري، الدكتور أكرم ضياء:

٣٩٠ ـ بحوث في تاريخ السنة المشرفة، الطبعة الثانية. بغداد ١٩٧٢م.

٣٩١ ـ موارد الخطيب في تاريخ بغداد. رسالة دكتوراه ١٩٧٤م (بالرونيو) وطبعت بدمشق أخيرًا.

٣٩٢ ـ نظرة في مصادر ودراسة السيرة النبوية (مجلة كلية الدراسات الإسلامية. بغداد ١٩٧٠م).

٣٩٣ ـ نفطوية النحوي ودوره في الكتابة والتاريخ (مجلة كلية الآداب. بغداد ١٩٧٢م).

فؤاد سيد:

٣٩٤ ـ فهرس المخطوطات المصورة (التاريخ) ٢ / قسم٣ / ٣ القاهرة ١٩٥٧ ـ ١٩٥٩م.

لطفي عبد البديع، الدكتور:

٣٩٥ ـ فهرس المخطوطات المصورة (التاريخ) ٢ / قسم١ القاهرة ١٩٥٦م.

محمد كرد علي:

٣٩٦ ـ ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية. دمشق (دون تاريخ).

معهد المخطوطات العربية:

٣٩٧ ـ فهرس المخطوطات المصورة (التاريخ) ٢ / قسم٤، القاهرة ١٩٧٠م.

ناجي معروف، الدكتور:

٣٩٨ ـ أساليب الكتاب العرب في البحث العلمي (مجلة الكتاب، العدد الأول. بغداد ١٩٦٢م).

٣٩٩ ـ تاريخ علماء المستنصرية. الطبعة الثانية، بغداد ١٩٦٥م.

هورفتس، يوسف:

٤٠٠ ـ المغازي الأولى ومؤلفوها. ترجمة الدكتور حسين نصار. القاهرة ١٩٤٩م.

يوسف العش، الدكتور:

٤٠١ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (التاريخ وملحقاته). دمشق ١٩٤٧م.

رابعًا: المراجع الأعجمية:

1 - Brockelmann, Carl: Geschechte der Arabischen Litteratur. ((Leiden)).

2 - Encyclopeadia of Islam. ((New ed.)). (artls. Dhahabi - Hadith).

3 - Goldziher: Kampfe um die Stellung des Hadith im Islam (ZDMG Band 61).

4 - J. Schacht: origins of Muhammadan Jurisprudence, oxford 1965.

❋ ❋ ❋

المحتويات

الباب الثاني
منهج الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام

***

undertaken. Also explored are questions dealing with the way in which the author copied some of those biographies:

Did the author copy the biographies from other works exactly as they were originally presented or did he rearrange them in his own way? Did he include the same material that was originally included in each biography or had he modified or rephrased it?

The answer to these and similar questions constitute the substance of the third chapter which investigates the "elements of the biography".

The fourth chapter is devoted to Al-Dhahabi's technique of using sources and the method he used in quoting from previous works. It concludes that the author relied upon all sources available to him such as observation, oral narration, inquiries, correspondence, collections of scholars *ijazat* (licenses from shaykhs), the writings of the persons included in his biographies and other available works dealing with history and biography. However, the author's main material sources were the manuscripts of his predecessors. Thus, a detailed analysis of the manner in which Al-Dhahabi made use of those manuscripts and how well he knew them is undertaken. Also discussed his criteria in preferring one manuscript over another and the method he followed in quoting and footnoting – explicitly or implicitly – and how accurate he was in choosing the most accurate copies of a work or whether he compared the different manuscripts of the same work.

The fifth and last chapter examines Al-Dhahabi's procedure and principles of criticism and attempts to explain the different types of criticism concerned with tradition and biographies on the one hand and evaluation and historical value judgement on the other. Then his technique of assessing the *isnad* (chain of transmission) and the contents are assessed instances to illustrate each are cited. Al-Dhahabi was often accused by historians of being dogmatic and partial. Thus such accusations are carefully considered in order to show by referring to Al-Dhahabi's work whether or not he was fair and how just his critics were.

Finally, the conclusions of this study are summarized and full details of all sources and references (published or in manuscript forms) utilized herein are provided in full.

AL-DHAHABI AND HIS TECHNIQUE IN WRITING TARIKH AL-ISLAM

I have chosen "Al-Dhahabi and his Technique in Writing *Tarikh Al-Islam*" to be the subject of this study because of the outstanding status that Al-Dhahabi enjoyed in Islamic thought in general and in historical research and writing in particular. Furthermore, his famous work *Tarikh Al-Islam* (The History of Islam) is regarded nowadays as one of the greatest sources of Islamic history.

This study comprises a section and methodology and two main parts: the first part is about Al-Dhahabi and the second about *Tarikh Al-Islam*.

METHODOLOGY

The section on methodology includes three important divisions: the first shows the significance of the study, its limitations and the reasons for choosing it. The second examines the procedure of writing the *Tarikh*, and calculates the surviving copies which were employed in this study. The third section constitutes an analytical presentation of the sources and references used in this study.

PART ONE

The first part is rendered in two chapters: the first is concerned with the biography of Al-Dhahabi. It explores his environment, his first interests and travels in search of learning, the nature of his studies, his personal relations and their influences on his way of thinking, his academic posts and activities and his significance as a writer, a critic and a thinker. The chapter ends with the death of Al-Dhahabi, whose life was a continuous endeavour to record Islamic history in the most scientific manner known then.

The second chapter considers the various kinds of works, summaries and other scholarly writings which Al-Dhahabi produced. The works are classified and arranged in alphabetical order.

The method followed in studying all the author's works proceeds as follows:

AL-DHAHABI AND HIS TECHNIQUE IN WRITING TARIKH AL-ISLAM

I have chosen "Al-Dhahabi and his Technique in Writing *Tarikh Al-Islam*" to be the subject of this study because of the outstanding status that Al-Dhahabi enjoyed in Islamic thought in general and in historical research and writing in particular. Furthermore, his famous work *Tarikh Al-Islam* (The History of Islam) is regarded nowadays as one of the greatest sources of Islamic history.

This study comprises a section and methodology and two main parts: the first part is about Al-Dhahabi and the second about *Tarikh Al-Islam.*

METHODOLOGY

The section on methodology includes three important divisions: the first shows the significance of the study, its limitations and the reasons for choosing it. The second examines the procedure of writing the *Tarikh*, and calculates the surviving copies which were employed in this study. The third section constitutes an analytical presentation of the sources and references used in this study.

PART ONE

The first part is rendered in two chapters: the first is concerned with the biography of Al-Dhahabi. It explores his environment, his first interests and travels in search of learning, the nature of his studies, his personal relations and their influences on his way of thinking, his academic posts and activities and his significance as a writer, a critic and a thinker. The chapter ends with the death of Al-Dhahabi, whose life was a continuous endeavour to record Islamic history in the most scientific manner known then.

The second chapter considers the various kinds of works, summaries and other scholarly writings which Al-Dhahabi produced. The works are classified and arranged in alphabetical order.

The method followed in studying all the author's works proceeds as follows:



دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان

لصاحبها : الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) — الحمراء ، بناية الأسود
تلفون : Tel: 009611-350331 / خلوي : Cellulair: 009613-638535
فاكس : Fax: 009611-742587 / ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P. 113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم: 489-2008/8/1000

التنضيد: دار الحسن للنشر ـ عمّان

الطباعة: دارلبنان

AL-DHAHABI

AND HIS TECHNIQUE IN WRITING
TARIKH AL-ISLAM

BY

Bashar A. Marouf



Dar al-Gharb al-Islami